

ديوان السلیمانیاہ

(الجزء التاسع عشر)



نحو شعر عربي أصيل ومادونه وبناء وجاد ومعتزه

أعطُرُ إعجابي مع الأمنياتِ وأبذلُ حباً يمدحُ التضحياتِ
وأثنى - على الشخصيتين - مُبجلاً عظيمَ الروى في مُستطاب الصفاتِ
وأذكرُ تاريخاً تسامى فخاره وأحكيه بالأحداثِ ، والواقعاتِ
وأروي يواقيتاً تجلّى سناؤها وأهدي الورى أمجادها النضراتِ
وأبذرُ آمالاً تبخرَ شذوها بما حاز من ساحاتها الخضراتِ
وأنثرُ ورد الخُب في كل بقعةٍ أخلّي - به - الساعاتِ والعَرَصاتِ

الطبعة الأولى

1 الطبيبتان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحو شعر عربي أصيل هادف محترم جاد

ديوان السليمانيات
(الجزء التاسع عشر)

الطبيبتان

شعر

الفقير إلى عفو ربه تعالى أبي عبد الله

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الشاعر السلفي المصري الصعيدي

راجع الدكتور عدنان النحوي والأستاذ سالم النوبي

الطبعة الأولى

مُجمّعة من المجلات والصحف والدوريات والجرائد

ومراجعة ومصححة ومُحقّقة ومُنقّحة ومزيدة

الإهداء

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي لم يزل قديماً دائماً وخبيراً بالأسرار عالماً ، قَرَبَ من شاء فجعله موخداً صائماً قائماً ، وطرد من شاء فصار - في بيداء الضلال - هائماً ، يفعل ما يريد وإن يأبى العبد راغماً ، ويقبل توبة التائب إذا أمسى نادماً ، أحمده حمداً - من التقصير - سالماً ، وأصلي على رسوله محمد الذي سافر إلى قاب قوسين ثم عاد غانماً ، وعلى صاحبه أبي بكر الذي لم يزل رفيقاً ملائماً ، وعلى عمر الذي يعبد ربه مُسِراً كاتماً ، وعلى عثمان الذي قتل مظلوماً ولم يكن ظالماً ، وفيه أنزل (أمن هو قانت أثناء الليل ساجداً وقائماً) ، وعلى علي الذي كان في العلوم بحراً وفي الحروب صارماً ، وعلى عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يزل حول نصرته حانماً ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وأصحاب محمد والتابعين لمحمد ، واجعل ذكر الآخرة لقلوبنا ملازماً ، ووقفنا للتوبة توفيقاً جازماً ، وذكرنا رحيلنا قبل أن نرى الموت هاجماً ، واقبل صالحنا واغفر لمن كان آثماً! يا قليل النظر في أمره يا غافلاً عن ذكر قبره أما نقل الموت واحداً واحداً ، وها هو قد أضحي نحوك قاصداً ، كم سلب ولدًا وأخذ والداً ، إلى متى تصبح جاهلاً وتُمسي مارداً ، وتحث على النهوض وما تبرح قاعداً ، متى يذوب دمغ ما يزال جامداً؟ متى ينقص جهلاً ما يفتأ زانداً؟ يا من إذا قاربه النصح أضحي متباعداً ، لقد نظرت لنفسك نظراً فاسداً ، كم أشمت بك عدواً وأفرحت حاسداً ، يا نائماً عن خلاصه راقداً ، يا مريضاً ما نرى له عائداً ، كم نوضح الأمثال ونضرب حديدًا بارداً! أترضى لنفسك أيها الإنسان هذا الحال ، أن يكون زاداً لارتحال تذكر عبث اليمين والشمال ، إذا خابت جميع الآمال ، ورأيت حسرة ما جمعت من مال ، وتيفقت فراق الأيتام والأطفال ، وحملت همًا خفت عنده الجبال ، وبان لك أن حديث الفنى محال! يا مؤثر الغي تأمل رشذك ، يا راحلاً عن قليل تعرف قصدك ، أصلح بالتقى يومك ، قبل أن تلقى غدك إياك والهوى ودع متعودك. كان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدور ، وافرعوها هذه الأنفس فإنها طلعة ، وإنها تنازع إلى شر غاية ، فتبصروا وتشددوا ، فإنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب ووقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم ، يا هذا زاحم باجتهادك المتقين ، وسر في سرب أهل اليقين ، هل القوم إلا رجال طرقتوا باب التوفيق ، ففتح لهم وما نياس لك من ذلك! يا مقيمين سترحلون ، يا مستقرين ما تتركون! يا غافلين عن الرحيل ستظعنون ، أراكم متوطنين تأمنون المنون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، طول نهاركم تلعبون ، وطول ليلكم ترقدون ، والفرائض ما تؤدون ، وقد رضيتم عن الغالي بالدون ، لا تفعلوا ما تفعلون (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، أما الأموال فتجمعون ، والحق فيها ما تخرجون ، وأما الصلاة فتضيعون ، وإذا صليتم تنقرون ، أترى هذا إلى كم يكون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، أين العتاة المتجبرون؟ أين الفراعنة المتسلطون؟ أين أهل الخيلاء المتعجرفون المتكبرون؟ قدروا أنكم صرتم مثلهم أما تسمعون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، ما نفعتهم الحصون ، ولا رد المال المصون ، هبث زعازع الموت فكسرت الغصون ، قدروا أنكم تزيدون عليهم ولا تنقصون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، تقلبوا من اللذات في فنون ، وأخرجهم البطر إلى الجنون ، فاتاهم ما هم عنه غافلون ، (كم تركوا من جنات وعيون) (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، لو حصل لكم كل ما تحبون ، ونما جميع ما تؤتون ، ونلتم من الأمانى ما تشتهون ، أينفعكم حين ترحلون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، إلى متى؟ وحتى متى تنصحون وأنتم تكسبون الخطايا وتجترحون؟ أأنتم وأنتم تسرحون إذ نزل هلاكٌ فلا تبرحون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون)! الموت مُسرِعٌ مُجد غير لاثب ، والأموال عن قليل تمضي للوارث ، وكأنك بوقوع الحادثات وحصاد الحارث ، يا

طويل الأمل هل قلبك لابت ، لا تسمعن المحال فلست بماكث ، يا مطالباً بالجد وهو لابع عابث ، يا معاهداً باللسان والعزم ناكث ، يا من أعماله إذا فتشت خبائث! صرح الشيب وطل ما مجمج ، ووضح فجره وما كان قد تبلج ، أوضح طريق الحذر وبين المنهج ، أين الشباب رحل مسرعاً وهملج؟ إن نار الفراق في القلب تتأجج ، إن فؤاد المتفكر يكاد أن ينضج ، هذه خيول الرحيل قد أقيمت تسرج ، والشكوك قد أزيلت والحق أبلج ، هذا وأنت بالمعاصي مغرى وتلهج ، لك كأس من المنون صرف لا يمزج ، يا من هو في الكفن عن قليل مدرج ، يا لابساً حلة من البلاء لم تنسج ، يا من بضاعته إذا نقدت كلها بهرج ، يا سالكاً طريق الهوى عوسج ، كيف الطمع في المرتجى والباب مرتج؟ يا من ضيقت الذنوب خناقه أين المخرج؟ يا عظيم فقرك في القبر من منك أحوج! اغتمت القوم الأيام ، واجتنبوا الخطايا والآثام ، وصمتوا عن رديء الكلام ، وصموا عن استماع الحرام فكأنهم لا يسمعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون)! كفوا الأكف عن الفساد ، وهجرت الرعوس الوساد ، وحضر القلب للمناجاة وانقاد ، وأنتم في سكر الرقاد ، وهم يركعون ويسجدون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، ما أوفى تلك الأحوال ، ما أصفى تلك الخصال ، ما أزكى تلك الأعمال ، جمعوا الهموم فأما الأموال فلا يجمعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، نقوا بالرياضة وهذبوا ، وابتلوا بفراق المحبوب وجربوا ، وأديروا في فنون التكليف وقلبوا ، فإذا بعدتم يوم الحضور وقربوا ، فماذا تصنعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، ما ضر النفوس ما نكا فيها ، حين نكافئها ، نغفو عنها يوم اللقاء ونعافئها ، وندخلها جنة يروق فيها صافئها ، ولهم فيها ما يدعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، نزلوا والله المقام الأمين ، وكتبوا في أصحاب اليمين ، ونالوا كل مثنى مثنى ، وأسكنوا القصور وأعطوا الحور العين ، كلها أباكار ليس فيها عون ، قد عوضوا عن حريق القلق الرحيق ، وأبدلوا عن بريق السيوف الأباريق ، وقوبلت رياضتهم بالروض الأنيق ، فهم يرتعون فيما يربعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، إخواني توانيتم وسير القوم حثيث ، وصفت أعمالهم ، وفعلكم كدر خبيث ، ونصحناكم ولكن قد ضاع الحديث ، وما أراكم تسمعون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، يا ربنا وفقنا لما وفقنا القوم وأيقظنا ، يا مولانا من سنة الغفلة والنوم ، وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم الذي يريح فيه العاملون (الذين هم في صلاتهم خاشعون)! أهدى ديوان: (الطبيبتان) الذي هو بعض عمري لأسرتي فرداً فرداً ، كما أهديه لأمتي المسلمة ، وأهديه للطببيتين المحترمتين: (سلمى وأختها سلامة) ، وأخيراً أهديه لكل متذوق وهاو ودارس ومحب للشعر العربي الأصيل! وأنوه إلى أن ديوان: (الطبيبتان) على طوله وامتداده ، ليس يحوي من أشعار المجون والسخف والنزق شيئاً. والله لو أجاز الله مثل هذه الأشعار وحاشا وكلا ، لما أحببت أن أكتب منها كلمة ولو بكنوز الأرض. ذلك أن شعر المجون والسخف لا تعجب به إلا النفوس العقيمة المريضة والقلوب السقيمة البغيضة! وأعتقد أن الأرض حمت من مثل هذا العفن! وإننا لنبصر بمآت الشعراء وهذا سمتهم! يُنعم الله عليهم بنعمة الشعر ويلين لهم فنونه وعويصاته ، فإذا بهم يجعلون شكر الله الإفساد والإغواء لعباده! بل الأمر في ديوان: (الطبيبتان) على عكس هذا الانحراف ، فهو يُعنى بالقيم والأخلاق والمثل والفضائل فينميها ويدعو إليها ، كما يُنفر من السقوط والرذائل! وأسميته هكذا لما احتوى من قصة طبيبتين جمعتا بين العلم والخلق والأدب والثقافة والتعامل الإنساني الرقيق! وكنت أجمع المعلومات عنهما من مصادر مقرّبة موثوقة لأعرف عن أكتب وعن أعنون لديواني! حتى أخبرني الراسخون في معرفتهما والراسخات بأدق التفاصيل التي تدل على رسوخ العقيدة والتوحيد ودمائة الخلق وعظيم الثقافة لديهما!

المقدمة

الحمد لله الذي أخرجنا بالإسلام من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات ، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، وشرع الإسلام وجعل له منهجاً ، وأعز أركانه على من غالبه ، فجعله آمناً لمن تمسك به ، وسلماً لمن دخله ، وبرهاناً لمن تكلم به ، وشاهداً لمن خاصم عنه ، ونوراً لمن استضاء به ، وفهماً لمن عقل ، ولباً لمن تدبر ، وآية لمن توسم ، وتبصرة لمن عزم ، وعبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق ، وثقة لمن توكل ، وراحة لمن فوض ، وجنة لمن صبر. اللهم ارحمنا بالقرآن واجعله لنا إماماً ونوراً وهدى ورحمة. اللهم ذكّرنا منه ما نسينا ، وعلمنا منه ما جهلنا ، وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، واجعله حُجّة لنا لا علينا ، اللهم زيّننا بزينة القرآن ، وأكرمنا بكرامة القرآن ، وشرّفنا بشرف القرآن. اللهم اجعل القرآن لنا في الدنيا قريناً ، وفي القبر مؤنساً ، وفي القيامة شفيعاً ، وعلى الصراط نوراً ، وفي الجنة رفيقاً ، ومن النار سترأ ، اللهم ارزقنا أن نتلوه حق تلاوته ، كما تحب وترضى ، وأن نعمل به كما ينبغي وتريد ، وأن نتعلّمه ونعلّمه كما أمرنا نبيك الحبيب. اللهم اغفر وارحم لكل من يُعلّم تلاوته ، وتفسيره ، وحكمه ، وأحكامه ، ونظّمه ، وبيّانه ، وإعجازه ، وإحكامه ، وزدنا من فضلك العظيم فإنك ذو الفضل والإكرام. إلهنا وسيدنا واسواتاه إذا شاهدتنا وهمتنا تسبق إلى سواك ، واسواتاه ، إن رأيتنا ونحن نتسارع إلى معصيتك بُعداً عنك ، واسواتاه إن تكاسلنا عن طلب رضاك ، يا من أقام لنا ذكرنا وأجرى لنا أنهاراً تجري ، اللهم إنا نسألك أن تجري علينا رزقنا من الخير كله: من الطاعات حتى ترضى ، إنك ولي ذلك والقادر عليه! اللهم إن الطواغيت يتفنونون بشتى أساليبهم وقوانينهم وتعليماتهم الفذرة العفنة ليصرفونا عنك وعن دينك وعن نبيك وعن كتابك! حيث يُضيقون علينا سبل العيش الكريم لكي ننزلق إلى الحرام ويضعون من العراقيل والعقابيل ما يصرفنا صرفاً عن اتباع الحق ولزوم الاستقامة ، فاللهم إنا نستعين بك عليهم فاكفناهم بما شئت إنك لما تشاء قدير وبالإجابة جدير! اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، اللهم إنا نسألك العفو العافية في ديننا ودنيانا وأماننا وأهلنا وأولادنا. اللهم افتح لنا من خزائن رحمتك رحمة لا تُعذبنا بعدها أبداً في الدنيا والآخرة ، اللهم وافتح لنا من فضلك الواسع رزقاً حلالاً طيباً ، لا تفقرنا بعده لأحد سواك أبداً ، تزيدنا بها لك شكراً ، وإليك فاقة وفقراً ، وبك عمن سواك غنىً وتعافياً. إلهنا لا يدرك جودك وحناتك ورفقك وتيسيرك إلا المؤمنون بك. آمنا بك وصدقنا نبيك - صلى الله عليه وسلم - فيما جاء به! وعبدناك ربنا بالحب والخوف والرجاء! فتقبل منا! ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم!

إذا برز العبادُ لذي الجلال

أبت نفسي تتوب ، فما احتيالي

بأوزار كأمثال الجبال

وقاموا - من قبورهم - سُكارى

فمنهم من يُكبّ على الشمال

وقد نصّب الصراط ، لكي يجوزوا

تلقاه العرائسُ بالغوالي

ومنهم من يسيرُ لدار عدن

غفرث لك الذنوب ، فلا تبالي

يقول له المهمين: يا وليي

إلهنا ما كان ينبغي لنا أن نعصيك أو نخالف عن أمرك ، ولكن غلبتنا شهواتنا وأهواؤنا فاغفر وارحم وأنت أرحم الراحمين! ما حيلتنا يا رب في دنيا تجري وهي تجري وراءنا وتلاحقنا؟ ما حيلتنا يا رب في العادات والتقاليد والأعراف والسلوم التي أصبحت ديناً في الأرض اليوم يدينُ له وبه أغلب أهل الأرض؟ ما حيلتنا في الشياطين الجنية والأخرى الإنسية التي تصل ليلها بنهارها في الصد عن سبيل الله تعالى؟ ما حيلتنا يا رب في الشهوات والأمزجة والأهواء التي تصرفنا عنك؟

أما اسـ تحييت تعصـ يني

إذا ما قال لي ربي

ومن ذا سوف يحميني؟

فكيف أجيبُ؟ يا ويحي!

ل ، من حين الـ حين!

أستلي الـ نفس بالأمـ

ت ما إذا سوف يكفيني؟

وأنسى ما وراء المـ و

ش ، ليس المـوت يكفيني

كأني قد ضـمنت العـ

ديدة ، من سـ يحميني؟

وجاءت سـكرة المـوت الشـ

إذا خفت مـوازيني سيفدني؟

نظرت الـ الـ الوجـوه ، فمن

ت في دنياي يُنجيني؟

سأسأل ما الـذي قدـمـ

د ما فرطت في ديني؟

فكيف إجـابتي من بعـ

كلام الله يـدعوني؟

ويا ويحي الـم أسـمع

اء في قافٍ ويـاسين؟

الـم أسـمع بما قد جـ

ت يـدعوني يـدعيني؟

الـم أسـمع مُنادي المـ و

بُ ، من ذا سـ يؤويني؟

فيا ربـاه عبـدٌ تا

سـع - للـحـق - يهـديني

سـوى رب غـفـور وا

وثقـل فـي مـوازيني

أتيت إلـيـك ، فـرحمني

دك الـهـم تجزيني!

وخـفـف فـي جزائـي وـحـ

اللهم انفع بهذا الشعر من قرأه ولا تحرمننا أجره في الدنيا ولا في الآخرة! وحدك تعلم نيتي منه! يا رب أنا قصدتُ بشعري هذا إعلاء كلمتك وجعل كلمة الذين كفروا السفلى! أقسم عليك باسمك الأعظم أن لا أكون من الثلاثة الذين أخبرنا عنهم نبيك - صلى الله عليه وسلم - والذين أول من تسعّر بهم النار: (قارئ ومتصدق وشهيد) أولئك المُرأون بأعمالهم ليقال عن أحدهم: فلان كذا وكذا! اللهم لا أنادي يوم القيامة: كتبت يا أحمد ليقال شاعر وقد قيل! يا رب وحدك تعلم أنني بعدت عن الأضواء والشهرة والفضائيات والظهور ابتغاء وجهك! فاللهم أجزني عليه الآن وفي الآخرة! اللهم كان يسيراً عليّ كتابة الأشعار في القوام النحيل والنهد الجميل والقدم الممشوق والعين الساحرة والرمش الطويل والخد الممتلئ والساق المستوية واليد البضة ، على حساب العقيدة والتوحيد! ولكنني أثرت الكتابة وفقاً لشريعتك ولسنة نبيك - صلى الله عليه وسلم - وابتليت في شعري وصبرتُ واحتسبت! وما هذا كله إلا بتوفيق منك ومعونة ، فاللهم كما جعلتني لا أكتب في ظني إلا ما يرضيك ، فاللهم انشره في العالمين وضاعف الأجر لمن أعانني على ذلك ، واجعل هذا الشعر في طاعتك يا جواد يا كريم! اللهم إنني جعلت جنة المأوى عن يميني وأنا أكتب شعري فطلبتها منك بالشعر! وتخلّيتُ نار جهنم عن شمالي وأنا أكتب شعري ، فاستعدتُ بك منها بالشعر! اللهم فنا من أهوال القيامة!

تصوّل على العُصاة وتستطيل

إذا مُد الصراط على جحيم

وقومٌ في الجنان لهم مَقيل

فقومٌ في الجحيم لهم ثبورٌ

وطال الويل ، واتصل العويل

وبان الحق ، وانكشف الغطاء

وأنا إذ أقدم لديوان: (الطبيبتان) فكلي أمل أن يحوز على إعجاب من قرأه! وأعتذر عن بعض المقدمات الطويلة تلك التي عمدتُ إليها كلما احتاجت القصيدة إلى إيضاح مبهمات حوتها وأعجزت القارئ وعدم من يسأله! وربما يسأل سائل: لماذا هذا العنوان: (الطبيبتان)? والجواب أنني أنشدت قصة الطبيبتين وأمهما (ريتا) بعد أن استمعتُ إلى قصتهما من راو لا أظن مثله يكذب! وأضفت للقصة بالشعر بعض الأشياء التي تتطلبها ضرورة التأليف والترجمة والصيغة! وأياً كان التأويل والترجيح ، فأنا اخترتُ هذا العنوان وأعنيه بكل ما تعنيه الكلمة من معان! إن عنوان: (الطبيبتان) شرف كبير للديوان! حيث ابتليتُ كما ابتلي كثيرون اليوم بخذلان الأشقاء والشقيقات وخرهم ، فكان طبيعياً أن ألتمس المروءة والنجدة والشهامة في الآخرين! لقد طغى شأن الأنانية والأثرة اليوم ، وذلك لأن أمر الجاهلية قد تفاقم خطره وعلت نبرته في زماننا! وأصبحت الجاهلية تقدّم على الإسلام والإيمان! نعم ، ولا أكون مبالغاً إن قلت بأن الجاهلية عادت لنا اليوم في ثوب عفن من أثوابها العفنة. ولعلي من خلال الاستشهاد بالأحاديث والقصائد أكون قد بينتُ ما للجاهلية من خطر على أمتنا! ورحم الله الشاعر الباكستاني الذي اختصر المدى وشخص المرض فقال:

فأمة الحق لم تهدأ ، ولم تنم

يا موكب النور بدّد حالك الظلم

صرخ الجهالة ، باسم الله فانهدم

هذي الزحوف أبو الزهراء قائدها

إن الحقود عن الإيمان جدّ عم

قم يا بلال ، وأعلنها مدوية

يا راية الله ، خَفَقاً في سمانهم
واثأز لحقك ، لا بهتان وانتم!
لوشنت أسلمتها للحرق والعدم
أخ كـريم ، وأذروا عبـرة النـدم
لولا الهداية ما ثرنا على صنم
ما كان منه حديثاً أو بذى قـدم
هُم في السفوح ، وأنتم في نرى القمم
شتان شتان بين النور والظلم!
أن يستبيح جماها خائنو الذمم
ما بالنا اليوم أصبحنا من الخدم؟
إن كان فيها مداً من زهيد دم
لا يُشرقُ الفجرُ إلا في دجى الألم!

الله أكبرُ قد دوت بكعبتنا
العينُ بالعين ، واصفع كل طاغية
دخلت مكة ، والرايات خافقة
عفوت لمارأيت العين دامعة
يا منقذ الكون من جهل أحاط به
اليوم جئت إلى التاريخ أسأله
فما وجدت لكم يا سيدي شـبهاً
هذي مبادنهم في شرعنا عدم
عار على أمة دان الوجود لها
كنا أساتذة الدنيا و ساداتها
لا لست أرضى من التاريخ ملحمة
ها ألمح الليل قد حانت نهايته

وأرجو أن أكون قد وُفقت في اختيار العنوان لديوان: (الطبيبتان) لأوقفُ الجاهلية والجاهليين عند حد!
وأسأل الله أن تكون القصائد برمتها قد عبرت عن هذا المطمح ، وحققت المطلوب والمرجو ووفت
بالغرض! إنني فخور كل الفخر بهاتين الطبيبتين ، اللتين ضربتا أروع الأمثلة في النجدة والشهامة الحقة!

الافتتاحية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أكرم المرسلين ورحمة الله للعالمين. اللهم ارزقنا الهجر الجميل لعبادك المذنبين ، وارزقنا الصبح الجميل عن عبادك الذين تجاوزوا في حقوقنا وأعراضنا ، وارزقنا الصبح الجميل عن عبادك المقصرين في حقوقنا ، والهجر الجميل: هجر بلا أذى ، والصبح الجميل: صبح بلا عتاب ، والصبر الجميل: صبر بلا شكوى. أيها الداعي إلى المعروف بشعره وأيها الناهي عن المنكر بشعره ، ليكن أمرك بالمعروف بالمعروف ونهيك عن المنكر بغير منكر. من عمل بما علم ، أورثه الله علم ما لم يعلم. ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر ، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين ، وشر الشريرين. الرضا باب الله الأعظم ، وجنة الدنيا ، وبستان العارفين. (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين). فيها اعتراف بحقيقة الحال ، وليس لأحد من العباد أن يبرئ نفسه عن هذا الوصف لا سيما في مقام مناجاته لربه. السعادة في معاملة الخلق أن تعاملهم الله ، فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله ، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله ، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم ، وتكف عن ظلمهم خوفاً من الله لا منهم. إن بعض الناس لا تراه إلا منتقداً ، ينسى حسنات الطوائف والأجناس ويذكر مثالبهم ، مثل الذباب يترك موضع البرء والسلامة ويقع على الجرح والأذى ، وهذا من رداءة النفوس وفساد الأمزجة. والعامّة تقول: قيمة كل امرئ ما يحسن ، والخاصة تقول: قيمة كل امرئ ما يطلب بشرط كمال التوحيد والعقيدة. إن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرّم مطلقاً لا يباح بحال. إن الله قد ينصر الدولة الكافرة بعديها على الدولة المسلمة بما يقع فيها من مظالم! سبحانك ربي خلقت ورزقت ، وبعض الناس عبدوا غيرك! (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ). ومكنت لقوم في الأرض وآتيتهم الملك ، ونزعت الملك من آخرين! (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُذَلِّلُ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ). اللهم انصرنا على من عادانا! إلهنا وخالقنا اقتضت حكمتك أن لا يراك أحد في الدنيا! وإنما نرى آثار حكمتك وقدرتك وعظمتك! (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرَاكَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ). إلهنا اقتضت حكمتك أن يزول كل شئ وتبقى وحدك بعد فناء خلقك! (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ، لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ، يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ، يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ، وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَن حَمَلَ ظُلْمًا). إلهنا رضيت لنا الإسلام ديناً ، وهديتنا صراطاً مستقيماً ، وعلمتنا ما لم نكن نعلم تعليماً ، وكان فضلك علينا جليلاً وعظيماً! فاللهم ثبتنا على الحق حتى نلقاك! إلهنا عجز الشعراء والأدباء عن قصائد مديحك والثناء عليك! أنت كما أثبتت على نفسك تباركت ربنا وتعاليت! كثيرة هي المدائح النبوية ، وكم هي قليلة ونادرة تلك المدائح الربانية! مع أنه لا أحد المدحة أحب إليه من الله تبارك وتعالى! ولقد أفاض الزهراني في ثانيته العذبة التي أنشدها في مدح رب البرية – سبحانه وتعالى – وأراها من عيون المدائح الربانية التي قل أن نري مثلها في القديم والحديث ، إذ ركزت على التوحيد والعقيدة ، ومنها قوله:

قربوا ريشتي وهاتوا دواتي واتركوني من التبي واللواتي
لم يعد في فؤاد مثلي مكان للتعني بالحب والغايات
تاه لبي وذاب قلبي لربي فهو حبي وسلوتي في حياتي
وليه كل ذرة في كياني ومماتي ومنسكي وصلاتي
يا مرادي هذي ترانيم حب من فيوض المشاعر الخاشعات
أنت أهل الثناء والمجد فامنن بجميل من الثناء المواتي

اللهم إنا نشهدك أننا لا نملك إلا حبك وحب نبيك - صلى الله عليه وسلم -! فاللهم ارزقنا بهذا الحب العمل
بكتابك وسنة نبيك - صلى الله عليه وسلم -!

هذا رسول الله هذا المصطفى هذا لرب العالمين رسول
هذا الذي رد العميون بكفه لما بدت فوق الخدود تسيل
هذا الغمامة ظللته إذا مشى كانت تقيل إذا الحبيب يقيل
هذا الذي شرف الضريح بجسمه منه حاجة للسالكين سبيل
يا رب إنني قد مدحت محمدًا فيه ثوابي للمديح جزيل
صلى عليك الله يا عالم الهدى ما حن مشتاق وسار دليل

اللهم أقمني اليوم كما أقمت حسان بالأمس! واجعل لشعري من القبول والأجر ما ادخرت لشعر حسان بالأمس! رباه إن لم أبلغ شأو حسان فلي شرف محاولة السير على خطاه! والحقيقة أنني اعتدت أن أزود كل قصيدة بمقدمة تستفتح على القراء ما تحويه القصيدة! كما أنها تكون بمثابة الجو النفسي للقصيدة وشيء عن سبب كتابتها وإنشادها! وأوردت كثيراً من آيات الذكر الحكيم وأحاديث رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم! وكان من أبرز الموضوعات التي ناقشناها في دواويننا بعامة وهذا الديوان بخاصة ما يتعلق بالجار وحقه والتحذير من الإساءة إليه! وذلك أنني وقبل عشر سنوات كتبت قصيدة عنوانها: (جيران أم جدران؟) ، وجعلتها بين قصائد ديوان: (دموع التصبر) برقم 39 ص 129. وتحكي عن الجيران الذين شغلتهم مباريات كأس العالم عن أن ينقذوا جيرانهم الأطفال الخمسة الذين أصيب أبوهم في حادث سير ، بعد أن أوصل أمهم إلى مستشفى الولادة لتضع مولودها السادس ، لتخرج من المستشفى وقد احتسبت عند الله زوجها وأبناءها الخمسة ، بسبب الجيران الذين هم أقرب إلى الجدران منهم إلى الجيران! وأما في ديواننا هذا فنحن أمام جيران على النقيض من ذلك فلئن كان جيران قصيدتنا الأولى قد

سلموا الأبناء لحتفهم ، فإن الجيران في قصيدة ديواننا هذا فقد أنقذوا الأسرة بكاملها من الموت! وبرغم عدم وجود أدنى مقارنة بين إمكانيات هؤلاء وأولئك ، ولا قياس أبداً بين قدرة هؤلاء وقدرة أولئك! وليس من مقارنة أيضاً بين فرص النجاح هنا وفرص النجاح هناك! ففي الأولى إن هو إلا باب يكسر ليذهب الأبناء إلى أي بيت مجاور حتى يأكلوا ويشربوا ويأمنوا ويلهوا ويلعبوا ريثما يعود الوالدان أو أحدهما ليستلمهم ولو بمعرفة الشرط! وأما في قصيدتنا الثانية فالأمر مستحيل وفرص النجاح فيه لا تتجاوز في نظري 5%! فهذه أسرة مؤلفة من زوج وزوجة وتسعة أبناء في مختلف مراحل العمر. وهناك في الطابق الرابع وعبر ليلة من ليالي الشتاء القارس ، وبينما الأسرة تغط في نوم عميق تنفجر اسطوانة الغاز ، إذ كان المطبخ مغلق النوافذ وكان هناك تسريب للغاز ، وتمدد الغاز وملاً المطبخ المحكم الغلق ، ووصل الغاز إلى مفاتيح الكهرباء ومعلوم أنه موصل جيد للكهرباء ، فوصل بين الأقطاب الكهربائية ، وكان هناك حريق هائل اندلعت منه ألسنة اللهب ، وملأت المطبخ وانفجرت الاسطوانة وبرزت النوافذ أماكنها ، وبدأت النار في الانتشار والتمدد في سائر غرف الشقة! وفي سرعة مذهلة استيقظ الأب وأيقظ الأسرة بسرعة ، وتعذر الخروج من الشقة نظراً لاندلاع ألسنة اللهب ، وزاد النار لهباً أن اسطوانة احتياطية أخرى انفجرت لتمتد النار في كل مكان من الشقة التي باتت ككرة من السعير والجحيم! ومن فضل الله أن أبواب الشقق المجاورة كانت متباعدة! وإلا لامتدت النار إلى الشقق الأخرى المجاورة! وليس من الموت مفر! ولم يكن أمام الجميع سوى البلكونة (الشرفة) فانطلقوا جميعاً إليها ، لضمان حياة مؤقتة حيث الأكسجين والهواء ، ولضمان الخيار بين الموت حرقاً أو الموت تردياً! وانطلقت أنظارهم يمنة ويسرة باحثين عن أي طوق نجاة ، فلقد بعدوا عن شاطئ الحياة ، وباتوا جميعاً قاب قوسين أو أدنى من الموت ، وانحسرت الدقائق عن موت مُحقق بإحدى النهايتين: الحرق أو التردى! وبينما هم كذلك نظروا من دورهم الرابع ليجدوا جيرانهم قد أعدوا فرشهم ورتبوا على هيئة بئر لها جدران ، وأمروا الأب أن يلقي بهم واحداً تلو الآخر بدءاً بزوجه على أن يكون هو الأخير! وقام الوالد بتنفيذ ما أمروا بسرعة. وما أن أتى دوره حتى كانت ألسنة اللهب قد هشمّت باب البلكونة ، وبدأت تنطلق في الهواء من البلكونة حارقة الأخضر واليابس! وبعد عشرين دقيقة جاء الإطفائيون وأخمدوا الحريق وسيطروا عليه في عشرين دقيقة أخرى! وحول الجيران المخلصون الأوفياء دفء الموقف ، وجعلوا من البلكونة التي قصدها الضحايا طلباً للموت المؤجل والحياة المؤقتة ، فصارت طلباً للحياة الدائمة! فصارت المعادلة بذلك صفرية! إذ نجا أفراد الأسرة جميعاً! بعد أن أصبحت الحياة أقرب إلى أحدهم من شراك نعله! أو بالمعنى الدارج: كتب لكل فرد من أفراد هذه الأسرة عمرٌ جديد! وإن كانت لنا تحفظات على هذا التعبير! وهناك أحاديث صحيحة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في حق الجار ، تبين أن للجار حقوقاً حددتها شريعة الإسلام. فعن مجاهد قال: ذبحت شاة لعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - في أهله ، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا نساء المسلمات ، لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة". وعن نافع بن عبد الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سعادة المرء المسلم: المسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء". وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره". وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة ، قال: "كن محسناً" ،

قال: وكيف أعلم أي محسن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت فقد أسأت)". وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا طبختم اللحم فأكثروا المرق أو الماء ، فإنه أوسع أو أبلغ للجيران". وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قال لي رسول - صلى الله عليه وسلم -: "يا أبا ذر ، إن اشتريت لحماً ، أو طبخت قدرًا ، فأكثر مرقته ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك ، فاغرف له منه"). وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يا رسول الله: إن لي جارين ، فإلى أيهما أهدي؟ قال: "إلى أقربهما منك باباً". وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عور الدلو والقدر. وعن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أول خصمين يوم القيامة جاران". وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره" ، وفي رواية: "فليكرم جاره" وفي رواية: "فليحسن إلى جاره". وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه ، فقالوا: وما بوائقه يا رسول الله؟ قال: شره). وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم ، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم ، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب سل هذا لم أغلق بابه دوني ومنعني فضله). وعن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا استأذن أحدكم جاره أن يغرز خشبه في جداره فلا يمنعه) ، فلما حدث أبو هريرة طأطأوا رؤوسهم ، فقال: ما لي أراكم عنها معرضين؟ والله لأرمين بها بين أكتافكم. وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سأله جاره أن يدعم على حائطه فليدعه". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة ، فإن جار البادية يتحول". وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام ، فإن جار البادية يتحول عنك" ، وفي رواية: "فإن جار المسافر إذا شاء أن يزييل زيل". وعن أبي جحيفة رضي الله عنه قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره ، فقال: يا رسول الله ، إن لي جاراً يؤذيني! فقال: اذهب فاصبر ، فاتاه مرتين أو ثلاثاً ، فقال: اذهب فاطرح متاعك في الطريق ، فانطلق ، فطرح متاعه في الطريق ، فاجتمع الناس عليه ، فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني ، فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق ، فجعلوا يلعنونه ، ويقولون: فعل الله به وفعل وفعل! فجاء [أي جاره] إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لقيت من الناس ، قال: وما لقيته منهم؟ ، قال: يلعنوني ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد لعنك الله قبل الناس. وفي رواية: (إن لعنة الله فوق لعنتهم ، قال: فإني لا أعود. ثم قال للذي شكاه: ارجع إلى منزلك ، فوالله لا ترى مني شيئاً تكرهه). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ، إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ، وتفعل وتصدق ، غير أنها تؤذي جيرانها بلسانها ، قال: لا خير فيها ، هي من أهل النار ، فقالوا: يا رسول الله ، فإن فلانة تصلي المكتوبة ، وإنها تصدق بالأنوار من الأقط ، ولا تؤذي أحداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هي من أهل الجنة). وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه". وعن الوليد بن دينار قال: سئل الحسن عن الجار فقال: أربعين داراً أمامه

وأربعين خلفه ، وأربعين عن يمينه ، وأربعين عن يساره. وتقول العرب: المروعات أربع: العفاف ، وإصلاح الحال ، وحفظ الإخوان ، وإعانة الجيران. وتقول: قلب المؤمن عالم فسيح ، يسع الأهل والأحباب والجيران والأصحاب ، ويسع هذا العالم الكبير. وتقول: الثقافة التي تخاف على نفسها من هجمة قط الجيران ثقافة فئران. وتقول: من تعدى على جاره دل على لؤم نجاره. وتقول: عندما يحترق منزل جارك انتبه إلى منزلك. وتقول: الجار السيء يعطيك الإبرة دون خيط. وتقول: من لديه جار طيب يباع منزله بسعر أغلى. وتقول: الجار القريب خير من الأخ البعيد. وتقول: من كان له جار ممتاز ، فإنه يملك كنزاً ثميناً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وإرض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً ، ولا تكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب. وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَأَرَادَ بِبَيْعِهَا فَلْيَعْرِضْهَا عَلَى جَارِهِ. حديث صحيح في سنن ابن ماجه. عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْجَارُ أَحَقُّ بِشَفْعَةِ جَارِهِ يَنْتَظِرُ بِهَا وَإِنْ كَانَ غَائِبًا إِذَا كَانَ طَرِيقَهُمَا وَاحِدًا. مسند الإمام أحمد. وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: سألت ، أو سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزني بحليلة جارك. قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ}. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من مسلم يموت فيشهد له أربعة أهل أبيات من جيرانه الأنديين أنهم لا يعلمون إلا خيراً ؛ إلا قال الله: قد قبلت علمكم فيه ، وغفرت له ما لا تعلمون. وعن ابن عمر قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال: لا يصحبنا اليوم من آذى جاره. وعن نافع بن الحارث ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من سعادة المرء المسلم: المسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجاتها و لو فرسن شاة. متفق عليه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من آذى جاره فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن حارب جاره فقد حاربنى ، ومن حاربنى فقد حارب الله). ولقد تعددت الأمثال والحكم المأثورة عن الجار! تلك الأمثال والحكم التي تعكس ما عليه الشعوب والأقوام من التجارب والخبرات! فمن ذلك: جين أوستن الكاتبة الأمريكية تقول: كل شخص مُحاط بجيرة من الجواسيس فهو مبتلى ، وخير له أن يتحول عن داره. وهذا جورج هيربرت يقول: أحب جارك لكن لا تحن له رأسك. وهذه إيميلي بوست تقول: أن تفعل كما يفعل لجيرانك من الخير كما يفعلون لك لك لهي القاعدة الوحيدة المعقولة. وتقول مينا أنتريم: معرفة المرء لنفسه حكمة ، لكن معرفة المرء لجيرانه عبقرية. وهذا حكيم الصين كونفوشيوس يقول: لم تترك الفضيلة لتكون وحدها ، من يمارسها سيكون له جيران. ويقول جورج بانكروفت: الحقيقة ليست مثيرة بما يكفي لأولئك الذين يعتمدون على شخصيات وحياة جيرانهم من أجل لهوهم بأكمله ، بل الأمر أن تعطي جارك أفضل مما يعطيك. والمثل الألماني القائل: استفسر عن الجار قبل أن تشتري الدار. والمثل النرويجي القائل: أحب جارك لكن لا تهدم الجدار الفاصل بينكما. والمثل الروسي القائل: من يرم الشوك لدى جاره يره ينبت في حديقته. ولقد كثرت حكم الشعوب بما فيهم العرب عن الجيرة ومدح حسن الجوار وذم سوء الجوار! فهذا بنيامين فرانكلين يقول: كن في حرب مع عيوبك وفي سلام مع جيرانك ودع كل عام جديد يجدهك رجلاً أفضل. وهذا جورج أيد يقول: افع لنفسك كما يفعل جيرانك

لأنفسهم وأظهر سرورك. وهذا بتاح حتب الفرعوني يقول: لا تثرثر مع جيرانك بلا فائدة ، فالناس تحترم الصامت. ويقول تشارلز ديكنز: يبدأ الإحسان في البيت ، وتبدأ العدالة عند الجار. ويقول الرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان: الركود الاقتصادي هو عندما يفقد جارك وظيفته! أما الكساد فهو عندما يأتي دورك أنت ، إذ الجيران جسم واحد. ويقول ماركوس أوريليوس: كم من الوقت يحفظ من الضياع من لا يتطلع إلى معرفة ما يقوله جاره أو يفعله أو يفكر فيه؟ ولو أنني تناولت كل قصيدة كتبتها بهذا التحليل لاحتجنا إلى مجلدات لتستوعب قصائد الديوان كله! الأمر الذي جعلني هنا أشير فقط إلى اللحاحات الاجتماعية واللففات الأخوية التي لطالما ضربت على وطرها وناقشت فحواها! وجعلت من (قصيدي الجيران) مثلاً عليها فقط. إن ديوان: (الطبيبتان) وترتيبه التاسع عشر من ديوان: (السليمانيات) ليجعلني في سعادة غامرة وراحة تامة أنني استطعت أن أغالب عنصر الزمن الذي يلاحقني! والذي أشعر معه أن الطموحات والأمال أكبر بكثير من العمر! وأوقن أن العمر سوف ينقضي ولم أحقق من آمالي وطموحاتي العشر! إن الشعر كان سلاحي الذي أذود به عن القيم والمبادئ والفضائل والمناقب والمعايير الفاضلة والأسس الإنسانية العظيمة التي استقيتها أجمعين من دين خير المرسلين عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم! إن من يعتقد أن ديننا يحتاج إلى ترقيعات من الشرق أو من الغرب لسفيه لا يعي حقيقة الدين! ولقد طالعت التفسير المختلفة وشروح الأحاديث المتعددة ، فاستنتجت أن ديننا جامع مانع ، كامل شامل! ومن هنا ركزت في ديوان: (الطبيبتان) على هذا الجانب وتوجت كل قصيدة بما تيسر في مقدمتها من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة! ناهيك عن التضمين الذي تتضمنه الأبيات الشعرية! وعزوت كل كلمة أخذتها من فلان أو علان إلى صاحبها أو صاحبها ودعوت له وأعطيته حقه من الإطراء والمدح في غير مبالغة! والذي لا أعرفه كتبت نصه ودعوت لصاحبه وإن كان عندي مجهولاً فليس عند الله بمجهول! وأحياناً كنت أكتفي ببعض سطور من مقالته أو من كتابه ، وأراها لا تكفي ولذا اعتدت أن أحيل إلى المقالة في كتابها أو إلى الكتاب في سلسلته! ولزمت الأدب مع المخالف وأوردت دليله وإن كنت غير مقتنع به! ولكنني فعلت ذلك ليكون القارئ على بينة من أمره! وما غلبت رأيي إلا إذا كان الدليل معه! وأسأل الله العزيز الحكيم أن ينشر هذا الشعر في العالمين! كما أسأله أن يكون لشعري اليوم ما كان لكلمة نبيه الخليل بالأمس: (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً)! فأذن إبراهيم وأتى الناس ولا يزالون يأتون! فاللهم إني أشهدك أنني كتبت أريد بما كتبت وجهه تعالى والدار الآخرة! فاللهم إن يكن ذلك كذلك وتعلمه من نيتي فانتشره! اللهم انشره في العالمين بعز عزيز أو بذل ذليل! اللهم إني أستودعك هذا الشعر يا من لا تضيع عنده الودائع!

شهادة هذه أم فضيحة؟!

(استشده قوم في الإدلاء بما لديه من شهادة على زيد من الناس. فخلط بين الشهادة المحددة في جزئية بعينها ، وبين التشهير والتشفي والانتقام ، وراح يكيل الفضائح عن الرجل لأنه يكرهه. فلم تكن شهادة في قضية محددة بل كانت فضيحة. فعجباً لمن يتجاوز ويتعدى. والأصل أن الذي يُنتدب للشهادة عليه أن يتحفظ عن كل معلومة لا تُثبت للشهادة بصلة! والله تعالى يقول: (ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه)! ومن هنا كان لزاماً - على من يشهد شهادة ما - أن يوضح الحقيقة ولا يخفيها كي لا يضل من استشدهوه! وأيضاً يتحقق بشهادته الحق العدل ويأخذ كل ذي حق حقه من الطرفين أو الفريقين! أما أن تكون الشهادة مجالاً لذكر المثالب والمزالم والهتات والعثرات فهي بهذا العمل أقرب إلى الفضيحة منها إلى الشهادة!)

تجاوزت - يا صاح - كل القيم	ودمرت - بالكييد - كل الشيم
وهدمت صرح الإخاء الذي	يقيم الأوصار بين النسم
وخنت العهود ، ولم تحترم	شروط الشهادة بين الخُصم
وبعت المودة مستهتراً	وكلت العداء ، وخنت الذمم
وإنني لأسأل مستنكراً	أتييت لتشهد ، أم تتقم؟
وكيف تُشهر مساجعاً	قواك لكي تطعن المتهم؟
أفضحه مستهيناً به	أهذا سلوك الفتى المحترم؟
أتجعله طعمة تشتهي	ليأكلها - سهلة - كل فم؟
أشفي غلياك في عرضه	وتجعلها فتنة تضطرم؟
أشهر سيفك في وجهه	كأنك - في الغزوة - (المعتصم)؟!
أتجعل بغضك سيف الأذى	لتكأ جرحاً شديداً الألم؟
أترسل حقدك في أعزل	ليصبح - في المحنة - المنهزم؟
يميناً تمرست في فضحه	وفي الظلم فقت جميع الأمم
وسقت الفضائح تُزري به	ودمرت بالكييد أحلى القيم

بعد اليوم

(بعد عشرةٍ طويلةٍ ، تبين له أن من يعاشرهم اعتادوا في تعاملهم على الأخذ دون العطاء ، وأنهم يُغلبون الجاهلية على الإسلام. فقال: لي منكم موقفٌ محددٌ واضح. وعاش الرجل على الحياد مع قوم لا يستحقون الاحترام ولا التقدير! ذلك أن الحياة أخذ وعطاء ، وليست استغلالاً واستنزافاً لما عند الآخرين بدون بذل شيء من رد الجميل والمعروف!)

طرائقُ عشرتكم مُجذبة	ولن تستمر - بي - المهزلة
كفاني الذي ذقت من وُدكم	وما قد نسجت من البلبلة
وكم كنتُ أحسن ظني بكم!	وأنهاي خلافتنا المعضلة
وعشتُ أوقركم حِسبة	وأطري المكانية والمنزلة
وأزرع في الدرب ورد الصفا	وأجتث - من بيننا - الحنظلة
وأستبعد الشك من خاطري	بنفس - على أهلها - مقابلة
وأوفي ، وإن هدّ عزمي الوفا	وأحمل - للمعتدي - سُنبلة
إلى أن تبين عكسُ الذي	يُرنيه حبي وفرط الصلة
توقفْتُ أنشد لي موقفاً	يُجالي الحقائق مسترسلة
يبين لي من أجود لهم	كريح - بأعلى العطا - مُرسلة
يبين لي أنكم جوقة	تحب الهوى والأذى والبأه
وتأخذ ليست تحب العطا	وتعشق أهواءها المُبظلة
دخلتم حياتي ، فأكثُ الشقا	وروحِي - بتدميركم - مُثقلة
وكلتم مشاكل مثل اللظى	تتابع مشكلة مشكلة
ألا بعد يومي لكم دربكم	وعهداً سألتم الحسبلة

مصباح الدجى

(إنني لا أكتب هذه القصيدة من باب العروبة الإقليمية ولا القومية الضيقة. بل أكتبها لأثبت أن العباقرة والجهابذة فى مختلف العلوم والتقنيات والمعارف والثقافات هم من المسلمين العرب أو غيرهم من العجم المسلمين. وإذن فليست العبقرية حكراً على (إديسون ولا نيوتن ولا كبلر ولا أرشميدس ولا فيلا ولا ماركونى ولا جرهام بل ولا لويس باستير ولا غيرهم من الغربيين غير المسلمين). بل عباقرتنا المسلمون العرب سبقوا هؤلاء الغربيين النصارى أو اليهود أو الوثنيين أو الهندوس أو الملاحدة. ففي عصور الظلام كان المسلمون يعيشون عصر العلم والنور والمعرفة والنهضة. على حين كان الأوروبيون يتخبطون فى الظلام باعترافهم هم. وصدق من أشد فقال: (مات أهل العلم لم يبق سوى مقرفٍ أو من على الأصل اتكل). إنني فى هذه المقدمة الطويلة سأعول كثيراً على التاريخ لأسأله عن العباقرة العلماء من أهل الإسلام والعروبة. وجعلتها هكذا طويلة مستفيضة لتكون أشبه بالدراسة الوثائقية لتراجم الرجال الذين كدنا أن ننسأهم ونثق فى أهل الغرب والشرق. ناسين أو متناسين أجدادنا الذين لهم حق علينا فى بيان ما أسهموا به فى صناعة الحضارة الإنسانية المعاصرة ، بل ووضع حجر الأساس لكثير من آلات وآليات صناعتها. إنني هنا أعرف بأهل الإسلام من العباقرة على مر العصور وكر الدهور ، وبشهادة أهل الغرب أنفسهم على المسلمين العرب (والفضل ما شهدت به الأعداء). وأكثرت هنا من الاستشهادات بأقلام كثير من الغربيين ، ومن خلال كتبهم التى ألفوها. وأعتذر بالغ اعتذاري عن طول مقدمتي. * تقع قصيدة (مصباح الدجى) فى ثلاثمائة بيت همزية القافية من البحر العروضي الخفيف. وأنشدت فى الانتصار للحق وللعلم فى وجه طوفان التغريب والتخريب والعلمنة ، ذلك الطوفان الذى لا يرد الفضل لأهله ولا يضع الحق فى نصابه ولا يعطي القوس لباريها. فكان ولا بد من هذه الإطالة نثراً وشعراً. أيها التاريخ اصرخ معي فى الجماهير العربية والغربية ، وانطلق بالحق وأدل بشهادتك ، وإنني لأعرف بأنك لا تحابي ولا تجامل ، وأن لك أنياباً حادة تمزق جلود الزيف. * أيها التاريخ ألا تذكر عالم البصريات ابن الهيثم؟ أجب! ألا تذكر البيروني عالم الجغرافيا الفلكية والرياضية؟ وجابر بن حيان أبو الكيمياء؟ وابن البيطار عالم النبات وابن بطوطة رحالة الإسلام وابن سينا الذي هو أبو الطب البشري والفارابي الذي هو أبو الفلسفة الإسلامية والإدريسي أبو الجغرافيا وابن النفيس أبو التشريح والخوارزمي عالم الجبر والدميري عالم الحيوان وابن يونس عالم الإرساد وأيضا الخازن عالم الطبيعة والجاحظ عالم الحيوان رغم تشييعه. وابن خلدون أبو علم الاجتماع والزهرراوي أبو الجراحة وياقوت الحموي الجغرافي المعروف وابن العوام عالم الزراعة وأبو القاسم المجريطي أبو الكيمياء التكنولوجية والكاشي مكتشف الكسر العشري والوزان راند الموسوعات الأفريقية وابن الرزاز أبو علم الحيل الميكانيكية وتقي الدين معروف أبو التقنية وأبو بكر الرازي راند المستشفيات الحديثة المتطورة وكذلك الكندي بذوقه الرفيع وإحساسه المرهف والخليل بن أحمد أبو المعاجم العربية ورائد علمي العروض والقافية وابن حمزة راند اللوغارثيمات الرياضية والزرنجوبي أبو التربية والتعليم والدينوري عالم النباتات والطبيري المؤرخ الجغرافي على رافضيته الخبيثة والقزويني عالم الرحلات والنبات ثم البلدان وابن ماجد ليث البحار وابن ربان البرين وابن عساكر المؤرخ المجاهد وابن رشد آخر الفلاسفة وعلي بن سهل بن ربد الطبري طبيب الأطباء ألا تذكر هؤلاء أيها التاريخ؟ * أيها التاريخ اسأل (ألدوميللي وهونكه) ماذا قالوا عن: (الرزاز - الميكانيكي المسلم العربي) ، واسأل (كازبري وبانكويري ومايرن وكليمان موليه ودوزي وهنكاده)؟ ماذا قال كل منهم عن (ابن العوام - أبو علم الزراعة المسلم)؟

* أيها التاريخ أسأل (شولياك الجراح الفرنسي عمن أخذ أكثر من 200 فكرة في الجراحة) ، سيجيبك: عن الزهراوي. وأسأل الأطباء (فراري وجرادياس واردوزيرس) عن الزهراوي. وأسأل (فيدمانشتات) ماذا قال عن الوزان صاحب الموسوعة. * وأسأل (سوتر ومردتمان وسيفام تكلي وسايلي ونيدفي وهوسر وفيلدهاوس ووليامز) ، ماذا قالوا عن تقي الدين بن معروف أبو التكنولوجيا والراصد الفلكي العربي المسلم. * وأسأل (جولدتسهير) ماذا كتب عن الإدريسي الجغرافي؟ * وأسأل (جون ديز وند برناك وسارتون ولوتير فياردو) ، عن الذي كتبه عن الحسن بن الهيثم العالم العربي المسلم؟ * وأسأل (ريشارد بيرتون) ، ماذا قال عن أحمد بن ماجد؟ * وأسأل (بريتلو وجون سارطون ولوكليير وهوكميارد وكاردان فو وديلاسي وبول كراوس) ماذا كتبوا عن جابر بن حيان؟ * وأسأل (ألدوميللي وروبيرت هول ونيلنو وديفيد سميث) ، ماذا كتبوا عن الخازن عالم الطبيعة المسلم المعروف؟ * وأسأل (سارطون وفلورين كاجوري) ، ماذا قالوا عن المجريطي. * وأسأل (سونتهايمر ولكليرك) ، ماذا قالوا عن ابن البيطار؟ * وأسأل (لولوزيو وفارد ولودفيج) ، ماذا قالوا عن ابن خلدون؟ * وأسأل (كراتشوفيسكي) ، ماذا قال عن ياقوت الحموي؟ * وأسأل (ابن ميمون اليهودي وخوخة التركي وتوما الإكويني ومارتن لوثر) ، ماذا قالوا عن آخر الفلاسفة ابن رشد؟ * وأسأل (دي بور وبروكلمان) ، ماذا قالوا عن الكندي؟ * وأسأل (ماسينون وروجر بيكون ودي فو) ماذا قالوا عن الفارابي وعن منطقته وفلسفته ، فسوف لن يكذباك أبداً. * وأسأل (ليلكر وجانييه مايرهون وروسكا وكريموف وجايج وفاندايك) ماذا قالوا عن أبي بكر الرازي الطبيب المسلم؟ * أيها الغرب ، أيها الشرق ، أيها المفتونون بعلماء الغرب استمعوا إلى شاهدين آخرين * الأول: ص 305 من كتاب المستشرق الألمانية (زيغريد هونكه) تقول: (وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء إلا مد يديه إلى الكنوز العربية هذه يغرف منها ما شاء الله له أن يغرف ، وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب رغبة منه في سد الثغرات التي لديه ، ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبا آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من ينابيع العربية. وكان رجال الكهنوت في أوروبا يترقون في مناصبهم بمقدار ما يحصلون على العلوم الإسلامية والاستفادة من الكتب المترجمة عن العرب). * والشاهد الثاني ص 117 من كتاب (أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوروبية) لأحمد علي الملا ، ينقل عن المستشرق الفرنسي (جوستاف لوبون) قوله: (إن فلاسفة العرب والمسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق الحرية الفكرية مع استقامة الدين). وأيضاً هينولد يقول: (يجب عد العرب مؤسسين حقيقيين للعلوم الطبيعية). أنريد أكثر من هذا؟ * أيها التاريخ: سوف أذكر لك أناساً بأعيانهم من الرعيل الأول من الذين صنعوا الحضارة الإنسانية في مختلف التخصصات: * الحسن بن الهيثم (عالم البصريات) الذي أسماه البيهقي المؤرخ بأنه (بطليموس الثاني). ولد بالبصرة سنة 354هـ ، وتوفي سنة 429هـ. اشتهر في الفلسفة والطب والهندسة والفيزياء وقال عنه الفقطي المؤرخ (ابن الهيثم صاحب التصانيف ، وصاحب التأليف في الهندسة ، وكان عالماً متفنناً فيها خبيراً بغوامضها ومعانيها ، استوعب القديم ووجد وفرع وناظر وجد واجتهد واستفاد الناس منه). وقال عنه العالم المصري علي مصطفى مشرفة: (لا أتردد في أن أقول: إن ابن الهيثم كان أعظم علماء العالم الذين نبغوا في عصر الحضارة الإسلامية ، بل إنه في مقدمة الأعلام من علماء الطبيعة في جميع عصور التاريخ.هـ. ويقول العالم الإنجليزي جون ديز وند برناك: (يعتبر كتاب المناظر لابن الهيثم أول دراسة علمية جادة في موضوع الضوء ، وابن الهيثم وغيره من علماء العرب هم أول من فهم انعكاس الضوء بالمفهوم الجديد وبمرور الضوء خلال الأجسام الشفافة ، الأمر الذي كان له الفضل في إرساء قواعد علم البصريات). هـ ويقول المؤرخ سارطون (ابن الهيثم هو

أول مخترع للكاميرا في العالم. وهو أول وأعظم عربي في علم الطبيعة. بل أعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى. بل أعلم علماء البصريين المشهورين في العالم بأسره). هـ. شهادات نعتز بها. واعترف العالم الفرنسي لوتير فياردو بأن كيلر أخذ معلوماته في الضوء ولا سيما فيما يتعلق بالانكسار في الجو من كتب ابن الهيثم. هـ. والحقيقة أن ابن الهيثم عاش منذ 1000 سنة ، وهو أول من قال بسرعة الضوء ، وأول من أرسى قواعد الأساس لفكرة صندوق التصوير الفوتوغرافي ، وسبق بأرانه رواد عصره وعصر النهضة الأوروبية الحديثة. ودرس تشريح العين وسبق الكل في تسمية أجزاء العين (الشبكية - القرنية - وكذا السائل الهلامي الزجاجي والسائل المائي) ، وأدرك مقلوبية الصورة في الشبكية ، ودرس العصب البصري ونقله الصورة للمخ وكان قد اكتشف تسعة قوانين في الضوء لزوايا الانعطاف ، وكان قد أثبتتها هندسياً ، وسبق ديكرت ونيوتن وفرانسيس بيكون في الإبداع. ومنه أخذ ديكرت وفرمات ونيوتن نظريته في إثبات انكسار الضوء ، وأثبتوا قانون الانكسار الثاني. وبرع أيضاً في علوم الفلك والرياضة ، وكتب العديد من التأليف في علم الطبيعة والفلك والهندسة. وكان كلامه أساساً انطلق منه الكثيرون في الشرق والغرب ، في القديم والحديث. * ابن ملكا: هو أبو البركات أوحد الزمان هبة الله بن علي بن ملكا. ولد بالعراق وتوفي عام 547هـ ، وكان يهودياً ثم أسلم في أخريات حياته. من آثاره (كتاب العبر ، والذي تناول فيه المنطق والطبيعات والحكمة الإلهية). وله (اختصار التشريح) وله أيضاً (رسالة في العقل وماهيته). * علي بن مندويه: ولد عام 370هـ ، وهو أبو علي أحمد بن عبد الرحمن بن مندويه ، الذي له آثار في الطب عظيمة منها: (المدخل في الطب - الجامع المختصر لعلوم الطب - المغيب في الطب - القانون الصغير - الأطعمة والأشربة). توفي عام 410هـ * أبو النصر التكريتي: هو أبو النصر يحيى بن جرير. ومن مصنفاته الطبية (المصباح المرشد إلى الفلاح والنجاح ، الهادي من التيه إلى سبيل النجاة). إذ كان هذا العربي آية في الطب. * القزويني: هو أبو عبد الله زكريا محمد القزويني ولد سنة 600هـ وتوفي عام 682هـ ، له نسب بأنس بن مالك. اشتغل بالقضاء ، وكان له شغف بالفلك والطبيعة وعلوم الحياة وعلم الموجودات وعلم الرصد الجوي. اشتهر كتابه (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) وكتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) عن الإنسان والحيوان والنبات. دعا إلى التأمل في السماء والأرض ، ودراسة المعقولات والمحسوسات. وله أبحاث قد ضمنها كتبه في الاقتصاد والسياسة والجغرافيا والأدب والتاريخ ، وإن كان ضعيف الأسلوب كما يقول النقاد إلا أن كتاباته كانت أقرب إلى روح البحث العلمي من كتب الجاحظ والمسعودي ، ثم إن له دراسات مذهلة في علم الفلك والمجرات والقمر ، وأخرى في الشمس والنجوم. وكانت له رحلة في البحث وطلب العلم ، فلقد ترك (قزوين) ، تلك القرية التي ولد فيها ثم سافر إلى شتى البقاع. وكان قد ذهب إلى أن الفصول الأربعة والليل والنهار من آثار دوران الشمس حول الأرض. وتحدث عن علم الهندسة المعمارية وطريقة إنشاء المدن وبنائها وترتيب الأقاليم. وجدد البحث العلمي القائم على التأمل والدراسة. * أبو سهل الكوهي: هو أبو سهل ويجن بن وشم الكوهي من علماء الفلك والرياضيات ومراكز الأتقال ، واشتهر بصناعة الآلات الرصدية وإجراء أدق الأرصاد. وله مؤلفات في الرياضيات والفلك. منها (مراكز الأكر - صفقة الإسطرلاب - الأصول في تحريكات كتاب إقليدس - البركار التام والعمل به) مات سنة 390 هـ. * أبو كامل الحاسب: هو أبو كامل شجاع بن أسلم بن محمد الحاسب المصري ، عاش في القرن الثالث الهجري ، برع في علم الحساب والهندسة ، وله كتب كثيرة منها (الخطان - الجمع والتفريق - كمال الجبر والزيادة في أصوله - الوصايا بالجبر والمقابلة - الشامل - الوصايا بالجذور في علم الحساب - الكفاية - المساحة والهندسة - أساليب الطير - مفتاح الفلاحة - الخمس والمعشر). وكانت كتبه

مراجع هامة. * لؤلؤة البحار وشيخ الملاحين أحمد بن ماجد: ولد وتوفي في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري وأوائل القرن العاشر. أطلق عليه أترابه (أسد البحار - ليث الليوث - ابن ربان البرين أي بر العرب وبر العجم). ولد في جلفار من الخليج العربي (رأس الخيمة الآن). واكتشف أساليب جديدة في فنون الملاحة مستعيناً بعلم الفلك. واستخدم البوصلة المانية المشهورة لمعرفة الاتجاهات والمسارات المانية. وكان قد قضى أغلب عمره في البحر (غرب المحيط الهندي وكذلك البحر الأحمر). وقد عرض فاسكو دي جاما البحارة البرتغالي آلاته البحرية المستخدمة عند البرتغاليين على بن ماجد فلم يأبه بها. إذ عرض عليه آلاته البحرية التي طورها العرب المسلمون. ومنها آلاته المثلثية ومربعية الشكل لقياس مدى ارتفاع الشمس وخصوصاً النجم القطبي. وأراه خرائط تفصيلية بخطوط طول وعرض متوازية فدهش فاسكو دي جاما وتبعه. ومن هنا فابن ماجد دلّ فاسكو دي جاما بصورة عفوية على غير ما يتصور كثير من الباحثين من أن ابن ماجد كان عميلاً يعمل لحساب الكفار ، نظير المال أو تحت تأثير الخمر. بل كان ذلك امتثالاً لأمر ملك (مالندي). وعموماً لم يكن ابن ماجد هو الذي أعطى الضوء الأخضر للبرتغاليين للتوصل إلى الهند. ألف ابن ماجد 40 كتاباً في الفلك والبحر والملاحة والأدب وأشهر هذه الكتب: (كتاب الفوائد في أصول علم البحر - والفوائد في العلوم البحرية). ويعتبر أول من طور البوصلة الملاحية لمعرفة الاتجاهات. وأما أمير البحارة الإنجليزي ريتشارد بيرتون ، فيقول في كتابه (السبيل إلى أفريقيا الحرة واكتشاف هرر) ، (لقد كان في أوائل القرن الماضي ملاحو جزر المالديف يستعينون بمرشد سياحي يسمونه (كتاب ماجد). هـ. ويقول (فران) (إن وصف ابن ماجد للبحر الأحمر لا تعادله أية إشارات ولا أية إرشادات أوروبية خاصة بالسفن الشراعية). ولأحمد بن ماجد ما يزيد عن 25 مؤلف في علم البحار والملاحة. * ابن جلجل: هو سليمان بن جلجل الطبيب الأندلسي القرطبي المعروف من علماء القرن الرابع الهجري. ومن أهم مصنفاًته (طبقات الأطباء والحكام). * ابن ماسوية: هو أبو زكريا بن يحيى بن ماسوية الخوزي ، توفي في سمراء عام 243هـ ، له 40 مصنف بين كتاب ورسالة في الطب والأدوية والعلاجات بالأعشاب منها (الأزمنة - النوادر الطبية - الحميات - طبقات الأطباء - الكامل - الأدوية المسهلة - دفع مضار الأدوية - علاج الصداع - الصوت والبحة - الفصد والحجامة - القوننج - معرفة العين وطبقاتها - البرهان الأشربة - الجنين - المعدة - الجذام - السموم وعلاجها الحاسم - الماينخوليا - التشريح). * البوزجاني: هو أبو الوفاء محمد بن يحيى ، من علماء الرياضيات ولد سنة 328هـ وتوفي عام 370هـ ، وبرع في علم براعة فائقة الرياضيات وخاصة الجبر والهندسة. فله مجلدات ضخمة في الجبر والهندسة وحساب المثلثات. * ابن النفيس: هو علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي (نسبة إلى قریش) ، وهي قرية في نواحي دمشق. نشأ وتعلم بذات القرية ، ودرس الطب على الدواخر (رئيس مستشفى النوري) ، وقد ترقى في مناصب الطب إلى أن أصبح رئيس أطباء مصر. وكان معاصروه يدعونه مرادفاً لابن سينا نفسه من حيث المكانة العلمية والمعرفة بالطب. وكانت له معرفة جد واسعة بالفلسفة والمنطق والنحو وعلوم الشريعة. وسبق كل علماء عصره في اكتشاف الدورة الدموية الرئوية ، فسبق مايكل سيرفنتس الذي ينسب إليه الأوروبيون هذا الاكتشاف. وقد عاش قرابة 80 سنة حيث ولد سنة 607هـ وتوفي عام 687هـ في عصر الأيوبيين أولئك الذين أقاموا دولتهم في مصر والشام على أساس الدين والعلم والأدب. وقد اطلع على الطب المصري الفرعوني القديم والطب الإغريقي والطب بعد أبقرراط والطب النبوي الإسلامي في عصر النبوة والراشدين. وغادر ابن النفيس دمشق إلى القاهرة ، فعمل في المستشفى الناصري حتى انشأ السلطان الناصر محمد بن قلاوون المستشفى المنصوري فعينه كبير أطباء

هذا المستشفى. وهو أول من قرر الفحص في السرير (الفحص السريري) للمريض. وألف (كتاب الشامل في الطب) وكتاب (المهذب في الكحل) وكتاب (المختار في الأغذية) ، وشرح فصول أبقراط وأيضاً شرح كتاب (تفاسير العلل وأسباب الأمراض) ، وشرح مفردات القانون وكتاب (موجز القانون) وشرح (تشريح القانون) الذي هو مفخرة الطب العربي وكشف غوامض الطب في عصره ، ووصف دورة الدم من البداية إلى النهاية. واعتمد على علمه الدقيق كثير من العلماء. وهو الذي أمر بمتابعة المرض وأعراضه وتطوره واستجابة أي جسم للعلاج والتباحث عن المريض مع سائر الأطباء المختصين والرجوع إلى الكتب والمراجع في حالات الأمراض المستعصية. * ابن الخطيب: هو لسان الدين أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب القرطبي. مات عام 776هـ. وقد برع في الطب والتداوي والأدب والتاريخ والجغرافيا والرحلات والشريعة والأخلاق والسياسة والبيطرة والنبات ، ومن مؤلفاته: (الإحاطة في أخبار غرناطة - الملحة البدرية في الدولة الناصرية - أعمال الأعلام - مقتعة السائل عن المرض الهائل وفيه وصف علاج الطاعون وأعراضه - الوصول لحفظ الصحة في الفصول وهي رسالة علمية لحفظ الصحة في الوقاية من الأمراض حسب الإصابة بها في الفصول الأربعة). * أبو الخير الإشبيلي المعروف بالشجار ، برع في كل علوم الزراعة في القرن الخامس الهجري. له كتاب (الفلاحة) في علم الزراعة والاهتمام بها منذ زراعة المحصول حتى حصاده. * جابر بن حيان (أبو الكيمياء): هو أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الأزدي المنتمي إلى قبيلة الأزدي اليمنية ، ولد في طوس من أعمال خراسان سنة 108 هـ ، وهو من أعظم علماء القرون الوسطى. مارس الطب فترة طويلة ، ثم مات عام 200 هـ ، مارس الطب تحت رعاية الوزير جعفر البرمكي أيام هرون الرشيد. أدخل البحث التجريبي إلى الكيمياء. وهو مخترع القلويات المعروفة في مصطلحات الكيمياء الحديثة باسمها العربي. وهو أول من اكتشف ملح النوشادر وماء الذهب وكذا البوتاس وزيت الزاج قبل اكتشاف الأوربيين له. وأول من أدخل عنصري التجربة والمعمل في الكيمياء ، وأوصى بدقة البحث والاعتماد على التجربة والصبر على القيام بها. ويعتبر من رواد العلوم التطبيقية وأول من كرر المعادن وحضر الفولاذ. وأول من صبغ الأقمشة وديغ الجلود وطفى الأقمشة وركب طلاء القماش المانع لتسرب الماء واستخدم ثاني أكسيد المنجنيز في صناعة الزجاج. وكان له تبحر في علوم كثيرة أخرى كالطب والفلسفة. وعده ابن خلدون إماماً من أئمة العلم والمعرفة. وقد عده ابن سينا والرازي من أكابر أهل العلم الطبيعي وأن كتاباته ذات مستوى رفيع الفهم والإدراك والتصور. وأيضاً ترجمت كتبه إلى اللاتينية ليتعلمها الأوربيون ولينتفعوا بعلمه الغزير ، وقد اعترفوا بذلك. وكان مرجعاً رئيسياً أيضاً لبعض علماء الغرب في الطبيعيات أمثال: لافورزييه وكذلك هولميارد وجاليليو وغيرهم. يقول بريتلو الكيميائي الفرنسي المرافق لنابليون في حملته الملعونة الصليبية على مصر والشام ومكتشف طريقة تكرير الماء بالفحم: (إن لجابر بن حيان في الكيمياء ما لأرسطو طاليس في المنطق ، وإن جميع الباحثين العرب وغيرهم من علماء الكيمياء نقلوا عنه واعتمدوا على تأليفه)هـ. ، ويقول جون سارطون (إن جابر بن حيان من أعلام العرب العباقرة وأول رائد للكيمياء)هـ. وهو أول من استخدم الموازين الحساسة والأوزان الدقيقة في إجراء كل التفاعلات الكيميائية مثل القيراط والدانق والدرهم والمثقال والأوقية والرطل. ومن كتبه: (الخالص - الخواص - كشف الأسرار وهتك الأشرار - إخراج ما في القوة إلى الفعل - العلم الإلهي - الحكمة الفلسفية - أسرار الكيمياء - علم الهيئة - أصول الكيمياء - كتاب الرحمة) وترجمتها تماًلاً أوروبا اليوم ، ويقول لوكير الطبيب الفرنسي: (إن جابر بن حيان من أعظم شخصيات القرون الوسطى بلا جدل - لا يساويه عالم في عصره لسعة اطلاعة ومعرفته ، وإليه يرجع

الفضل بعد الله في تشجيع كثير من طلاب العلم على متابعة منهجه ودراسة أبحاثه الكيميائية مما هيا للوصول إلى (الكيمياء الحديثة).هـ. وأيضاً برع جابر في التاريخ الطبيعي والفلك ، وحارب السحرة الأشرار وكان قد تتلمذ على يد جعفر الصادق. وعاصر عصر أبي حنيفة. وإذن فله نشأة دينية معروفة ، وكانت الكيمياء تسمى باسمه (علم جابر) لأنه أول من طورها وجدد فيها. وبعد خمسة قرون من وفاة جابر بدأ الأوربيون يترجمون مجموعة من كتبه إلى اللاتينية عن اللغة العربية ، فترجموا: (التكليس والخالص في الاستمام والاستيفاء). يقول هولميارد في كتابه: (الكيمياء إلى عصر دالتون): (إن مؤلفات جابر بن حيان المترجمة للغة اللاتينية قد كانت عاملاً قوياً ومعيناً في إحياء الكيمياء في أوروبا ، وقد حظيت بشهرة لم تحظ بها أي كتب لأي عالم آخر).هـ. وقد مدح علماء الغرب ومؤرخوه جابر بن حيان مثل (كاردان فو وهولميارد وديلاسي أوليري وجورج سارطون وبرتلو). وهذا هو بول كراوس يكتب مجلدين كبيرين عن جابر بن حيان في علم الكيمياء)هـ. * ابن برغوث: هو محمد بن عمر بن محمد من أعلم علماء الهيئة والحساب والرياضيات وتوفي عام 444هـ. * ابن بطلان: هو أنيس المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان البغدادي. توفي بأطناكية عام 455هـ. برع في الطب والتداوي. له مؤلفات طبية منها: (تقويم الصحة - مقامة دعوة الأطباء - مقالة في شر الدواء المسهل - مقالة في كيفية دخول الغذاء إلى البدن وهضمه وخروج فضلاته - كتاب المدخل إلى الطب - عمدة الطبيب في معرفة النبات) . * ابن جزلة: هو أبو علي يحيى بن عيسى بن علي بن جزلة المتوفى سنة 493هـ من أطباء بغداد. له كتاب (تقويم الأبدان في تدبير الإنسان) رتب فيه أسماء الأمراض. وكتاب منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان) ، جمع فيه الحشائش والعقاقير. * الخازن (راند علم الحركة والسوائل الساكنة) هو أبو الفتح عبد الرحمن الخازن من علماء (القرن السادس الهجري) درس الفيزياء والفلك والرياضيات. يذكره جورج سارتون في كتابه (المدخل في تاريخ العلوم) فيقول: (على الرغم من أنه لم يكن حراً ، حيث كان رقيقاً لعلى الخازن الذي اهتم به وعلمه سائر العلوم في عمر مبكر إلا إنه أظهر كتابه: (ميزان الحكمة) الذي يحتوي على علم الميكانيكا والفيزياء والهيدروستاتيكا).هـ. اهتم الخازن بعلم الفلك والهيدروستاتيكا الذي هو علم استخراج الماء والسوائل. ومن أهم كتبه (زيج السنجار - رسالة في الآلات - جامع التواريخ - كتاب الفجر والشفق - كتاب الآلات المخروطة - كتاب التفهيم - كتاب ميزان الحكمة). ويعتبر كتابه (ميزان الحكمة) من أكثر الكتب العربية المعتبرة في علم الطبيعة والميكانيكا وكذلك الهيدروستاتيكا. والمعروف أنه للخازن آلات مخصوصة لحساب الأوزان النوعية وقياس حرارة السوائل ، وهذا الكتاب قد سبق تورشيللي في ظاهرة الضغط الجوي بخمسة قرون. حيث ذهب إلى أن للهواء قوة رافعة كالسوائل ، فله ضغط كالماء من أسفل إلى أعلى على جسم مغمور فيه. ومن هنا فإن وزنه يتحدد بكثافة الهواء. ولقد مدح ألدوميللي (مؤرخ إيطالي) وروبرت وول علم الخازن. والجدير بالذكر أن الخازن أيضاً استدرأ على أرشميدس في أن قاعدته الخاصة بالسوائل تنطبق أيضاً على الغازات. كما سبق باسكال وبويل وجاليليو وكبلو ونيوتن ، حيث إنه بالإضافة إلى سابق علمه الذي ذكرنا كان قد ألمح إلى قوانين الجاذبية ومهد الطريق لاكتشافها مسبقاً. ويؤكد الباحث الكبير سيد حسين نصر في كتابه (العلوم والحضارة في الإسلام) على أن الخازن يعتبر من الذين لهم اليد الطولى في تطوير نظريات الجاذبية والوزن النوعي. ولقد استفاد المستشرق الإيطالي (نيلينو) من كتاب الخازن: الزيج السنجري في كتابه (تاريخ علم الفلك عند العرب). * ابن الهائم: هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عماد الدين بن علي المولود بمصر سنة 753 هـ. برع في الرياضيات والحساب. وله كتب منها: (رسالة اللمع في علم الحساب - الحاوي في الحساب - المعونة في الحساب

الهوائي - مرشد الطالب إلى أسنى المطالب في علم الحساب - كتاب المقنع ، وهو قصيدة (59 بيت) في علم الجبر . * ابن باجة: هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ. يعتبر أول مشاهير العرب الفلاسفة في الأندلس. وتوفى بالمغرب سنة 29 هـ. له 28 ألف في مختلف علوم الطب والفلك والصيدلة والعلوم الطبيعية. وأشهرها: (كلام على كتاب الأدوية المفردة لجالينوس - كتاب التجريبيين على أدوية ابن رافد - كتاب اختصار الحاوي للرزاي - كلام في المزاج بما هو طبي) * القلصادي: هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي القرشي البسطي المعروف بالقلصادي. من أشهر علماء الحساب في القرن التاسع الهجري ، ولد في بسطة ، وإليها ينسب ، ورحل إلى غرناطة. ودرس الحساب صغيراً ، وتابع العلماء شاباً وكبيراً. تتلمذ على يديه في الحساب خلق كثير. توفي في باجة (من أعمال تونس). أبدع في نظرية الأعداد والجبر وإشاراته ، وكتابه المعروف بـ (كشف الأسرار عن علم الغبار) يثبت فيه الأوروبيون أنه استخدم الإشارات الجبرية ، وأنها استخدمت عند العلماء المسلمين ، مثل (ج) وتعني (جذر) وأيضاً (ش) وتعني أول حرف من كلمة (شيء) والتي حُرِّفَت إلى (س). ولقد استفاد منه علماء الغرب في استخراج الجذور الصُّم. ومن كتبه (كشف الجلباب عن علم الحساب) ويقع في أربعة مجلدات. وكتاب (قانون الحساب) وكتاب (تبصره في حساب الغبار) وله شرحان لكتاب تلخيص الحساب لابن البناء. وله كتب في صور تشكيل الأعداد التامة والناقصة. * أبو القاسم المجريطي: (كيمياوي العرب والمسلمين). هو أبو القاسم مسلمة بن أحمد بن عبد الله المجريطي ، ولد في أسبانيا سنة 338 هـ ومات 398 هـ. فعاش 61 سنة. برع في علوم الرياضيات والفلك والكيمياء والطب والفلسفة والحيوان. وأنشأ مدرسة علمية بحته خرجت علماء في الكيمياء والطب والفلسفة والرياضيات أمثال (أبو بكر الكرماني وأبو القاسم الغرناطي وابن الفار الزهراوي وابن خلدون). كان إمام علم الرياضيات في الأندلس. برع كذلك في الفلك وشغف بأرصاد الكواكب. له مؤلفات قيمة في الحساب والهندسة وكذلك الحساب التجاري وعني بزيج الخوارزمي. وله رسالة في الإسطرلاب. وفرع في الشرح على بطليموس. وترجمت كتبه إلى اللاتينية. ويذكره المؤرخ ديفد سميث في كتابه (تاريخ الرياضيات) قائلاً: (إن أبا القاسم المجريطي كان مغرمًا بالأعداد التجارية وقد تفوق على علماء المسلمين والعرب في الأندلس في علمي الفلك والهندسة). كما يذكره الأستاذ سيد حسين نصر في كتاب (العلوم والحضارة في الإسلام) قائلاً: (عرف المجريطي عند الأوروبيين بأنه أول من علق الخريطة الفلكية لبطليموس ورسائل إخوان الصفا والجداول الفلكية للخوارزمي ، وكان له شهرة عظيمة في الرياضيات والفلك إضافة إلى ما ناله من احترام وتقدير لجهوده الجيدة في الكيمياء).هـ. كما يذكره سارطون في كتابه (المدخل إلى تاريخ العلوم) فيقول: (إن أبا القاسم المجريطي نال شهرة عظيمة بتحريره لزيج الخوارزمي وأيضاً إضافة البناء له وصرفه تاريخه الفارسي إلى التاريخ الهجري ووضع أوساط الكواكب لأول تاريخ الهجرة وزياداته فيه لجداول جديدة فصلاً عن رسالة الإسطرلاب التي ترجمتها إلى اللاتينية جون لينيس).هـ. ويذكر فلورين كاجوري بأنه أول مبدع في علم الرياضيات والحساب والهندسة وأن علمه ونظرياته ظلت فعلاً تدرس في أغلب جامعات أوروبا. بل إن علماء الغرب كانوا قد أبرزوا إسهاماته العلمية. ومن كتبه في الكيمياء (كتاب رتبة الحكيم وكتاب غاية الحكم) ومن إسهاماته العلمية: تحضير أكسيد الزنق بالحرارة - وتنقية الذهب في الفضة بحمض الأزوت) ، وفي كتابه (غاية الحكيم) تطرق إلى كثير من الاستنتاجات العلمية في الأمم التي سبقت في علم الكيمياء وعلم الفلك والرياضيات والتاريخ الطبيعي وعلم الحيل الذي هو علم الميكانيكا. ومن كتبه (كتاب تمام العدد في الحساب وكتاب اختصار تعديل الكواكب من زيج البتاني وكتاب الأحجار وكتاب روضة الحدائق ورياض الخلائق ورسالة في الإسطرلاب ،

وشرح كتاب المجسطي لبطليموس وكتاب في التاريخ في الطبيعيات وتأثير النشأة والبيئة على الكائنات الحية وكانت مفخرة الأحجار الكريمة وكتاب الرسالة الجامعة). ويعتبر أول من حرر علم الكيمياء من الخرافات والسحر والطلاسم. *ابن الصباغ: هو أبو منصور شمس الدين المبارك الأواني عاش 100 سنة. ولد في عام 583هـ وتوفي عام 683هـ ، اشتهر في الطب شهرة كبيرة. *ابن الصفار: هو أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر القرطبي من رياضي الأندلس في القرن الخامس الهجري. مات سنة 426 هـ . كان بارعاً في علم الأعداد والهندسة والنجوم. *ابن الصوري وهو رشيد الدين بن أبي الفضل بن علي الصوري المنسوب إلى بلدة صور اللبنانية التي ولد فيها 573هـ وتوفي عام 639 هـ . برع في الطب والنبات وكان مولعاً للغاية بالحشائش الطبية. ترك مصنف (الأدوية المفردة) في الأعشاب. *ابن العطار: هو أبو الخير بن أبي البقاء النيلي. من علماء الطب في القرن السابع الهجري. توفي عام 608 هـ. * ابن المجدي: هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن رجب بن طنبيغا العالم والرياضي الفلكي المولود بالقاهرة 760هـ. والمتوفى بها 850 هـ. كان رأس الناس في الحساب والهندسة والهيئة والفرائض. له كتاب (الدر القويم في صناعة التقويم). * ابن البيطار: (الصيدلاني النباتي). هو أبو محمد بن عبد الله بن ضياء بن أحمد الدين الأندلسي المعروف بابن البيطار والذي لقب بالعشاب. ولد بالأندلس عام 593هـ وتوفي عام 646هـ. وكان أبوه يعمل في حرفة البيطرة أي علاج الحيوانات وتركيب الحداوي لحواضر خيل الفرسان . اهتم بعلم النبات منذ صغره وأخذ يدون ملاحظاته. اطلع على كتب العرب والإغريق وغيرهم وأضاف إليها في علم النبات والزهور. وكانت له إسهامات في علم النبات والصيدلة. وصف ابن البيطار 1400 نبتة طبية ، منها 300 لم يسبقه إليها أحد. وذكر وصف أسمائها وطرق استعمالها وما قد يستعمل بدلاً عنها. اكتشف أنواعاً نباتية شتى لم تكن معروفة من قبل. درس النبات دراسة مستفيضة واعية قائمة على الملاحظة والتجربة والاستنباط. ويعتبر فعلاً أول عالم اهتم بدراسة الحشائش وتحري الدقة والصدق. وهو أول من عرف الحشائش التي تضر بالمحاصيل وبنفها حسب المحصول. وظلت إسهاماته في علم النبات والصيدلة باقية ومحل دراسة في أوروبا إلى مطلع عصر النهضة الأوروبية. ترجم المستشرق النمساوي (سونتهايمر) كتابه الجامع لمفردات الأدوية والأغذية إلى اللغة اللاتينية وأعطاه عنواناً آخر هو (مفردات ابن البيطار). وترجم المستشرق الفرنسي (لكليك) ذات الكتاب إلى الفرنسية. ولا يزال ابن البيطار هو عالم النبات المتفرد المتميز في كل مكان من بلاد الدنيا في الغرب والشرق حتى يومنا هذا. *ابن الرومية: هو أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل الأموي الإشبيلي الأندلسي. ولد في إشبيلية 561هـ وتوفي بها عام 637هـ. برع في الأعشاب والنباتات والعقاقير وعلم الصيدلة. له كتب منها (تفسير الأدوية المفردة من كتاب ديقوريدس - أدوية جالينوس - تركيب الأدوية - الرحلة النباتية - المستدركة - أسماء الحشائش على حروف المعجم - كما أن له كتباً في علم حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منها: المُعَلِّم بما زاده البخاري على مسلم - نظم الدراري فيما تفرد به مسلم على البخاري. *ابن سمجون: هو أبو بكر بن حامد بن سمجون. ذلك الطبيب الأندلسي من علماء القرن الرابع الهجري. له اجتهاد ملموس في علم الصيدلة وعلم العقاقير الطبية. توفي سنة 400هـ. *ابن الشاطر: هو أبو الحسن بن علي بن إبراهيم بن محمد بن المطعم أحد رياضيي القرن الثامن الهجري. ولد في دمشق عام 704هـ وتوفي بها عام 777هـ. أَلَفَ في الرصد والفلك. *الشيخ الرئيس (ابن سينا): هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا. ومن ألقابه (الشيخ الرئيس) وكذلك (المعلم الثاني) بعد أرسطو والفارابي. ولد عام 370هـ ومات علم 428هـ. يعتبر أعظم علماء المسلمين وأعظم علماء العالم ، فقد كان أديباً وفيلسوفاً وطبيباً وفلكياً ورياضياً. درس شتى

العلوم: درس الأدب والقرآن واللغة والمنطق والفلسفة والرياضيات والفلك والطب ، قبل أن يصل إلى سن العشرين. وكان يعالج الأمراء والحكام. وهو أول من اكتشف الدودة المستديرة أو ما يسمى بالإنكلستوما. ودرس الاضطرابات العصبية ، وتوصل الى بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسى. وكان يذهب إلى أن العوامل النفسية والعقلية لها أكبر التأثير على أعضاء جسم الإنسان ووظائفها. ووصف السكتة الدماغية الناتجة عن كثرة الدم. تقلد الوزارة أكثر من مرة ، واشتغل بالسياسة ولذلك سمي بالشيخ الرئيس. درس ابن سينا المنطق وعلم الهيئة والفلسفة والهندسة ، وراح يناظر شيخه (الناتلي). رحل في طلب العلم إلى خوارزم ثم إلى جرجان ثم إلى نسا ثم إلى إيبورد ثم إلى طوس. في كتابه (الشفاء) تحدث عن جوانب كثيرة في النفس الإنسانية وعلاجها. ألف في الهندسة والطب والطبيعة والمنطق وعلم الأخلاق والسياسة وعلم النفس والموسيقى (للأسف). وتم ترجمة مؤلفاته للغات شتى. ومنها كتاب (القانون في الطب). أخصيت مؤلفاته فكانت 276 مؤلف بين كتاب ورسالة وقصيدة سواء منها ما كتب بالعربية أو بالفارسية. وهو أول من حقن الإبر تحت جلد الإنسان ، وأول من استخدم التخدير لإجراء العمليات الجراحية ، وأول من فطن إلى أثر أحوال النفس على جهاز الهضم في الإنسان. فكلما كان ذا نفسية سعيدة ارتاح جهاز الهضم في الإنسان. وأول من فرق بين أسباب شلل الوجه ، وأول من وصف الديدان المعوية التي تسكن الأمعاء ، وأول من وصف جهاز التنفس وقسمه إلى أجزاء ذات وظائف ، وأول من وصف الأمراض العصبية والنفسية ، وأول من وضع الثلج على الرأس ليفيق الإنسان. والمقولة المشهورة من أن الطب كان معدوماً فأوجده أبقراط وكان ميتاً فأحياه جالينوس ومشتتاً فجمعه الرازي وناقصاً فكماله ابن سينا! وهو أول من اكتشف قسم الطبيعيات ، ومكتشف القانون الأول للحركة في الديناميكا قبل نيوتن بـ 500 عام. ومن كتبه العلمية: (الحكمة العروضية – الحاصل والمحصول – البر والإثم – المختصر الأوسط – المبدأ والميعاد – الأرصاد الكلية – القانون في الطب – كتاب الشفاء وغيرها الكثير). * ابن الخوام: هو عماد الدين أبو علي عبد الله بن محمد بن عبد الرازق الحربي الطبيب والرياضي المعروف. ولد في 643هـ ، وتوفي عام 736هـ في بغداد. له كتاب (رسالة الفراسة) وكتاب (مقدمة في الطب) وكتاب (القواعد البهائية) في علم الحساب. * الأخوان ابنا الرحبي: الأول هو شرف الدين علي بن يوسف الرحبي ، ولد بدمشق عام 583هـ ، وتوفي بها عام 667هـ. درس الطب وكان بارعاً فيه ومجدداً. له كتاب (خلق الإنسان وهيئته وأعضاؤه ومنفعتها). والثاني هو جمال الدين بن علي بن يوسف الرحبي: كان له اهتمام بالغ بالجزء العلمي التطبيقي من علم الطب وكان في غاية الدقة في الكشف والتحليل والتشخيص. * ابن السراج: هو محمد بن إبراهيم بن عبد الله الأنصاري الغرناطي ، النباتي والطبيب المشهور. ولد سنة 654هـ وتوفي عام 720هـ. له كتاب علمي في النبات وآخر تاريخي في فضائل غرناطة. * عبد الرحمن بن خلدون: (أبو علم الاجتماع): هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن خلدون ، ولقبه (ولي الدين). يعود نسبه إلى وائل بن حجر وهو يماني الأصل. ولد في تونس عام 732هـ وتوفي بالقاهرة عام 808هـ وكانت عائلته ذات شأن. حفظ ابن خلدون القرآن ودرس الفقه والتفسير والحديث. وقرض الشعر وتلقى العلوم والمنطق. سجن عامين بدون حق. وكانت له أسفار في طلب العلم إلى الأندلس ومصر وغيرهما. مات والده بالطاعون وهو ابن سبعة عشر عاماً. وغرقت أسرته وزوجته وأولاده في سفينة قادمة من تونس. تولى القضاء عدة مرات وفأوض تيمورلنك بنفسه عندما جاء غازياً إلى دمشق. من كتبه (المبتدأ والخبر ، وكتاب المقدمة). ولقد خص نفسه بترجمة تحدث فيها عن حياته فكانت السيرة الذاتية بقلم المؤلف. أخذ من فلسفته ميكافيللي وفيكو ومونيسكو وآدم سميث وأوجيست كونت ، ونهل كل

منهم من علم الإنسان وعلم الاجتماع اللذان برع فيهما وله كتاب (العبر). ويعتبر من المؤرخين العظماء. ويعتبر من العلماء النادرين الذين تكلّموا في العمران الحضري والبلدان والأمصار والصناعات والمعاش والكسب والعلوم واكتساب العلوم وعلم التاريخ. أرسى ابن خلدون قواعد علم الاجتماع وأصول علم فلسفة المجتمع الإنسانية. واعترف له بالفضل علماء من الغرب كثيرون منهم (كولوزيو ولوفيج جيموفيتش وفارد) هـ. يقول سميث: (إن العلماء الذين وضعوا أساس علم الاجتماع من جديد لو كانوا قد اطلعوا على (مقدمة ابن خلدون) في حينها واستعانوا بكل الحقائق التي كان قد اكتشفها لتقدموا بهذا العلم الجديد بسرعة أعظم مما تقدموا به فعلاً. ولد ابن خلدون في رمضان ومات في رمضان ودفن في مصر. كتب رسالة في المنطق وشرح آراء ابن رشد. وسبق علماء الاجتماع بأربعة قرون فكانت مقدمته في علم الاجتماع مرجعاً لهم جميعاً. *ابن التلميذ: هو أبو الحسن هبة الله بن الغنایم. وكان أبوه وجده لأمه طبيبين. وأجمع المؤرخون على سعة علمه ودقة نظره وقوة فراسته وحسن معالجته وصحة تخمينه وتشخيصه حيث برع في الطب والتداوي والعلاج ، ومن كتبه: (المقالة الأمينية في الأدوية البيمارستانية). اختصر كتاب (الحاوي) للرازي ، كما اختصر كتاب (الأشربة) لابن مسكويه. واختصر كتاب (شرح جالينوس لفصول أبقراط). وكان له مجالس يدرس فيها علم الطب. *ابن الجزار: هو أبو جعفر بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني ، من أهل المغرب. توفي بالقيروان لتحصيل الطب على يديه وله كتاب (زاد المسافر) وكتاب (المعتمد) في الأدوية المفردة. وله أيضاً كتاب (البغية) في الدواء المركب. *ابن أبي أصيبعة: ولد في دمشق عام 600 هـ ، وتوفي بصرخد عام 668 هـ بسوريا. اشتهر في الطب والعلاج بصورة بالغة. وكتابه (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) يعتبر من أهم المصادر في تاريخ الطب عند العرب. وله كتاب (إصابات المنجمين) وكتاب لم يتم تأليفه (التجارب والفوائد) *ابن البطريق: طبيب ومؤرخ من أهل الفسطاط وكانت ولادته في مطلع القرن الثالث الهجري. له كتاب (نظم الجواهر) المعروف بتاريخ ابن البطريق. والذي أخذ عنه ابن خلدون ، وله كتاب عظيم في علم الطب. *ابن البناء: ولد في عام 639 هـ في مراكش ، وتوفي عام 721 هـ في مراكش. اشتهر أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المراكشي في علوم كثيرة مثل الرياضيات بأنواعها والفلك. وألف أكثر من 70 كتاباً ضاع معظمها إلا كتاب (التلخيص) الذي هو (تلخيص أعمال الحساب) وكتاب (الأصول والمقدمات في الجبر والمقابلة) ، كما أن له رسالة في الهندسة وأزياج في علم الفلك وكتاب المناخ الذي تناول فيه الجداول الفلكية حيث قام بتفصيل مسائلها وخرائطها. *الحسن بن أحمد الهمداني (الفيزيائي العبقرى العربى): هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني ولد باليمن سنة 280 هـ وتوفي باليمن عام 360 هـ ودفن في اليمن. تعلم الحديث واللغة والنحو ، واهتم بكتب بطليموس وغيره من الفلاسفة والحكماء والمبدعين من الإغريق وغيرهم. سجن سنتين بدون أدنى جرم سوى الإصلاح بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. يعتبر الهمداني راند مفهوم الجاذبية الأرضية. وأدرك الهمداني انجذاب جميع الأشياء إلى الأرض ، وسطر نظريات علمية توضح هذا الأساس وتبني على هذا المفهوم. أدرك في علم الفيزياء أن الشمعة التي توضع مضاعة في ناقوس تنطفئ بعد حين لأنها تحرق كل كمية الأكسجين ، وكانت هذه انطلاقة لعلم الكيمياء ومدخلاً للعالم لأفوازييه كما أن الهمداني أدرك ظاهرة الاحتراق الأولى للأشياء. عموماً سبق الهمداني علماء الغرب أجمعين في ظاهرة الاحتراق العامة أمثال (جان راي – لأفوازييه – روبرت بويل – روبرت هوك – جوهان بيشر – جورج شتال – جون مايو – ستيفن هالز). كتب الهمداني كتابه (الإكليل – السير والأخبار – صفة جزيرة العرب – اليعسوب في فقه الصيد – الجوهرتان العتيقتان المائعتان من الصفراء والبيضاء – الحيوان – القوى في

الطب – سرائر الحكمة). كتب الكثير في مجال الطب والفيزياء والكيمياء والتراجم والمدن والنجوم والأنساب وكذلك الجغرافيا والتاريخ. *أحمد بن داود الدينوري عالم النباتات العربي الشهير: هو أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري الفارسي المولود في دينور الفارسية سنة 205. وتوفي عام 282هـ. برع في علم النجوم والجغرافيا والنبات والفلك والتاريخ واللغة والأدب. أمضى قسطاً كبيراً من شبابه في التاريخ وبخاصة التاريخ المرتبط بالنباتات والأعشاب. وكانت له رحلات وأسفار في طلب العلم. درس النحو على يد والد السكيت يعقوب بن يوسف ثم على يد ابن السكيت نفسه. وكان مفتوناً في علوم اللغة والنحو والهيئة والحساب والهندسة. وكان قد أنشأ معملاً فلكياً يرصد فيه الكواكب ويسجل نتائج الأرصاد. وله من المؤلفات: (تفسير الدينوري للقرآن وهو ثلاثة عشر مجلد – وكتاب إصلاح المنطق الذي أعجب به علماء الغرب جداً واعتمد عليه الكل – كتاب الوصايا في المواريث – وكتاب في حساب العول والدور وهو في علم الفرائض كذلك – كتاب الشعر والشعراء في التراجم – كتاب إصلاح المنطق والجمع والتفريق وهو في البلاغة – كتاب رسالة في الطب – وكتاب في الهندسة وآخر في الجبر – وكتاب نوادر الخبر – كتاب الفصاحة – كتاب لغوي في الأخطاء اللغوية الشائعة – كتاب في الأنواع في علم النجوم والفلك – كتاب القبلة والزوال – كتاب الكسوف – كتاب البلدان – كتاب النبات من خلال أشعار الشعراء – كتاب الأخبار الطوال من لدن آدم ونوح وحتى محمد – صلى الله عليه وسلم ، مروراً بكل الأمم). ولقد كان الدينوري عالم موسوعياً جمع في أسلوبه بين الفارسية والعربية وكذلك اليونانية. *أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (المؤرخ العملاق) ، ولد في آمل بإقليم طبرستان سنة 224هـ ، وتوفي ببغداد سنة 310هـ ، ونبغ في القراءات والتفسير والحديث والفقه والتاريخ والسير والمغازي والفتوحات والتراجم. وكانت له رحلات في طلب العلم إلى بلاد فارس والعراق ومصر والشام. عرض عليه القضاء ورفضه. ولم يكن يقبل هدايا الأمراء ولا أعطياتهم. واسمه مقرون بعلوم ثلاثة (التاريخ والفقه والتفسير) ، فله في التفسير كتاب اسمه (جامع البيان في تفسير القرآن) ، وله كتاب (تاريخ الأمم والملوك) تكلم فيه عن بدء الخليقة مروراً بتواريخ الأمم مع أنبياء الله ورسله ، فيورد الأخبار الطوال عن الفرس والروم والعرب والإغريق واليمنيين. وله كتاب: (لطيف القول في أحكام الإسلام) في الفقه وأبرز مذهب الشافعي وانتصر له. وله كتاب (ذيل المذيل) وكتاب (إختلاف الفقهاء). *أبو القاسم علي بن الحسن ، الشهير بابن عساكر ، المولود في دمشق سنة 449هـ ، والمتوفى والمدفون بها سنة 571هـ. نبغ في علم التراجم وتاريخ المدن والممالك. وكانت له رحلات وأسفار عديدة في طلب العلم. كان أبوه عالماً وأخوه كذلك ، استمع من المحدثين والفقهاء : فاستمع لنور الدين محمود ، وكذلك حضر مجالس صلاح الدين الأيوبي. وكتابه (تاريخ دمشق) ألفه في 30 عام. يقع في ثمانين مجلد موزعة بين مكتبات العالم. وكتاب (فضائل المدن) ، وبخاصة مكة والمدينة والقدس والخليل وعسقلان. وله (المعجم في تراجم الكتب الستة) الذين هم البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجه والترمذي. وله أيضاً (كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري). ونبغ في نظم الشعر على بحوره وقوافيه. وكان حلقة الوصل بين نور الدين محمود القائد وصلاح الدين الملك ، إلى أن كانت حطين الكبرى التي مهد لها وعبأ لها النفوس ، وتم دحر الصليبيين بعد 14 سنة من وفاة نور الدين محمود. فكانت حطين ثمرة ثلاثة رجال: الأول هو نور الدين محمود الذي أعد والثاني ابن عساكر الذي عبأ النفوس وشحذ الهمم والثالث هو صلاح الدين الذي قاد الجيش والمعركة. ولقد مشى صلاح الدين في جنازة ابن عساكر حاسر الرأس تقديراً واحتراماً لابن عساكر - رحمه الله - . *ياقوت بن عبد الله الحموي (عالم الجغرافيا الجهبذ) وهو حموي النسب ولكنه رومي الجنس وبغدادى الدار. ولد في

بلاد الروم سنة 575هـ ، وتوفي في حلب سنة 626هـ. واستطاع أن يؤسس اللبانات الأولى للحضارة العربية الإسلامية في زمانة من خلال كتابه (معجم البلدان). وكان عبداً عند مولى له اشتراه ثم أعتقه بعد حين ، وصار شريكاً له في تجارته وذلك بالمضاربة لخيراته وللباقته العلمية ولعمله. وكانت له رحلات وأسفار في التجارة وطلب العلم وتتبع الآثار والتواريخ والديار. تتلمذ على يد النحوي الأديب اللغوي العكبري وكذلك النحوي ابن يعيش ليتغلب على عجمته الفارسية. يقول مؤرخ إيطاليا الكبير ألدوميللي في كتابه (العلم عند العرب): (إن كتب الجغرافيا تضاءلت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين بصورة ملحوظة بعد نمو وانتعاش ظاهرين. وبالرغم من ذلك فإننا نجد في هذا العصر كتاباً أعظم من أي كتاب في الدنيا ، إنه كتاب زاخر كبير وقاموس جغرافي فذ عظيم ، إنه معجم البلدان الذي صنفه ياقوت الحموي).هـ. وأما المستشرق الفرنسي كارداه فيقول في كتابه (مفكر الإسلام): (إن معجم البلدان من المؤلفات التي يحق للإسلام أن يفخر بها).هـ. وأما المستشرق الروسي كراتشوفيسكي فيقول: (إن ياقوت الحموي هو الجغرافي العربي الوحيد الذي ظهر في النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي). وأما مؤلفاته فإن منها (معجم البلدان - معجم الأدباء - معجم الشعراء - الدول - المقتضب في النسب - المبدأ والمآل في التاريخ - أخبار المتنبئ - المختلف صقعاً والمشترك وضعاً). *أبو الريحان البيروني (أبو الفلك). ولد ذلك العبقرى في خوارزم والتي إليها ينسب وذلك عام 362 هـ ، وتوفي في غزنة عام 441هـ. نبغ في الفلك والرياضيات والجغرافيا والتاريخ واللغة والفلسفة كما درس في علم النبات والاقتصاد. أطلق عليه لقب الأستاذ ، وذلك لسعة اطلاعه ونبوغه الفائق. نشر مؤلفات عديدة في الفلك والرياضيات والتواريخ والآثار. استمر في تجاربه الفلكية وأبحاثه الجغرافية طويلاً. له كتاب يسمى (القانون المسعودى في الحياة والنجوم) ، أهدها للسلطان مسعود بن محمد خامس سلاطين الدولة الغزنوية. وقام السلطان بإهدائه الذهب والفضة فرفضهما. سافر البيروني إلى الهند وتعلم اللغة الهندية ، وتعلم الكثير من علوم الحضارة الإغريقية ولقب بأبي الجغرافية الفلكية. وكان يطيل النظر بل ويدعو إلى ضرورة المشاهدة والإستقراء والرصد والتتبع وإجراء التجارب. ألف كتاباً في خواص العناصر والجواهر وفوائدها التجارية والطبية بأسلوب مبسط. ألف في الحساب والأرقام والهندسة. ألف قاعدة تسمى (قاعدة البيروني) تقوم على معادلة رياضية في حساب نصف قطر الأرض بمجرد تعرفه على محيطها. وكان يدعو إلى الرجوع إلى الأصول والمراجع ومناقشة آراء الآخرين ودراستها دراسة واعية مستفيضة. كتب (تاريخ الهند) ، وناقش عقائد الهنود. وناقش هندسة الدائرة وقطعها من المحيط أقواساً مئمة أو مسدسة أو مربعة أو خمسة أو مثلثة. ومن كتبه (أطوال البلاد وعرضها - الحساب - تاريخ الهند - الشعاعات والقمر - امتحان الشمس - الآثار الباقية عن القرون الخالية - عشر مقالات عن خواص المعادن والهندسة والطبيعة - رؤية الأهله - الصيدلية في الطب - القانون في الفلك والنجوم والكواكب). أدرك بسعة بصيرته وعلمه تناقض علماء اليونان وعلماء العرب وعلماء الهند في قياسات محيط الدائرة والأرض أو نصف قطرها. ذكر أن الشمس سنتها طبيعية لأنها تدور وتعود إلى نقطة بداية دورانها. *محمد بن موسى الخوارزمي (أبو الرياضيات) ، هو أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي المولود في خوارزم سنة 160هـ وإليها ينسب ، وتوفي عام 232هـ ، سافر إلى أفغانستان والهند. نبغ في الجبر. ومدحه ابن خلدون وشهد بعبقريته في الجبر ، وكذلك شهد القزويني له بالعبقرية في الجبر. تعلم الغربيون الحساب عن طريق كتاب الحساب الذي ألفه ونقحه. هذا ويعتبر الخوارزمي من أكبر علماء المسلمين الذين تدين لهم الإنسانية في علم الحساب. وكتابه (الجبر والمقابلة) كتاب علمي دقيق ، أفاد البشرية وعلمها القياس والدقة بطريقة علمية دقيقة. وكان له أكبر

الفضل - بعد فضل الله تعالى - في تعليم العرب والغرب النظام العددي والأرقام وحساب الكسور وإجراء عملية الجمع والطرح والضرب والقسمة. وكتابه (صورة الأرض) رسم فيه خريطة العالم الإسلامي دون اهتمام كبير بخطوط العرض والطول وكتابه (تقويم البلدان) ، شرح فيه آراء بطليموس شرحاً وافياً وفرع عليه ولم يقلده. ومن هنا فهو مجدد لآراء بطليموس. ولقد نبغ أيضاً في علم حساب المثلثات والفلك. وله كتاب: (السند هند الكبير) وكتاب (العمل بالأسطرلاب) وكتاب (الرخامة) الذي يبحث في مسائل الحساب الفلكية. وقام بعمل جداول لحساب المثلثات والسطوح الفلكية. وله كتاب (علم الجبر). واعتمد عليه علماء الغرب اعتماداً كبيراً. *ابن رشد (آخر الفلاسفة) ، هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المولود في قرطبة سنة 520هـ ، والمتوفى في مراكش عام 595هـ. ثم حمل رفاته إلى قرطبة بعد ثلاثة أشهر من دفنه وكان قد درس علوم الأصول والفقه والكلام واللغة والآدب وكذا الرياضيات والطب وعلوم الحكمة والبدیع والبيان. وكانت له الإمامة في الدين والعلم والطب والفلسفة في زمانه. وكان فعلاً وجيهاً عند العلماء والملوك والأمراء. تولى القضاء في قرطبة وأشبيلية مثل أبيه وجده. وحاول التوفيق بين الدين والفلسفة. ودعا إلى الاستدلال بالقرآن والسنة ، وفي ذات الوقت الانتفاع بهما وبما عند الآخرين من العلم والرأي ما لم يتعارض مع الكتاب والسنة. ذهب إلى أن التأويل له طريقتة وضوابطه وأسسها ، فليس كل عقلية تؤول وليس كل نص يقبل التأويل ، وأوضح الطرق المثلى للاستدلال لعقائد هذا الدين الحنيف. حدد العلاقة بين الوحي والعقل. وبين دور العقل في الاستنباط. وكتابه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال) في الرد على كتاب (تهافت الفلاسفة) للغزالي. وكتابه: (الكشف عن مناهج الأدلة) في ذات الموضوع. والناس عند ابن رشد ثلاثة أنواع: (1) البرهانيون: وهم الذين يستدلون بالبراهين ويسوقون الأدلة على ما يعتقدون. (2) الخطابيون: وهم الذين يُصدّقون بالأدلة وهم أغلب الناس. (3) الجدليون: وهم القوم المتكلمون الذين سمّوا عن العامة ، ولكن لم يصلوا إلى الاستدلال بالبرهان. هذا والفارق بينه وبين الفلاسفة الملاحدة أنه ذهب إلى أن في شرعنا مسائل لا دور للعقل فيها أبداً ، فهذه لا بد فيها من التسليم. وأما دور العقل ففي عملية استنباط الأحكام ومناقشة الأدلة. ولقد أوغر الخُساد صدر الحاكم أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ضد ابن رشد ، حيث وجدوا ورقة بقلمه يرد فيها على الفلاسفة الملاحدة فأورد قولهم: (فقد ظهر أن الزهرة إحدى الآلهة) ، ولم يكن هذا قطعاً من كلام ابن رشد ، فأمر الخليفة بكل ظلم وتهور بأن تحرق كتب ابن رشد إلا الرياضيات والطب والفلك وأمر أيضاً بطرده من البلاد. فحرم المسلمون مدى الدهر من ثروة غالية. ولم يستسلم ابن رشد للبلاء والمحنة بل ثابر واحتسب وأخذ يدرك ما عليه من واجب في الرد على الفلاسفة والكتابة والتأليف والاستمرار في البحث العلمي حتى عاد بعد أربعة سنوات إلى مراكش وقربه السلطان إليه ومات هناك. ومن كتبه (الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) وهو تفسير لكثير من النصوص القرآنية. وكتابه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد) ، وهو في الفقه الإسلامي. وبرغم حرق كتبه ونفيه وطرده والتضييق عليه بلغ عدد الكتب والرسائل التي كتبها وبقيت 58 كتاباً. ولقد أثرت كتبه في تفكير من درسها وقرأها مثل (ابن ميمون - حبر اليهود - وتوما الإكويني راهب النصراني ومارتن لوثر داعية البروتوستانت وابن تيمية شيخ الإسلام وخوذة المؤرخ التركي وآباء الكنيسة في إيطاليا ودرست في جامعتها. له آراء فلسفية جميلة وحكم تقصر الكلمات عن الثناء عليها. *يعقوب بن اسحق الكندي (أستاذ الجدليات الذي هو أبو الفلسفة) ، والمترجم العربي المسلم. وله ألقاب كثيرة منها (فيلسوف العرب - سليل الملوك - أبو الفلسفة الإسلامية في كل العصور - الموفق بين اتجاهات الفلاسفة جميعاً وبين الفلسفة والدين - الرجل الذي عبّد الطريق ومهده للحضارة والثقافة الإسلامية). ألا وإن

وصمة العار الوحيدة في حياته هي أنه لقب بأبي الموسيقى العربية. إنه أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، يعود نسبه إلى الصحابي الجليل الأشعث بن قيس ، ومنه إلى يعرب بن قحطان. ولد الكندي في الكوفة سنة 185هـ ، وتوفي ببغداد سنة 258هـ. وكان أبوه أمير الكوفة ، واستمرت هذه الإمارة في عهد المهدي والهادي وكذلك الرشيد. وكندة قبيلة عربية من اليمن ، وعاش يتيماً في رعاية أمه. درس القرآن الكريم وتفقه في علوم الدين ودرس المنطق والفلسفة والترجمة واللغة والأدب. تتلمذ على أيدي المعلمين وعلى الكتب. فكان تعلمه من الكتب من قبيل التفقذ الذاتي ، ولقد أخذ يجادل المتكلمين وينظرهم ويقفهم على الصواب والحق. وكان أرسنقراطياً في حياته ، مؤثراً للعزلة العلمية والفلسفية مستمسكاً بالعقيدة الإسلامية ومنافحاً عنها جداً ، وعمد إلى المنهج الرياضي الاستدلالي لمن يكابر في الحقيقة والبداهيات والمسلّمات. دحض نظرية أرسطو الفلسفية التي تقوم على الإلحاد وتخلي الله عن العالم. فيؤكد خلق الله للكون وتدبيره أمره ووجود قيامة وآخرة وحساب وجنة ونار. ولقد صادر الخليفة المتوكل العباسي مكتبته التي كانت تعرف بالمكتبة الكندية الذخرة بشتى أنواع الكتب والمعارف. وذلك بسبب الوشاية. ولكن المتوكل لم يحرق أو يتلف الكتب. أما عن الكتب التي خلفها الكندي فأغلبها في الهندسة والطب والفلكيات والنجوم والجدليات والإحداثيات (أي أحداث البر والحر والضباب والسحاب) والأنواعيات (أي: أنواع الجواهر والحجارة وتلويع الزجاج) ، والسياسة والحسابيات ، والموسيقى للأسف ، والأحكاميات (أي علم التنجيم). شهد الغربيون له بالنبوغ. فهذه دوائر المعارف البريطانية تعرف به وتفاخر وتعترف بالفضل له. وتلك دوائر المعارف الأمريكية تفعل ذات الشيء. ودائر المعارف الألمانية والفرنسية تفعل نفس الشيء. وكتب عنه المستشرق (دى بور) في موسوعة الإسلام. وكتب عنه المستشرق بروكلمان في كتابه (تاريخ الآداب العربية). *محمد بن أولزغ الفارابي (أبو الفلسفة الإسلامية) وكذلك المعلم الثاني بعد أرسطو. جاب القرى والمدائن في زمانه وترك أكبر كتاب في الموسيقى للأسف. وترك أكبر موسوعة في العلوم. ووفق بين فلاسفة اليونان وبين الفلسفة والدين . إنه أبو النصر محمد بن أولزغ بن طرخان الفارابي. تعمق جداً في التفسير والتأويل والاستنباط حتى شهد له الكل بالإمامة في الفلسفة والحكمة. وهو واضع كتاب (أغراض كتاب ما وراء هذه الطبيعة) للمعلم الأول أرسطو. ولد الفارابي في مدينة تركية تسمى وسيج بولاية فاراب في أطراف بلاد فارس. درس المنطق والفلسفة. وامتد عمره من 259هـ إلى 339هـ ، ومات بدمشق. كتب (إحصاء العلوم) يتحدث فيه عن تقسيم العلوم إلى مجموعة: منها علم اللسان وفروعه من نحو وبيان وصرف وشعر وبديع وقوانين القراءة وعلم المنطق وأجزائه وعلم التعاليم أي الرياضيات والعلم الإلهي والطبيعي والعلم المدني. وقسم علم المنطق إلى ثمانية أجزاء (المقولات - العبارة - القياس - البرهان - المواضيع الجدلية - الحكمة المموهة - الخطابة - الشعر). تناول علوماً أخرى مثل علم الأعداد والأرقام وعلم الهندسة. وتحدث عن خواص السطوح والأجسام والمجسمات مثل المكعب والمخروط والأسطوانة والمستطيل والمربع والمثلث ومتوازي الأضلاع. له كلام في علم الفيزياء عن خواص الأجسام الطبيعية والأخرى الصناعية. وله كلام في علم النجوم وعلم المناظر وله كلام في علم الضوء والبصريات. وله رسالة في علم أصول الفقه وعلم الكلام. وقرأ كتاب (النفوس) و (السمع الطبيعي) لأرسطو. ومزج بين فلسفة أفلاطون وأفلاطين وأرسطو وصبغهما بالصبغة الإسلامية. آمن بأن بعض الإنسان جسد وروح. فيتجاذبه إذن قوتان إحداهما لأعلى (الجانب الروحي) ، والثانية لأسفل للتراب (الجانب الجسدي). قام الفارابي بشرح المبادئ الأرسطية مثل (العبارة - الجدول - البرهان - الخطابة - القياس - المغالطة - المنطق - السماء والعالم والمقولات - الآثار العلوية - السمع الطبيعي - ما بعد الطبيعة). شرح كتاب

بظليموس (المجسطي) في الفلك. شرح (مقالة في النفس) للإسكندر الإفروديسي - له كتاب (إحصاء العلوم) ومقالة في معاني العقل. وله نصوص الحكم وهو رسالة في آراء أهل المدينة الفاضلة. وكتاب السياسات المدنية وكتاب تحصيل السعادة ورسالة في إثبات المفارقات وكذلك التعليقات. هذا ، وأغلب كتبه إما ضاع وإما فقد. وأشهر كتبه في الفلسفة والذي يجسد كل ما عند الرجل من فكر (كتاب أغراض ما وراء الطبيعة). مدحه المستشرق ماسينون لأنه جمع بين أصالة القديم وروح الجديد. ومدحه روجر بيكون لأن مؤلفاته من وجهة نظره كانت بمثابة الشرارة القادحة لفلاسفة المشرق والمغرب والهدى الذي يهتدي به الجميع إلى اليوم. أما كتبه عن الموسيقى فنحن نضرب الذكر عنها صفحاً وحتى عن مجرد التطرق إليها ونعوذ بالله من معصيته وممن عصاه جاهلاً أو عالماً. *ابن بطوطة: (رحالة العرب والمسلمين) ، ساح ذلك الفحل الرحالة العملاق في قارات العالم القديم الثلاث (أفريقيا وآسيا وأوروبا) من المغرب من ناحية المغرب إلى الصين من ناحية المشرق. ومن ضفاف نهر الفولجا وبحر أورال وسهول تركيا شمالاً إلى جزر الهند الشرقية وسواحل عمان وتنزانيا وحوض النيجر جنوباً. تعرف في رحلاته على الأمصار والديار، والعادات والتقاليد ، وطباع النفوس ، والأخطار والأهوال. إنه محمد بن عبد الله بن إبراهيم ، ولد بطنجة بالمغرب وفي قبيلة (لوتاه) عام (703هـ). وكان له اطلاع بكتب الرحلات والجغرافيا وأخبار البلدان والناس والعجائب والغرائب في الديار والبشر. رحل إلى القاهرة والإسكندرية وتجول فيهما ، وكان ذلك في عهد الناصر محمد بن قلاوون. ونزح إلى الصعيد. وفي كل مكان يزوره كان يكتب عنه وعن أهله وطبائعهم وصفاتهم. فكانت رحلاته والكتابة عنها بمثابة كشف جغرافية هامة تفصح عن عجائب البلدان وغرائب المخلوقات. وقد اعترف علماء الغرب ومؤرخوه بفضل ابن بطوطة وجهوده العملاقة التي قد خدمت الإنسانية خدمة عظيمة. وكانت كتاباته بمثابة الفتح المبين لهواة الكتابة عن أدب الرحلات وتدوين الذكريات. حتى إذا ما كانت كلماتهم تكتب كانوا على دراية تامة بما يليق بأن تكون عليه الكتابة. *

برهان الدين الزرنوجي (أبو التربية والتعليم) ، وذلك لأنه عني من صغره بالتعليم والتربية. وكان قد كتب كتاباً في غاية العظمة في علم التربية ليعلم به طلاب العلم كيفية التحصيل العلمي والمراجعة ، وترجم كتابه إلى اللغات اللاتينية والإنجليزية والألمانية. ولد في أوزبكستان ، وبها دفن في القرن السادس الهجري. وقرينه تسمى (زرنوج) وإليها ينتسب. تعلم القرآن صغيراً ودرس الفقه الحنفي كاملاً. كتب سفرأ عظيماً في أصول التربية وقواعد التعليم وكانت فصوله: 1 - اختيار العلم والأستاذ الشريك. 2 - الثبات في طلب العلم. 3 - تعظيم العلم وأهله. 4 - الجد والمواظبة وعلو الهمة. 5 - بداية السبق للدرس وقدره وترتيبه. 6 - التوكل على الله. 7 - مراعاة وقت التحصيل. 8 - الشفقة والنصيحة لطلب العلم. 9 - الاستفادة من العلم في كل وقت. 10 - الورع في طلب العلم. 11 - ما يورث الحفظ وما يورث النسيان. 12 - ما يجلب الرزق لطلابه وما يمنعه. 13 - ما يزيد من العمر وما ينقصه . وكان قد أسمى سفره العظيم (تعلم المتعلم طريقة التعلم). فقد أرسى بهذا الكتاب الأسس التي ينبغي أن يكون عليها التعليم ، وتنهض بها الأمة المتعلمة ، وصار الكتاب منهاجاً في بلاد المغرب قبل المشرق تسير عليه العملية التربوية والتعليمية على السواء. * علي بن حمزة المغربي (راند اللوغراتيمات) ، نشأ بالجزائر وتعلم في تركيا ، وهو بمكة ألف أهم كتاب في العالم في علم الرياضيات. وسبق عالم الرياضيات. وسبق عالم الرياضيات الأسكتلندي (جون نابيير) في وضع كتاب الأساس في الرياضيات في 24 سنة. يعتبر آخر علماء الرياضيات العرب المسلمين العباقره عاش في القرن السادس عشر الميلادي. اعتاد وهو صغير أن يمارس الحساب الشفوي مع أقرانه بالساعات ويفوقهم. وكان أبوه مجاهداً كبيراً ، حارب مع أساطيل الجيش العثماني ضد سفن الصليبيين

الأوربية. رحل به أبوه إلى استانبول عاصمة الثقافة والعلم في ذلك الوقت. وجمع أصالة الأتراك من أمه التركية ونجابة العرب من أبيه المغربي. اطلع على كتب الرياضيات التي ألفها العرب وغير العرب من العلماء مثل كتب سنان بن الفتح الحراني وابن الهائم وابن يونس الصدفي المصري والنسوي وابن غازي والخوارزمي والكاشي ونصير الدين الطوسي ، وراح يتعمق في علم الحساب والجبر والهندسة والمثلثات والفلك وعلم في الحسابات بديوان المال في قصر السلطان العثماني. وأخذ يدرس علوم الرياضيات لأبناء استانبول. وبناء على أوامر والي مكة العثماني ألف ابن حمزة كتاباً في علم الرياضيات عظيماً احتوى على تعريف لعلم الحساب. وأصول الترقيم والتعداد وقواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة. وكذا مقالة في الكسور والجذور في مخارج الكسور وكيفية إجراء العمليات الحسابية الأربعة. للأعداد الصم واستخراج جذور الأعداد المرفوعة إلى القوة الثالثة والرابعة وكيفية استخراج قيمة المجهول باستعمال التناسب وطريقة الخطأين وطريقة الجبر والمقابلة ومساحات الأشكال والأجسام وطرح طرق حل المسائل العويصة بطريقة متعددة كالمسألة الهندية في الموارد وبعض المسائل التي يجد الناس في حلها دعابة ولغزاً مثل المربعات السحرية. وابن حمزة هو أول من اكتشف المتواليات الهندسية والتي عرفت بعد ذلك باللوغاريتمات. ولقد أبرز ابن حمزة هدفه من هذه المتواليات الهندسية والحسابية أنها تعين الحسابيين على تبسيط الحسابات التجارية والأرباح المركبة. ومن كتبه أيضاً في الحساب والهندسة: (تحفة الأعداد لذوي الهدى والرشاد وكتاب آخر اسمه علم الحساب). مدحه بروكلمان وأشاد بعلمه. وكان السلطان العثماني قد أعقد عليه بالمال ففرع نسبياً للتعليم والتأليف. فعلم الكثير من الشباب علوم الرياضيات والحساب والهندسة والجبر. وألف العديد من الرسائل العلمية في أصول الحساب وقواعد الهندسة ، وسبق الغرب والشرق كما أسلفنا في اللوغاريتمات وحل المسائل الرياضية العويصة. * أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (راند المستشفيات الحديثة). كان عازفاً على العود ومغنياً وصائغاً ، ثم من الله - تعالى - عليه ، وجنبه معصيته فعزف عن العود لا عليه وهجر الغناء. ونبغ بعد ذلك في الكيمياء ولقبه الناس بأنه (جالينوس العرب والمسلمين). وكان قد ألف في علم الطب والتشريح والكيمياء. وكان يستخدم الموسيقى في علاج مرضاه ثم من الله - عز وجل عليه - فتركها. وترجمت أغلب كتبه إلى اللغات الأوروبية. ولد في (الري) الفارسية عام 853 م. وتوفي أيضاً في الري عام 932 م عن عمر يناهز التسعة والسبعين عاماً. مرض أمير بخاري بروماتيزم المفاصل وعجز الأطباء في بلاد ما وراء النهر عن علاجه ، واستدعى الأمير طبيب الري أبا بكر الرازي لعلاجه. وذهب إليه هناك وجرب الرازي كل العلاجات ولم ينجح. وبعد شهرين أخذ الأمير إلى حجرة فيها الماء الساخن وذلك له المفاصل وسقاه جرعات من أشربة دافنة تفوح منها رائحة العقاقير ، فشفاه الله - عز وجل - بعد أيام. وعاد الرازي إلى بيمارستان الري حيث مرضاه الذين يعالجهم ويشرف عليهم. انتدبه الخليفة العباسي الذي هو المعتمد لإنشاء مشفى في بغداد يقوم بالإشراف عليه هو بنفسه. وبالفعل قام الرازي ببناء البيمارستان وجعل فيه كل التخصصات وملحقاً كبيراً فيه مخازن للأعشاب والأحجار وكذلك المعادن ، (صيدلية) تقوم على الأعشاب والعقاقير والأدوية. ومكتبه علمية للقراء العوام ، ومكتبة طبية للأطباء والصيدلة وأمر بتغيير ملابس المرضى كل يوم وملءات السرائر وغسلها وتعقيمها. وأخذ الرازي يعلم الأطباء والصيدلة بنفسه ، ويؤلف لهم الكتب العملاقة ومن كتبه: (أخلاق الطبيب - الحاوي في الطب - وكان هذا الكتاب 23 مجلد ، احتوى على جميع التخصصات وكان الرازي قد جمع مادته في 15 سنة) ، وأهداه لأطباء. هذا ، ويعتبر أبو بكر الرازي أول طبيب عربي مسلم يذهب إلى أن الأمراض الوراثية تنتقل من الآباء إلى الأبناء ، وأول من ابتكر التجربة الضاغطة في

العلاج ، وأول من عالج الحمى باستخدام الماء البارد ، وأول من استعمل الخيوط لخياطة الجراحات من أمعاء الحيوانات ، وأول مبتكر للطب النفسي في التداوي ، وأول من كتب عن طب الأطفال ، وهو أول من عرف أثر الحساسية في إحداث بعض الأمراض وأول من اكتشف أثر الضوء على العين ، وأول من ميز بين الجدري والحصبة ، وأول من عالج أمراض الناس بالغذاء دون الدواء ، وأول من استخدم الجبس في جبر العظام بعد خلطة بالبيض ، وأول من كتب عن الإسعافات الأولية ، وأول من قام باستخدام الفحم الحيواني في إزالة الألوان والروائح عن المواد العضوية ، وأول كيميائي في العالم يحضر حمض الكبريتيك. وللرازي كتب كثيرة علمية منها: (محنة الطبيب) وضع في هذا الكتاب الشروط والأخلاقيات والضوابط التي يجب أن يكون عليها الطبيب. كتاب الحيل - الحركة - الكواكب الستة - كيفية الإبصار - رسائل في قطر المربع وكذلك حجر المغناطيس - وحسابا لكثافة النوعية للسوائل ، واخترع الميزان الطبيعي لقياس تلك الكثافات ، وكتاب الطب المنصوري في التشريح - الكافي - براء الساعة - الطب الملوكي - الجدري - الحصبة - منافع الأغذية ومضارها - الأسرار في الكيمياء - سر الأسرار - من لا يحضره الطبيب - وهو الإسعافات الأولية - رسالة في الحصى المتولدة في الكلى والمثانة). ولقد ترجم كتبه وشهد بعبقريته صاحبها كل من (ليكلير - جانييه - أنطونيا - وأيضاً يوليوس - كوننج - دي خوية - كراوس - ماكس مايرهوف وروسكا - وكريموف - وجايج - وشاننج - وفاندايك). ودرست كتب الرازي الطبية والكيميائية في جامعات الغرب حتى أول القرن 18 الميلادي. وأيضاً بجامعة برينستون جناح تذكاري عن الرازي في أمريكا تلك التي لا تعترف لأحد من المسلمين بفضل. *الخليل بن أحمد الفراهيدي: (أبو المعجم العربية) ، هو معلم علماء العربية ومبتكر علامات التشكيل للحروف العربية ، وأول واضع لقواعد الإيقاع والأنغام ومكتشف موازين شعر العرب وبحوره وقوافيه. وأول من ابتكر فكرة الجذور للكلمات العربية ، وأول من وضع معجماً عربياً في تاريخ العرب. ولد الخليل عام مائة للهجرة بالبصرة ، ومات بها عام خمسة وسبعين ومائة. حفظ القرآن صبيّاً في 240 يوم. وكان مجاهداً وهو شاب ، فكان يخرج للقتال. وفي إحدى سفرائه مات أبوه. وكان كثير التأمل والتفكير ، ولعل هذا ساعده على اكتشاف الأوزان والقوافي. وكانت البداية في سوق القصارين (غاسلي الثياب) وسوق النحاسين وهو يقارن بين أصوات هؤلاء وأولئك ، ثم ذهب إلى الشعر العربي واكتشف البحور والأوزان والقوافي وقن لها في فتره وجيزة. ولقد كان سيبويه من تلاميذه. وكان من علماء الخليل الأصمعي والنضر بن شميل وأبو فيد السدوسي. وبتأمله اكتشف أصول الكلمات العربية وقن لها ورتبها وصنفها ثم بوبها. شهد الخليل الصراعات القبلية والمذهبية الدامية ، تلك التي دارت بين الأمويين والعباسيين والعلويين والخوارج. درس ثقافات متعددة فارسية وإغريقية وعربية ، واستفاد من المترجمين ، وتعلم علوماً شتى مثل علوم الأنساب والفقهاء المالكي والحنفي وعلم الحديث وعلم الطب والكيمياء والرياضيات وعلم الهيئة وناظر وجدل ونقد وحاز ألقاباً عدة منها: (أبو المعجم العربية). اهتم به المستشرقون جداً ووقفوا عند سيرته طويلاً وكتبوا عنه الكثير. وتتبع كتبه ونقده وترجمت وشرحت ، خاصة ما يتصل منها بعلوم العربية وبالشعر والنحو العربي. فهو بهذا الذي قلنا عملاق من عمالقة الفكر والأدب واللغة. باعتراف الغرب والشرق. *تقي الدين بن معروف (أبو التكنولوجيا) وهو راصد فلكي دقيق ومهندس ميكانيكي عربي مسلم. ويعتبره المستشرقون ، بل وعلماء الغرب أبا للتقنية والتكنولوجيا الميكانيكية وأباً لعصر المضخات. فلقد استخدم تقي الدين التروس الميكانيكية وطاقت الهواء والماء في توليد الكهرباء. وهو أول من اكتشف طاقة البخار واستخدمها قبل العالم (ويلكنز) بحوالي مائة سنة. كما أنه استطاع أن يبتكر مضخة حلزونية تدور بقوة الهواء. وابتكر أيضاً مضخة كابسة ذات

اسطوانات ست وضع بها حجر الأساس قبل (نيوكومن) الذي اخترع المحرك الميكانيكي المتطور. وصنع تقي الدين ساعة ميكانيكية تدور بالتروس. إنه محمد بن معروف وشهرته تقي الدين. ولد في مكة عام 932هـ ، وتوفي بالقسطنطينية عام 993 هـ. رحل إلى مصر واشترى كتباً كثيرة في علم الحيل (الميكانيكا) وراح يعكف عليها ثم يتعلم منها ، ويعيد رسوم آلاتها ويعدل فيها ويضيف إليها ويحذف منها. استغل السلطان العثماني سليمان القانوني دراية تقي الدين بن معروف بعلم الحيل وراح يقدمه في مأدبة عشاء لكبار رجال الدولة العثمانية والشعراء والأدباء والمؤرخين وقادة الفكر والبحر والبر وقادة الجيوش العظام والمهندسين الكبار ، وأعجب به سنان باشا ، وراح يقدره ويحترم وجهة نظره عن قوة البخار. بدأ تقي الدين بألة شواء تعمل بقوة البخار. وبدأ الصناعات في تبني الفكرة وتنفيذها. أعد ورشة في حديقة منزله ، وبدأ يصنع الآلات الميكانيكية ذوات التروس والمسننات المتعامدة الزوايا. وتطورت الآلات فشملت الأوناش والروافع التي تعمل بالبكرات والحبال ، والنوافير التي تدفع المياه في حركات متتابعة وأجزاؤها (العوامة والكفة وميزاب الماء والمقلب). وصنع لأول مرة مضخة تعمل بعمود الكامات بستة نتوءات فكانت آلة منضبطة ودقيقة. ومن كتبه (الطرق السنوية في الآلات الروحانية) ، ويكون قد سبق (أجريكولا) ، وأيضاً (راميللي) في علم الميكانيكا. وكتابه (في علم البنكامات) أي الساعات. وله كتاب (الثمار اليانعة) وأيضاً (ريحانة الروح في رسم الساعات على مستوى السطوح). وله كتاب (الدر النظيم في تسهيل التقويم) وكتاب (سدره منتهى الأفكار في ملكوت الفلك الدوار) وكذلك (خريدة الدر وجريدة الفكر) ، وأيضاً (رجز في ربع الدستور المعروف بالمجيب) ، (رسالة التورايخ) ، (جهة القبلة) ، (خلاصة الأعمال في مواقيت الأيام والليال) ، (رسالة في الربع الشكازي) ، (بغية الطلاب في علم الحساب) ، وأيضاً (النسب المتشاكل في علم الجبر) ، (دستور الترجيح لقواعد التسطيح) ، (شرح كتاب التجنيس في الحساب وهو للسجاوندي) ، (نور حديقة الأبصار ونور حديقة الأنظار). وهناك العديد من المخطوطات بقلم المؤلف لم تخرج من رحم المكتبات. مدحه وأشاد بعلمه من علماء الغرب: (سوتر ومورديمان وسيفام تكلي وسايلي ونيدفي ونيدهام وهاوسر وفيلدهاوس وويليامز). والفضل ما شهدت به الأعداء. * محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي (أبو الجغرافيا الطبيعية والبشرية). أشرف على أول بعثة علمية جغرافية رأتها الدنيا. فاستطاع أن يجوب رجالها أقطار العالم ، ثم يجمعوا المعلومات عن الأرض وأهلها وثرواتها وخيراتها. هذا ويعتبر الإدريسي هو العالم الذي وضع ما يزيد على سبعين خريطة ، ومعد أول كرة أرضية من الفضة. وفي مدينة سبته عام 493هـ ولد الشريف الإدريسي ، وعاش في بلاد المغرب العربي. وتوفي في صقلية عام 560هـ. وكانت له رحلات وأسفار للبحث والعلم. يصل نسبه إلى إدريس الذي هو ابن الحسن بن الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب. عبر إحدى رحلاته العلمية التي تقوم على الاستكشاف. كتب كتاباً ضخماً في الجغرافية اسمه: (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، وهو كتاب مزود بالخرائط والجداول. وقام برسم الشواطئ والأنهار بدقة. واستخدم خطوط الطول والعرض في تحديد الأماكن والمواضع والمسافات مثلما فعل بطليموس من قبله. ومن كتب الإدريسي (صيد اللؤلؤ في جزيرة أوال – روض الأنس ونزهة النفس – المسالك والممالك – الجامع لصفات أشتات النبات – الأدوية المفردة). ولقد اهتم بكتابه وخرائطه وجداوله كثيراً من الألمان والمستشرقين الأسبان والروس والفرنسيين والفنلنديين والسويديين والظليان والنمساويين). ويدعو جولدتسبير إلى طباعة كتابه: (نزهة المشتاق). * علي بن عبد الرحمن بن يونس (عالم الإرساد العملاق) ، من علماء القرن العاشر الميلادي. قام ببناء مرصد علمي فلكي في مدينة (حلوان) بمصر ، ومرصد آخر للدولة في سفح جبل المقطم بالقاهرة. وقام بإعداد جداول فلكية للعالم في أربعة أجزاء. وقام باختراع بندول

الساعة قبل جاليليو ، وقام بوضع حجر الأساس لعلم اللوغراتييمات الرياضية قبل جان نابيير ، واستخدم حساب الأقواس الثانوية قبل (ثيمبتون) ، وقام ببسط القوانين الرياضية. ومن هنا يعتبر ابن يونس من أكبر علماء الفلك والإرصاد. ولد ابن يونس عام 342هـ ، وتوفي عام 399هـ في القاهرة. حفظ القرآن وعلوم السنة صغيراً. قرأ في مكتبة أبيه آلاف الكتب في مختلف العلوم ، واطلع على الجداول الفلكية وأزياج (أي جداول) الفزاري والتباني والخوارزمي والفرغاني والجسطي لبطليموس ، ودرس علم الفلك ثم درس الرياضيات ودرس التاريخ. وحضر غزو الفاطميين الروافض الخبثاء لمصر. وأخذ يتابع النجوم وقام برصدها. وأخبر أنه سيحدث في مصر كسوف للشمس بتاريخ كذا وخسوف للقمر بتاريخ كذا ، وكان الأمر كما قال وحسب قراءته الفلكية والإرصادية. وتابعه الحكام الفاطميون في إقامة المراصد هنا وهناك. وقد اخترع ابن يونس آلة فلكية جديدة تسمى الرقاص والعرب تسميها الموار ، وهي آلة تذهب يميناً وشمالاً ، وفي كل مرة تحرز ثانية مثل نبض قلب الإنسان. والتقى ابن يونس بصاحبه ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان وشاهد معه النجوم وأراه مرصده الفلكي فدهش ابن خلكان. وتعتبر جداوله حجر الأساس في علم الفلك بأنظمتها الدقيقة. ولقد ترجمت كتبه وجداوله وآراؤه وتصويراته إلى مختلف لغات العالم ، وأشاد الغربيون بعلمه وعبقريته وجده. *محمد بن موسى بن عيسى بن علي الكمال أبو البقاء الدميري (عالم الحيوان والبيئة المعروف) ، ولد في أوائل عام 742هـ ، ونشأ بالقاهرة ومات عام 808هـ. وكان يكتسب قوته من الخياطة. ثم أقبل على طلب العلم ، فقرأ على التقي السبكي والنويري والجمال السنوي وابن الملقن والبلقيني. وأخذ الأدب عن القيراطي ، والعربية عن البهاء بن عقيل ، وتعلم التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه وغيرها من العلوم على أيدي أناس لا يحصون كثرة . وله مصنفات علمية هي من عيون أمهات كتب التراث مثل: (شرح سنن ابن ماجه في خمس مجلدات وسماه الديباجة - شرح المنهاج في أربعة مجلدات سماه النجم الوهاج - ونظم في الفقه وهي أرجوزة مفيدة - حياة الحيوان الكبرى ، وهو الكتاب الذي استحق به الأستاذية في علم البيئة - واختصر شرح الصفدي للامية العجم) ، ولقد ضمن كتابه حياة الحيوان الكثير من المعرفة العلمية والأدبية والقصص والروى والأحلام والأشعار ، وتجاوز به كتاب الحيوان للجاحظ الرافضي الخبيث وكتاب عجائب المخلوقات للقرظيني. وكان الدميري منذ صغره حفاظة إذ حفظ القرآن وأحاديث البخاري وموطأ مالك. وفي دميرة من أعمال الغربية بمصر كان الدميري يتملى من الطبيعة العظيمة ويعجب بها. *خلف عباس الزهراوي (أبو الجراحة) ، رجل مارس الجراحة بيديه ، وكانت حكرا على الحلاقين في زمانه. وقام بتدريب بل بتأهيل القابلات. وكان قد اشترط عمل الممرضات لمساعدة الطبيب. وقام بابتكار آلات الجراحة من حديد لا يصدأ وذلك بدلا من الذهب والفضة. وقام بابتكار أساليب جديدة للجراحات ، سواء الغائرة منها أو السطحية. وقام بتعليم الجراحة وأسسها وكيفيتها لأطباء الغرب في أوروبا وغيرها. وألف موسوعة طبية مزودة بالرسوم والتصاووير الإيضاحية. وكان قد ذهب إلى البيمارستانات وشاهد المرضى ووقف على أمراضهم وما يعانونه ، ورأى آلات الجراحة ومشارط الحجامين ومباضع الحلاقين البدائية فهاله ما رأى. وقرر أن يغيرها ويغير هذا الواقع كله. عاش الزهراوي 100 عام تقريباً حيث ولد في مطلع القرن الأول من الألفية الثانية الميلادية 1001م ، وتوفي في العام المائة بعد الألف 1100م. وابتكر مانتى مبضع ومشروط بزوايا معينة وبشفاور وأسنان متفاوتة لا يشبه أحدها الآخر وكلها خاصة بالجراحة. وقام بإجراء عمليات جراحية ناجحة للشرابين والعيون واستخراج الحصى والأذن والصدر والحنجرة والأنف والسرة والبطن والأورام والقصبه الهوائية ، وإيقاف النزيف والولادات العسرة والمجاري البولية والتناسلية والاستقساعات والعقد الليمفاوية وكميات التخدير واستخدام خيوط

الجراحة ولقد استفاد منه أطباء الغرب وبخاصة الجراحون منهم. كما اقتبس كثير من العلماء والأطباء ما عند الزهراوي من الخبرات والمعارف والابتكارات. فاقتبس الجراح الفرنسي (شولياك) أكثر من مائتي فكرة في الجراحة من الزهراوي. وكذلك الأطباء (فرارى وجراديلس وأردوزيرس) ، أخذوا أكثر من نصف علم الزهراوي عن السموم والجراحات والتغذية وذلك من خلال كتبه (التصريف). *الحسن بن محمد الزياتي الوزان (راند الموسوعات الأفريقية). كان قد تعلم في القيروان. ونزح إلى ممالك الزنوج في وسط أفريقيا. وكان القراصنة قد أسروه ، فعاش في روما والفاتيكان. وتعلم العربية وأتقنها وعلمها للإيطاليين. وألف كتابا عظيما باللغة اللاتينية والإيطالية في الفقه والتراجم والنحو والصرف وتراجم المناطق والفلاسفة والأطباء. ويعتبر أول من وضع قاموساً لغوياً بثلاث لغات في القرن 16م وأول من كتب موسوعة أفريقية عالمية في 9 مجلدات. والحقيقة أنني لم أعثر له على تاريخ ولادة لأسجله هنا وأنا أترجم له. ولكن هناك اختلاف على سنة وفاته فمن قائل مات 1537م ، ومن قائل مات 1550م والله تعالى أعلى وأعلم وجل وأعظم. أتم دراسة النحو والصرف والعروض والقافية والتاريخ والمنطق والأدب والفلسفة وأصول الفقه وغير ذلك وهو لم يتجاوز 17. قال الحسن: كتب ابن خلدون مقدمته في أربعة أشهر ، وكتبت موسوعتي عن أفريقيا في تسعة أشهر ، وهي أضعاف مقدمة ابن خلدون. في مكتبة الفاتيكان كتب الحسن الوزان وعليها تواريخ كتبتها وتأليفها فمن ذلك: (تراجم الأطباء والفلاسفة 1527م ، والفقه الإسلامي أو شريعة محمد 1525م ، النحو والصرف عام 1523م ، وصف أفريقيا والأمور الهامة بها عام 1526م ، وكتب قاموس الألفاظ في 1526م). ولقد كتب عنه في الغرب (فيدمانشتات): (أراه مؤرخاً عبقرياً في علم الموسوعات والقواميس). استفاد منه الغربيون في تصانيفهم وتآليفهم وقواميسهم. *بديع الزمان أبو العز إسماعيل بن الرزاز الجزري (أبو علم الحيل الميكانيكية) وعالم الهندسة الذي عاش في أعلى نهر دجلة في العراق في القرن 12 م. وكان نابغة عصره في علم الحيل (الميكانيكا) وخاصة في الهيدروليكا وكذلك (الديناميكا). وكان قد ألف كتاباً عظيماً في آلاته الميكانيكية العجيبة التي حركتها ذاتية وبين للعاملين كيف صنعها ولم صنعها. وامتلات المدن في زمانه بآلاته ومخترعته. ويعتبره علماء الغرب معجزة عصره وعبقري المسلمين في الميكانيكا بغير منازع يباريه. والمعروف أنه من علماء القرن 12 م وأنه عراقي الأصل ، وتوفي بإقليم كردستان جنوب شرقي تركيا هكذا بدون تواريخ. أخذ يدرس علم الحيل وحده بلا معلم ويتابع الكتب العربية واليونانية والرومانية فقرأ كتاب (الثقل والخفة لإقليدس) ، وكتاب (المخروطات) لأبلونيوس ، وكتاب الآلات المصوتة لمورطس ، وكتاب رفع الأثقال لأهرن ، وكتاب (ساعات الماء التي ترمي بالبنادق) وهذا لأرشميدس ، وكتاب (الدواليب) لمورطس وقرأ أيضاً كتاب (الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياة) لهيرون. وكان له اطلاع على كتب البيروني والخوارزمي والكوفي والفارابي وابن سينا والرازي والخازن وابن الهيثم والجلدي وقسطا بين لوكا وثابت ابن قرة وابن ملكا البغدادي. وضع كتاب بعد محاولات مستميتة في العلم والعلماء في علم الحيل في هندسة الموانع أي (الهيدروليكا) وفي هندسة الحركة أي الديناميكا ، وكان يقع في 3 مجلدات ، وأسماء (كتاب الهيئة والاشكال) ، وكان يرى أن الزمن ينساب انسياباً مستمراً بمعدل ثابت من غير الرجوع إلى أي شيء آخر يشبه ذلك حركة الساعة. وإدراكه ذلك ساعد نيوتن بعد قرون لفهم فكرة الزمن المطلق التي قد خرج بها نيوتن في كتابه (برنسيبا). ولقد أشاد بابن الرزاز وبعلمه وآلاته (الدوميللي) و(سارطون) وأيضاً (هونكه). وكان ابن الرزاز قد كتب كتباً لا تزال في أكسفورد ، وكذا في لندن ودبلن وغيرها من مكتبات أوروبا. *يحيى بن العوام (عالم الزراعة) ، أحد علماء الأندلس وبها مات في القرن 12 م عن عمر يناهز 60 سنة. نبغ في الفلاحة والزراعة وتربية

الطيور والنباتات والحيوانات. وساعده على ذلك أنه قضى أغلب حياته في إشبيلية ببلاد الأندلس في مزارع أبيه. وألف كتاباً عظيماً في الزراعة أسماه (كتاب الفلاحة) كتب فيه عن التربة والنبات والطيور والحيوان والزهور ، وكانت له تجارب على كل نظراته ، وابتكر وروداً وزهوراً بكل الألوان ، بل وأنضج التفاح في غير أوانه وفي غير بينته. ويقع الكتاب في مجلدين ضخمين. إن اسم ابن العوام لمع في عالم الزراعة والفلاحة فلقد عرف التطعيم والتلقيح للتربة قبل علماء الغرب. فأتت برتقالاً له طعم النارج وليموناً حلو المذاق. وانتج ورداً أبيض وبمختلف الألوان المعروفة. وأبدع فنون الري بالأحواض والقنوات وخزن المياه وحفر الآبار في الأندلس فراجت زراعات لم تكن معروفة هناك مثل الفول والبصل والطماطم والتوت والفجل والخيار والبهارات والتفاح والنخيل والكمثرى والزيتون وغيرها من غير التربة ومن غير الأوان. استنبط آراء الأولين واستقرأ آراء الآخرين عن الزراعة وخرج بها في سفر عظيم هو كتاب الفلاحة. أخذ عن العرب والإغريق والرومان والصينيين والهنود. أخذ عن جالينوس والغرناطي وقسطوس وأرسطو وطامتري. وقدم في كتابه 35 باباً عن الزراعة وتربية الحيوان وتحدث عن التربة والفلاحة وكذلك الزراعة والري وطرقه والبساتين والمزارع والحقول والبقر والحمير والبغال والخيل والماعر والضأن والحمام والإبل والأوز والبط والدجاج والأرانب والنحل ، وكتاب الزرع وكتاب الماشية وكتاب الصيد وكتاب الحراسة ، وتحدث عن النباتات والأعشاب العلاجية. كما أفرد فصولاً في الكتاب يتكلم فيها عن طريقة الزراعة والغرس والري والآفات والحشرات والتسميد والتغذية والتلقيح والتطعيم. وأشاد بعلمه المستشرق الأسباني كازبري والأسباني بانكويري والمستشرق مايرن والمستشرق الفرنسي كليمان موليه والمستشرق دوزي وهنكادة والمؤرخ: جورج سارطون ، وألدوميللي الذي شهد لابن العوام بالنبوغ في علم الطب حيث تحدث عن الطب البديل طب الأعشاب. وأيضا المستشرق الألماني ماكس مايرهوف الذي قال عن كتاب ابن العوام (الفلاحة) أنه من أحسن الكتب العربية في العلوم الطبيعية وخاصة علم النبات.هـ. وكذلك العالم الفرنسي دانيال لكير في كتابه (تاريخ طب العرب) قال: (إن ابن العوام كان عملاقاً في الفلاحة بما قدمه من معارف تطبيقية في الزراعة ، وأن إنتاجه يتسم بالتوثيق التاريخي الذي يهتم به علماء القرن العشرين لأنه عاش في القرن الثاني عشر من الميلاد بعقلية القرن العشرين). وربما قالوا ذلك عن ابن العوام لدقته في البحث وأمانته العلمية إذ لم يأخذ فكرة أو رأياً إلا وأشار إلى مصدره ومؤلفه وشكر له وأثنى ومدح. *علي بن سهل بن ريد الطبري (طبيب الأطباء) ولد في سنة 770 م بمدينة مرو من أعمال طبرستان وبها توفي سنة 850 م . وكان طبعاً لأبيه جداً إذ علمه أبوه العبرية والعربية وأيضاً السريانية وبعض اليونانية. درس الطب والفلسفة وكذلك الهندسة. اطلع على كتب الطب اليونانية والهندية ، ومؤلفاته العظيمة تجاوزت الطب إلى الصيدلة والفلسفة والمنطق وعلم الأغذية ومنها: (كتاب فردوس الحكمة) الذي اشتمل على فنون الطب والصيدلة. وكان طريقاً معبداً للعلماء بعده أمثال ابن سينا والرازي. وهذا الكتاب من أعظم كتبه ذات الطابع العلمي بإطلاق. وله كتاب (تحفة الملوك) وكتاب (منافع الأدوية والأطعمة والعقاقير) وكتاب (الحجامة) ، وكتاب (الرقى) وكتاب (ترتيب الأغذية) وكتاب (حفظ الصحة) وكتاب في الأمثال والأدب على مذاهب الروم والعجم. وكتاب (عرفان الحياة) ، ولقد ترجمت هذه الكتب لمختلف لغات العالم ومدح العلماء والأطباء والفلاسفة والمستشرقون والمؤرخون كتاب علي بن سهل بن ريد الطبري غاية المدح والإطراء. في كتابه القيم (الجامع في طلب العلم الشريف) يقول الأستاذ عبد القادر بن عبد العزيز ما نصه: (قال تعالى: (وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم ، وكان فضل الله عليك عظيماً) وهنا بيان فضل الله ، وقال الله عز وجل أيضاً: (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ، ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ، ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم). وقال تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم). فبين الحق جل وعلا أنه إنما أوحى إلى نبيه - صلى الله

عليه وسلم - العلم ، ووصف هذا العلم بأنه روح ونور. وإنما كان كذلك لأنه يُحيي القلوب الميتة ويخرج الناس من الظلمات إلى النور ، كما قال تعالى (أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا، كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). قال ابن حجر رحمه الله (والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يُفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته ، والعلم بالله وصفاته وما يجب من القيام بأمره وتنزيهه عن النقص. ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه) (فتح الباري) ج 1 ص 141. فهذا هو العلم الممدوح بإطلاق. وإلا فهناك علوم أخر ، منها ما هو مذموم بإطلاق ، ومنها ما هو ممدوح في حال دون حال: فمن المذموم بإطلاق ما ورد في قوله تعالى (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) ، فأثبت الله تعالى أن من العلم ما يضر ولا ينفع - وهو السحر هنا - ، ومن المذموم: علوم الكفار التي يعارضون بها الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: (فلما جاءتهم رُسُلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون). ومن الممدوح في حال دون حال: العلوم النافعة في الدنيا ، والتي هي من فروض الكفاية ، كعلوم الزراعة والصناعات والطب والفلك ونحوها ، وهي المقصودة في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - (أنتم أعلم بأمر دنياكم) رواه مسلم. وأما أهل العلم الذين وردت الأدلة ببيان فضلهم وعلو منزلتهم وعظيم ثوابهم ، فهم حاملون لهذا العلم الشريف العاملون به في أنفسهم وفي الناس بنشره وتبليغه. فقد وردت الأدلة بدم من علم ولم يعمل كما في قوله تعالى: (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) ، فَعَلِمَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْمَدْرُوحِينَ هُمُ الْعُلَمَاءُ الْعَامِلُونَ بِعِلْمِهِمْ ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الذَّمِّ لَا أَهْلَ الْفَضْلِ. بل قد أنزل الله تعالى من لم يعمل بعلمه منزلة الجاهل الذي لا علم له ، وذلك في قوله تعالى: (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ، ولبنس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) ، فبدأ الله بوصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي (ولقد علموا) ثم نفي العلم عنهم (لو كانوا يعلمون) حيث لم يعملوا بعلمهم ، فأنزلهم منزلة الجهال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوة إلى الله والرسول ، فهؤلاء أتباع الرسول حقاً وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكّت ، فقبلت الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ، فزكت في نفسها وزكى الناس بها. وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله فيهم: (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) فالأيدي القوة في أمر الله ، والأبصار البصائر في دين الله ، فبالبصائر يدرك الحق ويعرف ، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه.) (مجموع الفتاوى) ج 4 ص 92 - 93. وقال الشاطبي رحمه الله (العلم وسيلة من الوسائل ، ليس مقصوداً لنفسه من حيث النظر الشرعي ، وإنما هو وسيلة إلى العمل ، وكل ما ورد في فضل العلم فإنما هو ثابت للعلم من جهة ما هو مكلف بالعمل به) (الموافقات) ج 1 ص 65. وقال الشاطبي أيضاً (العلم الذي هو العلم المعترف شرعاً - أعني الذي مدح الله ورسوله أهله على الإطلاق - هو العلم الباعث على العمل ، الذي لا يُخَلِّي صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان ، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه ، الحامل له على قوانينه طوعاً أو كرهاً.) المصدر السابق ص 69. فعلم بذلك أن أهل العلم الذين وردت الأدلة ببيان فضلهم هم العلماء العاملون بعلمهم.) هـ أشكر للأستاذ الفاضل عبد القادر بن عبد العزيز ما تفضل به في كتابه العظيم ، وأفرع على مقالته فأثبت للمسلمين العرب بعض إسهاماتهم في صناعة الحضارة الإنسانية والعمران البشري. والحقيقة التي أحسها وأراها وأمسها أن كثيرين تعددت محاولاتهم لإزاحة المسلمين العرب عن مجرد ذكر مآثرهم في العلوم المادية. إنني أعلم علم اليقين أن هذه المقدمة طويلة للغاية ومملة ولاشك ، غير أنني أجعلها هنا في التقديم لهذه القصيدة من باباً التوثيق لها. بحيث يدرك القراء أننا لا نتحدث عن خيال وأوهام. لا بل نتحدث عن قوم حقيقيين ساهموا بعلمهم وكانوا فعلاً مصابيح الدجى على مر

العصور وكر الدهور. وحتى نثبت أن العبقرية ليست حكراً على إقليدس أو نيوتن أو جالينوس أو أرشميدس أو كبلر أو إديسون أو غيرهم. بل العبقرية قد سبقتهم بمئات السنين على أيدي العلماء المسلمين الموحدين. إن طول المقدمة لم يكن متعمداً بل تطلبته المناسبة والجو النفسي للتأليف. وأذكر أن أستاذي الدكتور عدنان النحوي قد فعل الشيء ذاته عندما أنشد ملحمة الشعرية العظيمة التي أسماها: (ملحمة الإسلام في الهند). وقد أفرد له كتاباً طالت مقدمته الشيقة عندما تناول تاريخ الإسلام في شبه القارة الهندية ، وأنه استمر فيها ثمانية قرون. عموماً أنا لم أفرض على قارئ كلاماً كتبته ولا شعراً أنشدته. والآن لنتابع مصابيح الدجى!)

لكنم السابقُ ، أيها العلماء	لم تموتوا ، بل أنتم الأحياءُ
يا شمساً قد أشرق في الدياجي	فاستتارت - بنورها - الأتحاء
يا بحاراً جادت بأعلى العطايا	كلُّ شهم كأثمه الدماء
يا رجالاً سادوا البرايا كراماً	وبهم - في ضنك الدجى - يُستضاء
يا عظاماً خصوا العلوم بجهد	والجهود يسخو بها العظماء
كم تفضلتم - بالعلوم - احتساباً!	والعلوم يعنو لها الفضلاء
ونشرتم آدابكم في البرايا!	صفوة الدنيا ، والورى الأدباء
مَن يُباري جهابذةً في البرايا؟	مالهم قط - في الورى - نظراء
مَن يُحاكي جيل المغاوير يوماً؟	هوؤلاء الأعلام والأكفاء
ليس يسمو سموهم مَن تدنى	كيف يرقى - نحو العلاء - الجهلاء؟
طرحوا الدنيا في سبيل التسامي	أفة العلم المال والتعماء
زهدوا في العيش الرغيد ، فسادوا	ثم نالوا - من المنى - ماشاؤوا
ثم عانوا - من الحياة - لظاها	فالتعمام كسيرة والماء
واللباسُ ما يستر الجسم طراً	إذ لباس التقوى هو الإرتقاء
والبيوت أعشاش طير عليها	سَعفُ نخل ، ولبنات الخبَاء
أكمل العلم كل نقص لديهم	حيث - بالعلم - يَغتنى العلماء

تسعد الدنيا إن علا الشرفاء
فأبيدت - بالساداة - الظلماء
وعظيتم أن يكرم الحكماء
قاله - عن أعلامنا - الأعداء
لم يقولوا بأنهم أدياء
حيث - بالجهل والخرافات - جاؤوا
لم يقولوا بأنهم سفهاء
إنما أعلام الهدى الضلحاء
كيف يدعو - للشقوة - الفقهاء؟
إن يكن ظلم كانت الهجاء
إن تمادى - في النقمة - اللؤماء
إن يموتوا ، فإنهم شهداء
لم تخالط قلوبهم بغضاء
ولهم - في تحصيله - استقراء
ملؤها الحب والرضا والهناء
معجزات أتى بها أوفياء
وبجهد الأفذاذ حل الرخاء
والجميل يُزري به الإطراء
وبه قد تُستدفع البأساء
إنما الأولي بالعلما الحنفاء

بالعلوم عزوا وسادوا وقادوا
بالعلوم نالوا الزعامة دهوراً
بالعلوم كانوا رؤوساً تسامت
سبقوا - في العلم - الجميع ، وهذا
سظروه عنهم ، فكان اعترافاً
لم يقولوا: الأعراب ليسوا بشيء
لم يقولوا: الأعراب أخبث قوم
لم يروا - في أعلامنا - أي سوءٍ
بل رأوهم دعاة خير وسلم
ورأوهم دعاة حق وعدل
ورأوهم فرسان رُشدٍ وبرد
ورأوهم في الحرب أعتى مراساً
ورأوهم في السلم أكثر عطفاً
ورأوهم في العلم أكثر باعاً
ورأوا في آدابهم كل نكرى
ورأوا في أبحاثهم ما يسلي!
نفعوا بالعلم الخلائق دهوراً
قدّموا للإنسان كل جديدٍ
حبذا العلم فيه عزٌّ وفخرٌ
وبه لا يحيا التقى ذليلاً

مســــــــــــتهيناً يـــــــؤزه اســــــــــــتعلاء
حُجَّةٌ ، فالهزيمة اســــــــــــتخذاء
إنما يُزكي فكري فكرينا الاهتداء
لن يقولوا: بالجهل ذلّ الرّعاء
والشموخ - بعلمهم - بــــــــــــأواء
مُنْتَهَاهم - في السوّد - الجوزاء
قد أضاعت - من شدوه - الأرجاء
والعلوم يعافها الجهلاء
فالحساب - من بعده - الفيزياء
والدليل لا يعتريه الخفاء
إنهم - بابن الهيثم - البصراء
كبي يفوق الحثالة السفهاء
في صداها التجميد والإطراء
وليه مدح ما به أخطاء
طالعوا العلم ، والتصدي وفاء
وانطلاق يسمو به ، ومضاء
خوت دأماء ، ماله شركاء!
يصطفي - من أهله - ما يشاء
وله - في شق الغباب - مضاء
وله - بالأمواج - لهو ولعب

وبه لا يغشى العدو قرانا
وبه لا تبقى لو غدي علينا
وبه لا نشط في فهم شيء
لن يكون - للغرب - صوت علينا
فالعلوم أربابها في شموخ!
تتباهى زهر النجوم بقوم
يال له مجدّ كم يُغرد فخراً!
من يُباري (ابن الهيثم) الفذّ علماً
أتحف الدنيا بالعلوم احتساباً
(بصرياً) الفذّ أقوى دليل
واسألوا الغرب عن عطاءات فذ
فليقل (برناك) الحقيقة جهراً
ولدى (سارطون) المدائح تترى
وأرى (فياردو) الصريح يلاحى
شهدوا لابن الهيثم الفذّ لَمَّا
والتحدي له رجالّ ونهج
من كمثل (ابن ماجد) في البرايا
نزهة كان البحر - صدقاً - لديه
وخبير - في المد والجزر - فذ
وله - بالأمواج - لهو ولعب

وليه - من بعد الصلاة - رجاء
مثلما يتلو السورة الأتقياء
كم لحون يشدو - بها - الشعراء!
إذ سببت قلب المستهام السماء
إذ بها - في جنح الدجى - الاهتداء
وعليه كم ساطت أضواء!
كل سفر سام له أصداء
والدلالات - في الدجى - لألاء
إن تكونوا خانتكم الأنبياء
بعبارات صاغها البلغاء
إذ يُداري قبيح العيوب الثناء
شافياً ، قد أدلى - بها - الحكماء
قوله كيد ، دونه الهيجاء
ولذا - بالأمجاد تترى - باؤوا
وبهذا قد باحت الكيمياء
وبجهد العملاق تم البناء
فإذا أغفى قالت الإحصاء
ولما قد أدلى تبدى الجلاء
قال قولاً لم يكتفه خفاء
ماله - في زمانه - قرناء

وليه - في ليل البحار - صلاة
وليه - في الأسفار - ترتيل حاد
وليه بالأشعار ترنيم هاو
وليه بالأفلاك علم وشوق
وهو يهفو - إلى النجوم - حنياً
عالم خط علمه باصطبار
صاغ أسفاراً أسفرت عن علوم
علمه نور الدياتي تهادي
واسألوا (بيرتون) المؤرخ عنه
تجدوه أثنى عليه كثيراً
رغم أن (ريتشارد) لما يُجامل
غير أن الأمداح كانت بياناً
والثنا من مستشرق ليس سهلاً!
إنما أعلام الهدى في الثريا
(وابن حيان) في الذؤابة منهم
والرياضيات استناخت لفضله
واسألوا (الجبر) من له قد تصدى
و(بريتلو) أدى الأمانة عنهم
وكذا (لوكلير) المصرخ جهراً
(جابر) يا أقوام فذ علم

كم جهول يشقى به الأذكىاء!
في (ابن حيان) ما به غلواء
ولتجبكم - عن سؤلكم - (صنعاء)
شاهداه الإصباح والإمساء
والطبيبات - خلف الأطباء - الإماء
قال: هذا تفدييه - منا - الدماء
واسمه كم تسمو به الأسماء
قاله - من بين الورى - الخلاء
و(ابن حيان) في الذين أضأوا
وهم - في نقل الهدى - أمناء
يده - في علم الهدى - بيضاء
وأولو العلم السادة الأمراء
والكلام - من مثل هذا - قضاء
وعزيز من خصه العقلاء
مدخ هذا - للمسلم - استثناء
إن له - فيه - الخطبة النجلاء
لم تشبهه سواى ، ولا إنشاء
هو زيفاً مستبشعاً واذعاء
بل على العلم - في الورى - الأوصياء
ماله - بين الورى - نظراء

جدد العلم ، والخلائق تجني!
واسألوا (هولمارد) المسطر مدحاً
واسألوا (الأزد) عن فتى عبقرى
(جابر بن حيان) في الطب نجم
والأطبا - في طبه - كالأسارى
ثم هذا (كاردان فو) دون خوف
وكذا (ديلاسى) رآه خبيراً
واسمعوا من (كراوس) الغرب نصاً
قال: هذى الدنيا تعانى ظلاماً
جندينا يا كراوس أهل علوم
ونباهى بـ (الخان) الشهم فذاً
عبقرى - في العلم - ليس يبارى
(الدوميللي) به أشاد كثيراً
مدخ هذا للخازن الفذ عز
كم أشاد بالفضل (روبرت هول)!
واسألوا (نيللو) الذي لم يدلس!
سطر التاريخ الأصيل بصدق
ثم عاز على المورخ قول
صدقوني أعلامنا في الثريا
وأرى (المجريطى) في العلم نجماً

ومقيماً للتقنيات بعصر
طور (الكيمياء) التي خط فيها
واسألوا (ديفيد) الذي قال فيه
قال: هذا أعجوبة العصر حقاً
واسألوا (كاجوري) يُحطكم بخبر
عده من أهل العلوم النشامي
هو لاء الأعلام حازوا المعالي
منهم (ابن البيطار) بحر علوم
واسألوا عن علم النبات تجابوا
من بطب الأعشاب عاليج قوماً
واسألوا (سونتهايمراً) عن خبير
وروى (سونتهايمر) أثمرت إذ
واسألوا (لكليرك) الفرنسي عنه
مدح (ابن البيطار) مدحاً لطيفاً
هو لاء أعلامنا أهل علم
و(ابن خلدون) في الذوابة منهم
جهبذ في علم اجتماع ، ويكفي
واسألوا (كولوزيو) ، فقد خط سفرا
واسألوا (فاردا) ، والشهادة حق
واسألوا (لودفيج) الذي لم يغالط

لم يكن أعوان ، ولا أولياء
كتباً ، ما للناس - عنها - غناء
كل خير ، والقول - منه - عزاء
ذو عطاءاتٍ ما لها إحصاء
ما به - إما قاله - استحياء
وقليل - بين الورى - النجباء
والجديرون بالعلل الحنفاء
ماؤه الفقه ، والهوى ، والذكاء
ذاك علم أجاده الأكفاء
حين عزت - رغم الغنى - الأدوية؟
باجتهادٍ منه استجاب الشفاء
ترجم الكتب ، لم يشبها افتراء
والكتاب فيه الهوى والضياء
رغم بُعد لَمَّا يُزلّه انتماء
والخليقون بالبقا الصالحاء
في يديه أقلامه ، واللواء
ما أتته يراعه زهراء
ليس - في حرفٍ جاء فيه - هراء
فليقلها أعداؤنا الشهداء
وليراجع تصريحه الأغبياء

ليس يخبو ، والحاقدون الغشاء
تعتريه الأوجاع والألواء
في جواهرها أزر الرحيل البلاء
والسهول والدور والبطحاء
والبحار والنهر والخضراء
والصبايا - من خلفهن - النساء
أن (ياقوتاً) قمة شهباء
لسواهم هم شمسهم ، والهواء
فيلسوف يهابه الفصحاء
هو - للعلم - الجند والنعماء
لم يمله - عن عزمه - الابتلاء
لم يخفه - من حربهم - الاعتداء
كل وغد ، ما تفعل الأهواء؟!
ثم جافى تجديده الأشقياء
وهو - من أهل الزيف بعد - براء
إن هذي لفريضة شعناء
لا يعيب الفذ الهمام الهجاء
ثم - من جنس ما يقول - الجزاء
والمديح - من كافر - وضاء
كيف يُزري - بالعقري - ازدراء؟

إنما أعلام الحنيفة نور
من (كياقوت) في التنقل فرداً
رحلة طالت كلفت كل غال
شهدتها البلدان كمّاء وكيفاً
والجبال والبيد أيضاً شهوداً
والرجال من خصّهم بسؤال
ثم هذا (كراتشوفيسكي) شهيداً
إنما أعلام الشريعة ذخراً
(وابن رشد) فيهم فقيه أديب
عقري في الفقه دون شبيهه
انبرى للضللال في كل واد
جادل الحمقى موهناً كل كيد
فند الأهواء التي شط فيها
جدد الفقه والأصول احتساباً
(ابن رشد) مما افتروه برئ
ما تلاقى زيفاً وصدقاً بأرض!
(ابن رشد) فوق التخرص قطعاً
(ابن ميمون) بالذي قلت أدرى
بابن رشد يا كم أشاد وأطرى!
ثم (شيخ الإسلام) أطرى ابن رشد

والتسامي طبيعاً ، والإخاء
مطرياً ، والإطراء فيه الولاء
إذ عليه - من كل علم - بهاء
إذ له - في بئر (ابن رشد) - دلاء
قال فيه ما قاله الصالحاء
والعبارات - بالهوى - عصماء
للعلوم - في ذي الدنا - زعماء
أخبروني يا غرب يا بلهاء؟
إذ تواطأ - على العمى - القدمات؟
وأضلتهم كذبة عمياء؟
هرطقات يطغى عليها العماء
يا لسُخفٍ يختال فيه المرء!
والنفوس - في الله - نعم الفداء
وينال التوحيد الاسـتهزاء؟
وتشيع الجهالة الجلاء؟
والدعاة يُغريهم الإنطواء؟
ثم تزكو الخواطر العرجاء؟
وهُم - في الكيد الرهيب - سَواء؟
وتنادى - في الفتنة - الشركاء
شهدته الخضراء والغبراء

بين شيخنا طابع العدل سمّت
واعتلى المدح (خوخة) الترك فرداً
وابن رشدٍ أهل لكل مديح
واسألوا (توما) عن تراث ابن رشدٍ
صدقوني ، واستشهدوا (لوثرأ) إذ
فلسفات منها الحقائق فاحت
هؤلاء يا غرب أعلام ديني
من كمثل (الكندي) علماً وتقوى
من تحدى بالعلم كُفر (أرسطو)
كيف راجت مقولة الكفر فيهم
فأقرّوا بالكفر رأياً وفكراً
خلق المولى ، ثم بعدُ تخلصي!
ولهذا (الكندي) قد شن حرباً
أي معنى للعيش والكفر يهذي
أي معنى للعيش والدين يُردى
أي معنى للعيش والحق يُطوى
أي معنى للعلم إذ يتردى
وأرسطو - للملحدين - زعيمٌ
أشهبوا في وجه الهدى سيف كفر
شكّوا في دين الهدى كل عبد

قَدوتاه التَّقْواة والأْتِيبِـاء
لَمْ تُخَفِّه البَلْوى ، ولا البَأْسِـاء
رَغْم الاستشْراق الّذِى هُو دِـاء
أَمْ تَسْـاوى التَّقْرِيب والإِقصِـاء؟!
أَمْ تَسْـاوى المَـلام والإِطْـراء؟!
واعِياً ، قَدْ يُفِـيدنا الإِصْغِـاء
إنّه فِى إِطْرائِه مِعْطِـاء
قَبْل مَدْح الدُنْيا فهُم كَرَمِـاء
فِىه قَومِ الِيتِـمِـة العِصْـماء
كِيف يَبْقِى - مَع السِّـيول - العِثْـاء؟
عِلمِه - فِـينا - مِنْهَلٌّ وَسِـنْـاء
لَمْ تُخْـالطْ فِـواذِه الخُـبِـلاء
كأنْضار يَنْفِى صَداه الصِّـلاء
مِثْل عودِ قَدْ شَقَّ عِنه اللِـحاء
لِوَقْـلاه لاشْتِدْ فِـيه الفِـئِـاء
والْتِـحايِـا لَمْ يَخْتِـرمِـها العِـفاء
إِذْ أزيـات - بَعلمِه - الأَعْبِـاء
والْعِـلْمُومُ يَزِـيـدُها اسْتِـقْـراء
ما اسْتوى قِطْ الرِّى والإِظْمِـاء!
فِى امْتِـداح يَشْـدو - بَه - الخُـطْبِـاء

غِـيرَ عِـبْدِ إِيـمانِه عَن يَقِـين
ولِذا فالْكَـنْـدِى جابِه زَحْفِـاءً
واسألوا (دِى بـور) الّذِى لا يُحايِى
سِـتْـرونَ إنْصافِه فِى القِضايِـا
سِـتْـرونَ مَدْحاً يَـروُحُ وَيَغْـدو
وأعِـروا (بِروكلمِـان) سِـمِـاعاً
تَجِدوهُ أَطْـرى بِغِـيرِ حِسابِ
يَسْتَحِقُّ أَعْلِـامُنا كِـل مَدْح
إِنْ يَكُن عِـقْدُ الفِخْرِ أهْلَ المِـعالي
ذِى سِـيول ، والغِـربِ بَعْضُ غِثْـاءِ
صاحِ (والْفارابِىُّ) فِـيهم سِـراجُ
مِنطِـقِىِّ وفِـيلسُوفِ عِظِـيمِ
بِالجِدالِ يَزِـدادُ حِلمَـاً ورُشْـداً
واسألوا (دِى فِـو) عَن هِمامِ وعِلمِ
وقَـر المِـنِيطِـقُ المُجِـدِّدُ عِلمَـاً
وانبِـرى (ماسِـينون) يولِـيه مَدْحاً
بِـل هُو الفارابِىُّ كِـم عِظْموهِ
ثُمَّ جِـدّوا ، واسْتِـقْـرأوا عِلمِ فِـحلِ
نَهَلوا مِنْه العِلمِ بَعْدَ ظِـمِـاءِ
واسألوا (بِـيكون) الّذِى لَمْ يَدِلسْ

ربنا ، إذ يهدي الهدى قد هداهم
والهدوء تغتاله الضوضاء
مالجدواها - في الأنام - انتهاء
لسواها لَمَّا تعد حوجاء
زاده العلم ، والتقوي ، والصفاء
ثم دانست لعلمك الأبناء
واحتراماً ، فبورك الإنشاء
أنت أحييت العلم ، حبذا الإحياء!
علموا الغرب ، إذ هم الرؤساء
علمه - للمستينسين - دواء؟
نعم طبياً ، وحبذا الأباء!
لم تكن أموالاً ، ولا أشياء
واستطالت - بطبها - (الزوراء)
واسألوا - عن بغداد - يا ثقلاء
إذ تاذى - بالعلة - الفقراء
في زمان ساداته ضعفاء
والأطببا - بما حوى - سعداء
محتواها أدري - به - الرفقاء
والأطببا - من قوما - الرحماء
وشهوداً - بنبا - الخلفاء

إنما أعلام الهدى قد هداهم
في هدوء أسدوا جميلاً إلينا
إنما (الزرنوجي) أرسى أصولاً
نقح التعليم المطور حتى
إيه (يازرنوجي) كنت مثلاً
لك دان التعليم بالفضل طوعاً
أنت أنشأت المنهجيات حباً
وأصول التدريس أنت ضياها
إن أعلام الهدى مدائن علم
من كمثل (الرازي) طبيباً أريباً
إنه - للمستشفيات - أبوها
طور الطب في سني عجايف
جاهزيات الطب صالت ، وجالت
سائلوا عن مستشفيات وطب
سائلوا عن أعشابها كبدل
سائلوا عن آلات طب ورصد
وكتاب (الحاوي) حوي كل خير
فلسفات في الطب ليست تباري!
والتداوي حكر على من يداوي
(وأبو بكر) في الأطباء شهم

واسألوا (ليلاً) يُجيبكم بصدق
واسمعوا من (جانبيه) قولاً بليغاً
ثم (مايرهوف) الذي كل لفظٍ
واسألوا (روسكا) كم أشاد بفيذ!
و(كريموف) استشهدوا عن خبير
أيها الغرب إن فينا نجوماً
لم يفرط في حقنا أي نجم
أتحفوننا بالعلم يصنع مجداً
هم نجوم للغير ، حيث لدينا
ذا يغني ، وتلك ترقص زهواً!
نحن أسميناه هؤلاء نجوماً!
إن أوتاد العلم منا وفينا
(وابن معروف) عالمٌ عبقرى
حصّل الغربُ منه علماً غزيراً
واخترعاتُ الغرب منه استجدت!
واسألوا (مرتان) ، أو (نيدهاما)
من له السبقُ في المضخات تجبى
من له السبق في النواعير تشدو
واسألوا (العوامات) تطفو وتعلو
(تكنولوجيا) يا غربُ ، هذا أبوها

عن عطاءٍ يسخو به الأصفياء
ففي ثناياه رقعة وازدهاء
قاله في (الرازي) - عليه - بهاء
ربما مثلي - في الثنا - خطاء
برواه يُستحسنُ الإقتداء
بهم نحن السادة الأقوياء
ثم إننا - في حقهم - بخلاء
ثم إننا - عن علمهم - غرباء
نكساة ، إذ نجومنا اللقطاء
نحن منا قد استجار الحياء
بينما هم - للخمرة - الندماء
ولههم - بالعلم الأصيل - إباء
فلكيُّ رنا - إليه - الفضاء
وعلى أفكار المعلم فاؤوا
إذ لديه - للفكر - كان ابتداء
واسألوا (نيدفي) ، إنهم علماء
مأهلاً قسراً ، والسعيد الماء؟
إذ - لهن - طاب العنا والغناء؟
لا يداني استتلاءها إعياء
بيننا فيها لا يكون استواء

نحن أصل ، والناس من افروع
(وابن معروف) عندكم عنه علم
واسألوا (وليامز) الذي هو أدرى
واسألوا (فيلدا) ، ثم (سفيام) حتى
وعلى (سايلي) قد يشق جواب
ثم هذي من (هومر) بعض ذكرى
ثم يأتي من (شوتر) بعض نصح
(لابن معروف) ترجموا كل حرف
أيها الغرب إن فينا رموزاً
اذكروا (الإديسي) ، والذكر حق
إنه في (الجغرافيا) لا يبارى
رسم الدنيا في الخرائط تزهو
لم تفتحه جناتها والبوادي
لم تفتحه السهول في كل ضقع
لم تفتحه الجبال مهما تناءت
لم تفتحه الأنهار تجري رخاءً
(نزهة المشتاق) الكتاب يجلي
واستبينوا من (جولديس يهر) رأياً
مدح (الإديسي) مدحاً يوافي
إيه يا غرب! هل خبرت بقومي؟

هل تساوي الأجداد والأبناء؟
مستبين ، وليشهد الكبراء
واسألوا قوماً - بعده - قد جاؤوا
يسلطيل - بالسائلين - ارتياء
ثم يغري خيالاًه إغضاء
في ثانيا إيرادها إفضاء
ووصايا - في غبطة - واحتفاء
فاز قوم - بذات السراج - استضاؤوا
لسنا العلم ، إذ هم العلماء
عالم فذ ، كم غار - منه - العطاء!
وله - فيها - رحلة وخباء
وبها الدنيا غادة حسناء
لم تفتحه الحواضر الغناء
لم تفتحه - رغم الغنا - البيداء
لم تفتحه الأملاك والأنواء
لم تفتحه السحابة الوطفاء
ما أقول ، إذ الكتاب وعاء
رغم أن أفكاره شوهاء
ثم إن الإطراء - منه - رواء
إنهم - في علمهم - أمراء

لم يثب أعمال التقاة رياء
ثم يحلو - للاحقين - اقتفاء
ذا طبيباً أجلاه الكبراء
لم يكن - بالمعلول - يلهو الشقاء
وذووها - للجهبذ - الشفاء
فله هم - بين الوري - وزاء
منتي درس ، ما بها أخطاء
فاسألوه ، إن أنكر الشفاء
هل يُواري شمساً بدت إخفاء؟
عالمٌ يدري قذره الحكماء
خطها (الزهرابي) ، فيها الشفاء
وبوصفات الطب يحصى الداء
قد يفيد أهل البلاء اتقاء
ليس يُضنينا - في المعالي - عناء
فالقواميس - بالهدى - فيحاء
ولتصرح أوراقها الصفاء
ومبان ، من ياترى البئاء؟!
مثما قد يستظرف الظرفاء؟
عن أناس - بذكرهم - يُستضاء؟
سوف يبقى ، حتى يزول البقاء

ملأوا الدنيا بالعلوم احتساباً
وعلى درب العلم ساروا عظاماً
إنما (الزهرابي) من صيد قومي
خبر الطب والجراحة حتى
عمليات أجريت بنجاح
واسألوا عنه أهل ذكر التداوي
واسألوا (شولياك) الذي حاز علماً
(و فراربي) الدكتور يعلم هذا
إنما (الزهرابي) شمس التداوي
واسألوا (جرياداس) عنه ، فهذا
واسألوا (إردوزيريساً) عن خفايا
وكتاب (التصريف) يحوي الخبايا
وبه النصح المستبين لقوم
نحن يا غرب في سماء المعالي
من كمثل (الوزان) يرصد علماً
واسألوا (الموسوعات) عما حوته
والقواميس كم حوت من لآلي
من بوصف (إفريقيا) قد تباهى
من بالآلاف الترجمات أتانا
إنه (الوزان) المبوب سيفراً

أَنْ يَخْصَّ الْأَسْفَارَ تَلَاكَ اعْتِنَاء
يَسْتَفِيحُ جَيْلٌ - بِهِ - إِغْفَاء
بَيْنَنَا طَابَ الْمَبْتَغَى ، وَاللِقَاء
بِاشْتِيَاقٍ ، يَا حَبِذَا الرُّضْعَاء!
فَتَسَامَى - فِي الْعَالَمِينَ - الْبِنَاء
لِلْخَبِيرِ فليشهد الخبيراء
وَلَهُ كَم يُسْتَعَذَّبُ الْإِطْرَاء!
يَسْتَفِيدُ - مِنْ عِلْمِهِ - النَّظْرَاءُ
وَالْعُقُولُ قَدْ شَابَ - فِيهَا - الدَّهَاءُ
وَاعْتَرَفْتُمْ ، وَالْيَوْمَ فِيمَ الْمِرَاءُ؟
اقْمَعُوا الزَيْفَ ، لَنْ يُفِيدَ اجْتِرَاءُ
وَلَهُ - بَيْنَ الْزَارِعِينَ - لَوَاءُ
وَالْتِدَاوِي يَمْحُو صَدَاهُ الْوَقَاءُ
مَدْحُ قَوْمِ آرَاءَهُ وَالثَّنَاءُ
(وَكَلِيمَانِ) ، إِنَّهُمْ عُلْمَاءُ
بِعِبَارَاتٍ لَمْ يَشْتُبْهَا جَفَاءُ
وَالْحَيَاةُ - مِنْ دُونِهِ - ظَلْمَاءُ
سَأَلُوا لِي بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ
وَالْمَدِينُ حَتْمًا - عَلَيْهِ - الْقَضَاءُ
أَعْلَى حَيِّ يُسْتَطَابُ الرَّثَاءُ؟

(فِيدْمَانِشْتَاتُ) الْمَوْرُخُ أَوْصَى
مَدْحُ (الْوَزَانِ) الْمَوْلُفَ حَتَّى
نَحْنُ يَا غَرْبَ وَالْعُلُومُ صَحَابٌ
فَارْتَضَعْنَاهُ مِنْذُ كُنَّا صَغَارًا
فَانْطَلَقْنَا بِالْعِلْمِ نَبْنِي وَنَسْمُو
مَنْ كَمِثْلُ (الرَّرَّازِ) يَا غَرْبَ قُلْ لِي؟
(أَلِدُومِيَالِي) قَدْ قَالَ: هَذَا عَظِيمٌ
ثُمَّ (هُونِكَا) أَشَادُ بِالْفَذِّ حَتَّى
أَيُّهَا الْغَرْبُ عَلِمْنَا مَسْتَنِيرٌ
ثُمَّ أَنْتُمْ مِنْ عَلِمْنَا كَمْ نَهَلْتُمْ
نَحْنُ سَادَاتُ الْعِلْمِ فِي الْغَرْبِ قَطْعًا
وَأَرَى (ابْنَ الْعَوَامِ) أَغَزَرَ عِلْمًا
عَالَمٌ بِالطَّبِّ الْبَدِيلُ جَلِيلٌ
نَابِغٌ فِي عِلْمِ الزَّرَاعَةِ ، يَكْفِي
وَاسْأَلُوا (دُوزِي) ثُمَّ (مَائِرِن) عَنْهُ
شَاهِدُوا لَلْفَذِّ الْخَبِيرِ بَعْلَمُ
أَيُّهَا الْغَرْبُ نَجْمُنَا فِي سَطْوَعِ
وَيَمِينًا أَمْوَاتِنَا فِي خَلْوَدِ
ثُمَّ دَيْنٌ عَلَيَّ إِثْبَاتٌ هَذَا
لَمْ يَمُوتُوا إِذْ خَلَدْتَهُمْ عِلْمٌ

كم قبور أمواتها في حياة
لم يمت من بالعلم دكّ الدياجي
لم يمت من بالعمر ضحى ، وأهدى
لم يمت من أردى وباء التدني
لم يمت من نَمى وطور علماً
لم يمت من لله أخلص ديناً
لم يمت من أعطى العلوم صباه
لم يمت من قلوبهم قد أنابت
لم يمت من عاشوا لخير البرايا
لم يمت من للعلم عاش فأعطى
لم يمت من بعلمه قد تحلّى
رب فارحم من علمونا وعانوا
رب واغفر ذنباً جنوه وأحسن
رب واعصم من كان حياً ، وزده
إن أكن قد مدحت أهلاً لمدحي
أو مدحت من ليس أهلاً لمدحي
أنت أدري بما بذلت ، أثبني
ربّ واقبل قصدي وانكساري

وحياة يقضي عليها الفناء!
فاستحالت دروبها السـوداء
كل خير ، يا حبذا الإهداء!
والمخازي ، خاب الهوى والوباء!
فاستتارت بصائر حمقاء
فأز - والله - الصفوة الأنقياء
فاستقامت مجاهل عوجاء
فانتفت - من قاموسها - الشّحناء
بعلوم - في ظلها - النعماء
طاب من أعطى ، ثم طاب العطاء!
ثم أظري رصيده العلماء
من أذانا ، وإن إلينا أساؤوا
إن هذا - من الفؤاد - نداء
أنت تهدي من تصطفي وتشاء
فتقبل مني ، وهذا اصطفاء
فتجاوز عني ، وهذا العزاء
فيك يا ربي لا يخيب الرجاء
ثم هذا مني الجوى والدعاء

مستعفف ومستبصر

(زهـد في أموال الناس رغم خصاصة شديدة أمت به ، وأسكنته الحاجة الماسة عن سؤال الناس. وابتلي بمعارف بل وأقارب لا إحساس عند أحدهم. بل كان شعارهم الأمثل: (عش نذلاً تمت مستوراً). وكان ذلك الفقير المعوذ بينهم كاليتيم على موائد اللنام. وكان له النصيب الأكبر من قول الله – عز وجل - في وصف الفقير (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً). فاتهمه السفهاء بأنه مستكبر مغرور معتد بنفسه. وراح أعتاهم يقول: (عائل مستكبر). وعلى وجه العموم فإن هؤلاء قوم جهلاء لا يعرفون الحقيقة ولا يريدون أن يعرفوها. وصدق علي بن أبي طالب عندما قال: (العفاف زينة الفقر). وصدق المعري عندما قال في العفاف:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل

وصدق إديسون وهو الكذوب إذ يقول: (لا شيء يرفع قدر المرء كالعفة). وصدق عنتره إذ قال:

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

يخبرك من شهد الوقعة أنني أغشى الوغى ، وأعف عن المغنم

والحق أن الكرماء الحقيقيين يعيشون لغيرهم تكرماً وتفضلاً عليهم. وأما الأذال والأرذال الأخسة البخلاء فيعيشون لأنفسهم دون السؤال عن الآخرين. والعفة واستعلاء الإيمان في النفس قد لا يفهمه أولئك الأوباش الأذال الأتانيون الذين يعيشون أنفسهم. ذلك أن كرام الناس يتنزهون عن النذالة والأتانية ، كما يتنزه كل مؤمن عن الكفر والشرك والنجاسات المعنوية والمادية. ولقد قررت أن أصور حال ذلك الفقير العفيف المستعز بإيمانه والمستعلي بإسلامه على أوباش الناس وسفلتهم من الحفنة الأتانية التي تتخذ النذالة منهجاً في الحياة ، ولقد أبطأ بي الشعر هذه المرة. إذ ليس الشعر عندي جواداً أركبه عندما أريد. كما إنه ليس كوب شاي أرتشفه كيفما اتفق. بل الشعر عندي إحساس وشعور. وهذه حقيقة سمعتها من كثير من الشعراء الصادقين ، وملخصها أن الشاعر الحقيقي هو الذي يتحكم فيه شعره ، وليس الذي يتحكم هو في الشعر! بمعنى أنه لا يكتب في أي وقت وحين ، ولا في أية مناسبة! إنما الشعر الحقيقي هو الذي تأتي به عاطفة وشعور في موقف بعينه! إن الشاعر العفيف عملة نادرة اليوم! حيث إن أغلب الشعراء في الأرض اليوم يتكسبون بأشعارهم! وإذن فالشعر عندهم وسيلة للتكسب والتربح! وأسأل الله تعالى ألا

يجعلني من هؤلاء يوماً! بل أبتغي بما كتبت من شعر وجه الله والدار الآخرة! ومن هنا أعدت محاولاتي في تصوير حال هذا المستعفف إلى أن من الله عليّ وأنشدت:

استعففَ الشهمُ عن سؤال من بخلوا
مستعذباً لذة العفاف معتمداً
يصارع الفقر مختالاً بعزته
ويستطيل - على البلاء - محتملاً
ترى العيون أناساً في بلهنية
قصر مشيد وحال كله رغداً
قومٌ بأيديهم الأموال مُشرعة
بنزٍ معطلة ، فالماء غار بها
وخلفها أترعت أخرى مجاهرة
والأغنياء ازدهى - بالمال - معظمهم
ومارعوا حق مسكين به عوز
وعربدوا في بقاع الأرض دون حيا
وبددوا المال في العصيان ، وانحرفوا
واستنقلوا الخير والمعروف تحسبهم
أما المساكين فالأصقاع شاهدة
بأنهم ظلموا ، والظلم مخبثة
وكلفوا مؤنة الحياة باهظة
واستبشع الفقراء العيش يلفحهم

ف قيل: مستعظم - بالكبر - يحتفل
على المليك ، فأيام الفتى دول
لأنه - في لظى بلائه - بطل
مصائباً جرحها - في القلب - يشتعل
وكل فرد له - في عيشه - أمل
وأمسيات شدا - في ليلها - الغزل
وآخرون - بسيف الفقر - قد قتلوا
ولم يعد - في ثرى جدرانها - بلل
بالماء يطغى ، وبالخيرات يبتهل
فما استقاموا على التقوى ، وما اعتدلوا
وحق كل فقير عندهم أكلوا
وأعجز الناس من يُودي - به - الزل
وخطبهم - في لظى - أهوائهم جال
لنيل جنة رب الناس ما عملوا
والسهل يشهد ، والصحراء والجبل
وحمّلوا بيننا ما ليس يُحمل
من بعد ما الأغنياء بمالهم بخلوا
يشكون لله من ضنوا ، ومن خذلوا

كأسٌ ، وبالفقر - دوماً - يُضرب المثل
والقيّد يجعل دمع العين ينهمل
لما يُراد بها ، لئلا تنفعل
وما لها قط - في صرف الأسي - حيل
فلا تراه - على الأيام - يُرتذل
تسمو بهمة عن ذك من سفلوا
حتى يُجندله - بسيفه - الرجل
وبالزيادة يأتي النذل والميّل
برغم أن لم يكن - بالصّيد - يتصل
كما يُضّيع من يأوي إلى الضلل
دياجراً عظمت ، تعافها السبّل
وينفع المرء ، إن أزرى - به - الفشل
مهما تنقصه - في الأرض - من غفلوا
ويستخف بما قالوا ، وما فعلوا
ذل الحياة على أيدي من اختبأوا
موت الضمير بجرح ليس يندمل
طفّ الحرام به ، وخاب ذا العمل!
لمن برب السما - بين الورى - عدلوا
من أجل ثروتهم - في الناس - من سألوا
من ديننا انسلخوا ، وبالهدى هزلوا

والفقر كأسٌ مريّر لا يضارعه
وضيق ذات يد العفيف بأسره
لكن عزته - في القلب - واعية
لا تقبل الضيم ، مهما فاض لاجبه
وذو المروءة مهما الفقر صارعه
إن العصامية الشهباء في دمه
وود لو كان إملاق الورى رجلاً
والمرء يدرك بالكفاف مأمّله
كم من فقير سمّت فينا مناقبه!
لكنه العلم يُغلي شأن صاحبه
والعلم - للفقر - نبراسٌ يضيء له
والعلم يُذهب ما بالنفس من عوز
ويجعل المرء في جلى ومكرمة
فيستهين بما ساقوه من شُبّه
والفقر أفضل من غني يُجرعنا
والفقر أجمل من مال يُكلفنا
والفقر أليق بالإنسان من عمل
والفقر أحلى من الإباء نبذله
والفقر أحسن من سؤال من قهروا
والفقر أروع من بيع الرشاد لمن

شأن الميامين من إسلامهم عقلا
وضاعفتها غموم اليأس والعِلل
في ظلها جذوة الإيمان تُبتذل
من الهوان يُزكّي ناره السفل
من عيشة زأدها الخداع والختل
إذا غلت - في الديار الرثّة - الخلل
فزايوا الحق ، والعقيدة اعتزلوا
من القضاء ، فيرضى ثم يبتهل
الرزق خُداً ، وخُط العمر والأجل
فيم التخرص والبهتان والجدل؟
فالبعض يطغى ، وبعض الصّيد يعتدل
من الفجور ، كأحوال الألي جهلوا
الأخرون سوا - في الأمر - والأول
ويمنعون عطاء الناس إن سئلوا
بالحق ، ما ردهم خوف ولا خجل
لكل معصية قد مورست نحل
حتى يظل لهم - من ربهم - وجل
حتى سمّت - بهم - الأمثال والمثل
لاستعذوبه ، ومن واديه ما ارتحلوا
إن الفقير - إذا ما استعفف - الجمل

والفقر جنة من يحيا لشرعته
والفقر بلسم من أسقامه عظمت
والفقر أنفع للفؤاد من متع
والفقر أكثر - للشريف - منفعة
والفقر أرفع - للكريم - منزلة
والفقر حُلة من زكت بصيرته
والفقر عُدة من خانتَه عُصبتَه
والفقر فخر لمن يرضى بحصته
إرادة الله - في العباد - فاعلة
وللمليك شؤون في خلانقه
من شاء أغناه كي تُبلي مقاصده
ومن يشأ خصه بالفقر يعصمه
بحكمة الرب كل - في البلا - أبداً
بعض العباد كثير المال يُفسدهم
ويقطعون يداً مُدت تطالبهم
حياتهم - بمعاصي الله - قد مُلئت
لذاك لم يؤتهم رب السما سعة
والفقر جمل - بين الناس - سيرتهم
لو يعلم الناس ما في الفقر من أرج
وحبذا عفة تزيد جذوته!

يعيش محتسباً فقراً ومسكناً
يخالط الناس لا سُوأى ولا حسد
يعيش في حكمةٍ تزينُ عالمه
وللثراء عذاباتٌ مقتطيرة
إذ لم يقوموا ببذل الخير معذرة
وأعرضوا عن حقوق في ديارهم
الله أكبر ، إن الفقر منقبحة
يقيه هول الحساب المُر يشهده
يا رب سلم من الغنى وسطوته
رباه واجعل لنا من ضيقنا فرجاً

والصبر عُدتته ، إن أزه المَلل
مهما قلوه ، وإن ملوه واعتزلوا
وأسوة الشهم - في ذي الحكمة - الرسل
كأن أصحابه تطويهم الغيَل
إلى المليك ، وما جادوا وما كفَلوا
وصار كلُّ له منأى ومُعتزل
هو الستار - على المعوذ - ينسدل
رب الأنام فيما بُشرى الألى بذلوا!
فكل من عبَد الدينار مختبِل
إننا - عليك إله الناس - نتكل!

ليس من الموت مفر

(أوردت جريدة (الأنباء) الكويتية في عددها 6752 قصة حادث فظيع ، لأسرة التهمت النيران بيتها. فقامت ابتسام الابنة الكبرى بإلقاء أخواتها من النافذة والجيران يستقبلون. وألقت ابتسام أمها بذات الطريقة لتتقدها كما أنقذت أخواتها. وفي النهاية التهمت النار قدميها فلم تستطع إلقاء نفسها من النافذة محاولة الإبقاء على حياتها. بل سقطت في الغرفة التي اندلعت منها النيران. والناس ينظرون هول المأساة لتكون هذه المخلصة الوفية الضحية الوحيدة في هذا الحادث المروع! إن الأجل قد خطها المليك بيده كما خط الأرزاق. لكل أجل كتاب. يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب).

لِوَا الْمَوْتِ لَيْسَ بِمَسْتَعْرَبٍ
وَأَسْبَابِهِ - فِي الدُّنَا - عُذِّدَتْ
فَهَذَا يَمُوتُ بِإِلَاحَةٍ
وَهَذَا - لِدَيْغًا - يُلَاقِي الرَّدَى
وَهَذَا - صَرِيحًا - يَذُوقُ الْفَنَاءَ
وَهَذَا تَعْقِبُهُ مَوْتُهُ
وَهَذَا - مِنَ الْمَوْتِ - لَمْ تَحْتَرَسْ
وَهَذَا مَنِيتُهَا أَقْبَلَتْ
وَتَلِكُ - بِمَنْ مَاتَ - لَمْ تَعْتَبِرْ
وَأَمَّا (ابْتِسَامُ) ، فَذَاتُ سَمِّ
حُرُوفِي عَنِ الْوَصْفِ قَدْ أَجْمَعْتُ
كَأَنِّي بِهَا النُّورَ فِي عَالَمِ
أَلَا (يَا ابْتِسَامُ) بَلَغَتْ النُّورَ
وَفِي التَّضْحِيحَاتِ اخْتَصَرْتُ الْمَدَى

وإن يكُّ لَيْسَ بِمَسْتَعْرَبٍ
وليس - مِنَ الْمَوْتِ - مِنْ مَهْرَبٍ
وعنا الحقائقُ لَمْ تَحْجُبْ
وبلِوَاةٍ فِي الْأَكْبُودِ النَّحْبِ
وكم عاش بالأمم الموعب!
وقد كان - بين الغشا - يختبي
تعقب خُل - به - مُعْجَبٍ
فكانت ترى القبر كالمععب!
كبرق سريع الخطا مُرْعَبٍ
فقد فتنت بالرخا المُصْحَبِ
فتلك من العالم الأنجب
كأنني بها الشمس لم تغرب
تعثر في ظلمة الغيب
من الجود بالنفس ، فلتطربي
وفزت - هنالك - بالمكسب

وفى البذل فقت حنان الأب
وسنة خير الأنام النبي
ورحبت بالسفر الملهب
وظرت لعالمها الأرحب
وما لفحها - قط - بالطيب
كدوح - دنا ظلها - خلب
وما لاحتراقك من مذهب!
نجاتك من أفضل المطلب
لعيش يُداعبها مُرطب
وتعطي عطاء العزيز الأبى
يفوق شذى الفل والزرنب
ويُنكر - بذل الكرام - الغبي
معينُ السخا - فيه - لم ينضب

وفقت الأمومة في عطفها
وآيات ربك كانت هدىً
وجُدت - بروحك - محبورة
وحُزت المروعة موفورة
وطابت - لك - النار وهي الردى
تحملتها رغم كل الأذى
ويمناك تقذف من أحرقوا
حنانيك نفسك أولى بذا
وهذي البطولات لا ترعوي
تضحى وتبذل عن رغبة
وتعزف لحن العطاء شذى
وتسخو - بما تشتهي - حسبة
ويشكر رب السما سعي من

شهر جهاد ، لا شهر خمول

(الذي ينظر إلى أغلب أهل الإسلام اليوم يجدهم فعلاً حولوا رمضان من شهر جد واجتهاد وصيام وقيام ونصر وجهاد ، إلى شهر كسل وخمول ونوم وأكل وشرب. فسألت نفسي: هل كان المسلمون الأوائل هكذا؟ فأرجعت البصر في التاريخ كرتين وراء كرتين ، فانقلب إليّ البصر خاسناً وهو حسير! رمضان شهر صيام وقيام وجد واجتهاد وجهاد وانتصارات. وسوف أسوق من شواهد التاريخ الإسلامي الطويل من عصر النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى عصرنا الحديث ، ما يدل على صدق الذي أذهب إليه. وذلك في محاولة مني لبيان الحق ، واستقراء النصوص التاريخية التي لا تجامل أحداً. وأستمح القارئ العذر في طول المقدمة التي لا بد منها. ** في رمضان بدأ نزول الوحي على النبي محمد عليه السلام. ** وفي رمضان من السنة الأولى من الهجرة كانت سرية من 70 صحابي وعلى رأسهم النبي – صلى الله عليه وسلم – لمواجهة بني ضمرة. وانتهت بالصلح وكان نصراً بشهادة المحدثين. ** وفي 17 من رمضان من السنة الثانية من الهجرة النبوية كانت غزوة بدر الكبرى غزوة الفرقان ، وأحرزت الانتصارات. ** وفي رمضان السنة الثانية من الهجرة فرضت الزكاة. ** وفي رمضان السنة الخامسة من الهجرة كان الاستعداد لغزوة الخندق أو غزوة الأحزاب المباركة. وكللت بالنصر الفذ. ** وفي رمضان من السنة الثامنة من الهجرة فتحت مكة المكرمة. ** وفي رمضان من السنة الثامنة الهجرية بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - السرايا لهدم الأصنام والأوثان وانتهى الشرك. ** وفي رمضان من السنة التاسعة من الهجرة النبوية بعث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علي ابن أبي طالب في سرية من المسلمين إلى بلاد اليمن فأسلمت قبيلة همدان كلها في يوم واحد بل صلوا خلف علي - رضي الله عنه. ** وفي رمضان من السنة الخامسة عشر من الهجرة النبوية انتصر المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص على الفرس في موقعة القادسية. وكان نصراً عظيماً على عبدة النار والمجوس. ** وفي رمضان من السنة 53 هـ فتح المسلمون جزيرة رودس. ** وفي رمضان من السنة 91 هـ نزل المسلمون شواطئ الأندلس. ** وفي رمضان من السنة 92 هـ انتصر المسلمون بقيادة طارق بن زياد على الملك رoderik وفتحت الأندلس والله الحمد. ** وفي رمضان من السنة 36 هـ بُني الجامع الأزهر في مصر. ** وفي رمضان من السنة 583 هـ كانت موقعة حطين المباركة. وانتزع صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين بعد أن ظل تحت أيديهم وسيطرتهم 80 سنة. وهُزموا شر هزيمة. ** وفي رمضان من السنة 647 هـ هزم المسلمون المصريون حملة لويس التاسع الصليبي الفرنسي (على مصر) وأسر الملك وسجنه المسلمون في دار ابن لقمان بالمنصورة بمصر. ** وفي رمضان وفي السنة 65 هـ انتصر المسلمون على التتار في عين جالوت بقيادة المظفر المخلص سيف الدين قطز. ** وفي رمضان وفي السنة 666 هـ تعقب الظاهر بيبرس التتار وأجلاهم عن أنطاكية وأخذ منهم 1000 أسير. والله الحمد. ** وفي رمضان وفي السنة 703 هـ انتصر السلطان محمد بن قلاوون على التتار فلم تقم لهم قائمة. والله الفضل والمنة على عباده. ** وفي رمضان من السنة 1393 هـ كانت حرب رمضان حرب الساعات الست التي انتصر فيها مسلمو مصر على يهود. وإذن فرمضان شهر جهاد وليس شهر خمول ونوم في العسل! وليت الأمة تفهم من التوحيد كنهه لتعي من رمضان حقيقته ومن الصيام تجرده!)

ليكون الإسلام في الغلياء

شهر نصر في ساحة الهيجاء

عن فخر وسُـمعةٍ شهباء
فأبادتْ محلوكَ الظلماء
هل جوادٌ - في الأرض - كالدأماء؟
رب بـارك في خيرهِ المعطاء
فتفيض الأرزاقُ في الأرجاء
والـدياجي تُباد بالأضواء
لا يُبارى في ساحة الهيجاء
وانتصارٌ سام على الأعداء
لم تفقها رحى من الأرحاء
تاركاً من أطيافه الفيحاء
وسلامٌ يدعو إلى السراء
ودواءٌ يُشفى - به - كل داء
وعليها من زاخر الأنداء
وعلى ذا تواتر الأنبياء
منقذ الدنيا من دجى الأهواء
ونجاة من فتنة شعواء
ومبيد الضلالة الجهلاء
رمضانُ في حلة الخيلاء
وتسامى إلى مدى الجوزاء
إن هـذي طبيعة السفهاء

واسألوا التاريخَ المجيدَ يُجـبكم
رمضانُ شمسَ علينا أطلتْ
رمضانُ بحرٌ وجودٍ ويُقري
رمضانُ يُعطي ويمنح جمأً
رمضان الخيراتُ تغشى قرانا
رمضان الأنوار في كل صُقع
رمضان من المهيمن نصرٌ
رمضان فوزٌ بخير ثواب
رمضان رَحَى تدق الخطايا
رمضان ضيفٌ يحل ، ويمضي
رمضان حربٌ على كل شر
رمضان سُوقٌ لجلب العطايا
رمضان يُهدي التقاة التحايا
منذ فجر التاريخ ، والنصر فيه
فيه تم نزولُ قرآن ربي
بيناتٍ من الهدى للبرايا
ثم فرقاناً يُهتدى بهداه
ولهذا بين الشهور تهادى
وعلا شأننا ، بل وهدياً وسمتاً
ليس شهراً للنوم ، أو للتراخي

ملىء بطن بالأكل ، بعد ارتواء
والبغايا يسئقن حلو الغناء
وهي - بعدُ - البريدُ للفحشاء
كل قلب يأوى إلى الأصداء
بالنفوس المريضة العوجاء
لعذاباتٍ - في الدنا - كأداء
يختل المشـتاقين بالإغراء
والضحايا هم خيرة الأبناء
نُصبت لأولاد والآباء
لا أراهم - في الناس - بالأسواء
شر قوم بالجهر بالأخطاء
فتنة في الأمصار والبيداء
أوقعتهم في ربيعة البأساء
حيث خص الأقوام بالأدواء
وأداروا طاحونة الإرجاء
واسـتخفوا بصـرخة الأكمفاء
واسـتزدادوا من طينة البغضاء
من نفوس تطالـه بازدراء
ليـوافقى العباد بالنعماء
ينصرون كتائب الأتقياء

يحبون الشهر الكريم عليهم
يحبون الشهر الفوازير تترى
والأغاني تغتال أعلى صيام
والفضائيات الرقيقة تسبي
والأباطيل - في البرامج - تودي
وأحاجي أهل الفسوق وقود
ورزايا أهل الفجور شقاء
وسـعار الأفلام في كل بيت
وجحيم المباريات شراراً
وتسلى بالمسرحيات قوم
لعبوا بالنيران ، حتى استحالوا
جاهروا المولى بالحرام ، فكانت
وقعها - في قومي - أشد وأنكى
رمضان من هؤلاء برئ
لكن الصرعى عربدوا دون وعي
قد رأوا في التسويـف أذى علاج
وتمنوا كم من أمان عذاب
رمضان أسـمى وأعلى مقاماً
رمضان جهاد نفس ومال
سائلوا (بدرأ) والملائك فيها

حيث سُـر المـكان بالأمناء
وكذا للحطيم والبطحاء
حطمتها معاول الحنفاء
في القياس من خيرة الشهداء
واسألوا عن طيوفها الزهراء
واسألوا عن أجنادنا العظماء
فحكايها التاريخ كالخطباء
وصلاخ من أشجع الأمراء
والأعداء فروا على استحياء
بل يرد شفاعة الشفعاء
تتر الدنيا ، إذ أتوا كالوباء
بالمنايا على لظى الرمضاء
من جحيم النيران فوق العراء
من مليك يقتص للضعفاء
أعلمنا بماله من بهاء؟
فلنفر من خوفنا للمضاء
كي يسود نصرً على الأعداء
ومعينً للسادة الأولياء

واسألوا عن فتح الفتوح السرايا
ولأم القرى بهذا احتفالاً
واسألوا أصنام الدنا ما دهاها؟!
واسألوا عن ذكرى تبوك وكونوا
واذكروا دوماً (قادسية) سعدٍ
واسألوا عن رودريك وابن زياد
واسألوا عن حطين تاريخ قومي
نزلت بالكفار فيها البلايا
واسألوا عن لويس سجنأ حصيناً
واسألوا التاريخ الذي لا يُحايي
سائلوه عن (عين جالوت) ردت
واسألوه عن الكفار أحيطوا
وأسود أرض الكنانة صبوا
جاء للمصريين نصرٌ عزيزٌ
كل هذي الحروب في رمضان
شهر نصر يُنال من بعد جهدٍ
ولنحوّل خموننا لجهادٍ
والمليك مع الذين اتقوه

الإمعة

(كانت تعيش في البادية تعترز بتقاليدها وأعرافها. بل وترعى أغنامها وأنعامها وإبلها. وتعبد ربها - عز وجل - ، وتصلي خمسها وتصوم شهرها. ثم ابتلاها الله بسكنى الحاضرة ، رغم أنها وزوجها من البدو الرعاة. فإذا بها تنفتح على العالم ، وتهمل وتفطر. حيث احتفلت بأعياد ميلاد أبنائها ودعوتهم إلى اللهو والمجون والتحلل. وإمعاناً منها في التقليد احتفلت معهم بأعياد النصارى كعيد الحب. وأصبحنا نرى سُلَيْمَى - البدوية راعية الغنم في البادية بالأمس - إمعة مقلدة.)

سُقوطٌ في أباطيل الغِوَاةِ وتقليدٌ لأهواء الطغاةِ
وعريدة تُجرُّ عُكَّ المَنايا ومهزلة تذرُّ الموبقات
وفسقٌ - عن شريعتنا - مقيتٌ وسيرٌ في سراديب الغفاة
وغش للرعية ، وانحرافٌ وتدميرٌ لشتى المكرمات
لماذا تُقبلين على التدني وتجرفين نحو السيئات؟
وتجاهدين في العصيان ، حتى أقمت على الفجور البيئات؟
وتحتالين - عمداً - في دهاء؟ وتختلقين أعتى الترهات؟
وتنتحلين أذراً تهاوت؟ وتفتتنين أخزى الافتئات؟
وترتجلين أجوبة عليها تفوقُ فيرى أراجيف الخِوَاةِ؟
وترتحلين من دار لأخرى وتنحدرين في درك الغِوَاةِ؟
لماذا تؤثرين دجى الخطايا وترتكبين أنكى المنكرات؟
فهل غريبة تبعت هداانا وجاءت تبتغي طوق النجاة؟
وزايلت الضلال ، ولم تعقب وسارت في دروب المؤمنين؟
وفاصلت الديار ومن عليها وأعلنت التسليح بالعظوات؟
وهل غريبة هانت عليها عقيدها ومعوج الصفات؟
فمجت خمرها وقلت غناها وكفت عن متابعة العُتَاةِ
وعاهدت الرفاق على افتراق عني ما به أدنى التفات

وجدت في اتباع خطى التقاة
تعالج بالضياح رضى الحياة
وسارت في فريق الداعيات؟
وباتت تقدي بالفضليات؟
وخصت بالمديح المسلمات
لغادات الدير الخيرات
ولم تعبأ بحجم الشائعات
على أيدي الجلاوذة الجناة
لمظلموم تدثر بالسكات
ونالت من أساطيل الغزاة
تترجمها صدي كل اللغات؟
وتعتنا بأطياب السمات؟
وأهلاً للمضياء وللثبات
وأهلاً أن نخل المشكلات
تعاني الدهر من ظلم الرعاة
تقود الناس جبراً للممات
وأهلاً أن تزيل المعضلات؟
لماذا كنت إحدى (الإمعات)؟
لقد أمسيت إحدى التانهات
وأنت اليوم إحدى الضائعات

ونأوت التحلل والدنايا
وجاهدت التهتك في ديار
وبالأخلاق نادت في اعتزاز
وهل غريبة مدحت همدانا
وشادت بالشريرة والمعالي
وأبدت حبها ، ولو ادعاءً
وأظهرت الولاء ، ولم تهاجم
وأنصفت الألي ظلموا كثيراً
وقالت كلمة الحق انتصاراً
وصدت هجمة محقت قراناً
وأقلت خطبة في الغرب عصماً
وهل غريبة تثني علينا
وتجعلنا لنيل العز أهلاً
وأهلاً للقيادة رغم ضعف
وأهلاً للريادة في بقاع
وأهلاً للسيادة في عبيد
وأهلاً للحضارة والتحدى
إذا كان الجواب بـ (لا) فقولي
فواجباً لأمرك يا سلمي
وضيعة الكثير من السجايا

بألوان الحشائش مُعشبات
بطعم النيل ، أو طعم الفرات
لكي تنشد من كل الجهات
يفوق اليوم ترجيع الحُداة
تضاعل عنده شدو الشداة
تسير على الحشائش بالأنثاة
فمن وادٍ إلى أرض فلاة
به حفلة حكايات الرواة
لأثقال عليها مُقيدات
فسرب قد مضى ، وسواه آت
وتحزن إذ تقاد كأضحيات
تذكرنا بأقوام أبياة
فذرات تحن إلى صفاة
وكم للبحر يا كم من هبات!
وزايلت الروى والذكريات
وبعثرت المنى والأمنيات
يتوق لها حيي الكائنات
وكنيت بذاك شر الوالدات
وبعد أراك أفسدت البنات
ومن - في الناس - مثل التانبات

تناسيت البداوة في فياف
تناسيت العيون تفيض ماءً
تناسيت الخيام لها حبال
تناسيت البعير له رغاءً
تناسيب الشياه لها ثغاءً
تناسيت الأرناب في البريا
تناسيت الغزال له انطلاق
تناسيت الحمير لها نهيق
تناسيت البغال لها احتمال
تناسيت القطا مثل السرايا
تناسيت الخراف لها انسجام
تناسيت الصقور لها فضاءً
تناسيت الكتيب له اتساق
تناسيت القلائد من لآلي
تناسيت المناقب لا تُبارى
تناسيت المفاخر ليس تُنسى
تناسيت المبادئ في الثريا
وقلدت الكوافر في اعتقاد
وأفسدت البنين بكل قصد
يمين الله ، إن التوب خير

فعودي للحنيفة ، واسـتقيمي
ولا يغررك ما صنع الخزايا
ولا تردى المهالك بالمعاصي
ضياءك في التهتك ، فاستفيقي
يعز علي ما قد بت فيه
وتحزن خاطري نفس تـدسنت
ويبكي مهجتي تهريج ذات
ويحترق الفؤاد لـمـا دهاها
ويكـويني التجـلد للرزايا
أغار عليك خبأ واحتساباً
أخاف عليك من عقبى التدني
فأجهر بالنصيحة عل أختأ
وتعزم أن تتوب بغير عود
وتحترم النصيحة لا تُداجي
حياتك إن أقمـت الشرع حصن
فلا تهني ، ولا تأتي الخطايا
فخافي الله في سر وجهر
ودين الله يعصم كل فضلى
ودين الله يرزقك التسامي
ودين الله منبع كل خير

فهيا ، والحقى بالعائدات
ألا انتبهي لسحر المغريات
ولا تتعللى بالعاصيات
وقد سقت الأدلة واضحات
ويقطع في مخيأتي وذاتي
وفاقت - في الهوان - توقعاتي
تميد من الغداة إلى الغداة
ويخنقني أنين توجعاتي
ولا أقوى على ألم الشكاة
وفيك أطيل بعض تأملاتي
وأشفق من نزول الحادثات
تقدر جهد هذي التضحيات
وتضجر من مصير الهازلات
فإن النصح خير الأعطيات
يقيك اليوم شر العاديات
وتقوى الله أجعلها وصاتي
وتقوى الله سممت الخاشعات
ويهدي - للرشاد - النيرات
فلا تأتيين إلا الطيبات
فعودي للعقيدة والصلاة

تزيدك خيبة وتحسرات
على التقوى ليرتشف العظمت
غدا حرباً على المتبتلات
مساوئها تخط الدوائر
وتأى عنك كل الموجعات
كمثل المؤمنين الأوليات
وتفني الناس أسباب الوفاة
وهاتي من صريح الوعد ، هاتي!
عديني أن تفقي من سبات
فلا ألقاك في رب العصاة
تخرقه دموع التائبات
متاباً فيه حزن النادمات
لأن التبرك طبع المذبرات
لأن الستر شأن الطاهرات
فصوم النفل دأب الصالحات
ومن - في الجود - كالمصدقات
وصدق القول تاج الصادقات
كمثل الملهمات الشاعرات
تغرّد في فضاء المكرمات!
تنوء بغصبة الصّيد النحاة!

وعودي للصيام لكبح نفس
وعودي للقيام يُعين قابلاً
وعودي للنوافل في عشير
وعودي للشريعة في ديار
وعودي للفضيلة تدركها
وعيشي - بالحنيفة - في شموخ
ودنيا الناس يوماً سوف تفنى
فماذا أنت صانعة؟ أجيبني
عديني أن تكفي عن سقوط
عديني أن تغيّر الوصايا
عديني أن يكون لك اجتهاد
عديني أن تتوب من قريب
عديني بالصلاة بدون ترك
عديني بالحجاب يزين حسناً
عديني بالصيام يزدك تقوى
عديني بالعطاء يزيل شحاً
عديني أنت أصرح من أناجي
عديني بالتفكر في قصيدي
فكم حوت القصيدة من معان
وكم في الشعر يا كم من رموز

وإن الشعر يهوى الراشـدات
وكـيـلا تـقـتـدي بالفاسـقات
وكـيـلا تـعـجـبـي بالمـرجـفات
إذ الإسـلام نور العابدات
لـه حـيـلٌ تغـر الفـاجرات
بـأن يرعـاك رب الكائنات
ويؤدني منك خير الصاحبات
بهذا الـدين ترجع للثقات
وتخلص مثل أتقى المخلصات
وتصبح من خيار العاملات
عن التقوى بتسفيه الدعاة
فإن الخطب يا أختاه عات
على الهادي نبي المعجزات
وأنعم بالمغـاوير التقاة!
ومن كانوا يواقيت الحياة

وأنت وجهة لك فيه وعي
هجوئك بالقريض لكي تنيبي
وكي تتمثلي القيم الغوالي
وكي تستمسي بالوحي فوراً
وكيلا تفتني ببريق هزل
وأختم بالدعاء بكل صدق
ويرزقك الهداية خير رزق
ويجعل منك مسامة تسامت
فتأخذ دينها عن أهل علم
وتؤثر طاعة المولى ، وتسمو
وقاك الله فتنة من تعاموا
سلاماً واغفري زلات قولي
وصلى الله ربي كل حين
وأصحاب كرام أيـدوه
وزوجات النبي وآل بيت

نعمة الأب

(أحد الأساتذة عنون لمحاضرتة بهذا العنوان (نعمة الأب). وراح يترجم للعنوان في مقدمة محاضرتة ، بتبكيك لطيف للعاقين ويعرّج على صور العقوق قائلاً: يجب أن تشكر الله نعم الأب أيها العاق. تلك النعمة التي لا يدركها إلا من كان من قدر الله عليه أن يولد من سفاح لا من نكاح شرعي. فاللقيط يُعير الدهر بأبيه غير المعلوم. ولو كان اللقيط عبقرياً أليماً من عباقرة العلم والأدب لظل يعاني مادام ليس له أب ، ولو كان ذلك الأب كافراً. ولا يزال الحطيئة الشاعر يعير بأنه لا أب له إلى يوم الناس هذا. وإلى يوم القيامة! المهم كان عنواناً غريباً للمحاضرة لم أكن قد سمعت مثله في حياتي. وبعد سماعي للمحاضرة أيقنت أن هذا العنوان غاية في الأهمية ، إذ هو يضع أصابع أهل العقوق على موطن الخلل ومكمن الداء ومحك العلة. كما أنه يحرّجهم بهذا العنوان (نعمة الأب). ومن هنا جعلته عنوان هذه القصيدة بكل فخر ، لأضرب على هذا الوتر ، ولأطرق ذات السبيل ، مقرأً عين الحقائق ، وحاكياً إياها شعراً. ولأعرج على الآداب التي ينبغي أن تدخر للوالدين لكبير جميلها وفضلهما ، ولعظيم ما أسدياه من المعروف للأبناء والبنات. كما لا يفوتني أن أشكر للأستاذ المحاضر صاحب هذا العنوان الجميل ، وإن كان في غاية الغرابة. وأوصي كل ابن وابنة أن يراجعا وصايا القرآن التي عنيت ببر الوالدين. وكذلك أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم – التي أمرت ببر الوالدين ، والإحسان إليهما وحذرت من عقوق الوالدين. إن وجود الأب يعفي الابن أو الابنة من إجابة سؤال لا جواب له أصلاً: (من أبوك؟ أو ابن من أنت؟) والجواب: لا أدري! لأنه لا أب له ، وليس ابن أحد معلوم. فمهما بلغ اللقيط من الشأن في الدنيا علماً وأدباً وخلقاً ومالاً وغني ، ومهما حصل في الدنيا من المصائب والمراتب ، ومهما نال من الشهادات العليا حتى أشار الناس كل الناس إليه بالبنان ، فإن هذا السؤال هو قاصمة الظهر بالنسبة له: (من أبوك؟) وود لو أخذ عنه المال والجاه والمنصب مقابل أن يكون له أب ينسب إليه ، ولو كان ذلك الأب وضيعاً أو حقيراً أو على أسوأ افتراض كافراً! وإذن فالدعي اللقيط لا يملك الجواب ، وود لو اشتراه بما ملك كما أسلفنا. ومهما كان الأب على درجة لا حدود لها من الفجور أو حتى في أعلاها وهو الكفر (إذ ليس بعد الكفر ذنب) ، فإنه أي الأب الذي هذا حاله يدفع عن الابن جواب السؤال المرير: (من أبوك؟) ، ولا ترجحه كنوز الأرض إن أراد الجواب عليه. ** من سورة (ن) يقول الله: (عُتِلَ بعد ذلك زعيم). أقول والزعيم: هو الدعي اللقيط الذي لا أب له ولا أصل. يقول حسان بن ثابت:

وأنتَ زعيمٌ نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفردُ

وقال شاعر آخر لم أعتز على اسمه حسب اجتهادي:

زعيماً تداعاه الرجال زيادة كما زيد في عرض الأديم الأكارعُ

وعموماً سواء عنت الآية الوليد بن المغيرة (وهذا مستبعدٌ تماماً لأن دليله وإهٍ للغاية) ، أو الأخنس بن شريق الثقفي (حليف بني زهرة) (وهذا كسابقه مستبعدٌ تماماً لأن دليله وإهٍ للغاية) ، لأن الوليد بن المغيرة والأخنس بن شريق لكل منهما نسبه ومعلوم من أبوه! ورواية ابن عمر التي دار فيها الحوار بين الوليد بن المغيرة وأمه – مكدوبة ولا أصل لها ولا وجود لها في كتب السنة المعتبرة إلا بصيغة (روي) التمرضية الواهية! أما رواية البخاري عن ابن عباس أن الزعيم كان رجلاً من قريش له زمة كزمة الشاة بها كان يعرف ويميز! إن هناك شبه إجماع بين المفسرين والمحدثين واللغويين على أن من معاني كلمة زعيم أنه

ولد الزنا والابن لا أب له ولا أصل إنما هو لقيط قد نسب إلى قوم ليس منهم. وإن حاز ما حاز من المجد والثروة والسؤدد فإنه يظل هكذا حياً وميتاً! ** وفي الحديث: (لا يدخل الجنة ولد الزنا) وكذلك (ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه) ، وفي رواية ابن عمر أن الوليد بن المغيرة كان يملك ألف ألف دينار معها تسعة آلاف مثقال من الفضة. ولقد سأل الوليد أمه قانلاً: أعلم أن محمداً ما كذبتني ، وكل الذي قاله في صحيح إلا قوله (زنيماً) فأصدقيني يا أم: من أبي؟ فأخبرته بالقصة الواهية متناً وسنداً! وأنا هنا أورد ذلك من باب التاريخ لا من باب التوثيق! وإنما الذي يعينني هو التحقيق اللغوي لمعنى كلمة زنيماً! فمن معانيها شديد الخصومة وكان الوليد بن المغيرة كذلك على الراجح من أقوال أهل العلم! ومن معانيها الذي لا أب له وهذا لا يصدق أيضاً في الأخنس بن شريق كما أسلفنا وفصلنا! وهذا المنحى اللغوي الذي أريده! ** وسبحان الله ، أغلب اللقطاء واللقيطات - على مدار التاريخ الإنساني (عندنا أو عند الغرب) - كانوا أهل فجور ومعاص. فإن أغلب الراقصين والراقصات والفنانين والفنانات هم من أبناء الملاجيء وإصلاحيات الأيتام ومن دور البغاء والزنا. وقد طالعت غير مرة أن بيوت البغاء وكذلك الحانات في الغرب تقوم على اللقطاء واللقيطات. وعندنا على ذلك مثال أفردته لأنه مسلم ، أسلم في زمن الخلفاء ، يعني بعد موت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وهو شاعر للأسف ، إنه (الخطيئة) الذي يسمى (جرول بن أبي مليكة). عمر من عهد النبوة إلى خلافة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكان شتاماً ، وتقول الروايات الثابتة أن عمر - رضي الله عنه - كان قد اشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف دينار ، ثم لما مات عمر عاد الخطيئة إلى ما كان عليه من الهجاء واللعن والسب والشتم. وسبحان الله العظيم أننا بشهادة الواقع والتاريخ قد وجدنا أن القليل القليل من اللقطاء واللقيطات كانوا أصحاب قيم ومبادئ ومساهمات طيبة في الرصيد الإنساني. بل كان معظمهم أهل ضلال وانحراف وإفساد في الأرض بغير الحق. وكأنه الانتقام من الناس وتدمير حياتهم نظراً للعقد النفسية التي تعتور اللقطاء. وإذن فنعمة الأب لا يدركها العاقون المتمردون على آباؤهم في هذه الحياة. بل يدركها تمام الإدراك من حرماها من الذين ابتلاهم الله - عز وجل - بأن يكون أحدهم لقيطاً. قد جاء إلى هذه الحياة من أدنس أبوابها (باب الفجور والعهر). نعم جاء ثمرة لشهوة زانيين فاجرين! وإن لم يكن له ذنب في ذلك ولكن يبقى عار وشنار النسب يهدده ويتوعده أينما سار وأينما ذهب ، كأنما هو شبح ماثل بين عينيه. والحقيقة التي ينبغي على الكل أن يعلموها ، هي أن الولد أمانة عند أبيه! وكذلك الوالد أمانة عند ولده! فمتى كان الولد قادراً على إيواء أبيه ورعايته والاهتمام به وبشؤونه فإنه يفعل ذلك كله على الوجه الأكمل مبتغياً لأجر من الله! وعليه أن يبالغ في الإحسان مرتين ، لأن هذا الرجل الذي هو والده أحسن إليه وكفله ورباه وهو (أي الابن) أضعف ما يكون! وعلى افتراض أن هذا الرجل (أي الأب) فعل ذلك لهذا الصغير ، وكان الصغير من غير أولاده في النسب ، لتعين على هذا الصغير وقد كبر وصار في عداد الرجال أن يحسن إلى هذا الذي رباه صغيراً (إحساناً واحداً لأن هذا الرجل رباه وأحسن إليه وليس الابن من صلبه ولا يحمل اسمه كما أسلفنا)! فما بالنا إذا كان هذا الذي رباه صغيراً أباه؟! فيكون الإحسان مرتين: (الأولى لأنه أب ، والثانية لأنه ربي وعلم ونشأ وأحسن ، فيكون هناك قاسم مشترك بين هذا الأب وبين الذي ربي الابن الذي لا يحمل اسمه ولا هو من نسبه في شيء ، ذلك القاسم المشترك هو التربية والرعاية والإحسان)! وعندما ضاعت الأمانة لم يعد بر بوالد ربي ورعى وأحسن من أي نوع كان! وتحت عنوان: (الخلق المفقود : الأمانة) يقول الأستاذ يحيى بن موسى الزهراني ما نصه: (ساعات الأخلاق وساعات المعاملات ، وتغير الحال عما كان يجب أن يكون عليه من الألفة والترابط ، والاتحاد والتماسك ، والصدق وأداء الأمانة. وقعت الخصومة والشحناء بين الأقارب والأباعد ، وبين الجيران والخلان ، بل وقعت الخصومة بين أفراد الأسرة الواحدة ، ونسأل: لماذا؟ والجواب: لأننا ضيعنا الأمانة ، وفرطنا فيها ، وخنا العهد مع الله ، ومع خلقه ، الأمانة وما أدراك ما الأمانة ، إنها الخلق الكريم والنادر الوجود اليوم ، إنك

تبقى أياماً وشهوراً تبحث عن رجل أمين ، ولا تكاد تجده ، تبحث بين المئات ، ولا أحجف إذا قلت بين الآلاف من الناس فلا تكاد تجد رجلاً أميناً ، لا أقول ذلك جزافاً ، أو رجماً بالغيب ، بل هي حقيقة منذ زمن بعيد ، واليكم الدليل :
 وصدق الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم ، فأين لأمانة اليوم؟ إن الأمانة تزول عن القلوب شيئاً فشيئاً ، فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفتها ظلمة كالوكت وهو اعتراض لؤن مخالف للؤن الذي قبله فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها ، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استفراره فيه واعتقاب الظلمة إيأه بجمر يدرجه على رجليه حتى يؤثر فيها ثم يزول الجمر ويبقى التفتت وأخذه الحصة ودرجته إيأها أراد بها زيادة البيان وإيضاح المذكور). هـ. ألا فليتنق الله كل عاق لأبيه وليرع الأمانة! فوالله لو لم يقدم أبوه له أي شيء - إلا (نعمة الانتساب إليه) ، تلك التي رفعت عنه خزي و عار أن يكون لقيطاً - لكفته وأغنته. وليعلم أن الأب نعمة له ولو كان كافراً! والآن لنتابع قراءة قصيدة (نعمة الأب).

حبل الأبوة بالتكريم متصل	وقطعه يجعل الإنسان يُبتذل
تشقى البُنة إن فاتت أبوتها	وباللقيط هل الحياة تحتفل؟
يحيا اللقيط ذليلاً رغم عزته	ولا يكون له - بين الورى - ثقل
ويزدرية - من الأنام - أرذلهم	لأن ميزانهم يشوبه الخلل
ولا يُشفع - في الأمور - يطرقتها	ففي شفاعته يعشعش الفشل
ولا يُزوج من أصيلة شمخت	بأصلها ، حيث بالكرام تتصل
ولا يُقر على حق يدين به	إذ إنه - عند جل الناس - مختبل
ولا يطاع له أمر رآه هُدى	لأنه - عندهم - فردّ به خطل
ولا يُؤمر في أهل ، ولا سفر	وليس يُسند - في يوم - له عمل
ولا يُخول سلطاناً يسود به	والدار سجن ، وكل الأرض معتقل
والعيش ذل ، فلا عز ولا شرف	وإن يكن أسداً ، فإنه حَمَل
ويأكل الناس رغم الأنف سُمعته	وسيء الصيت لا يسمو - به - رجل
ويستبد به تشوية من طعنوا	فيسكتين لمن - بشأنه - هزلوا
ويسرق الناس أمالاً تداعبه	إذ إنه هدف يؤذيه من سفلوا
يدين بالفضل للصّيد الألي عطفوا	على رضيع - بدمع الخزي - يكتحل

خلف الجدار - لديه - الدودُ والجَعَل
من بعد ما ضاقت الخُلول ، والوَسَل
وَجُرْحُه ليس - بالحنيب - يندمل
وفوق خديه دمغ العين ينهطل
إذ البريء - على القدير - يتكل
قد خطه اثنان - في عقليهما - خَبَل
من البلاء ، إلى أن يكْمَل الأجل
قسراً معالمها ، فهل سيحتمل؟
وعزمه - في جوى الضياع - منجدل
ولن يُجيب - على إلحاحها - الجدل
وهل لمثلي - على البلا - حِيل؟
أمست - بعرضي وما ألقاه - تشتغل؟
وليس يصرفها زجرٌ ، ولا وَجَل
وأين قومٌ له همومُه حملوا؟
فبالقراية بعضُ الضنك يرتحل؟
والعار باق ، وإن تقلّو الفتى العِلل
من الهلاك ، فيا بُشرى الألي كفلوا!
والمحسنون - لهم على الورى - نبُل
ولا يمارسه الأخيَّاسُ والسفَل
وبالأب الفذ - دوماً - يُضرب المثل

والبر يجتر ما حَوَت لفافته
يلوك - من قسوة الحياة - أشرسها
يبكي ، وتخنقه أناتٌ وحدته
يرثي الأبوة قد ماتت طهارتها
ويشتكي - لمليك الناس - كُربته
ويستكين لحال بانس لجب
والغيبُ محتفظ بما سيلحقه
والعائدات على الجبين قد سطرث
وقلبه - في مريع الوجد - محترقٌ
وتستبد به - في المهد - أسئلة
ماذا تخبئ لي الأيام من محن؟
وكيف أقوى على إيقاف السنةِ
ثمسي جِداداً على حال بليتْ به
ماذا أقول إذا ما قيل أين أب؟
وأين عمٌ له يُجل نسبته؟
هذا الرضيع بعار الذنب متسخٌ
يدين - بالشكر - مجبوراً لمنقذه
ويذكر الفضل قد جاد الكرام به
والعُرف يبقى وإن أهل السخا ذهبوا
(ونعمة الأب) جاة عز جانبه

في نفس كل فتى ، وبعد يُعتدل
وعطفه - في دنا أهل الشقا - ظلل
ودوره - بسنا الأخلاق - يكتمل
لأن آباءهم - في دورهم - فشلوا
ومن مناقبها الأخلاق والمثل
وبين ذي نسب - بالصَّيد - يتصل!
أن يسـتقيم ، فأيام الفتى دول
أملاه رب الورى ، سينتهي المهل
لأن كـل أب - لله - يبتهل
ما كان لي - عن سنا تكريمه - جـول
لكي أوقره ما عاش ينتعل
أعينه ، إنما جميله جـل
ولا توفي جميل الوالد القبل
وكم أبانت حقوق الوالد الرسل!
والأمر إما عصى فليس يمتثل
فلم يثب سعيه هزل ، ولا زل
وعبها - في الورى - كأنه الجبل
واهد الذي عاقه - عن بذله - المـل

وبالأب الشهم تُبني كل مكرمة
وعنه يدفع أعداء به ظفروا
يشقى لئسـعه ، ولا يُعنفه
به يُفاخر من أولادهم همج
إن الأبوة نبراس له ألق
شتان بين زعيم لا أصول له
لذا أوصى الذي يُعق والده
كما يدين يُدان ، فلا يُغر بما
وسوف يُقتص منه ، اليوم قبل غد
لو كان لي - بين آلاف الرجال - أب
ولاحترمت نعالاً كان يلبسها
ولانبريت - له - في كل نائبة
ولاحتفيت به مُقبلاً يده
كم آية في كتاب الله تكبره!
وليس يُعصى أب في الأمر يأمره
وكم فتى خصه - بالفضل - والده!
إذ الأبوة تكليف وتربية
يا رب أكرم أباً أعطى بلا ملل

لبنانية

(شاهدتها تبكي على شاشة التلفاز. وكانت تهتم بالبحث عن شيء من الطعام في صناديق القمامة حتى تقدمه لأطفالها الذين كانوا يتضورون من الجوع. حيث إن يهود قد قتلوا زوجها الصيدلي في صيدلته غدرًا. وغلبت الدموع هذه الأم البائسة عندما كانت مذيعة إحدى القنوات الفضائية تحاورها حواراً حياً عن محنتها. فلم تستطع أن تكمل - للعالم المتفرج - قصتها المأسوية. فرأيتُ أن أكمل قصتها تلك بالشعر والدمع معاً. عساني بهذا أن أكون قد أديتُ بعض ما علي من واجب حيال أحببنا المسلمين المؤمنين الموحدين من أهل لبنان الجريح. وأوصي هذه الأخت باحتساب زوجها الصالح عند الله تعالى ، وألا تحزن ، وألا تياس أبداً وأن تحسن الظن بالله ، وتنتظر الفرج القريب. وعسى الله أن يأتي بالفتح ، أو أمر من عنده! والشعر في حقيقته شعور قادت إليه عاطفة وإحساس ، ثم تمخض عن ذلك كله نص أو قصيدة! ولقد أعملت شعوري وإحساسي وعاطفتي في حديث هذه الأخت البائسة المسكينة! فأثبت الشعور شعراً ، وكانت هذه القصيدة ترجمة لما حدث لها ولزوجها! تلك القصيدة التي كتبته بلغة خاصة ونذرت لها كلمات وتعبيرات وأساليب خاصة كذلك! وصدق من قال: (للشعر لغة خاصة ، لا تعني بها اللغات الألسنية الساندة والباندة ، لكنها لغة مختلفة محلقة في فضاءات غير محدودة من المتخيل الذي تتخطى من خلاله حدود التصريح والتقرير والتسمية المنطقية. هذه اللغة قوامها المجاز ، ومحور ارتكازها موهبة سيالة لا تقتات على البقايا ولا تعرف الجمل الاستهلاكية المعلبة مسبقاً. يصف البلاغيون في كتاباتهم الشعر بأنه كلام موزون مقفى ولكن هذا التعريف وإن كان واجباً في كل زمان ومكان ، وفي إطار وعي معين ، فهو صالح كل الصلاحية في هذا الزمن الذي يحيل هذا التعريف الى التطبيق العملي لكل شاعر لكي يكون كلامه شعراً! بعيداً عن الشعر الحقيقي ، لا يمكننا التفاعل مع أي نص! ولذلك يتعب الشاعر الحقيقي في تجديد أفكاره ، ولغته ، ورواه المختلفة ، ليكون مختلفاً قدر الاستطاعة في زمن التشابه ، ليقترّب أكثر من اللغة الشعرية التي تحوّل الحديث الى كائن حي له كيانه وله شخصيته ، وليس مجرد أداة تعبيرية جامدة. التفجير الواعي للغة ، معادلة صعبة لا يستطيع الإمساك بجميع أطرافها إلا شاعر متمكن وموهوب وواسع الاطلاع، يتعامل مع المفردات بوعي ومسؤولية واحترام لقارئه ومنجزه الشعري. ومثلما توجد اللغة الشعرية ، فهناك اللغة المضادة للشعر التي يصفها الدكتور سعد البازعي بأنها: اللغة التي تحمل من كولسترول الألفاظ أكثر من غذاء الدلالة في هذا الجانب لا بد أن نركز على نقطة مهمة جداً ، وهي أن لغة الشعر هي لغة زمنها فكل عصر سياقاته التاريخية والاجتماعية والاقتصادية التي تلقي بظلالها على كل شيء. ومن ضمن ذلك القصيدة الشعرية.) والحقيقة أن حديث الأخت اللبنانية أثر في جداً ، وألفيتني أهتدي إلى مطلع القصيدة!)

دمعُ الأبيّة - فوق الخدّ - منهمرُ	ونارُ محنتها - في القلب - تستعرُ
والآه - في صوتها - طفّ الأنينُ بها	والحزنُ يحرقها ، والوجد ، والضجر
وفي العواطف من وخز الأسى ألمّ	وفي المشاعر - من فرط الجوى - أثر
وفي الأحاسيس من ظلم العدا شجنٌ	وفي الضمانر - من تدميرهم - صور
وفي السرائر من هدم البيوت لظى	يببدو - على الناس أحياناً - ويستتر

وفي النهى أسفّ جادت - به - الغير
وعزمها قد دهاه الرعب والخور
وقلبها - من صدى المأساة - ينفطر
ألفيتُ دمعي - على الخدين - ينهمر
أضحى يباهي - بها - الدنيا ، ويفتخر
وفوقها الخمر السوداء والجبر
وصوتها - بدموع الحزن - مؤتزر
إن الدموع توّعي مَنْ - له - نظر
فمنه - عز وجل - النصر ، والظفر
وكسرُ قلبك يوماً سوف ينجبر
يدعو الغفاة ، لعل الناس تعتبر
أبياتها - في الظلام - الأنجم الزهر
(بيروت) والدور ، والسهول ، والنهر
كانت ترتل - فيها - الآي والسور
أن التقاة بيوت الله قد عمروا
كيد اليهود ، بما خانوا وما غدروا
قصفُ العدو ، فهل جاس القرى التتر؟
قومٌ بنا - ويحهم في غفلة - مكروا
حقّد من الكفر ، لا يُبقي ولا يذر
غِل يعيش - فيه - اللوم والدبر

وفوق عاتقها - من الهموم - ربا
تسير ، والقلق الدامي يُسربلها
وتشتكي كُربا تودي بهمتها
لما نظرتُ لها ، تروي مصيبتها
وخاطري - من سنا إيمانها - جزل
لم تُنسها المحنة الشجوا عباؤها
لم يبدُ منها سوى عينين قد همتا
والدمع أبلغ من دمع تغصّ به
إن سلمتُ أمرها لله في ثقة
دمعي بدمعك يا أخت الهدى اختلطتا
مازال دمعك - في الأصقاع - داعية
ترين سطرث من شعري معلقة
بكيثُ فيها على أطلال قريتنا
بكيثُ فيها على مساجدٍ هُدمت
كانت تقام - بها - الصلاة شاهدة
بكيثُ فيها على العمران جندله
بكيثُ فيها على الأطفال قتلهم
بكيثُ فيها على البيوت دمرها
بكيثُ فيها على الزروع حرّقتها
بكيثُ فيها على البلدان خربها

ودمعها - في عيون الصّيد - يعتمر
تزول - في عزّه - الأوجاع والخطر
وقودها الدور ، والبلدان ، والبشر
فليس تحت يدٍ سهم ، ولا وتر
وليس - فيها - سهام خلفها سُمر
وليس - في البر - ألواح ولا دُثر
وبعدُ (قانا) دِماها - اليوم - تنحدر
هل ذنب من قتل الأطفال يُغفر؟
تُرجي الدمار بها ، كأنه المطر
كأنما الأمر - في (لبنان) - ما أمروا!
والأبرياء - على هذا الردى - قهروا
ودمغ عينيك - في مصابنا - هدر
يوماً سينتصر الأشواس الغرر
يسوقنا ، إننا - يوماً - سننتصر
وظلفك الجائع الظمآن ينتظر
وهل هنالك - من هذا القضا - ورر؟
وأمر ربك - يا أخيتي - قدر
وفي الألي امتحنوا - والله - مزدجر
حتى يميز تقاة الناس مُقتر
عند الرحيم ، فهذا شأن من صبروا

(لبنان) أمست لهذي الحرب باكية
كانت تؤمل فجراً فيه نهضتها
لكن دعتها من الأعداء مذبحه
والشعب أعزل إلا من كرامته
ولا مدافع - في الديار - تمنعها
وليس - في البحر - فلك للفرار بها
دماء (صبرا وشاتيلا) لقد سُفكت
فما ارتوت هود من دماء من ذبحوا
غاراتهم فوق (بيروت) مزجرة
ويزرعون - بها الألغام - دون حيا
فوق الديار جحيم من قنابلهم
حتى رأيتك يا أختاه صابرة
لا تيأسي من غياب النصر واحتسبي
لا تجزعي إن رأيت الكفر في صلف
كسرات خبزك من قمامة جمعت
وقربة الماء - في يمينك - لاعجة
هذا نصيبك - يا أختاه - فاحتملي
وسنة الابتلاء المر ، فازدجري
لا بُد من محنة تنفي من افتتنوا
وزوجك الصالح التقى ، فاحتسبي

إني أعيذك أن يطغى عليك هوى
وبعك اليوم في الجنات نحسبه
قد عاش يُعطي الدوا لمن به علل
واليوم يُهدي لنا دواء خيبتنا
دواؤه اليوم - للمهزوم - نصرته
يرجو لنا العز يسمو في مدارجه
قد كان يكلكم بعطف رحمته
واليوم ودّعكم بدون موعدة
إني أعيذك في دار وعائلها
يا أخت لا تسامي من عيش أرملة
لا تحزني في عصور الظلم أو تهني
كنا نؤمل في ذا العصر معدلة
حتى تعود حقوق الخلق قاطبة
كنا نتوق ليوم فيه نصرتنا
بالأمس كانت لنا في الأرض هيبتنا
رباه فالطف بنا في كل مُعترك
وتّم الفضل ، وانصر عُصبة غلبت

بل جاهدي مثل من إن ذكروا ذكروا
ولا نزكي ، وفي موت الفتى عبر
وبالتداوي يزول البأس والضرر
حتى يزول الأسى والحزن والكدر
وليس ينفع - من يُصغي له - حذر
وإننا - للعلا والعز - نفتقر
هو الحياة لكم ، والشمس والقمر
حتى يطول - بليل الصدمة - السهر
والصابرات لهنّ الأجر مدخر
تنعي الصبا ، وعلى جبينها قتر
يوماً سيخذل رب الناس من فجرها
مثل التي شادها في عصره (عمر)
لكنة الظلم - بين الناس - ينتشر
على الطغاة الألي - بربهم - كفروا
والهيبة اليوم لا صوت ، ولا خبر!
وجازنا مثلما جازيت من شكروا
فمن نصرتهم ، هم الألي انتصروا!

الثعبان حارساً

نشرت جريدة الجزيرة في عددها (852) أن رجلاً استقل ابنه ذا السنوات الثلاث إلى مزرعته عبر سيارته. وبعد ساعة لم يجد الولد فبحث في كل مكان دون جدوى. فاستقل سيارته لإبلاغ الشرطة. فإذا بمحمد (ولده) نائم في السيارة ، وقد التف حوله ثعبان طوله متر تقريباً. فتوهم الأب أن هذا الثعبان قد لدغه وأنه ميت بالطبع. يقول: فذهبت لإحضار عصا ، فاستيقظ محمد وصاح ، ونزل الثعبان من باب السيارة! فسبحان من له في خلقه شؤون. أرسل الله ذلك الثعبان ليس ليلدغ ولكن ليحرس. ولما جاء من كان يجب أن يكون حارساً وهو الوالد ، انتهت مهمة الحارس المناوب (الثعبان). ولذا ودّع الجميع ، ومضى إلى حال سبيله ، وكأنه يقول: لقد انتهت مهمتي بمجيبك أيها الأب والسلام. إن الغابة التي نعيش في أرحابها والتي البقاء فيها اليوم للأقوى ، يجب أن يطالع قصيدتي هذي كثير من أهلها من الحيتان الآدمية والوحوش الكاسرة - من بني الإنس - إنني أنشدت من شعري هذه القصيدة ليعتبروا بهذا الثعبان وحتى يعلموا أنهم في مرتبة هي دون هذا الثعبان ، ذلك الحارس الأمين المخلص. إن العصابات التي تسرق الأطفال وتتخذهم رهائن لكي تبتز المال من أهليهم وذويهم مقابل استرجاعهم ، والمجرمين الذين يسرقون الأطفال لتقطيعهم وجعلهم قطع غيار تباع كقطع غيار السيارات والآلات ، والمجرمين الذين يسرقون الأطفال لتشغيلهم في العهر والرذيلة ، والمجرمين الذين يسرقون الأطفال لبييعوهم للآخرين ويرتزقوا من ورائهم الأموال الطائلة ، والمجرمين الذين يسرقون الأطفال ليجعلوا منهم متسولين ، ثم يبتزونهم بعد حصولهم على المال من الناس ، إن هؤلاء جميعاً يجب أن يطالعوا هذه القصيدة. ومن هنا رحلت أنشدها مشيداً بأخلاق ذلك الثعبان الأمين ومعرضاً بالغابة والوحوش الآدمية التي ابتلينا بها وبمن فيها من الأوبد والوحوش الآدمية التي لا ترحم!

سَلُوا الصل عن طفل رآه فذابا	فناداه ، والصل الأميين أجابا
فنام وأضحى الصل في التوح حارساً	ليدفع أخطاراً تجر مُصابا
وقد ساقه المولى غيائاً ونجدة	يُصد عن الطفل العدا والذئابا
وربي لهذي - للأناسي - آية	تأملها خير صوئ وثوابا
لأننا نعيش اليوم تيهياً وفتنة	وأمسست قرانا - في الحقيقة - غابا
ويأكل بعض الناس بعضاً على الملا	فهل أصبحت أرواح قومي ذبابا؟

وأعراضنا هانت علينا ، فأرخصت
وأطفالنا في كل ضقع تشردوا
وأحوالنا يرثى لها ، بعد عزة
هزمتنا فما ثبنا ، وزالت رياحنا
ولم نكترث بالكيـد يغزو ديارنا
لهذا أقول: الصل أصفى سجية
فلم يفترس قط الفتى رغم جوعه
وديعته صينت ، فما مسها الأذى
خلال لنام الناس أولى ببحثها
ومن ذا على الأخلاق شب مفضلاً
مكارم أخلاق الفتى في سلوكه
وتمضي سويعات الفتى رغم أنفه
فعار عليه السوء يحشو كتابه

وأجبالنا تنعي الصبا والشبابا
ودور الكرام الصيد ولي ذابا
ذلننا ، وجرنا الأسى والترابا
وغبنا - عن الوعي السليم - غيابا
وذقت ضحاياتنا الدمار عقابا
وأندى عطاء ، بل وأزكى إهابا
بل انتقد العقبان ، بل والكلابا
وإن واجه الصل الأمين الصعابا
ليتبعوا كـيلاً يذوقوا العذابا
فحتماً عليه في الخلاق شابا
سبيل الهدى إن عاش لا يتغابي
وإن لكل عند ربي كتابا
ألا خسر الغر السفيه ، وخابا!

ارجعن فلقد آذيتن

(من ترف المترفين الجاهليين أن قام أحدهم بإهداء صاحبه مجموعة من الراقصات ، يرقصن فرحاً وطرباً في عرس الثاني. وما إن نزلن ونصبن الحلبة وترنحن ذات اليمين وذات الشمال ، حتى فتن الشباب والشباب. ولم يبادر أحد من هذين الفريقين بتغيير المنكر ، حتى جاءت امرأة تحركت فيها حمية الإنسانية ، وغارت على زوجها الذي ترنح مع الراقصات. وأخذت المرأة على أيدي الراقصات الفاجرات ، ولم يهدأ لها بال حتى رحلت آخرهن إلى الحافلة التي أتت بهن من المستنقع. وحملت هذه الحرة خيرزانة وخبأتها في عبايتها ، ولوحت بها في الهواء للراقصات ، فاخترن الحافلة طلباً للسلامة ونشداناً للنجاة ، بدلاً من الضرب والإهانة! والحقيقة أنني تعجبت من الشباب الذين صلوا العشاء في مسجدهم ، الذي هو قريب من السرادق الذي يجتمعون فيه للتهنئة والوليمة ، ثم يسيل لعابهم جميعاً على عواهر في عقدن الثاني! ألم تؤثر فيهم صلاة العشاء التي صلوها؟! ولم ينتفض غيور ليعظم شعائر الله ، ويتمعر وجهه لله تعالى غيرة على دينه الذي ينتسب إليه (الإسلام)! بالطبع لا! لأن الدين الذي هم عليه في عمومهم هو (الصلاة)! وفرق كبير بين الدينين: (الإسلام والصلاة)! إنه عندما يكون الدين هو الإسلام فتكون الصلاة جزء من أركانه وشسعيرة من شعائره! بينما عندما تكون الصلاة هي الدين فلا يمكن للإسلام أن يكون جزءاً منها! حيث لا يكون الكل جزءاً من الجزء كما هو معلوم بداهة! لم يقف رجل واحد من جملة من صلوا ليقول: لا للعهر لا للرديلة لا للتهتك لا للرقص! ويضع بذلك حداً لهذه المهزلة البغيضة! حتى أشرفت بنورها الأخت عائشة بنت محمد الجاري تحمل خيرزانتها المباركة لهؤلاء القحاب الرخيصات العاريات! ثم علمت أن هذه الحرة المحترمة هي أخت العريس ، فرحت بكل فخر أنشد لها هذه القصيدة بعدما قاطعت هذا العرس ، حيث إنني دعيت وأهلي إليه ، فلم نزل من سيارتنا. إذ إننا لا نقوى على إزالة هذا الرجس. فعملنا بقاعدة: إذا لم تستطع أن تزيل المنكر فزل أنت عنه! فتحية لك يا أختنا عائشة الجاري من بنيات البادية التي لم تتلخ بعد بدنس الجاهلية! والحقيقة أنني وعدت أولادها بإهدائهم القصيدة! ولكنني والله لم أستطع تحديدها من بين القصائد! فعسى الله أن تواتيني فرصة قادمة أرسلها لهم بناء عن طلبهم! وعلى العموم هم بمنزلة أبنائي كنت أدرسهم اللغتين العربية والإنجليزية صغاراً وكباراً!)

ومصيبة حلت على البُلدانِ

ارجعن يا عاراً على النسوانِ

ما باننا بطلائع الشبان؟

يا لعنة قد حطمت شُيابنا

إذ روجت للفسق والعصيان

يا خيبة محقت ربيع حياتنا

واسـتعذبتُ منها رقيعَ هوان
وسـعيرها كثواقب الشـهبان
غرستُ بأيدي فسقِ وزوان
والعـرضُ بيع بأبخس الأثمان
بخساً لأفحش تاجر أوزان!
كالكأس في يد مُدمن سكران
متحلياً بسـبانك العقيان
فـتنّ تصيب الصبّ بالهـذيان
بلآلى ، سـطعت على الفستان
متلألئ بشـعاعه الفتان
يسـبي خواطر كل ذي سـلوان
ألقاً يطيش بأعين العرسان
فـوق الجبين ، وأسفل الأذان
إذ فاق - في الفقرات - غصن البان
طرباً على الأتغام والألحان
مـن ساحر الأشكال والألوان
نظر الرجال عُذوبة النسوان
مـن ذا يطيق - اليوم - عُهر غوان
في خفةٍ وتغنّج وتفان
ورديّة في قمة الهيمان

يا محنة شابت عليها طغمة
يا فتنة عمّت ، وشبّ سـعارها
يا حربة الأعداء في أحشائنا
هانت علينا الكرامة والإبا
من كل ساقطةٍ تبيع جمالها
أمست بسوق الدعر أرخص سلعةٍ
ترجي الجمال مزخرفاً لمريده
خطواتها وكلامها ولحافظها
والعقد - في جيد المليحة - تحفة
والقرط يُبرز ما اختفى من حُسنها
وسوارها وقد ازدهى في معصم
وتناسق (المكياج) يمنح وجهها
وذوائب الشعر الرسيل تهدلت
أما القوام فقد سما في وصفه
ومعاطفُ العنق الجميل قد اثنت
حيز الجمال مقتطراً لمن اشتهى
وأمام أضواء تفجر وهجها
وتمايلوا فرحاً بكل خلاعةٍ
وتراقصوا: كلُّ يُقدم فنه
وترنحوا مستأنسين بسـهرةٍ

أمسى يُردد - في اللقاء - أغاني
وقد استكان لنزغة الشيطان
والشعر أشيب من قديم زمان
هي سنة الخلاق في الإنسان
والدمع منحدر السيولة فان
ويسيل - فوق الخد - كالطوفان
وفم بلا ناب ، ولا أسنان!
ويقول في سر وفي إعلان:
وبذلت نصحي في رطيب معان
أوليس يذكر لفة الأكمفان؟
وهو الذي جلب الأذى لجسان!
ما لم يكن أبداً على الحسينان
وشجاعةٍ دلت على الرجحان
والكل ركب مكرها بخصان
هو موقفٌ يحتاج جهد رزان
لتزيل ما قد ساد من أعفان
لتصول مثل الليث في الميدان
لتحول بين النوق والبعران
ولكي تعدل دفة الندمان
وبدون تقديم ، ولا استئذان

من كل أشيب هازل متوقح
ويعاجل الحسناء برقصه عابث
والظهر كالعرجون أو هو دونه
والوجه أرتته التجاعيد التي
والعين غارت والجفون تقرحت
والأنف يغمرها المخاط كنيبة
وأحيّة أكل المشيب عبيرها
ولقد رأيت الشيب يُنذر أهله
أنذرتكم إن كنتم لم تعلموا
عجباً أيرقص أشيب متندراً؟
ويبيت يحلم بالحسان صباية
حتى أتت بدوية قد هالها
أتت السرداق في سواد عباة
قد خمرت عن كل عين وجهها
قطعت عليهم رقصهم وفجورهم
جاءت ومن منهم يحب مجيئها؟
جاءت إلى الضلال تستبق الخطا
لتحق حقاً ، ثم تبطل باطلاً
لتعيد للعرس الكرامة والبها
جاءت تحمسها الحمية والحياء

جاءت تقول الحق دون مهابة
جاءت لتشهد أنها قد بلغت
جاءت وفي كف مجامع ثوبها
ويمينها حملت عصا تزهبها
وتكلمت فيهم بكل شجاعة
والكل أطرق للمقالة شاخصاً
لكنما لفتح النفوس أداؤها
وجموا كأن الطير فوق رؤسهم
والبعض أزرها ، وزكى فعلها
والراقصات هُزمن شر هزيمة
وجررن أذيال الندامة والأسى
وانصعن للكلمات دون تذمر
وركبن حافلة التحلل والهوى
أما خطيبة عرسهم فترجلت
والعرس صار بخير حال بعدما
وجزا المهيمن من أقام حدوده
وإذا استبيحت حُرمة نصح الورى
وإذا تمادوا لم يكن متملقاً

وبغير مال لف ، ولا دوران
واستهدفت زمراً من القطعان
فلربما ابتليت بطيش جبان
فلربما رُفعت عصا لفلان
بمقالة تُزري بأي بيان
والبعض أبدى لهجة استهجان
والصمت أجم ثائر الضيفان
واستسلموا لبلاغة التبيان
ودعاهم بالخير والرضوان
ورجعن في ذل ، وفي خذلان
في سهرة أفضت إلى الخسران
لمأرايين تغافل العُبدان
وكأنما أخطأن في العنوان
وسَط النساء إلى المحل الثاني
صدت (عووشن) هجمة العدوان
في هذه الدنيا بلا نقصان
ودعاهم بالصفح والغفران
بل ثار يربو رحمة الرحمن

كلبها كل شيء في حياتها

(إحدى المجلات الغربية كتبت عن إحدى بُنيات الغرب ، أنها صدمت صدمة عاتية بموت كلبها (ريكس) الذي كانت قد اعتادت أن تعمل عنده خادمة طيلة اليوم ، ليكون كل شيء في حياتها النهار والليل. فلقد طلقت من زوجها وتفرغت من ثم للكلب ، أو للزوج الجديد على حد تعبيرها الذي سجلته عنها المجلة. ولم أعجب كثيراً عندما طالعت الخبر الذي كان قد تناولته مجلات الغرب وصحفه ودورياته وإذاعاته. إذ إنها سنة ربانية في الناس ، عندما ينحرفون عن معبودهم المليك الواحد الأحد ، فإنهم يتخذون معبوداتٍ شتى. وهذه البلهاء لم تهتد إلا لكلب. وعن فواند تربية الكلاب: تقول الكاتبة الأستاذة فاتنة أبو العافية ما نصه بتصريف يسير: (يُعدّ الكلب من الحيوانات الأليفة التي يُفضّل الكثير من الناس اقتناؤها ، وتُوجد العديد من الفوائد التي يمكن جنيها من تربية الكلاب بأنواعها وفيما يأتي أهمها: الكلاب كحيوانات أليفة فالكلب يُقدّم لصاحبه حباً غير مشروط ، كما يُرفقه عنه ، ويُرافقه في معظم أوقاته. وفيما يأتي فوائده امتلاك الكلب كحيوان أليف: [١] تُقلّل الكلاب من شعور الإنسان بالوحدة ، بسبب تفاعلها المستمر مع مالكيها. والأشخاص الذين يمتلكون كلباً يظهرون أكثر سعادة واسترخاء. وأيضاً يعود استخدام الكلاب في الخدمات البوليسية إلى بداية القرن العشرين ، وما زال استخدامها لهذا الغرض مستمراً حتى الآن ، إذ تتمتع الكلاب البوليسية بحاسة شم قوية ، وفيما يأتي أهم الخدمات البوليسية التي يُمكن للكلب تقديمها: [٢] اكتشاف المخدرات المختلفة ؛ كالماريجوانا ، والكوكايين والميثامفيتامين ، والمتفجرات. تتبّع الأشخاص سواءً في حالات البحث والإنقاذ ، أو لاعتقال الجناة ، وذلك من خلال تقديم الكلب رائحة الشخص المستهدف ، ثم سيتتبّع الكلب رائحته والمسار الذي ساره ذلك الشخص من خلال التقاط الروائح البشرية الموجودة في الهواء. [٣] والكلب نافِع للشخص الكفيف: مساعدة صاحبه على التوقف عند الحواجز ، ومساعدته في تحديد منطقة العبور ، ويرشده عندما يمر في المناطق المزدحمة. تقليل شعور صاحبه من الشعور بالوحدة والاكتئاب ، لذلك فهو يُعدّ صديقه الموجود إلى جانبه لمساعدته على تجاوز المحن التي يمر بها. والصيد يُعدّ الصيد من أقدم الأدوار التي لعب فيها الكلب دوراً مهماً منذ ما يزيد عن ألف عام ، إذ كان الإنسان يعتمد على الصيد للحصول على الغذاء ، وكانت وظيفة الكلب جلب الفريسة للصيد ، وذلك بسبب قوة حاسة الشم لديه ، كما أنّه كان يُساعد الصياد على تحديد موقع الفريسة. [٤] أما في الوقت الحالي فقد تحسّن الأمر، إذ أصبح بالإمكان توفير الغذاء عن طريق الزراعة ، وتدجين الماشية وغيرها ، وهذا أدى إلى تقليل الاعتماد على الصيد ، إلا أنّ العديد من الأشخاص لا زالوا يُمارسون الصيد مع الكلاب كرياضة تُعزز الروابط بين الكلب ومالكه. [٤] الحراسة يتمتّع الكلب عادةً بالذكاء ، كما أنّ لديه الفضول ، وفيما يأتي أهم الفوائد من اقتناء كلب الحراسة: [٥] يُعدّ الكلب من الحيوانات التي لديها ردود فعل واستجابة سريعة ، ويجب اختيار السلالة المناسبة لهذا. [٦] تجدر الإشارة إلى أنّ الكلب يمكنه رعاية أنواع مختلفة من الماشية، مثل: البطة ، والدجاج ، والإوز ، والماعز ، والأغنام ، كما يمكنه مساعدة الراعي بإبعاد الماشية عن أحواض الطعام).هـ. ولسنا نختلف مع الأستاذة فاتنة في شيء من هذا ولكن يكون الكلب زوجاً! كلا! وعجيبات نساء الغرب في عشق الكلاب ، أكثر من عشق الرجال كما هي الفطرة الإنسانية المعهودة الثابتة. يقول الله تعالى: (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم ، وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون. فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون). وإن الكفار في الأرض الآن لهم النصيب الأكبر في هذه الآية. ويقول الله أيضاً مبيناً سنته في الكافرين. (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبهم الله بما كانوا يصنعون) ، ومن هذه الانتكاسات والعقوبات عشق الكلاب والتوله بها ، إلى هذا الحد الذي وقفنا عليه ، وتابعته وصورته شعراً كشاهد على الانحطاط والسفول والإباحية والتهتك ، تلك القواصم التي آل إليها الغرب! وما ذلك إلا بسبب البعد عن الله!)

إذ بات - للزوج الفقيد - بديلا

الكلبُ كُوفى بالغرام جزيلاً

وغدت له - بين الخرائد - كلبة
وأوامر الكلب العشيق مُطاعة
وكأنه - بين الخلائق - سيّد
فهو الصديق وكل شيء عند مَنْ
شغفت به حباً ، وصار حليلها
أمسّت تُبأدله الغرام تكلفاً
ويحبها ، وتحبّه بتوليه
فهو النديم إذ تحتم ظنّها
حتى يُسألها ، ويُبهج قلبها
ويخصّها بحنانه ، وغرامه
وهو المُعين على الدغول والعنا
وهو الأقارب في ديار مقامة
كم قدّمته لكي يحوز صدارة
وتبجحت حتى غدت للهائه
وكأنها جولبيت في أرج الهوى
جعلت له في كل سارحة يداً
واستعذبت - بين الأنام - نباحه
في حلها وكذلك في ترحالها
هو كل شيء في الحياة بأسرها
وجميلة فوق الرؤوس متوجّج

ياأوي إليها بكرة وأصيلا
تلقي - لدى من تجتبيه - قبولا
أمسى عظيماً ماجداً بهلولا
سأكت - إلى حُب الكلاب - سبيلا
يا قوم هل غدت الكلاب بَعولاً؟
وعلى محبته تُقيم دليلا
مثل الخليل ، إذ أحب خليلا
حتى يقدم طمعة وشمولا
ويُميط عنها خاطر المثكولا
وعلى الصبابة ينصب الإكليلا
ولكل مُعضلة يسوق حلولا
كم فضلته - عليهم - تفضيلاً!
وكأنه - عنها - غدا مسؤلوا!
تستروخ التقدير والتبجيلا
والكلب (رميو) يُتقن التمثيلا
حتى غدت يده الحسيرة طولي
وكأنه كلمات (روميو) الأولي
صحبته يعمر رَحَلها محمولا
هو عبقرِيّ ، يحمل القنديلا
ولذا يكافأ - بالجميل - جميلا

وله الرقيعة كم أذلت نفسها!
حتى إذا ما مات قد فجعت به
والجيب شقت ، بعد لطم خدودها
والحزن غالبها وحطمها الجوى
وبكته حتى قيل تبكي زوجها
وتقبلت فيه العزاء كأنه
وحكت مناقبه وحلو خلاله
وتحدثت عن عطفه وحنانه
وتخرصت تُضفي عليه مهابة
وتغزلت في نبجه وعوائه
وتدردت عن ذكريات حياته
وتناولت أخلاقه بتأطيفٍ
أولم يعيش كلباً يُقزز سَمته؟
أولم يكن نجساً يفيض نجاسة
أنا لست أدرك كيف أنتِ صحبته
هل كنتِ للكلب المجدل كلبة
سبحانك اللهم قد أكرمتنا
أنقذتنا من شر ما أودى بمن

والذل ليس - لدى الورى - مجهولا
وأراقت الدمع الحزين سُوِيلا
حتى أقامت مأتماً وعويلا
وغدا الفؤاد - من الأسى - متبولا
والكلب شط - عن اللعوب - رحىلا
ليس ابن كلب ، أو أقل قليلا!
والتضحيات ، وفصّلت تفصيلا
وتأولت أفعاله تـأويلا
وكرامة ، وشجاعة ، ووصولا
وتراه شقشقة حلت وهديلا
حتى تُضلل أنفساً وعقولا
وكأتما فاق الرجال فضولا
أم بُدلت أحواله تـبـديلا؟
مهما يُغسل جسمه تغسـيلا؟
وغدا - لديك - مقرباً مقبولا؟
والمسرحية كم تضم فصولا؟
ولأنت خير حافظاً ووكيلا
هم كالبهائم ، بل أضل سبيلا!

جوزيت خيراً يا جميلة

(جميلة كانت كاتبة إباحية في مجلة سياره. فكتبت لها إحدى القارنات الغيورات تدعوها وتبين لها ، وتصبر على جهلها وتطولها إلى أن استقامت. فشرعت أن أسطر نصاً شعرياً في هذا الشأن ، فتحيرت عمّن أكتب؟ أعن القارئة أم عن الكاتبة؟ واهتديت إلى شكر الكاتبة الفذة. واعتبرت أتباعها للحق وإقلاعها عن الباطل بداية جديدة لحياة أفضل! وأطلب منها أن تندم كثيراً على ما كتبتة على غير هدى من الله ولا كتاب منير. وأن تنتصر للحق اليوم أشد من انتصارها للباطل بالأمس. ولن يكون ذلك إلا بالكتابة الواعية المستنيرة التي تأمر بالمعروف وترشد للطريق إليه ، وتنهى عن المنكر وتنفر من سلوك طريقه. إنها مهمة يسيرة إن قصدت بها وجه الله - تعالى - . وصدق الله إذ يقول: {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين}. عسى الله أن يتقبل منا ومنها صالح الأعمال والأقوال ، إنه سميع مجيب قريب.)

هداديك يا هذه الطيبة	ولا تقتلي العزم والموهبة
تعالى المهيم أنجك من	دغاول كنت بها مذنبه
وردك للحق توفيقه	فزايلت حيرتك المعطبه
وكان عزيزاً عليك الهدى	وقد بت منه على مقربة
وكنت - عن الخير - مصدوده	فأصبحت - للخير - مستوعبه
وكنت - عن النور - محجوبه	وكانت مراميه مستصعبه
وكم كنت كارهة للهدى!	فأمسيت عاشقة معجبه
فمن شكر ربك أن تكتبي	مقالات كاتبة طيبة
(جميلة) أنت على ثغرة	عليها الثبات غدا منقبة
فإننا نحارب حرباً طغت!	عواقبها عطفه مرعبه
فغذي المجلة ذي بالتقى	ومؤدي - لمن جاعت - المأدبه
ونحن وراءك نرعى الحمى!	نشور على الهمم المجدبه
نريد الخلاص ، ونسعى له	وإن - لنا - غيرة ملهبه
ونمضي سراعاً إلى نصرنا	فكوبه خلفها كوكبه!

ماذا دهاك يا ابن منصور؟!

(إنه الدكتور إسماعيل منصور. ذلك الجهيد الداعية الذي أتحف مسامعنا بالتوحيد والعقيدة بمدينة المنصورة. وتحديداً في الجمعية الشرعية أيام دراستي الجامعية في الفترة من 1981م وحتى 1985م. وكنت سعيداً وغيري بما نسمع من الدكتور إسماعيل. فلقد كانت خطبه ومحاضراته في غاية الدقة والإحكام. الأمر الذي جعلنا لا نتخلف عن واحدة منها إلا لعذر قاهر. وإن حدث فنحن نتابعها من خلال الأشرطة التي حرصنا على اقتنائها وإعارتها لمن يهوى ويحب حسبة لله عز وجل. وقد أخذ الدكتور على عاتقه حرب أهل وحدة الوجود والحلول والاتحاد. واستمتعتنا كثيراً بهذه المنح الربانية التي أجراها الله على يد عبد من عباده وعالم من علماء المسلمين هو الدكتور إسماعيل منصور. وظللت أتابعه وأقتني كل جديد ، حتى فوجئت بكتاب له جديد كان قد أسماه (تبصير الأحباب بتحريم النقاب)! فعجبت لذلك أشد العجب. لأنني أعرف الدكتور جيداً ، وأعرف طريقته في البحث وتحري الحق وتفنيد الأدلة. فإذا به يكتب في تحريم النقاب على النساء فعتبت عليه. ولو أتاني من يخبر بهذا لكذبه تنزيهاً لمقام الدكتور إسماعيل. ولكن بعد حصولي على الكتاب واطلاعي عليه ، أدركت أنها زلة أسأل الله أن لا يؤاخذها بها. ولقد بلغني أن رهطاً من العلماء الغيورين كانوا قد ردوا عليه وفندوا له الأدلة وقلبوا له الأمور ، عسى أن يرجع إلى الحق ويستدرك أمره ، وللأسف لم يرجع! إذ النقاب يعد من الأمور التي كتبت فيها مئات الأبحاث ما بين بحث مؤيد وآخر معارض. واستتب الأمر على أنه الأحوط في الدين لقوة أدلته الشرعية. والعلماء قديماً وحديثاً رجحوا ستر الوجه والكفين! وكذلك فعل الأئمة الأربعة ، إلا أبا حنيفة الذي اشترط شرطاً هو والمستحيل صنوان لعملة واحدة: هذا الشرط هو أمن المرأة الفتنة! وهل إذا أمنت الفتنة من نفسها ، فكيف بها تأمن الفتنة من غيرها؟ وكيف تضمن أن غيرها لا يفتتن بها خاصة إن كانت جميلة؟! وإذن فأبو حنيفة رحمه الله بهذا الشرط المستحيل تحقيقه يكون مع الأئمة الثلاثة في وجوب ستر وجه المرأة وكفيها عن الأجانب من غير محارمها! والأصل أن الإنسان لا يتكلم في دين الله تعالى بغير علم. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾. لا بد من الإحاطة بما في المسألة من أدلة وبراهين وسنن قبل أن تخالف. فإذا كان النهي سيؤدي إلى مفسدة أكبر أو سيضيع مصلحة أعظم ، فلا نهى ولا أمر! ويفصل ابن تيمية ذلك في الفتاوى (58/20). ولو كان قوم على بدعة أو فجور ، ولو نهوا عن ذلك وقع بسبب ذلك شرراً أعظم مما هم عليه من ذلك ولم يمكن منعهم منه ولم يحصل بالنهي مصلحة راجحة لم ينهوا عنه (472/14). فحيث كانت المفسدة للأمر والنهي أعظم من مصلحته لم يكن مما أمر الله به وإن كان قد ترك واجباً وفعل محرماً ؛ إذ المؤمن عليه أن يتقي الله في عباد الله وليس عليه هداهم. الاستقامة (211/2). وإذا كان الكفر والفسوق والعصيان سبب الشر والعدوان فقد يذنب الرجل أو الطائفة ويسكت آخرون ، فيكون ذلك من ذنوبهم وينكر عليه آخرون إنكاراً منهياً عنه

فيكون ذلك من ذنوبهم فيحصل التفرق والاختلاف والشر ، وهذا من أعظم الفتن والشرور قديماً وحديثاً ؛ إذ الإنسان ظلوم جهول (142/26).هـ. ومن هنا رحّت أسأل: ماذا دهاك يا ابن منصور؟! المسألة مسألة شرعية فقهية يُرجع فيها في مظانها ، ويكون الانتصار للدليل لا للأهواء! وقد عرفناك رجّاعاً أوهاً منيباً! أسأل الله أن يرد الدكتور إسماعيل منصور إلى الحق رداً طيباً وجميلاً. هو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه!

عرفتك - في الحقائق - لا تبالي	ولست تميل - يوماً - للجدال
وتؤثر أن تُبين كل حق	تدين به ، وتصدق لا تمالي
وتمتلك الشجاعة ، لا تُباري	وتمسك - في المعامع - بالنصال
وترتصد الأدلة واضحاتٍ	تُجلجل عند دمدمة النزال
وتُخرس كل مبتدع بسهم	من التوحيد منجدل الوبال
وتقمع - بالحقائق - كل زيفٍ	تذرع بالسفول والابتذال
وتابعناك شوقاً واحتساباً	وحباً في المهيمن ذي الجلال
وأخلصنا - كما أخلصت - جداً	وعانينا مشقة الاحتمال
لماذا اليوم نسمع عنك هذا	وانك قد عُرفت بالاعتدال؟
تُحرّم شرعة فرضت علينا	بنص الوحي ، ليس بالارتجال!
وردّ عليك أهل العلم حتى	تراجع ما تكرر في المقال
وظنني أن تعود لنا مُقرأً	بأخطاءٍ تحضّ على الضلال
وأنت - لكل ما نرجوه - أهلاً	لأنك من جهابذة الرجال
فأتحفنا بتوبة عبقرية	عن الفتيا التي هي كالوبال

بناء النفوس يرجح كنوز الأرض

(شغل نفسه ذلك الأبله ببناء داره على حساب بناء نفسه. وراح يتندر على أهل البلاء ويعرض بهم. فكتبت له قصيدتي تلك لعل الله - عز وجل - يهديه وإيانا سواء السبيل. مبيناً أن بناء النفس أثنى كنز! والأصل أن يقبل الإنسان على نفسه فيبنتيها كما تبنتى البيوت ، وذلك باستكمال فضائلها والسمو بها عن الدنيا ومحقرات الأعمال والنقائص. وهذا أهون بكثير من بناء البيوت التي يعمرها المرء لغيره أكثر مما ينتفع بها. فأنشدت له زاجراً وواعظاً وناصحاً من البحر العروضي المضارع.)

بنيّت يا صاح قصراً	يختال في (النجع) فخراً
وصغت من كل فن	وأنت - بالفن - أدرى
وفيه أنفقت مالاً	لم يحرص عدداً وحصراً
ثم افتريت عليّنا	وبعت (زيداً) ، و(عمراً)
ثم انبريت تلاحى	والرفق أولى وأحرى
لكنّ قلبك صخر	ما القلب إن كان صخرًا؟
تزهو كأنك ليبت	يعتز سراً وجهراً
فكم فجرت كثيرأ	وازددت - بالقصر - فجراً
وأنت لم تبين نفساً	لذاك تختال كبراً
والنفس أولى ببذل	كالبيوت تحت حاج نخراً
وليس - كالعلم - زاد	والفقه - للنفس - ذكراً
فهل تعلمت علماً	يغليّك شأناً وفكراً؟
وهل تفقحت ترجو	من خالق الناس أجراً؟
يا صاح عمرت دنيا	وقبل خربت أخيراً!

شعري أقرب للتقوى

(طلب مني سائل أن أنشد من الغزل فعدلت عنه. وتلوت عليه قصيدة (رسالة إلى ولدي) من ديوان (نهاية الطريق). فقال: (ليست هذه غزلاً). ثم تناول مفاتن النساء! فقلت: شعري أقرب للتقوى. إن الشعر الإباضي الفاحش البغيض الحقير ، وإن كان طريق الشهرة والمال في الأرض اليوم ، لكنه سيكون يوماً ما وبالأعلى أصحابه الذين آثروا أن يدخلوا التاريخ من أوسخ أبوابه وأحقرها. وما أسهل أن يسطر شاعر صناع متمكن قصيدة إباحية يسيل لها لعاب الإباحيين. ولكنه في الحقيقة يكون قد خسر نفسه ودينياه وآخرته! والدنيا التي أعني هنا هي الدنيا كما أرادها الله لعباده المؤمنين ، وفق منهجته وشريعته. لا دنيا السفول والسقوط والانحطاط! وعسير جداً على الشعراء الإباحيين المنحليين أن يكتبوا في شعر القيم والأخلاق. إذ ما كان من القلب وصل تلقائياً إلى القلب! وإن فالقيم والأخلاق التي عاش ذلك الإباضي المفلس المنحط السافل يحاربها ويسخر منها في جُل قصائده ، لا يمكن أن تنفعل له عند دفاعه عنها وتغنيه بها ، فضلاً عن أن تصل إلى الناس وقلوبهم. فأنشدتُ أعبّر عن هذا الموقف من البحر العروضي السريع أقول:)

فأرحم قريضاً خطه شجني	هذا السؤال المُر يُخرجني
في الشعر قد جلت عن الفتن	فمِيم التلاحمي؟ إن تجربتي
حتى غدت سلوى لممتحن	رؤيته من كل مكرمة
ونصائح في السر والعلن	لم أرتجل ما أنشدت عظتي
من أن شعري العف لم يهن	وقصائد الديوان تشهد لي
فالشعر - بالتقوى - يُشرفني	إذ صنته عن كل مخبئة
شخصت ما عايشت من محن	يكفي الذي يُشجي الضمير فقد
إذ لست - في فكري - بممتحن	لم أدع - في شعري - لمنقصة
للروح شعري ، ليس للبدن	لم أرتزق - بالشعر - خردلة!
إذ ليس هذا الدعر من سَنني	لما أصف (ليالي) وفتنتها
إذ بالخنا ما الشعر بالحسن	لما أروج - للخنا - أبداً
تدعو إلى التضليل والدخن؟	ما قيمة الأشعار ننشدها
واخرج من الماضي إلى الزمن!	كم قيل لي: أنشد بلا حرج
إذ لست بالـدنيا بمفتتن	لكنني أهجو مقالتهم

رفقاً بنفسك يا ابنة العم!

(تقدم لخطبة خزامى رجل على دين وتقوى. فعاب عليه أهلها دينه وتقواه. فحاولت معهم وفشلت. فوسطت ابن عم لها عُرف بالحكمة والرشد. فحاول مراراً وفشل. فأعاد الكرة عن طريق أناس آخرين ، ولكن جميع المحاولات باءت بالفشل! وكان ابن عم محترماً أميناً منصفاً. حيث راح يوصيها بالصبر والاحتساب ، وخاصة أنها صغيرة ، وتجربتها في الحياة محدودة ، وخبرتها بالناس والرجال ليست بالقدر الذي تستطيع معه سبر أغوار الشخصيات. وإن قوماً لا يقبلون التقي النقي الورع ذا الخلق والدين زوجاً لابنتهم لخاسرون مفرطون ضائعون. ولست أدري هل بعد وصية النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم – كلام لمتكلم وحجة لمحتج؟! (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير). إن الذي يحزن ويغم ويبكي العين والقلب معا هو زيادة نسبة العنوسة في الأخوات المؤمنات الموحدات. وأسأل الله أن يفرج كرباتهن ويقيض لهن الأزواج الصالحين الذين يصنعهم الله على عينه. المهم أنني أعجبت بحكمة ابن عمها ورشده ، وآليت على نفسي أن أصوغ كلامه شعراً ، فتخيلته يقول لها في عطف وحنان وحرص: رفقاً بنفسك يا ابنة العم. فأنشدت لخزامى تلك الأخت المحتسبة من البحر العروضي المجتث).

تمهلني يا خزامى	ولا تطياي الكلامي
وأجملني ، وامنحينني	مع الجفافة السوا
وجففي سويل دمعي	جرى ، وكففي الملاما
ولا تزيدي المآسي	وسامحي ممن تعامى
أبوك أو غر صدي	برفض خير الأيامى
فقلت: هذا تقوي	وليس يغشي الحراما
أتى يرييد المعالي	فصن عفيفاً تسامى
وزوج الشهم توجز	أماسألت (خزامى؟)
فكن رحيماً ، وأحسن	ولا تترد الهماما
تريده البنيت زوجاً	فلا تزدها ضراما
وحبها وفق شريع	وذا يرييد السلاما
وأنت تفهم قصدي	عساك تمحو الظلاما
وقد بذلت اعذارى	وبعده الاحتراما
وشفعتي - اليوم - أحري	بأن تزييل الغماما

دموع بلا رصيد

(بعد أن خربت بيت زوجها ، راحت تبذل دموع اعتذار كاذبة لا رصيد لها من الصدق وحسن التبعّل. وكان عليها أن تنتبّه وتنتبه وتتحرّق من كلام الوشاة المفسدين المخبيين ، قيل أن تأخذ قرارها. أما أن تعطي أذنّها للوشاة وتصدقهم فيما يتحرصون به من الكذب المحض ، فليس هذا سمت المؤمنة القائنة الموحدة. وأين هي من قول الله تعالى في سورة الآداب سورة الحجرات: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين). وماذا تجدي الدموع إن كانت برصيد أو بلا رصيد عندما يتم الفراق والطلاق؟ أليس من بقية رشد ترد الأمر إلى نصابه ، والقوس إلى باريها؟ إلى أن تأتي هذه الحمية وتلك الروية وذلك الرشد أنشدت هذه القصيدة من المتدارك ، أثبت للباكية الشاكية أنه قد فات الأوان وضاعت الفرصة! حيث إنها جعلت الجميع يدفعون ثمن حماقتها بعد طلاقها البائن بينونة كبرى! وكانت هي أول الدافعين ، والزوج بعدها ، ودفع الأولاد الثمن باهظاً مضاعفاً.)

دمعٌ مثلُ البرقِ الخائبِ	ليس له - في التوبة - مأربٌ
دمعٌ يوشكُ أن يأسرنا	بالأنسات تغشش ، وتكذب
دمعٌ من عين لم تدمع	بل ظلمت تحتال وتلعب
دمع تبذله هالكة	حذقت كيف تهد وتخرّب
لم تتورع عن نقتها	من زوج محترم طيب
لم يظلمها طرفة عين	لم يسخر يوماً ، أو يضرب
لم يهضم حقاً مفترضاً	بل عاش يلبي ما تطلب
فإذا بالحمق تلفحه	بفحيج مذخر مرعب
خربت بيتاً بتحرصها	حتى عشعش فيه الغيب
ومضت - وأسفى - بهجته	وشقاء الأولاد المكسب
من كان يُصدق ما فعلت	وأبوهما - بالحبكة - مُعجب
يمدحها ، ويُعين ويدعو	والأعمام كمثل الأذوب
حتى جاءت تبكي ندماً	بعد خراب البيت ، وتندب
وتلوك الكلمات ، وتلغو	كسفيه مرتزق يخطب
وتردد سامحني ، واغفر	واللفظ - إلى الخدعة - أقرب

فأين المعايير؟

(التمس من أقاربه فضلاً عن معارفه القرض إلى ميسرة. وبرغم قدرة من قصد على الإقراض ، لكن البخل كان هو الجواب. وهبت ريح الخذلان المتوقعة من أقارب كان الأحرى بهم أن يحملوا عن هذا المسكين المنتسب إليهم هموم الحياة وأعباءها الثقيلة. ولكنهم آثروا الخذلان كعادتهم. الأمر الذي جعله يلتمس المال على سبيل القرض من غيرهم. ولما لم يجد من أهل ملته ولا من أهل قرابته ، عمد إلى سؤال من لا يجتمعون معه في نسب ولا في قومية ولا في جيرة ولا في زمالة ولا في صداقة ولا في دين! وكانت المفاجأة التي لم يتوقعها أبداً. حيث جاد عليه وأشفق من هو على غير ملته. فدعا له من كل قلبه بالهداية وشكره على الجميل. ولو أن هؤلاء الأقارب زوراً وبهتاناً جعلوها واحدة بواحدة ، لكان للأمر وجه. ذلك أن قريبتهم هذا قد تقدم بجميله عليهم ولم يقصر في حقوقهم. بل كان سبباً في كل ما آل إليهم من الثراء بعد أن كانوا فقراء! على أن ديننا لا يقر أبداً مقابلة الإساءة بالإساءة. بمعنى أن الرجل حتى لو قصر في حقوقهم ، فكان عليهم أن يكرموا. (أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك) (وأن أعفو عن ظلمي). فما بالنا إن كان الرجل لم يقصر؟ فكتبت من الطويل.)

فلا تنكأوا جرحاً تُقرحه الدّما	معاييركم ليست تساوي ذريهما
وأمسى لكم سَمْتاً وطبعاً ومعلماً	نأيتم وكان البخل أقصى عطانكم
ولو أنني أبقى مدى الدهر مُعدِماً	فيا ليتني لم ألتمس منكم العطا
وجرعتموني الهَمّ والغمّ علقماً	خرقتم معايير القرابة والإخا!
ولم تقبلوا عذري ، وكمتمّ الفما	وأهدرتم حقي ، وبعتم قرابتي
لكم رغم إملاق عليّ تحتما؟	ألا تذكرون المجد كنت بنيتيه
ولكنه حال الذي - بالشقا - استمى	ولست الذي يشكو المليك لخالقه
وكيف تعيبون الذي ما تجهما؟	ولم أترف في حقكم ما يعينني
وعانيت ما أودى بنفسي وبالحمي	تحملت منكم ما ينوء بعُصبة
فيكفل ميسورٌ فقيراً به احتمى	وما الأهل إن لم يكفلوا أقرباءهم
لمن خصهم دهنراً بخير وأكرما؟	وما الأهل إن لم يبذلوا الخير حسبة
وأدعو لما ألقى الذي هو في السما	وما بي من البلوى سوى ما أهمني
ومن كربتي ارزقني رخاءً ومغتما	فيا رب مكن لي وأصلح سريرتي
وكم جاد لم يحنت ، ووفى وأنعما!	ويا ربنا اهد العبد أقرض لم يخف

تكاليف المعالي!

(إن أصحاب القيم لا بد من أن يدفعوا ثمن التمسك بها. ويزداد الثمن إذا وُجدوا في مجتمع برئ من القيم والمعالي ، براءة الذنب من دم يوسف بن يعقوب – عليهما السلام - . ولا يشعر بذلك إلا أهل القيم والمناقب ، وخاصة عندما يدفعون ثمنها ، إصر تمسكهم بها. ويستعذبون ذلك كل حين. كتبت في ذلك عل البحر العروضي الكامل أقول:)

لا بد للقيم الأصيلة من ثمن
ورحى البلاء تدور تعصف بالورى
ومن البلاء مصائب ومباهج
لولا البلاء لما تميز مؤمن
ولقد رأيت ذوي العقيدة بالبلا
ويزيد من ثقل البلاء معيشة
شتان بين العبد يصقله البلا
وذرى المعالي كيف يبلغها الفتى
ووجدت أثمان السفول زهيدة
والناس بين مبجل ، أو أرذل
لا شيء يُدعي في المعالي ربما
إن المعالي لا تقاس بـذلنا
من يجتهدُ يفلح ويسمُ إلى العلا
شتان بين المرء يعبد ربه
إن المعالي دأب كل موحدٍ
والشهم دوماً بالأراذل يُمتحن
والحق يختبر الخلائق بالفتن
وعلى الذي سجّله جرت السنن
ولكان سيء عُصبة مثل الحسن
أقوى على دهم الدعاول والمحن
بين القطيع المستريب المفتتن
والعبد يرفل في التنعم والمِنن!
بترهل؟ إن المعالي كالقن
أما العلو فدونه أغلى ثمن
وكلاهما بهدى السرائر مرتهن
لا شيء يُدعي عاقتي عنها الزمن
لا لن تقول لك المعالي: (ابن من)؟
ومن استكان طوته غائلة الدخن
والمرء يعبد من جهالته الوثن!
وهو الذي دوماً لبُغتها يحن

التكلف يضيع معه الحق!

(إن الذي يقضي بين اثنين يجب أن يكون محايداً في القضاء وموضوعياً في الحكم. لا يتكلف لأحد منهما على حساب الآخر ، وإلا ضاع الحق! ومن هنا يأتي التوفيق والإصلاح. بينما إذا جومل أحد المتخاصمين المتنازعين المتشاكسين على حساب صاحبه ، لم يكن هناك توفيق ولا إصلاح. وهذا الأمر مجرّب بالحجة والبرهان من واقع الحياة! أنشدت في ذلك من البحر البسيط أقول:)

حايذ إذا رُمّت توفيقاً وإصلاحاً	واصدُقْ إذا رمت تبينياً وإيضاحاً
مازلت تلعب بالتميع مرتجلاً	أما سألت عن التقريب نصاحاً؟
إن التكلف يُردي كل منقبةٍ	وكم ينفر ألباباً وأرواحاً!
وكم يُضَيِّع من حق ومصالحةٍ	إن كال للظالم الفحاش أمداحاً!
وكم يُفوّت من خير ومنفعةٍ	إن كان يُهدي إلى العُيمان مصباحاً!
ومن تكلف بالسواى فُبغيتَه	خابت ، وإن يك في الأمور ملحاحاً
وللحقائق أفواهٌ تبوح بها	وإن تجابه في الظلماء أشباحاً
تبلغ الحق لا تخشى الورى أبداً	وإن تُبدّل بالأفراح أتراحاً
والناصح الحق من يلغي تكلفه	إن كان يُعقب آلاماً وأنواحاً
ويأمر الناس بالإحسان محتسباً	ويُصلح الرأي بالدليل إصلاحاً
ويستلذ بما قد قال في وضح	ولا يزال بما أزعجاه مرتاحاً
وقد تعارضه في القوم شردمة	عزيفهم بات في الآفاق صداحاً
والحق حقّ ، وإن أخفته دمدمة	والليل يُخلف - مهما طال - إصباحاً
والسوء سوء ، وإن زها بباطله	زهواً وإن كان في الألفاظ ممراحاً
وكل مستغلق لا بد منفتحٍ	لأن - عند نوي الإيمان - مفتاحاً

أي وفاء هذا يا منار؟

(عرض عليها الزواج وأعلمها أن له ثلاثة أولاد ، أكبرهم في الخامسة ، وأصغرهم رضيع. فقبلت ، ووفت وأحسنت. وكانت عاقراً ، فاعتبرت أولاده من غيرها أولاده منها. وأبلت في زوجيتها وتبعها بلاء حسناً ابتغاء وجه الله تعالى! الأمر الذي قل أن تصنعه زوجة أب فيما جرت به العادة والعرف! ولكنه الإيمان حينما تخالط بشاشته القلوب ، ولكنه الاحتساب عندما يكون في سبيل الله تعالى. واحترت بمن أشيد ولمن أتوجه بهذه القصيدة. هل أتوجه بها للزوج الذي أحسن الاختيار وكان صادقاً لم يعمد إلى إخفاء الحقيقة شأن كثيرين ، وذلك في محاولة منه لجعل الأولاد الذين لم تعلم بهم الزوجة الجديدة ساعة تصديق عقد الزواج أمراً واقعاً ، وتكون بالخيار بين أن تستمر في علاقتها الزوجية أو تختلع؟! أم أتوجه بالقصيدة للزوجة التي علمت بوجود أولاد ورغم صباها وعلمها ومالها وحسبها قبلت أن تربي أبناء غيرها حسبة لله عز وجل؟ أم أتوجه بالقصيدة إلى الأبناء الذين أبدلهم الله من أمهم الراحلة أمأ ذات خلق ودين وصبر واحتساب ومال وحسب؟ وأخيراً وقع اختياري على منار. فأنشدت لمنار - الزوجة المخلصة الوفية والأم التي تحتسب الأجر في تربية أبناء غيرها - هذي القصيدة من الوافر).

هو الإخلاص يُجلى داجي الظلما
ويصنع من قليل البذل معجزة
ويثمر في بيادي الجور معدلة
ألا إن الوفاء - اليوم - منقبة
لذا صدقت (منار) في رسالتها
وغيب أمهم قبر ، وجندلها
ووالد هم تحرى من تعوضهم
وتكلأهم بتحنان ومرحمة
ولم يخطئ إذ اختار التي عطفت
ووفت ، لم تُضِع أولاد سيدها
قد ارتفعت عن الأحقاد راضية!
ولم تبخل بعارفة على أحد
وعند الله كل عطائها احتسبت
جزاك الله خيراً من موقفة

ويجعل من حلياة والدِ أمّا
ويُذهب - عن فؤاد الواجم - الغما
ويغرس في مرابعها سنا النعمى
فجّل الناس خان خيانة عظمى
وربّت من تناءت عنهم (سلمى)
وجرّح مصابهم - بين الورى - يدمى
وثذهب عنهم الأحزان واليئتما
وترفع عنهم الآلام والظلما
ونفس عطفها الكرّبات والغما
وكان عطاؤها مستشرقاً أسمى
وغيرتها سمّت لم تعرف الخمى
وجادت بالسخاء الجم كالدأما
الأزاد الملييك (منارنا) علما
وزاد جناتها رب الورى حلما

بُهلول

(سأل هارون الرشيد - رحمة الله عليه - أحد البهاليل أي المجاذيب فقال له: عطني يا بهلول. فقال من هذا (وأشار إلى القصر) يا أمير المؤمنين ، إلى هذا (وأشار إلى القبر). فبكى هارون حتى أعشى عليه. وعموماً البهلول وجمعه بهاليل هو السيد العظيم في قومه. ولربما أعطى الناس اسم البهاليل للمجازيب لأن الله يُجري الحكمة على السنة بعضهم. ومن هنا كان المثل السائر الشهير الجهير: (خذ الحكمة من أفواه المجانين!) وإن هو إلا الافتراض الذي لم أتثبت فيه ولم أتحقق. فأنشدت في هذه المناسبة بين الرشيد والبهلول هذه القصيدة على البحر العروضي المنسرح.)

بُهْلُولٌ فَذَكَرْهُمُ	وَوَاعِظُ مَسْتَقِيمٌ
جَوَابُهُ لَا يُبَارَى	وَاللَّفْظُ سَامٌ سَلِيمٌ
لِكُلِّ حَرْفٍ مَعْنَانِ	مِنْهَا تَشْعَعُ الْعُلُومُ
ذِي خُطْبَةٍ مِنْ خُطِيبِ	بِهَا يُدَاوَى السُّقِيمُ
فَصَلُّ الْخَطَابِ رَحِيلاً	فَلَيْسَ تَعْدُ الْمُقِيمُ
وَلَيْسَ يَبْقَى سُرُورٌ	وَلَنْ يَدُومَ النِّعَمُ
أَيُّنَ الْأَلْسِي سَبَقُونَا؟	أَيُّنَ الْقَرَى وَالرَّسُومُ؟
وَهَلْ سَبَقِي جَدِيدٌ	إِذَا تَوَارَى الْقَدِيمُ؟
وَهَلْ سَبَقِي يَلُوحُ أَصِيلٌ	إِذَا تَدْنَى الذَّمِيمُ؟
وَهَلْ سَبَقِي بِخِيَلٌ	إِذَا تَهَاوَى الْكُرِيمُ؟
وَهَلْ سَبَقِي دُنُو حَقِيرٍ	إِذَا تَتَعَاضَى الْعَظِيمُ؟
المَوْعِدُ الْقَبْرُ حَتْمًا	وَشَاهِدِي ذَا الْأَدِيمِ
وَكُلُّ جَيْلٍ سَيَفْنِي	رَجَالُهُ وَالْحَرِيمِ
فَاعْمَلْ لِلْحِظَّةِ مَوْتِ	يَبْكِيكَ فِيهَا الْيَتِيمِ

حقل الدعوة

(امتلاً حقل الدعوة بأناس أحسنوا نقطة البداية ، وآخرين أساؤوا. فسعد بمن أحسنوا حقل الدعوة ، وناء بمن أساؤوا. حيث تحمّل كثيراً جميع أخطائهم وعثراتهم وزلاتهم ، تلك التي أشمّت أعداء الدعوة هنا وهناك. وطائفة من المرتزقة المنافقين لا يُمتون للدعوة ولا للدعاة بأدنى صلة. يلبسون مُسوح الضأن من اللين ، وألسنتهم أحلى من السكر ، ولهجاتهم ونبراتهم أمدى من النسيم. يلبسون على العامة والدهماء أمور دينهم ، ويُضفون الشرعية على انحراف الطواغيت ، ويطوّعون الدين كتاباً وسنة للجاهلية وأهلها. وكأنهم في مسرح العرائس التي تشد بالخيوط لترقص ، كما يريد من بيده تلك الخيوط. لا يقولون إلا ما يريد سادتهم ، ولديهم حناجر مأجورة تساعد على الارتزاق بدين الله. فرحت أعزي حقل الدعوة وأشيد بمن أحسن البداية ، وأعرض بالمرتزقة الأخرسة المنتفعين وبالمنافقين المأجورين الأوباش الأراذل.)

حقل الكرامة يا رهين شجون
وقد احتملت - من الهموم - ثقلها
بعض الدعاة على تقى وتعفف
ويبينون الحق ، دون تخوف
يرجون رحمة ربهم وثوابه
ويجاهدون بوحى ربي من طغى
لا يحفلون بباطل من حولهم
والنصر موعدهم وإن طال المدى
والبعض يا حقل الشريعة جحفل
حذقوا النفاق وجاملوا أهل الهوى
برئوا من الإسلام ، إذ شرقوا به
عبء إذا غابوا ، وإن حضروا غثا
والحقل ناء بزورهم وضلالهم
فلهم لباس دعائنا وتقائنا

مازلت ترفل في أسى ومنون
من بعد طول دغاول ، وفتون
كم يبذلون لنشر هذا الدين!
ولئن قضوا في ذلك التبيين
لا يخلدون إلى الهوى والطين
متذرعين بعزة ويقين
متسلح بالجنود والقانون
والكافرون لهم عذاب الهون
من جنـد أهل الزيغ والتلوين
وكانهم أجنـاد (نابليون)!
وتفرّدوا بالخذل والتوهين
فردّ وإن زادوا على المليون!
شـتان بين الشكل والمضمون!
وكانما هم فرقة لفنون!

على اختلاف

(كانت تظن أن إدخال أهلها - غير الحكماء بينها وبين زوجها ، لإزالة خلاف بينهما ، هم الذين أوجدوه ومهدوا له - أنها بذلك ستجد الحل ، فإذا بالمشاكل تزداد هُوتها وتوسع للحد الذي يستحيل معه إيجاد حل. لتودي بها إلى الهاوية بعد ذلك. وليصبح أهلها أثراً بعد عين ، يتندر عنهم التاريخ وتُحَاك عنهم القصص! والأصل الحكمة والرشد في حل المشكلات. أما التهور والتشفي والعنجهية ، فكلها أدوات تسرع في الإجهاز على البيوت العامرة ، لتدمرها وتقضي على أهلها لا لشيء إلا للأهواء والعجرفة. وعموماً كرام الناس ينتازلون كثيراً لضمان استمرار الحياة الزوجية. وأما حل ناي عن كتاب الله وسنة رسوله فثق أنه لا رشد فيه ولا حكمة ، وليست هناك ثمرة ترجى من ورائه أبداً. وعلى كل زوجة أن تحاول حل المشكلات في بيتها ابتداءً ، فإن هي عجزت فلتعاود الكرة لعلها تفلح. ذلك أن زوجها على أي حال بشر مخلوق من طين مثلها ، وله أحاسيس ومشاعر وعواطف وخواطر وقلب وروح. فلتحاول معه مرات ومرات. فإن هي عجزت ، ووصلت معه إلى طريق مسدود ، فلتعتمد إلى حكماء الناس من أهله وأهلها ، أو من الأصدقاء أو الجيران أو الرفقاء.)

كانت تعيش رضوية مسيئة	غفر الإله لزوجته متدينة
ولكل - أمر للمهيمن - مذعنة	وتقييم دين الله في دار لها
ولكل - حكم في الشريعة - بيئة	وتعلم الأبناء شريعة ربهم
بطريقة تسبى الخواطر ليئة	وتحضهم دوماً على حب الهدى
وتحث ثائرة ، وحيناً هيئة	وتناصح الجارات دون تمئع
كالموج ، تغتال الخرد الديئة	حتى أتت ريح الخلاف عتية
وتسير ميسرة ، وحيناً ميمنة	فترنحت تحت المطارق تشتكي
فلهم - على هذي الضحية - هيمنة	وتمثلت ما أهلها قد شرعوا
والكل مارس - في الخلاف - الفرعنة	وإذا بنييران الخلاف توقدت
وإذا الشعارات الخفية مُعذنة	وكان هذا الزوج ليس بمسلم
بل أتقوا كيداً فنون الشيطنة	وعلى اختلاف بينهم لم يصيروا!
ويُجيد - في التدمير - أعتى القرصنة	والكل يُغرق - بالخلاف - سفينة
إذ كل يوم نسبت تظلم بعيتة	فازدادت البلوى بفتنة أهلها
لحلول مشكلة ، وإن تك مُزمنة	والحكمة العصماء مفتاح الورى

هذه تكفي

(صديق مخلص جداً ، ودلت مواقف وأحواله على ذلك. فإذا به يتحول في مواقف متعددة ، لا عذر له فيها أبداً إلى خائن غادر غشاش. فأخذ صديقه يلتمس له العذر تلو العذر ، ويحاول إيجاد مبرر أو شبهة أو مسوغ أو حجة. ولما أراد العودة قال: لا. والأمر له ما يسوغه ، ذلك أنهما تعلمتا معا ، وذاكرا معاً ، وعاشا معاً على الحلوة والمرّة كما يقولون. وكان المعين الذي استقيا منه الحق والهدى واحداً! فقيم التملُّل وقيم إثارة السلامة ، من حمل الحق ، والتحرك به ، والإبحار به في خضم الجاهلية القائم؟ لقد خشي ذلك الصديق التكاليف ، وأحب أن يعود إلى صديقه بخوره وإرجافه وضعفه وجبنه. فخشي الأول على دينه ومبادئه ، وأثر أن يبين له أنه حاول معه كثيراً ، ولكنه لثقل التكاليف ومشقة طريق الهدى أثر السلامة ، وأصبح بذلك يشكل خطراً يؤدي إلى التنازل عن الدين شيئاً فشيئاً ، الأمر الذي تأباه طبيعة ذلك الدين العظيم. فقالها صريحة لصديقه دون خوف ولا تأنيب ضمير ولا موارد: هذه المرة تكفي لوضع حدٍ فاصل!)

لماذا تردّيت في الهاوية	وأثرت شقوقك الدامية؟
لماذا تخيرت صف العدا	لتضرب ضربتك القاضية؟
أكنت تخادعنا بالوفا	لتسج قصصك الغاوية؟
أكنت تجامل مسخفاً	توافق بالنبرة الحانية؟
ألم تك تُبدي رطيب الإخا	وتُرجي مودتك الصافية؟
ألم تك تدفع عنا الأذى	بهمتك الفذة العالوية؟
أما قلت: ذلك أسأتنا	ونحن له العصبة الحامية؟
فماذا تغير يا صاحبي	لتفتت فتنتك الضارية؟
مواقفك الباعثات الأسي	وأفعالك الفجوة الطاغية
وألفاظ ما كتته أسفرت	عن الجفوة المرة القاسية
وأوضاعك الموقدات الجوى	كنار - ورب السما - حامية
أراها كسيل طغى ماؤه	وبيني وبينك ذي كافية
يمينا نصحتك مسترشداً	لكيلا تُفرقنا الداهية
وكنت الحريص على ودنا	وأنت المصير على الهاوية

مَن منا الغريب؟

(اعتدى ركوسيّ على مسلم. وتحاكما فرأى المسلم الولاء - من جانب الشرط وأذناهم - للركوسيّ الذي قال في تهكم: أنا غريب. فقال المسلم: ومن منا الغريب؟ والأصل أنهما سواسية كما تدعي القوانين والدساتير الجاهلية بحق المواطنة الذي يدعيه من وضعوها! أما في الاعتقاد فكلا وألف كلا! هذا مسلم وذلك كافر! وحينها علم المسلم أنه غريب غربة دينه وأهل ملته! فإلى الله المشتكى وعليه التكلان ومنه العون والسداد. ونسأل الله أن يعز المؤمنين الذين آمنوا به ، ويذل الكافرين الذين لم يؤمنوا به!)

يا رَكُوسِيّ اعترف: إنني الغريبُ	ليس - لي في دار أقوامي - نصيبُ
لكَ فيها - دائماً - ما تشتهي	فماذا تُكثّر - الآن - الندوب؟
لكَ فيها كل خير يُرتجي	فاصدق الناس ، ولا تبدِ النحيب
ودليلُ القول هذا واضحٌ	بارز الأوصاف في عقل الرقيب
هذه الدارُ قلتُ أحبها	ثم ضاعتُ في متاهات الدروب
واسستكانت لدعيّ خائن	سيّئ السُّمعة غدار رهيب
وإلى الضُّلال ساقّت خيرها	وأراها - من قريبٍ - لا تتوب
غربة الحق بها سمّت طغي	والليبُّ الفذ فيها يستريب
يا ركوسيّ أراني شاردًا	غارقاً في الدمع ، تكويني الخطوب
لم تعد لي صولة أو جولة	وسط قومي بعد أن عز الصليب
أنا - بين الناس - كم مهمّل	وإذا أعلنتُ هذا فالحروب
ولكم حيزت حقوقي جُملة	وتعزيت فقد قلت: (نصيب)!
والولاعات لكم يا مُفتّر	وعلينا نحن قد صُب اللهب
وأنا أخطو على جمر الشقا	والأسى في القلب يكوي والوجيب
فاصدق القوم ، وقلها لا تخف	إنما المسلم - في الدار - الغريب

العاشقة القتيلة

(كانت تؤمل دوام اللعب على عاشقين ثريين لتبتر وتستنزف ثروتهما. فقتلت في النهاية برصاص كل منهما. وسجلت قضيتها لعدم وضوح الأدلة بأنها ضد مجهول. والحقيقة أن كل من يلعب بالنار لا بد من أن يحترق في النهاية! وما أجمل الصدق والصراحة والاستقامة! إن الاستقامة على منهج الله ورسوله تكفل السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة! وصدق الله - سبحانه وتعالى -: (فاستقم كما أمرت) ، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (قل آمنتم بالله ، ثم استقم). فالاستقامة تضمن خيري الدنيا والآخرة!)

هو العشق أودى بتلك الأمة	لأن التلاعب كان السمة
فسحقاً لمن قادها طيشها	لقعر المجنون ، وذل العمه!
وتعساً لعشق دواه الردى!	(وليلى) الهوى لم تكن مرغمة
فكم خطت تشد الملقى	وكان السفول - له - ترجمة!
وكم أحرقت عاشقي حسنها!	وبينهما قادات الملحمة
وكم ناورت تبتغي فتنة!	ودعوى الهوى لم تكن مبهمة
وكم أحكمت كل ما دبرت!	وكانت تدابيرها توأمة
وكم حصدت بالخنا ، والزنا	بزفرتها الفجة الموهمة!
إلى أن هوت في سعي الشقا	وبعد الغنى أصبحت معدمة
وبين النساء غدت دمية	تداول ليس لها مكرمة
تؤدي ضريبة ما تدعي	من العشق ، والحب ، والعولمة
وديست بأقدام من أنفقوا	على حُب عاشقة مجرمة
ولعبة أهوانها لم تدم	وإن تك محبوبكة مُحكمة
كلا العاشقين رمى سهمه	وصوب ناحية الجمجمة
فخرت على الفور وسط الدما	فلا رحم الله هذي الأمة!

كرم لا يُبارى

(ورثت هذه الموفقة عن أبيها مالا وفيراً. إذ كانت هي الوريثة الوحيدة. وأعطت مالها كله لزوجها الفقير. لا لتشتري به حبه. فإنه يحبها. ولكن احتساباً للأجر ورحمة بالفقير. فكان ذلك منها صدقة عليه وصلة له. وكان كرمها لا يُبارى ، وجوداً يفوق جود الكثيرات من نسوة العصر. وكأني بها تعيد لنا ذكريات الصحابيات الأوليات أمثال زينب امرأة عبد الله بن مسعود – رضي الله عنهما – وهي تستفتي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – هل تعطي عبد الله بن مسعود من مالها تتصدق عليه؟ فأجابها الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – أن: نعم! ففعلت. إن تكرار مثل زينب زوج ابن مسعود في هذا الزمان لأمر لا يكاد يُتخيل أو يُتصور أو يُصدق. وما أن سمعتُ بهذه الموفقة بطلة قصيدتنا حتى سعدتُ بها ، ليس ذلك فقط ، بل دعوتُ الله أن يتقبل منها ، ويضاعف لها الأجر ويدخلها الجنة. ذلك أن أغلب أزواج هذا الزمان ما أن تعطِ إحداهن زوجها مبلغاً يسيراً من المال حتى تمنّ عليه ، وتنال منه بغير حق. فليتها ما أعطت ولا منّت! وغيرها من النساء تريد صك مداينة ، وتشهد عليه من شاعت ، ليس لضمان حقها عنده فذلك لها ، ولكن إمعاناً منها في إذلال زوجها وفضحه! وأن تداين زوجها فهذا أمر مشروع ، ولكن بالحسنى وبدون فضائح! والتصدق عليه إن كان فقيراً أولى وأفضل ولا شك. والحقيقة أنني احترتُ في تمثّل هذا التصرف من بطلة قصيدتنا في ضوء قصص الحب التي درستها في الأدب العربي والأدب الغربي بل في التاريخ الإنساني كله! كما أنني عرضته على جميع أنواع الحب العذري بين الزوجين ، في ضوء أقوال الأدباء والشعراء والكتاب والفلاسفة فوجدته غريباً وخيالياً جداً! حتى أنني كلما حكيت قصة بطلتنا لأحد ، استبعد حدوث ذلك واعتبره ضرباً من الخيال لا يزيد! فلقد صور الحب العذري الأفلاطوني هذا شكسبير فقال: (الحب أعمى ، والمحبون لا يدركون مدى خطورة الخطوة التي يأتون إليها! فهذا صحيح حيث إن الإنسان عندما يحب شخصاً فيتحول إلى حالة ، يملك فيها قلباً وإحساساً واحداً! وهو في هذه الحالة يكون مستعداً للقيام بأي شيء في سبيل استمرار هذا الحب وهذه العلاقة! فقد يضطر إلى أن يضحي بكل شيء ، فقد يضحي بأهله وماله وعمله ، ووقتها لا يفكر إلا في الحب واستمرار الحب. ويوجد بعض الحالات النادرة التي ينتحر فيها الحبيب أو الحبيبة من أجل انتهاء قصه الحب بأي شكل من الأشكال! فالحب في تصور الجاهلية حالة تصيب الإنسان بهستيريا صعب جداً العلاج أو التعافي منها بسهولة! فقد يخرج من هذه العلاقة سليماً ، أو قد يخرج محطماً! وهنا يقصد محطم المشاعر. والنفسية تكون غير قادرة على تقبل أو حب شخص آخر فيأخذ فترة تسمى فترة النقاهة أو الاستشفاء من الحب القديم ، حتى لو أحب كثيراً في حياته! فيبقى من بينهم حب واحد مميز صادق لا ينسأه أبداً ، بل يستطيع أن يتمسك به ويترك كل شيء في الحياة. ويكون الحب بالنسبة له طريقاً يسلكه دون أن يعرف نهائته ، ولكنه مبسوط بالمرور في هذا الطريق. وتحدث شكسبير عن يوم الحب أو عيد الحب وقال: (نحن نعيشه كل يوم كل ساعة كل ثانية. فمن الطبيعي أن الإنسان يولد دائماً يحب أمه كثيراً لأن أمه لو ما لم تكن تحبه ما تعبت في حمله تسعة أشهر وولادته وتربيته فهو يكبر حتى يحبها! وبعد ذلك يبدأ في حب الحياة ، عندما تنظر عيناه إلى الضوء ، فيحب والده ومدرسته وعائلته وبيته وأصدقائه. وبعد ذلك يذهب بالبحث عن الفطرة التي خلق بها وهي حب الجنس الآخر فيبدأ في البحث عن القلب الذي خلق لأجله والأنسب له ، فيحبه أيضاً ، ويتزوج من صاحبتة وينجب الأطفال ويحبهم. فكيف لنا أن نجمع حب سنين في يوم واحد؟ من الممكن أن يحدث هذا بأن نحتفل به في يوم مميز ذو طابع خاص!) ويقولون بأن الحب العذري خرافة وسخافة وأنها قصص خيالية ليس لها علاقة بالواقع! فمثلاً الأمير

يتزوج من بنت الخباز الفقيرة! ولكن الواقع وهو عذر للوصول للرزيلة والإجرام والفجور ، فهل انقرض الحب بعد قيس وليلى؟ وأنا لي مدة طويلة أبحث عن معنى الحب العذري بشكله الحقيقي ومشاعره الحقيقية فلا أكاد أجد له وجوداً في زماننا! فهل انقرض أم لا؟ أنا لا أعرف ، ولكن هناك شيء بداخلنا ينبض فهل هو الحب العذري؟ وفي لحظة استجمعت المحطات التي علمتها من حياة بطلة قصيدتنا ، ورحت أتخيلها واقعاً يتجسد أمامي ككل عاشق لزوجته محب لها ، معتقداً أنني بدونها لا أعيش سعيداً ، وأن الحياة بدونها ضرب من ضروب العذاب! فما وجدتُ لبطلة قصيدتنا مثلاً اليوم! ، فلقد أعطتُ واحتسبتُ ، ولم تمن ولم تنل من زوجها ، ولم تأخذ عليه أي ضمانات. فتخيلتُ هذه المحترمة الكريمة المتصدقة تشفع المال – وهي تُهديه لزوجها - بكلمات لطيفة رقيقة ، صُغتُها شعراً على البحر الوافر والقافية البانية فقلت:

وأخرج - من كرائمها - النصابا	خذ الأموال خُباً واحتسابا
وأعطِ الناس ، وارقب الثوابا	وعش ما عشت ميسوراً غنياً
وفي إنفاقك التمس الصوابا	وحقق ما تريد من المعالي
فأنفقْ دون أن تنسى الحسابا	عهدتك لا تميل إلى الدنيا
فأنت - إليّ - تنتسبُ انتسابا	وهبتك ما ملكت بلا اكتراثٍ
وزوج فاق - في التقوى - الشبابا	أخ في الله شهيمٌ ، وابن عم
وإن أمسكتَ لم تكن المُعابا	وإن أنفقتَ كنت فتىً حكيماً
على الإملاق منه الشَّعر شابا!	فخذ أموال زوجك مستعيناً
عليك بما بذلتَ لك احتسابا	ولستُ أُمّن - في يوم - بتاتاً
أرى فيك (البراءة) ، أو (الخبابا)	يَمينُ الله أنت الذخر عندي
فجاوزتُ الدغاول والصعابا	فقد علمتني ، وبذلتَ جهداً
وألبستُ المكارم والحجابا	ونلتُ من المناقب مبتغاهما
وحققْتُ الأمانِي العذابا	وحزتُ - من المفاخر - مُشتهاها
وذا ردّ الجميل إذا ترابِي	لذا فعطاك أثنى من نقودي

عرفت الطريق إلى عالم الوهم

(كان يرجو من وراء زواجه منها عالماً حالماً مليئاً بالسعادة. فراح يدعو ويبتهل إلى الله أن يُحقق له ذلك. فلما تزوجها أدرك أن عالمها مليء بالشقاء والوهم ليس إلا. وفرق كبير بين النظرية والتطبيق ، وبين الأمل والواقع. ولعل هذا المسكين كان يُغلب الخيال على الواقع الذي يعيشه. وساعده على ذلك أن هذه الزوجة منته بالكثير من هذه الأمنيات الحالمة العذاب. والأصل أن يكون الإنسان واقعياً ، لا يجري وراء السراب ، ولا يبني بيوتاً من نسج خيالاته وأوهامه. قد يكون ذلك من سمت الشعراء والأدباء ، عندما يعمدون إلى كتابة أي نص أدبي. أما أن يكون واقعاً يعيشه المرء ودرياً يسلكه الفرد ، فكلا وألف كلا! فتخيلت إياه يحكي لنا تجربته القاسية المريرة ، بكل ما اعتورها من العذابات والكوارث والعثرات والدغول والبلبات ، فأتشددت - حكاية على لسانه من البحر العروضي السريع - هذه القصيدة.)

أين السرورُ الجمّ والمَرخُ؟	أين الحبورُ الحلو والفَرخُ؟
أين الذي قد كنتَ آملهُ؟	أين انشراحُ النفس والمُلح؟
أين الأمانيُّ التي ذهبَتْ	حتى اعتراني الضنكُ والترح؟
وهُمّ دهاني ، ثم سريلني	ثم انبرى يؤذي ، ويكتسح
قالوا: تريث. قلت: أخطبها	إي ، ربما الأحوال تنصلح
يا ليتني ما زرتُ أسرتها	هل صاحبُ الأهواء ينتصح؟
لما تكن في مستوى قيمي	يوماً ، وإن الأمر متضح
لكنما الأقدار غالبية	مني الرضا ، والقلب منشرح
كم جرعتني من أسى ألمي	حتى غدوت - اليوم - أفتضح!
وتذمّني - في الناس - عابدة	وأنا الذي قد كنتَ أمتدح
وتسبني دوماً ، وتلعنني	وعلى الأذى أمسي ، وأصطحب!
هذا طريق الوهم أسلكه	وحليتني - في أمه - شبح
والصبر كهفٌ أستلذ به	وأراه - رغم الضيق - ينفسح
يا رب ثبتني ، وخذ بيدي	حتى يعود السعدُ والمرح

ما عهدناك هكذا يا وليم

(في شركة واحدة انضم وليم الركوسي إلى مجموعة من المسلمين الساذجين. فأفهمهم أن الناس عنده سواء وأن الدين لله والوطن للجميع ، وأن الكلام في الدين عنده يشبه الكلام عن المسلسلات والأفلام والمباريات ، وأنه إنما جاء للعمل في الشركة فقط من أجل التكسب والارتزاق. فبييت العمال - الذين يعملون معه - حسن الظن فيه. وراحوا يعاملونه بالحسنى والمحايدة التامة. واجتنبوا الحديث معه في الدين ابتداء ، فلم تكن هناك أدنى بادرة من أحدهم لعرض الإسلام عليه من قريب ولا من بعيد. ويرجع السبب في ذلك إلى جهلهم المطبق بتعاليم دينهم وأساليب الدعوة وخاصة دعوة الركوسيين. ثم ما لبث أن ظهرت حقيقة الرجل ، من كونه داعياً للركوسية على مستوى لا يُستهان به ، حيث راح يعرض عليهم التثليث وبعض المبادئ الأولية في عهدهم الجديد والقديم. وهم لا يُحركون ساكناً ، بل كانوا يستمعون إليه في صمت ، فلا معلومات عنهم للرد عليه ولا أسلوب يجدي معه. وبعد فترة وجيزة تحركت خمائر التوحيد المركوزة في قلوبهم وضمائرهم ، فقالوا له: نحن لا نستطيع الرد عليك ، ولكن نعلم يقيناً أننا على الدين الحق ، وقد عزمنا عزمًا أكيداً على مقاطعتك وعدم التعامل معك البتة. فلما علمتُ بقصة حسني النية هؤلاء مع هذا الصليبي الركوسي ، كتبت هذه القصيدة له أتخيلهم يقولون له من البحر العروضي المجتث أقول:)

أُتِيتَ تَرْجُو مَكَاتَا	وَحُظُّوَةٌ وَأَمْتَانَا
لَمَّا بَدَأْتَ الْوَصَايَا	لَتَهْدِي الْعُمَيَا
وَسُئِلْتَ كَم مِّن دَلِيلِ	يُعْضَدُ الْبِرْهَانَا!
وَكَم تَصَبَّرْتَ تَرْجُو	مِن الْأَنْبِيَاءِ أَمْتَانَا!
وَلَم تَبِيِّنْ عِدَاءً	يُوجِّعُ الْأَصْغَارَا
وَلَم تَجَادِلْ كَثِيرًا	وَلَم تَشْهَرِ بِبَيَانَا
وَلَم تُقْبَلْ بِخَبَاتَا	وَلَم تَذَرِ الطَّعَانَا
وَكُنْتَ تَدْعُو بِرَفْقِ	وَتَسْتَجِيشُ الْحَنَانَا
وَمَا تَعْجَلْتَ أَمْرًا	وَمَا خَسِرْتَ رَهَانَا
وَمَا عَهْدُنَاكَ تَهْدِي	وَمَا احْتَقَرْتَ جِنَانَا
وَلَكِنِ الْحَقُّ أَغْلَى	وَيَرْجِعُ الْأَبْدَانَا
لَمَّا بَدَأْتَ بِخَدَايَا	فَعَانَقَ الْخُلَافَانَا
وَلَمَّا نَعِيَ رُكَّ أَدْنَانَا	لَنُخْسِرَ الْإِيمَانَا
وَلَمَّا نَحَبْنَا قَطْعَانَا	فَصَادَقَ الرَّهْبَانَا

واجبنا نحو المسلمة الإنجليزية

(أسلمت جوليا ، وأبليت في إسلامها البلاء الحسن الجميل ، ولاقت الأمرين من عائلتها. حيث تريد العائلة ردها بالقوة إلى ما كانت عليه ، وتعددت المحاولات في ذلك بالترغيب والترهيب وبالتهديد والوعيد وهي صابرة ثابتة محتسبة ، لا تُبدي لهم أدنى تنازل عما دانت الله به من النور المبين للإسلام! واحتارت ماذا تفعل؟ وأين تذهب؟ وكيف السبيل للخروج من هذه المحنة؟ إذ لو بقيت هكذا بينهم ، فلربما فتنوها عن دينها. ففرت منهم بدينها لما خافتهم. فعمدت إلى بيت أحد المسلمين الحنفاء ، ريثما تجد لها حلاً وملاذاً. وتعين على من هي تحت يده أن يتقي الله فيها ، ويعمل فيها بوصية الله ورسوله: (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن). وكان ذلك الأخ هكذا ، حيث اعتبرها أختاً له في الإسلام ، وكذلك فعلت زوجته. وكانت فترة ذهبية من حياة جوليا ، حيث تعلمت الكثير من تعاليم الإسلام على يد أختها في الإسلام. كما أنها كانت تراجع معها القرآن يومياً. وكانت فاتحة خير عليها إذ استفادت كثيراً من مجالس العلم ، التي كان الأخ يعقدها في بيته لأسرته. فأنشدت أشد من أزرها على البحر العروضي المتدارك!)

فَسِيَأْتِي مَا رَبِّكَ وَعَدَا	(جوليا) لا تبتئسي أبدا
إِن الْبَاطِلَ عَنكَ ابْتَعَا	فالتزمي الشرع ، ولا تهني
كَمَا يَرْزُقُهَا اللَّهُ الرَّشِدَا	والمحنة تصقل مؤمنة
وَاحْمِي الشِّرْعَةَ وَالْمَعْتَقَا	فاحتملي فتنة من كفروا
وَادْعِي اللَّهَ الْأَحَدَ الصَّمَدَا	واصطبري يا أخت ، وجلي
فَرَضٌ ، مَهْمَا الْكُفْرُ اجْتَهَدَا	وحمايتك - اليوم - علينا
نُؤْوِيكَ ، كَمَا نُؤْوِي الْوَالِدَا!	نحميك ، كما نحمي ذوينا!
شَهْمٌ مِّنْ يَأْوِي مَضْطَهَدَا	ونصونك من أي ضياع
مَهْمَا حَقُّدُ الْكُفْرِ اتَّقَدَا	(جوليا) إنك في أعيننا
رَبَّ النَّاسِ الْفَرْدَ الْأَحَدَا	لن نرجعك إلى من جحدوا
لِنَنْسَلِمَكَ - إِلَيْهِمْ - أَبَدَا	أنت تركت لهم ملتهم
وَتَوَعَّدْهُمْ أَضْحَى زَبَدَا	ووصايتهم عنك انفكت
مَهْمَا الظُّلْمَ عَلَيْكَ احْتَشَدَا	نحن ذووك ، وهذا يكفي
فَسَلِي اللَّهَ الْبَرَّ الْمَدَدَا	ثبتنا الله ، وأي دنا

احترموا اللغة العربية

(كثرت التندر والاستهزاء والسخرية من اللغة العربية. وفي الوقت ذاته ازدادت اللغة الإنجليزية احتراماً وتبجيلاً. وأعلم علم يقين أن اللغات كلها من عند الله تعالى. واحترام العربية من احترام الإنجليزية والفرنسية وغيرها. وقد أثبت ذلك من واقع نصوص القرآن في مقام آخر. ولكن غيرتي على العربية جاءت انعكاساً لما نسمعه ونحسه ونراه اليوم من هجمة شرسة عاتية فجأة على ثوابت الإسلام ومنها اللغة العربية لغة القرآن. ولقد بدأ بعض المسلمين يردد في بلاهة مقولات المستشرقين في النيل من اللغة العربية. فرحت أطالب قومي باحترام اللغة العربية. وأخذت على عاتقي أن أبين جمال العربية وأهميتها ومكانتها بين لغات العالم. ورحت أزيل غبش التصورات وردئ الأفكار عنها. ففرعتُ الحجة بالحجة وواجهتُ الدليل بدليل أقوى منه. وأقمتُ البراهين المتعددة على أن لغة الضاد من أرجى وأحلى وأقوى لغات الدنيا. بل هي من أصلب لغات الناس اليوم في القدرة على البقاء إلى الأبد! فكم من لغات انقرضت ، وزالت وزال أثرها ، ورحل المتحدثون بها ، وأصبحت - كما أصبحوا - أثراً بعد عين وخبراً من أحاديث الناس عن أناس كانوا يتكلمون لغة كذا في غابر الأزمان. إن لغة نزل القرآن الكريم بها لغة مباركة خالدة قوية ، بركة القرآن وخلوده وقوته. يقول الأستاذ فراس حج محمد - من كرام أهل فلسطين ، وتحت عنوان: (الأخطار التي تهدد اللغة العربية وسبل مواجهتها) ما نصه: (أرصد بعض ظاهرة سلبية تعاني منها اللغة العربية في مجتمعاتنا ، إذ أصبحت تنوشها معاول الهدم وتنتقص من وجودها المشخص في الواقع اللغوي المتداول بين الناطقين بها ، ولعل أكثر ما يحزن في هذا الجانب هو عدم اعتماد اللغة العربية الفصيحة لغة تدريس مقررة في مدارسنا ، إذ لاحظت خلال زيارتي للمدارس ومشاهدة المعلمين في تقديمهم للمادة العلمية كثيراً ما يلجأون إلى العامية ، ولا يلتفتون إلى الفصيحة ، وهذه العدوى بالطبع شاملة لكل التخصصات بما فيها حصص اللغة العربية في تلك المدارس. وفيما يلي عرض لبعض الإشكاليات والمخاطر التي تعاني منها اللغة العربية في واقعها المستخدم بين أبنائها ، ليس على مستوى المدارس فحسب ، محاولاً وضع تصور عملي فاعل للتقليل من حجم تلك الأخطار التي تهدد لغتنا ، التي هي عنوان وجودنا وحضارتنا ومنبع فكرنا وأداة تفكيرنا: إن انتشار اللغات العامية يعتبر تهديداً صريحاً للغة العربية: تنتشر العامية انتشاراً صارخاً بين أبناء اللغة العربية ، وتتنوع هذه العاميات ، لتهدد اللغة الفصيحة الأم ، والتي تجعل اللغة الفصيحة في مستوى ثان من التجسيد اللغوي ، وتمنحها مكانة أقل في التعبير الحياتي بين أبناء اللغة ، وفيما يلي بعض المقترحات لمكافحة آفة العامية ، وأرى أن يتم ذلك من خلال: • اهتمام المدارس والمعاهد والجامعات بالواقع اللغوي ، والتركيز على ممارسة اللغة في قاعات الدرس، وابتعاد المعلمين والمحاضرين عن استخدام اللهجات العامية ، وضرورة التركيز على ذلك عند اعتماد المعلمين والمحاضرين الجدد ، وتأهيل ومتابعة القائمين على رأس عملهم من أجل التخلص من العامية. • اعتماد الجامعات مساقات متعددة في اللغة العربية ، ليكون مطلباً إجبارياً لكل الدارسين ، ويراعى فيها أن تكون خادمة للمهارات الأساسية والحياتية للغة الفصيحة ، ودعمها بأنشطة عملية ، من مثل تقييم الطلبة على الحديث الشفوي أو الكتابة الإبداعية بلغة رفيعة المستوى ، تحقيقاً لهذه المساقات ، مع التركيز على أن ينجح الطالب في تلك المساقات إذا أتقن توظيف اللغة الفصيحة محادثة وكتابة والتشديد في ذلك. • تخصيص مسابقة للعاملين في حقول التدريس الجامعي والمدرسي لتطوير آليات اعتماد اللغة الفصيحة كلغة خطاب يومي. • مكافحة القنوات الإعلامية التي تعتمد العامية لغة في التخاطب وإعداد البرامج لتأهيل العاملين من أجل التخلص من

هذه الآفة المدمرة. • إعلاء وزارات الثقافة في العالم العربي من شأن اللغة الفصيحة ، والعمل على نشر الإبداعات بعيدا عن العامية. • التخطيط لعمل شعبي ونخبوي على مستوى الدولة الواحدة من أجل تعزيز مكانة العربية ، وتعميق فهم المخاطر التي تحيق باللغة العربية لدى عامة الناس ، من أجل أن يتبنوا قرارات ذاتية لرفع سويتهم في الحديث بلغة سليمة. • تشجيع عادة القراءة لدى الأفراد والشعوب ، وخاصة الناشئة ، ومراقبة برامج الأطفال التي تعتمد اللغة العامية ، ومنعها كلية. • ربط الناشئة بالقرآن الكريم ، كونه هو المانعة الوحيدة العقديّة التي تجعل الناس يقبلون على قراءة القرآن ، وتمثل لغته في الحديث ، وضرب الأمثلة من واقع الكتاب حتى من غير المسلمين الذين أقبلوا على قراءة القرآن الكريم لتحسين أداء العربية في كتاباتهم وأحاديثهم. ومن هنا كانت دعوتي للأقوام أن احترموا اللغة العربية وحافظوا عليها. وعلى البحر الطويل أنشدت منافحاً عن اللغة العربية الأصيلة أقول بكل صدق ويقين:

ألا إنما ضاد الأعراب في الذرى	برغم الذي غالى ورغم الذي افترى
معينٌ تسامى في الخليفة واستمى	ونورٌ تجلّى في المدائن والقرى
وذخرٌ لأقوام بها قد تفاخروا	وجاةٌ يقوَى سُوددَ القوم والغرى
بها يفهم القرآن والسنة التي	تُبَيّن ما يحوي ، وتُخزي مَنْ امترى
بها تعلم الدنيا رسالة (أحمد)	فيُصبح داعي الحق في الناس منذرا
ولستُ أركي ما بها من تفردٍ	ولكنْ أصد الغر غالي ، وأنكرا
وأقمعُ بالحق الوضئ عصابة	أباطيلها راجت ، وتضليلها سرى
ألا احترموا الضاد التي لا يعيها	سوى حاقِدٍ نذلٍ عليها تكبرا
وإن اللغاياناسُ من عند ربنا	وتمتازُ ضاد الغُرب بالفضل أوفرا
وعاقب ربي مَنْ تنقص قدرها	ألا إنه قد قال زوراً ومنكرا
وليس يُضير الضاد يوماً بزيفه	وعما قريب قوله الزور يُزدري
ويبقى لسان الضاد حياً وناضاً	وعزاً وتكريماً ونصراً مؤزرا
وأفخر أني قد بصرتُ بفقها	لذا فاض شعري زعفراناً وعنبرا
وجنّدتُ شعري للدفاع منافحاً	أتابع ما قالوا ، وأرقب ما جرى

يا أسفى على الحياء

(هناك على شاطئ البحر تأتي العجاوات من النساء ، ويخفن من ملابسهن إلى الحد المعلوم. وتحتال إحداهن في ستر أي جزء تكشف من جسمها على اليابسة بين الناس ، بينما هي على البحر شبه عارية أو عارية في بعض البقاع! إنني أسأل هذه العجاوات والسوائم الضالة: من أين لكم هذا التعري السافر الفج؟ هل جاء به موسى في توراته إن كنتن يهوديات تزعمن اتباع موسى؟ هل جاء به المسيح عيسى بن مريم في إنجيله إن كنتن نصرانيات تزعمن اتباع عيسى؟ هل جاء به محمد في قرآنه وسنته إن كنتن مسلمات تزعمن اتباع محمد؟ بالطبع كلا وألف كلا. لا موسى ولا عيسى ولا محمد – صلى الله عليهم وسلم – جاؤوا بهذا وحاشاهم. بل جاؤوا بالستر والتحشم والحجاب. وهذا ثابت بالنصوص. ومن أراد به بحثه في مظانه. إنني لأعجب من كشف إحداهن لجسمها أمام الناس على الشاطئ بكل تبجح ووقاحة وبهيمية ، وبلا أدنى حياء أو حرج ، بينما لا تفعل الشئ ذاته في الشوارع والأسواق على سبيل المثال. بل ترى أنه عيب ولا يصح! فما كان عيبا كشفه على اليابسة أصبح مباحاً على الساحل. وأسأل: بأمر من؟ بأمر الله؟ إن الله لا يأمر بالفحشاء. فبأمر البحر؟ لا يعقل. وهل البحر – الذي هو مخلوق لله ، قد خلق طانعا لله لا اختيار له – يجرؤ على أن يأمر بمخالفة الله؟! فبأمر العادات والتقاليد والأعراف العربية الأصيلة؟ بالطبع وبدون أدنى تفكير كلا. فما ورثناه من تقاليد عريقة وعادات طيبة وأعراف راقية وسلوم أصيلة عن الأعراب الأقحاح الأوائل والأواخر هو ستر النساء وحجابهن وصيانتهن عن الرجال ، والأدلة على ذلك أكثر بكثير من أن تحصى ، سواء في أشعار العرب أو في خطبهم أو في سيرهم. وإذن فهو بأمر الشيطان. (ينزع عنهما لباسهما ليريحهما سواتهما). ومن هنا يأتي التأسف على الحياء. عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دعه فإن الحياء من الإيمان). متفق عليه. وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (الحياء لا يأتي إلا بخير). متفق عليه. وفي رواية لمسلم: (الحياء خير كله ، أو قال: الحياء كله خير). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة. فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان). متفق عليه. قال النووي: والبضع بكسر الباء ، ويجوز فتحها وهو: من الثلاثة إلى العشرة. والشعبة: القطعة والخصلة. والإمطة: الإزالة. والأذى: ما يؤدي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها ، فإذا رأى شيئا يكرهه عرفناه في وجهه. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. قال العلماء: حقيقة الحياء: خلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. قال النووي: وروينا عن أبي القاسم الجنيد رحمه الله قال: الحياء رؤية الآلاء: أي النعم ، ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء ، والله أعلم. والمرأة التي تتبرج اليوم عليها أن تعود بالذاكرة إلى الوراء أيام كانت توأد حية! لتدرك أن الإسلام وهبها الحياة مرتين: الأولى بالإبقاء على حياتها من الوأد ، والثانية بصيانتها من التبرج بالحجاب! وتحت عنوان: (المرأة العربية في العصر الجاهلي) يقول الأستاذ عبد الرحمن الطوخي ما نصه: (لقد تكلم القرآن والسنة عن حال المرأة قبل بزوغ شمس الإسلام ؛ تذكيراً للنساء بمنة التحرير من قيود الذل والإهانة ، وما أضفى إليهن من مكارم ومكانة ، وإليك بعض الجوانب التي تبين لك وضع المرأة وواقعها في ذلك العصر من خلال النص. لقد أبغض العرب البنات ، وكان أحدهم إذا بشر بمولود أنثى علأ وجهه الكأبة والحزن ، ثم يفكر في مصير تلك الأنثى أيمسكها على هون أم يدسها في الثراب؟ أما أسباب الوأد: فيكون لكراهيتهم جنس الإناث ، أو خوفاً عليهن من السبي والعار ، فيقتلهن حمية أو غيرة ، ويقال: إن أول من فعل ذلك قيس بن عاصم التميمي ، حين أغار عليه النعمان بن المنذر بعد أن منعه تميم الإتاوة فحاربهم ، وسبى نساءهم ، وأسر بنته فاتخذها لنفسه ، ثم حصل بينهم صلح ، فخير ابنته فاخترت زوجها ، فألى على نفسه ألا تولد له بنت إلا دفنها حية ، فتبعه العرب في ذلك ، وروي أن قيساً وأد بضع عشرة بنتاً. وكان من العرب فريق ثالث يقتلون أولادهم مطلقاً ، إما نفاساً منه على

ما ينقصه من مال ، وإمّا من عدم ما ينفقه عليه ، وقد ذكر الله ذلك في قوله: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ). ونحن إذ نتكلّم عن وأد البنات الذي كان أمراً طبيعياً عن العرب في الجاهلية ، لكنّه لمنتكسي الفِطْرة قساة القلوب والأفئدة. نجد في المقابل أعلاماً استنقذوا البنات من الوأد ؛ لأنّه لم يخلُ مجتمع من أصحاب القلوب الرّحيمة ، والنفوس الزكيّة الأبيّة التي تأبى الظلم والظنم ، وترفضه. وهؤلاء الذين فعلوا ذلك ، يُحمد لهم فعلهم ، ويُعاونون على صنيعهم ، بخلاف هؤلاء الذين مات الإحساس فيهم. ومن بين هؤلاء الأعلام من بدّل ماله لصون البنات عن الوأد ، وسعى سعياً حثيثاً لذلك: صغصعة بن ناجية التميمي ، فقد كان يتلمّس من مسّها المخاض ، فيغدو إليها ، ويستوهب الرجل حياة مولودة إن كانت بنتاً ، على أن يبذل له في سبيل ذلك بعيراً وناقطين عشراويين ، فجاء الإسلام وقد افتدى أربعمائة وليدة. وأيضاً زيد بن عمرو بن نفيل القرشي ، كان يضرب بين مضارب القوم فإذا بصر برجل يهّم بوأد ابنته ، قال له: لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤنتها ، فيأخذها ، ويولي أمرها حتى تشبّ عن الطوق ، فيقول لأبيها: إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها). هـ. فوأسقى على الحياء والاحتشام اليوم! وأسأل البهائم الأدمية المنفلتة من عقال الدين ورباط العقيدة: بأمر من هذا العزّي على البحر ، ثم الاحتشام على الشط؟!)

تعمس السفول فكم به هدمت قيم!	وبه استهان العير - عمداً - بالحرّم
وإذا الحياء تخلفت أسبابه	ألفيت كل فضيلة لا تحترم
ووجدت جل الناس يحكمه الهوى	ويحارب المثل الكريمة والقيم
والدين يعصم أهله من غيهم	وفسوقهم كيلا تزل بهم قدم
ولقد عجبت من النساف في عالم	لفظ المروءة والكرامة والشيم
يخلعن جاباب الحياء تعمداً	وعلى الشواطئ يخلع الثوب الحشم
فبأمر من يصنعن ذلك يا ترى	وبإذن من يأتين هاتيك الجرّم؟
لا يأمر الله العظيم بمنكر	وبرئ الشرع الكريم من التهم
والبحر ليس بذات التحلل راضياً	ولكم بهذا البحر قد غرقت أمم!
ما كان بين الناس يُستر غيرة	وعليه فستان يرفرف كالعلم!
أضحى على الشيطان منزوع الردا	وكانه ملك مشاع مقتسم
والبحر لا يألو الدواعر منذراً	فإذا غرقن به فبئس المختتم!
شرع المليك الثوب يستر والتقى	والعزّي من شأن البهائم والغنم

نعمتِ التوبة

(ليس أجمل من التوبة النصوح ، وذلك عندما تكون بشروطها من الندم وعدم العودة ولزوم الصالحات ورد المظالم لأصحابها إن كانت تتعلق بالعباد. هذا دين الله وتلك شريعته! إن الذي حدد الجريمة بين كيفية التوبة منها! التوبة تستلزم الندم عليها والتعهد بعدم العودة إليها ولزوم الصالحات من الأعمال والأقوال ورد حقوق العباد من مال أو عقار أو ما شابه ذلك إليهم! إذن نحن لا نتوب على هوانا ومزاجنا! نعم نذنب ونُجرم ونعصي على هوانا ومزاجنا! لكن توبتنا تكون وفق الشرع! وشروط قبول العمل عند الله تعالى: أن يتابع الكتاب الشريف والسنة المطهرة ، وأن يصحب الاتباع إخلاصاً لله في العمل فعلاً أو تركاً!)

فَعَجَّلِ التَّوْبَ لَا يَغْرُرْكَ تَأْمِينُ	إن الثواب بقدر التوب مجزول
مَنْ قَالَ ذَا فَعَلَى التَّحْقِيقِ ضَلِيلُ!	مَنْ ذَا عَلِمْتَ بِلَا ذَنْبٍ وَلَا خَطَا؟
وَكُلْ عَبْدٍ عَلَى الْعَصِيانِ مَجْبُولُ	إِنَّا جُبْنَا عَلَى الطَّاعَاتِ نَفْعُهَا
وَالْأَجْرُ - عِنْدَ مَلِيكَ النَّاسِ - مَكْفُولُ	تَزِيدُ إِيمَانَنَا الطَّاعَاتُ نَبْذَلُهَا
وَعَنْ مَعَاصِيهِ ذَاكَ الْعَبْدُ مَسْئُولُ	وَيُنْقُصُ الْوِزْرُ مِنْ إِيمَانِ صَاحِبِهِ
مَرْضَاةُ خَالِقِنَا ، وَالْخَيْرُ مَأْمُولُ	شَرْطَانِ لِلْعَمَلِ الَّذِي يُبْلَغُنَا
بَلْ وَاجِبٌ نَصَهُ حَوَاهُ تَنْزِيلُ	(بِوَافِقِ الشَّرْعِ) هَذَا لَيْسَ نَافِلَةٌ
فَالشَّرْكَ يُحْبِطُ ، إِنْ الشَّرْكَ مَرْدُولُ	وَيُخْلِصُ الْمَسْلَمُ الْأَعْمَالَ يَعْمَلُهَا
هِنَاكَ الْعَمَلُ الصَّحِيحُ مَقْبُولُ	هَذَانِ شَرْطَانِ رَبِّ الْخَلْقِ سَنَهُمَا
وَفَازَ مَنْ قَلْبَهُ بِالتَّوْبِ مَشْغُولُ	وَتُوبَةُ الْعَبْدِ قَبْلَ الْمَوْتِ تَنْفَعُهُ
مَنْ الذَّنُوبِ عَلَيْهَا السِّتْرُ مَسْدُولُ	لَكِنْ لِيَنْدِمَ عَلَى مَا كَانَ قَارِفُهُ
ذَنْبٌ بِهِ الْعِزْمُ مَهْزُومٌ وَمَخْذُولُ	وَبَعْدُ يَعِزُّمُ عَلَى أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى
لَكِي يَكُونُ لَهُ فِي الْخَيْرِ تَحْصِيلُ	وَبَعْدُ يَلْزِمُ مِنَ الْأَعْمَالِ أَصْلَحُهَا
كَيْلَا يَكُونَ لَهُمْ طَوْلٌ وَلَا طَوَّلُ	وَبَعْدُ يُرْجَعُ حَقُوقُ النَّاسِ مَعْتَذِرًا
وَأَجْرُ خَالِقِنَا التَّوَابِ مَجْزُولُ	فَعِنْدَ ذَلِكَ رَبُّ النَّاسِ يَقْبَلُهُ

الشاعر عندما يعف

(طلب من شاعر صاحب مبدأ ومنهجية ورسالة ، أن يكتب قصيدة في مناسبة كذا من مناسبات الجاهلية. لا ناقة للإسلام فيها ولا جمل! بل بالعكس هذه المناسبة باحتفالاتها وبروتوكولاتها وطقوسها تعضد ملك وجبروت الظالمين العتاة ، وتوصل للجاهلية وتساندها ، وتشرعن مناهج المجرمين التي تحل اليوم محل شريعة الله تعالى! فأجاب الشاعر في ثقة المؤمن وإيمان الواثق ، رغم فقره وعوزه وحاجته: بأن لا. فقيل: وتأخذ كذا وكذا من المال. فقال: بل لا ولو أعطيت ألف كذا وكذا. وطبعاً برر لهم ذلك بتبريرات ليست من قلبه ولا من عقله في شيء! لأنه يخشى وشاية هؤلاء السفهاء الحمقى عند المجرمين ، فيحدث له ما لا تحمد عقباه! وبين لهم أن الشعر شعور ، وأن المشاعر لا تباع ولا تشتري! وأنهم لن يعدموا شاعراً يرتزق بشعره! فتخيلت ذلك الشاعر يشرح رأيه شعراً ، على البحر العروضي الخفيف فيقول:)

ليس هذا من غايتي ومرامي	إن شعري يهوى العلا والتسامي
لم أبغ يوماً رؤيتي وانفعالي	والهدايا خلفي ومن قدامي
لم أدق بالأشعار طعم ارتياحي	بل حُرقتُ في نارها والضرام
لم أنل بالأشعار جاهاً رفيعاً	بل ذهنتي مرارة استذمام
لست ممن يبيع بالمال شعراً	كيف تُشري الأشعار بالدرهم؟!
إن شعري بما أعاني تغنى	لم أصغه من عالم الأوهام
إن شعري فيما ألقى رفيقي	في الدياتي القريض بدر تمام
ما أردت بالشعر - والله - دنيا	ما أردت بالشعر أي اغتنام!
إنما ذدت عن شريعة ربي	ودفعت السواى عن الإسلام
واتخذت الإيمان زاداً وهدياً	واعصمت بالله كل اعتصامي
فاستمى الشعر عن حضيض التدني	ثم وافى الدنيا بعذب المرامي
وتهادى (الديوان) بين البرايا	يتغنى بأعذب الأنغام
حاكياً عني محنتي وحياتي	باشقير ورقية واحترام
قد عففت ، والشعر عفاً تباعاً	واتقيت مطاعن اللوام

عندما يصدق العشق

(عشقها ثم بذل الكثير حتى يظفر بالزواج منها ، رغم معارضة الكل بما فيهم أهله وأصدقائه والراسخون في معرفته. وجاهد الجهاد كله ، وضحي بما يملك وما لا يملك ، وعارض الكل وانتصر لنفسه وما رغبت وما تمننت وما أردت! فلما تزوجها أذاقته العذاب بكل أنواعه. فذاق مادي العذاب كما ذاق معنويه ، وكأنها حصلت على شهادة في كيفية تعذيب الأزواج وتقنيطهم من رحمة الله تعالى! وأحرقته بنار النشوز ، وجحيم العقوق. فظل وفياً صابراً محتسباً. وكان عشقه صادقاً رغم المحن. ولما كانت مؤمنة موحدة ، ذات حشمة ووقار ، وذات قرآن وصلاة ، ولما كان له منها الأولاد والبنات تحمل كل هذا العنت والبلاء! عملاً بقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقاً رضي منها آخر). فكتبت أحكي مرثيته على لسانه من الوافر).

أهيمُ بها ، وتجرحني فاصطبرُ
وأحتمل البلاء المُر محتسباً
ولو أني وصفتُ الذل والبلوى
وأحوالاً شقيتُ بها بلا ذنب
وتيهماً قد تمادى في تطاوله
وضنكاً في المعيشة كم صليتُ به
وهماً عشتُ مرتقباً له فرجاً
وغمّاً عن سرور النفس عرقاني
لقال الناس: غالى في مشاعره
وكم نصح الجميع له ، فعاندهم!
وقد صدق العشيقُ وزوجه كذبتُ
وقال القوم: حاذر من تكلفها
فذنق من نار من أحببتُ مُحتملاً
وعالج ما تعاني من تعنتها

فليت الناس من ذا الحال تعتبرُ
وغيري في جزئ منه ينتحر
وما هو في ضميري الحي مستتر
وأوضاعاً - إلى الأخلاق - تفتقر
وسُمة عاشق بالسوء تشتهر
وضيقاً بعضه الآلام والضرر
وبعد الهَمّ غالت عزمي الغير
وأشمت في أعدائي الألي فجروا
وأول نار هذي المحنة الشرر
وخط زواج هذا المبتلى القدر
وإن سلاحتها - في الفتنة - البطر
وما نفع العشيق الواهم الحذر
مُداللة - عليك اليوم - تنتصر
سِيرجها - عن الأهواء - مقتدر

ارجعي إلى حقل الدعوة

(كانت داعية نحريرة. ولما سافرت إلى زوجها في دولة أخرى ، ركنت إلى سعة العيش ورغده. فابتليت بقسوة القلب ، وغلظ الطبع وخشونة السلوك وجفوة التصرف. ومضى قيام الليل ، ونُسي القرآن وتبخرت الأحاديث ، وتوقف صيام النافلة ، وصيم الشهر بالكاد ، وتلاشت عن الأولاد الآداب الشرعية الأصيلة ، وانحسر الحجاب ، فلم يعد يستوعب الجسم كله ، كما كان قبل السفر. وإذا بسُعدى تتبدل من النعمة إلى السلب ، ومن الرشاد إلى الغي. وابتليت بعد ذلك بمشقة التكاليف عليها ، فصارت تفعل الواجبات والفرائض بالكاد ، أما النوافل فقد تركتها في معظمها. فرحنت أعتب على (سُعدى) الداعية ، التي اهتدى على يديها بعض الأخوات الداعيات. فكيف بها تنتكس إلى هذا الحد؟ وهل الحضارة الزانفة والمدنية المنحلة تفتن مسلمة عادية واعية ، فضلاً عن داعية عالمة عن دينها وكتابها وسنة نبيها - صلى الله عليه وسلم - إلى هذا الحد؟! ورحنت أطلب إليها في هذه القصيدة أن تعود إلى حقل الدعوة. هامساً في أذنها أن ما هي فيه اليوم كبوة لجواد ثم يستأنف الجري ، أو هفوة لعالم ثم يصحح المسار!)

كم علتُ قدراً بهذا الدين (سُعدى)	وبعلم الشرع كانت تتحدى!
كم سمتُ في عالم التقوى وجدتُ	ودعتُ لله إيماناً وذوداً!
ودوامُ الحال أمرٌ مستحيلٌ	والثباتُ نعمة تُشرق رُشداً
سافرتُ سُعدى إلى الزوج اختياراً	وهناك الزوج بالبُشرى استعدا
لم تكذ تلبث جزءاً من نهار	واحدٍ حتى بدتُ تُدرك بُعدا
غرّها العيشُ تُحليه المعاصي	ثم باتت لشريك العيش صيدا
فرطتُ في دينها ، حتى تردتُ	والشقيّ اليوم حقاً من تردى
فاشتهى القلبُ أضاليل التدني	ومن اللذات سألواهُ استمدا
فاذا بالنفس في قعر المخازي	أصبحت من وازع الإيمان جردا
وإذا بالحق قد أمسى ثقيلاً	لا تطيق اليوم هذا الحق (سُعدى)
إيه يا سُعدى ارجعي يكفيك هذا	إن - بعد العيش - موتاً ، ثم لحدا
ارجعي للدعوة الشمام طوعاً	وعديني الآن يا أختاه وعدا
واهجري ما أنت فيه الآن فوراً	واصدقي بل عاهدي الرحمن عهدا
واذكري ما كان من ماض تناعى	كم بذلت في سبيل الله جهدا!

دمعة على الأطفال (مرثية على لسان عراقية)

(في إحدى معارك الفلوجة بالعراق خسرت هذه المرأة عائلتها. فراحت تبكي على أطفالها وأطفال العراق جميعاً. فأحسستُ بآلامها ، عندما رأيتها في التلفاز ، وأدركتُ بأن دموعها صادقة نابعة من الفؤاد. وشردتُ بخيال الشاعر في محن العراق وأهله في مستهل الألفية الثالثة هذي! وأدركتُ أن المؤامرة ليست على العراق وحده ، بل على المنطقة بأسرها! وعزائي أن الله يسمع ويرى! وعسى أن نستلهم الدروس والمواعظ والعبر ، ونعي كيف نتصرف وماذا ينبغي علينا فعله وقوله اليوم! فنظمتُ هذه القصيدة على لسان المرأة العراقية المكروبة معزياً لها ، وبكياً معها ، ومطالباً إياها بالاحتساب. وتخيلتها تبكي مليون طفل عراقي ، لقوا حتفهم في حرب ما لهم ولا للعراق ناقة فيها ولا جمل! وحسبنا الله ونعم الوكيل!)

ألا إنها دمعة صادقة	تجود بها المرأة الوامقة
وتذرف في الكرب دمع الأسى	وتشكو مصيبتها الصاعقة
وراحت تصوغ أحاسيسها	قصيداً يجلي لنا الضائقة
تقول: ابتلينا بشر الورى	وشردمة رثية مارقة
أغارت علينا بلا رحمة	وهل ترحم الطغمة الفاسقة؟
وهبت زرافاتها تعدي	وتتبغ لاحقة سابقة!
ودكت مدافعها دارنا	وألقت قنابلها الحارقة
ودمرت الدار في لحظة	فأمست بأشلائنا عالققة
وسالت دماء صغاري سدى	وأطلال داري بها غارقة
ومليون طفل قضوا نحبهم	جميعاً ، وفي سرعة فائقة
ألا إنها خطرة أحكمت	وجاءت بأسلحة ماحقة
وحرب ضروس على ديننا	ومما أقول أنا الوثيقة
صليبية تسبغ الهدى	لذا اختارت الأنفوس الحانقة
ونحن الضحايا وأطفالنا	وإني - ورب الورى - صادقة

المروءة مني وأنا منها

(اتهم رجل ذو مروءة بأنه عديمها. فراح يدافع عن نفسه. فقيل له: إنك منان على الناس بما تصنع لهم. فقال: ذلك لأننا في زمان تناقض الأشياء. إن سكت فيه المتفضل أنكِر فضله! وإن تكلم قيل إنه منان! وتبجح بعضهم فزاد حبات الطين بلة بقوله: لا فضل لأحدٍ على أحد ، بل الفضل كله لله! ولا ينبغي أن يشكر أحدٌ أحداً لأن الشكر كله لله! والرد على هذا البعض المتبجح بأن القرآن حسم القضية: (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة – ولا تنسوا الفضل بينكم – أن اشكر لي ولوالديك)! فينبغي شكر أصحاب الفضل والمروءة على تفضلهم ومروءتهم! ألا إن صاحب الفضل من حقه أن يبين الحقيقة إذا خفيت! نعم لا يمن على من أحسن إليه! ولكن عندما لا يعترف من تفضل عليه ولا يشكر ، يمكن لصاحب الفضل أن يبين الحقيقة ، ويذكر شيئاً من تفضله ليذكر المنكر للجميل ليس إلا! فكتبتُ في هذا على البحر العروضي الوافر أقول:)

وماذا الطعنُ بالعللِ الوجاع؟	وهل تزوى الحقائقُ بالخداع؟
أيتهمُ البرئُ بلا دليلٍ	ويُرمى بالوصول والانتفاع؟
ويُقهَر بالتخرس دون حق	ويُوصَف بالسفول والاختضاع؟
ويُذَبِحُ جَهرة مثل الأضاحي	ويُرمى للأوابد والسباع؟
ويُمسِي عرضه مُكأً مُشاعاً	ومَن يعتد بالمألك المشاع؟
ألا إن المروءة بعضُ سَمتي	كمثل الفلك تسعى بالشرع
وحب البذل ديدنُ كل حر	لذلك كان من أحلى طباعي
ولستُ مُزكياً نفسي ، ولكنُ	أحدتُ بالنعيم المسستطاع
أقول الحق ، لا أخشى البرايا	وما أنا في التكلف بالشجاع
لأثبت أنني - من فضل ربي -	كريمٌ لسْتُ من سِقط المتع
لأدفع تهمة بلغت مَداها	وباتت تستجيش روى الدفاع
وأثبت أنني ما كنت نذلاً	لكي تنفضَ غائلة النزاع
وأنني اليوم أولى باحترام	يُخفف من مقارعة الصراع
يَمينُ الله ليس المَن سَمتي	ولكن إن ظلمتُ فلن أراعي

ألسنتكم لا تراعي حق الجوار

(ابتلي بجيران مغرضين مخبيين ، إن رأوا شراً أذاعوه ، وإن رأوا خيراً كتموه ، لا يرقبون في مؤمن إلاّ وذمة. أفسدوا بينه وبين أهله. وكانت النتائج كارثية على ابنه وابنته والبيت بأسره. وراح يسأل عن حقوقه كجار وكأخ لهم في الإسلام. هل الذي فعلوه ترجمة لوصية الله تعالى في كتابه بالجار(والجار ذي القربى – والجار الجنب – والصاحب بالجنب)؟ هل هو تطبيق لقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)؟ والأصل أن تراعى حقوق الجيران لأنهم بمثابة الأهل! وشريعتنا عظمت حقوق الجار وجاءت بها آيات وأحاديث! وسن الإسلام تشريعات خاصة بالجيران! فينبغي اتباعها والعمل بمقتضاها! فتخيلت الجار المبتلى يذم جيرانه ، فأنشدت هذه القصيدة وعلى البحر العروضي المضارع.)

ليست مُجَرَّدَ دَعْوَى	فِي النَّاسِ تُحَكِّي ، وَتُرَوِّى
مِنْ أَنْكُمْ أَهْلَ سَوْءٍ	وَتُرْهِمَاتٍ وَأَهْمَاوَا
عَانِيَتْ مِنْكُمْ طَوِيلاً	وَذَبْتِ ضَيْقاً وَشُكْوَى
وَكَمْ تَضَجَرْتِ حَتَّى	عَدِمْتِ - فِي الدَّارِ - مَأْوَى!
وَضِيقَتْ ذُرْعاً بِقَوْمٍ	وَجِيْرَةً دُونَ جَدْوَى
غَمَّرْتُمُ الزَّوْجَ كِيْدَاً	وَحَقَّقْتُمْ كَمَا أَنَّ أَقْوَى
عَلَيَّ خَبِيْتَمَوْهَا	مَا عَنَدَكُمْ أَيُّ تَقْوَى
أَفْسَدْتُمُ الزَّوْجَ عَمْدَاً	وَسُوقْتُمْ كُلَّ بِلْوَى
فَأَشْهَرْتُمْ سَيْفَ ثَارٍ	وَاسْتَصْدَرْتُمْ فَيَّ فِتْوَى
وَأَهْدَرْتُمْ كُلَّ حَقٍّ	كَمَا تَحْبِبُّونَ وَتَهْوَى
وَأَهْمَلْتُمْ عَيْنِي تَمَامَاً	كَأَنَّني بَدَيْتُ عَدْوَى
وَالدَّارَ صَارَتْ خَرَابَاً	وَقَدْ تَصَيَّرَ لِأَسْوَا
بِفَضْلِ مَا قَدْ ذَكَرْتُمْ	أَغْوَيْتُمُ الزَّوْجَ إِغْوَا
إِذْ اتَّحَدْتُمْ عَلَيْنَا	فَضَاعَ (عَمَرُو) وَ(سَلَوَى)
فَأَيْنَ حَقِّ جَوَارِي؟	أَمْ أَنْ ذَاكَ دَعْوَى؟

باكية إلى الأبد

(قتل الصرب زوجها وكل أصدقائه المجاهدين ، فأبدت الصمود. وبكت طويلاً دون أن ترى دمعتها. والبكاء لن يرجع أحبباً قتلوا ، لكنه يروح عن النفس ما تعانيه وما تكابده! و الزبانية المعتدون المجرمون ينظرون إلى مواضع أقدامهم فقط! هناك تاريخ يسجل جرائمكم واعتداءاتكم وتجاوزاتكم! وإن لم تظهر اليوم ، فعمما قريب يعرف الناس الحقيقة! وهناك يوم قيامة تجتمعون فيه مع قتلاكم ويقولون للرب: يا ربنا سل هؤلاء: فيم قتلونا؟ فهل تستطيعون الجواب؟ وإذن فالحق مأخوذ منكم يوماً ما. وما نالكم سوى خزي الدنيا وعذاب الآخرة! فأنشدت متأثراً بما حدث للزوجة ، وحاكياً عنها وعلى البحر العروضي السريع.)

دمعي لَمَّا عاينتِ منحدرُ	والقلب في الآلام يستعزُ
والكرب - في الأعماق - منجدلٌ	يشكو الذي يأتي الألي كفروا
ما زالتِ الأغيار تصررنا	ويوزنا المسـتقبل الأشـر
والحزن يكوِي هممة صمدتْ	واستبسلتْ في وجه من بطروا
من قتلوا زوجي ورفقتـه	واسـتهزأوا ، والأمر مشـتهر
جادلثهم في عز مؤمنةٍ	وثبات من في البأس تصطبـر
لَمَّا أشأ أن يشمتوا أبداً	بل كنت - فيما حل - أبتشر
قاومتُ حتى قيل ساحرةٌ	وأريتهم ما ليس ينتظر
ما قيمة الدنيا وزخرفها	إن غاب عني - في الدجى - القمر؟
إن الذي قد حل بي جـلٌ	أمنتِ حقاً أنه قدر
والله قـوانـي لأقبـله	أو كنتُ لـولا ذاك أنتـحر
والحرب قد خطت نهايتها	لكن دمع العين ينحدر
والقلب - من فرط الأسى - جزعٌ	يكاد - رغم الصبر - ينفطر
يارب خفف صدمة ذهبـتْ	بالعقل مما قارف العجر
وارحم أيارب الوري أمة	دوماً - إلى الرحمن - تفتقر

السقوط في الجحيم

(اعتاد ذلك الفتى الأحمق أن لا يستمع إلى كلام والده ، ولا يُعيره اهتماماً. فأنتهى به عقوقه إلى السقوط في أيدي حفنة من الشباب الفسقة المنحرفين. فكان جحيماً احترق في أتونه الفتى العاق. إن المرء ينبغي أن يختار صاحبه كما يختار طعامه وشرابه ولباسه ومأواه! والنبى - صلى الله عليه وسلم قال: (المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال). ومن هذا المنطلق فإن الصاحب الصالح يدفع صاحبه إلى الأعمال الصالحة! والصديق الفاسق الماجن المنحل يدفع صاحبه إلى الانحراف والفسوق والمجون! فأنشدت في هذا وعلى البحر البسيط والقافية البائية أقول:

كم اشتكى من نظى عقوق الابن أبُ
وفي الفؤاد جوى من سوء منهجه
وفي الضمير عذابات ينوء بها
والنفس تجتر - جبراً - فرط خبيتها
والإبن في الغي والإفساد منجدل
ورفقة السوء زلال يُزلزله
يُحطمون الفتى ، ويستجيب لهم
يساق سوقاً إلى حتف ينوء به
ألا يُراجع نفساً سوف تُوبقه؟
عُقبى التردى سُقوط في برائته
مازال يلعب بالنيران مضرمة
ويتبع الوهم لا يرقى بهمته
حتى طواه من الأوزار أكبرها
إن شاء تاب الفتى من كل معصية

والعين باكية ، والقلب ينتحبُ!
والشوق للعيش بالآلام يختضب
حتى يسربله الإعياء والنصب
من بعد ما عرقلت إباءها الكرب
وليس يُدرك ما يأتي وما يجب
والغر - للجوقة الأشرار - منجذب
أليس في عقله رُشدٌ ، ولا لبب؟
حرقاً ، وبين يدي رفاقه اللهب
وكيف أمسى لها على الفتى الغلب؟
والفسق حتماً على الفساق ينقلب
ولا يقوم بما يُرجى ويُطلب
وبالتحليل والأهواء يعتصب
وأوبقتة دواهي السوء والنوب
ويقبل الله ممن تاب يحتسب

القلم النزيه كالسيف

(الأقلام نوعان: نوع في يد منافق يكتب ما يمليه عليه أسياده. وآخر نزيه كالسيف إما أن يصدّق عندما يكتب ، وإما أن يقصف ويكسر إلى حين ثم يستأنف ، وإما يرمى فلا يكتب. وإنني أخاطب كل موحد أنه إما أن يكتب الحق ، أو لا يكتب قط. وهذا هو المفهوم الصحيح للكتابة! إما كتابة صحيحة موافقة لكتاب الله وسنة رسوله ، وإما لا كتابة مطلقاً حتى يسود مناخ تمكن الكتابة فيه! والكاتب المحترم لا يدلس ولا يسبح بحمد الطواغيت ولا يجامل على حساب العقيدة ولا يحرف نصوص الكتاب والسنة لتتناسب مع الجاهلية نظير عرض من الدنيا قليلاً كان أم كثيراً! ومن هنا تأتي نزاهة القلم الذي يشبه السيف في ميدان المعركة! أكتب في هذا على البحر المجتث وقافية العين أقول:)

إذا عـدمت الشـجاعة	فاخذ إلى الصمت ساعة
ولا تطـوع يراعياً	له التسامي بضاعة
فلا يخط المـخازي	ولا يجيد الخـلاعة
ولا يُدس يومياً	وإن دهته مجاعة
ولا ينفق يـرجو	لدى الطواغي شـفاعة
ولا يقـرّ التـدني	وإن أتته الجماعة
ولا يتـابع هـزلاً	لديه منه مناعة
إذ الصـراحة كنـز	أراه صـنوّ الشـجاعة
وليس كـالحق شـيء	يرى الزيـوف شـناعة
يراعة الشـهم سـيف	يردّ بأس البشاعة
لـه نزاهة عـف	تضـمّخت بالبراعة
خيـاره - جـد - صـعب	وللقـرار اندفاعـة
مخيـرّ بـين صـدع	بحقـه فـي نصـاعة
أو البقـادون بـذل	فقـد تُفيد القنـاعة

الجماليات والحرام

(دفعتهن ظروف الحياة على حد تعبيرهن - إلى أن يعملن في مقاهي الإنترنت. فكانت نافذة تطل على الحرام من أدنس أبوابه وأحقرها بكل ما تعنيه الكلمة. ولا يعني هذا أننا نجيز عمل المرأة بصورة مطلقة كما تفعل الجاهلية! بل الأصل القرار في البيت: بيت أبيها أو بيت زوجها! ومن هي في داره يلزم بالإنفاق عليها لأنها عرض يُصان ، وليست سلعة تبتذل ببيعاً أو شراءً! وجماليات قصيدتنا أدركن سر اللعبة الخبيثة المتوقعة من عمل البنات في مقاهي الإنترنت ، فقررن عدم التمادي في العمل ، مهما كلفهن ذلك القرار.)

عائِنَا الظلمة والشِّقوة	وانسـقنا في تيهه الغفوة
ورضينا بالباطل درباً	فسـقنا في قعر الهوة
ما كنا ندرك غايتها	بل كنا نحلم بالثروة
فانقـدنا للتيه بعزم	والنزوة تتبعها نزوة
وقبلنا بالدعر سبيلاً	وانفلتت - بالدعر - الشهوة
وتردِينَا في شِقوتنا	حتى اسـتـعذبناها شِقوة
لا شيء يعوق مطامحنا	فالمطمح تدفعه نشوة
نحن النيران قد التهبث	وبدايتها كانت جذوة
في (مقهى الإنترنت) سبث	لقطات أفـدة النسوة
فانزلقت أقدم سقلت	وسعت - نحو السوآى - خطوة
وانطلقت تُشبع خاطرها	برضاها ، لم تذهب عنوة
زين إبليس لها المهوى	فهوت تأمل بعض الخطوة
وبنات (المقهى) في شغل	لا يعرف ديناً ، أو نخوة
ثم التوبة جاءت تسعى	تحمل بشراها والصحوة
تنثـشـل الغادات سـراعاً	من رجس الباطل والشقوة

دموع ووعيد

(مكر حفنة من الظالمين بأحد الصالحين. فدمعت عيناه ، وتذكر لوطاً - عليه الصلاة والسلام - في قومه عندما اضطهدوه ومكروا به ، فقال: (لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد). فقال الموفق ذات الكلمات ، ودمعت عيناه ، وتوعدهم بالدعاء عليهم. إن المعركة بين الحق والباطل لا تنتهي إلى يوم القيامة! ولا تطول المعركة طويلاً يأتي معه اليأس ويتسرب إلى القلوب والضمانر إلا إذا ضعف الحق وأهله! فيبدأ أهل الباطل في وهمهم الكبير من أنهم قدروا على الحق وأهله! والصبر على البلاء دأب الصالحين! وإن الله تعالى منجز وعده من نصرته الحق وأهله! وصدق الله تعالى إذ قال: (إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)! فأشدت في ذلك على البحر الكامل والقافية الهمزية أقول:)

دمعي - على الخدين - كالدأما	والقلب يلهج ضارحاً بدعاء
لو أن لي بمن افتروا من قوة	لحييت في عز ، وفي استعلاء
أو في البلاء آوي إلى الله الذي	هو ناصر الأبرار في البلاء
مكر العتاة ، وفي باعوا واشتروا	وأذيعت الأسرار للأعداء
وتناولوا عرضي بأحقر سبة	وتناولوا بتخبرص الجهلاء
وتجمعوا - رغم اختلاف بينهم -	كي ينزلوا بي أخطر الأرزاء
وتبادلوا الأدوار دون تحفظ	وتشردوا في خفة ودهاء
وبقيت وحدي في الكريهة مرغماً	هل أعزل يقوى على الهجاء؟
وظللت أجتز الكأبة مجبراً	وألوك - في البلى - نظى اللأواء
وبقيت من ثقل الهموم تراكمت	حولي ، فببت بحسرتي وبلائي
لولا تواطؤ الظالمين تمردوا	واستبسوا في الكيد والبأساء
ما ذل مثلي في الخلائق لحظة	كلا ، ولا عانيت أي شقاء
وإلى المهيمن سوف أجار باكياً	أدعوه في جهر وفي نجواء
بيني وبينهم جعلتك خالقي	فامنن علي بنصرة قعساء

بداية الهزيمة التكلف

(تطوع ذلك الطيب الصالح أن يحكم بين اثنين قد أكل الخلاف ودهما في قضية ما. وقبل سماع الطرف الثاني ، تسرع فحكم للأول. فكان تكلفاً مذموماً ممقوتاً ، كاد أن يقود إلى الهزيمة ، لولا أن الطرف الثاني رفض التحكيم أصلاً. فكتبت للحكم هذه القصيدة على البحر المتقارب كي يعتبر من قصة داوود - عليه السلام - مع الخصم اللذين تسورا عليه محرابه - ذات يوم - يقول الله تعالى في سورة ص: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ، إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ، إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفُلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ، قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ). والمعنى كما يورده (التفسير الميسر): (وهل جاءك - أيها الرسول- خبر المتخاصمين اللذين تسورا على داود في مكان عبادته ، فارتاع من دخولهما عليه؟ قالوا له: لا تخف ، فنحن خصمان ظلم أحدهما الآخر ، فاقض بيننا بالعدل ، ولا تجر علينا في الحكم ، وأرشدنا إلى سواء السبيل. قال أحدهما: إن هذا أخي له تسع وتسعون من النعاج ، وليس عندي إلا نعجة واحدة ، فطمع فيها ، وقال: أعطنيها ، وغلبني بحجته. قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضم نعجتك إلى نعاجه ، وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض ، ويظلمه بأخذ حقه وعدم إنصافه من نفسه إلا المؤمنين الصالحين ، فلا يبغي بعضهم على بعض ، وهم قليل. وأيقن داود أننا فتناه بهذه الخصومة فاستغفر ربه ، وسجد تقرباً لله ورجع إليه وتاب).هـ. وهكذا تنصلح ذات البين بين المسلمين! بين دفتين الأولى: (وإذا قلتم فاعدلوا) ، والثانية: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)! إن إصلاح ذات البين يقوم على العلم والتقوى والرفق والتيسير والحكم بالعدل وقول الحق! وتحت عنوان: (إصلاح ذات البين) يقول الأستاذ خالد بابطين ما نصه: (قال الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: [ولا تخزني يوم يُبعثون* يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم]. والمراد بالقلب السليم هاهنا: ذلك القلب الذي سلم من الشرك كبيره وصغيره ، وسلم من النفاق والبدعة ، ومن الغل والحسد على إخوانه المؤمنين. ولذا كان أصحاب الجنة متصفين بهذه الصفة: [ونزعا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سُرر متقابلين]. إنَّ الله بعث الله محمداً رضي الله عنه رحمةً وهدى ، فلقد وسع خلقه الناس سهولةً ورفقاً ، ونضحت يده بالعطايا كرمًا وجوداً ، أبرهم قلباً ، وأصدقهم لهجةً ، وأقربهم رحماً. وإنَّ من أخصَّ خصائصه وأكرم سجاياه ؛ أن لازمته تلك الفضائل الزاكية ، والأخلاق العالية في أشدِّ الأوقات وأحلك الظروف ، شجَّ رأسه، وكسرت رباعيته في غزوة أحد ، فقيل له في هذا الحال العصيب: ألا تدعو على المشركين؟ فما هو إلا أن تدفق رفقته ، وطغت رحمته ، وفاضت طبيعته العالية وسجيته الكريمة بما يلتمس فيه العذر لهؤلاء ، فكان مما قال : «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون». وقال في مقام آخر: «إنما بُعثت رحمةً ولم أبعث لعناً». وصدق الله العظيم: {وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين}. هاهو - أبو الأنبياء - نوح عليه السلام يقول في مجادلته لقومه: {يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من ربِّ العالمين. أبلغكم رسالات ربِّي وأنصَح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون. أوعجبتم أن جاءكم ذكْرٌ من ربِّكم على رجلٍ منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون}. إنَّه جواب ملؤه الرحمة والشفقة والصدق في النصح واللطف في الخطاب. وإذا نظرنا إلى موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام أدركنا أن الأمر كان كذلك: وليس بعد طغيان فرعون من طغيان وقد قال الله لموسى وهارون عليهما السلام: {أذهب

إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولاً لئلاً لعلَّه يتذكرُ أو يخشى}. إنها القلوب الكبيرة التي قلماً تستجيشها دوافع القسوة عن التعقل والحلم ، إنها إلى العفو والصفح أقرب منها إلى الانتقام والبطش. إنَّ حقاً على المسلمين جميعاً أن يستصحبوا الرفق واللين في الأمر كله من غير مدهانة ولا مجاملة ، ومن غير غمط ولا ظلم. إنَّ على الأب الشفيق والأم الرؤوم ، وإنَّ على الأزواج وأصحاب المسنوليات أن يرفقوا بمن تحت أيديهم ، لا يأخذون إلا بحق ، ولا يدفعون إلا بالحسنى ، ولا يأمرن إلا بما يُستطاع: {لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا سِيجِلًا} ما آتاه الله بعد عسرٍ يسراً}. ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه ، ولا نزع من شيءٍ إلا شانه ، وإنَّ الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، بذلك صحَّت الأخبار عن الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم). إن الحكم بين اثنين لا يجب عليه أبداً أن يتكلف لأي منهما ، ولا أن ينحاز لأحدهما على حساب الآخر للحظة واحدة! لأنه إن فعل شيئاً من ذلك ضاعت معالم الحق ، لأن حكمه سيكون مبنياً على انحيازهِ!

تكلفت للخصم ثم افتريت	لهذا رفضتُك لَمَّا عصيت
ظننتُك - فيما أرى - منصفاً	لهذا إليك - سريعاً - سعيت
أومل فيك القضاء الذي	يُقيم العدالة إما قضيت
فخيبت ظنني ، وأمنيتي	لأنك للخصم - عمداً - أويت
وقبل انعقاد اللقاء الذي	دعوت له الكل لَمَّا نويت
رأيتُك تقضي لخصم بغى	فيا ليتني - للقضا - ما أتيت!
ويا ليتني كنت مستبصراً	وما كنت يوماً إليك اشتكيت
تكلفك الآن قد را بنبي	لأنك لَمَّا انهزمت افتريت
وصرت تُجامل أهل الهوى	وإني - بهذا الصنيع - اكتويت
وكانت بداية هذا العنا	سماعاً من الخصم كَيْت وكيت
فراجع ضميرك ، يا صاحبي	ولا تأت ما عنه - دوماً - نهيت
ومن خصم (داود) خذ عبرة	تُفيدك لو بالنبى اقتديت
وتستغفر الله مما جرى	وتبكي كثيراً على ما جنيت
وتندم أن لم تكن منصفاً	لينة ذلك الله فيما ارتأيت

امراتان من صعيد مصر!

(أما الأولى فهي (هاجر) أم إسماعيل زوج الخليل إبراهيم عليهم السلام. وكانت أميرة منف المخطوبة لابن عمها الأمير ، ثم غلب على قافلته الهكسوس الرعاة ، فقتلوا خطيبها وسبوا. وأصبحت من الحريم السلطاني. إلى أن أخدمها فرعون سارة فزوجتها للخليل. والثانية مارية بنت شمعون القبطية ، أم المؤمنين زوج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وهي من قرية تسمى (الحفن) من كورة أنصيا بصعيد مصر. آمنت بالله ورسوله قبل زواجها من النبي. وكذلك أسلمت هاجر على يد سارة. وهاجر ليست أمة فهي أميرة منف. ومارية أعتقها ولدها من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – (إبراهيم). وهذا الكلام ثابت في كتب المغازي والسير والتراجم والتاريخ ، وموثق في مظانه يعلمه القاصي والداني. وإذن فلأهل الصعيد الفخر عندما كانوا أصهار النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصهار أبيه إبراهيم – عليه السلام – وإنه لشرف كبير ومجد تليد. ولأني من أهل الصعيد لكون أبي واحداً من أهله ، رحمتُ أفتخر بهذا المجد وأفاخر الدنيا به! فيكفي صعيد مصر أن يكون له ذلك الشرف العظيم! الصحفي المصري محمود خليل - سكرتير تحرير جريدة الأحرار المصرية يقول تحت عنوان: (العرب أول من سكن مصر والنبي محمد "صلى الله عليه وسلم" من أصول مصرية من ناحية جدته لأبيه ، حيث إن هاجر جدته لأنه من ولد إسماعيل ، وإسماعيل ولدها! ثم يناقش الأستاذ محمود خليل المسألة من الناحية التاريخية فيقول: (كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام زوجتان: "ساراي" وتحدث العبرانية ، و"هاجر" وتحدث العربية. وأمر الله إبراهيم أن يغير اسمه هو وسارة زوجته من الأسماء العبرية "إبرام وساراي" -"إلى العربية "إبراهيم وسارة" وأسكن سيدنا إبراهيم سارة في القدس ومن نسلها كان العبرانيون وأسكن هاجر في صحراء مكة ومن نسلها كان العرب. هاجر سيدنا إبراهيم من أرض النهرين وأخذ معه زوجته سارة وابن أخيه سيدنا لوط عليه السلام ذهبوا إلى مملكة الأقباط – مصر- وهناك حاول الملك أن ينال من سارة وكلما اقترب دعت ربه فيصرع. وكلما أفاق يقترب وهي تدعو الله فيقع صريعاً إلى أن اقتنع أنها بحماية من الله عز وجل فأهدى إليها أميرة قبطية – مصرية - اسمها هاجر بناء على طلبها إكراماً لها وليس خادمة كما يدعى اليهود في كتبهم المكذوبة. ويجب أن نلاحظ أن مصر كانت تسمى مملكة الأقباط في عهد سيدنا إبراهيم أي إن الأقباط مصريون وليسوا نصارى كما يدعى النصارى المعاصرون في مصر لأغراض في نفوسهم. مضى إبراهيم إلى فلسطين وفي الطريق وعندما وصلوا إلى قرية "سدوم" على سواحل البحر الميت أمر لوطاً أن يسكن في تلك القرية ويدعو أهلها إلى عبادة الله سبحانه أما إبراهيم فقد واصل طريقه مع زوجته سارة وهاجر إلى أرض فلسطين حيث رأى وادياً جميلاً تحيطه الروابي والتلال فألقى رَحْله هناك. ومنذ ذلك التاريخ سكن إبراهيم الأرض التي تدعى اليوم بمدينة الخليل في فلسطين المحتلة حيث ضرب إبراهيم خيامه في ذلك الوادي الفسيح وترك ماشيته ترعى بسلام وكان ذلك الوادي في طريق القوافل المسافرة ، لهذا كان يقصده الكثير من المسافرين فيجدون عنده الماء العذب ، والطعام الطيب وكرم الوفادة والاستقبال الحسن ، والكلمات الطيبة. حيث كان إبراهيم يتحدث مع ضيوفه ، داعياً إلى عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له ولا معبود سواه وبمرور الأيام والأعوام عرف الناس سيدنا إبراهيم كرجل صالح كريم أمين وعرفوا أخلاقه وصلاحه وعبادته وتقواه وحبّه للضيوف وللخير والناس. رغم ذلك الحب والتقدير لإبراهيم من الناس. فإنه كان حزيناً لأنه كان يتمنى أن يكون له طفل خاصة وقد تقدم به العمر ، وأصبح شيخاً كبيراً ، وأصبحت زوجته عجوزاً ، ولم يرزقا طفلاً يأنسا به. ومن شدة حب سيدتنا سارة زوجة إبراهيم له قالت له: أنت تحب أن

يكون لك أطفال وذرية وأنا أحب أن يكون لنا طفل نرعاها. يا خليل الرحمن أعرف أنني قد أصبحت عجوزاً ولكني سوف أهب لك هاجر فتزوجها لعلّ الله أن يرزقنا منها أولاداً. ورفض إبراهيم حتى لا تحزن سارة ولكنها أصرت على عرضها وقالت له: سوف أفرح لفرحك. وهكذا وهبت سارة هاجر المصرية إلى زوجها إبراهيم فتزوجها. ولم تمض تسعة أشهر حتى سُمع بكاء الطفل وفرح الجميع بميلاد إسماعيل. لقد وهب الله سبحانه وتعالى إبراهيم ولداً أسماه إسماعيل وكان طفلاً محبوباً ملاً قلب أبيه فرحاً ومسرّة. لهذا كان يحتضنه ويقبله ، وكان يقضي بعض أوقاته في خيمة أمّه هاجر ، مما أشعر سارة بالغيرة من هاجر ، وفي ذات الوقت كانت لا تريد للغيرة أن تأكل قلبها وترفض أن تكره أو تحقد على هاجر بسبب ذلك. ولهذا طلبت من إبراهيم أن يبعد هاجر لأنها كلما رأتها تغار منها وتحقد عليها ، وهي لا تريد أن تدخل النار بسبب تلك الغيرة. فلقد تحمّلت العذاب والهجرة بسبب عدم إيداع هاجر وابنها إسماعيل وإيمانها بزوجها إبراهيم ، وظلّت مؤمنة بريها وبرسوله إبراهيم. وظلت صابرة طوال هذه السنين. ولهذا بشرت الملائكة سيدنا إبراهيم وسارة بولدين متعاقبين هما إسحاق ويعقوب. قضت مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يأخذ إبراهيم هاجر وابنها إسماعيل إلى أرض بعيدة في الجنوب ممثلاً لأمر الله سبحانه وتعالى. فشَد الرحال إلى مكان مجهول لم يذهب إليه من قبل ، وسار إبراهيم مع زوجته هاجر ، ومعهما إسماعيل الطفل الرضيع أياماً طويلة ، وفي كل مرّة وعندما يرى سيدنا إبراهيم مكاناً جميلاً أو وادياً مُعشّباً كان ينظر إلى السماء كان يتمنى أن يكون قد وصل المكان الموعد ، ولكن الملاك يهبط من السماء ويخبره باستئناف المسير. وهكذا ظل إبراهيم يسير ويسير ومعه زوجته هاجر ، وهي تحمل طفلها الرضيع وبعد أيام طويلة وصلوا أرضاً جرداء عبارة عن وادٍ ليس فيه سوى الرمال وبعض شجيرات الصحراء الجافة ، وفي ذلك المكان هبط الملاك وأخبر إبراهيم بأنه قد وصل الأرض المقدسة. ونزل إبراهيم في ذلك الوادي الذي كان وادياً خالياً من الحياة حيث لا نهر فيه ولا نبع ولا يعيش فيه إنسان إنها إرادة الله أن يعيش الصبي إسماعيل وأمه في هذا المكان الموحش وقبّل إبراهيم طفله إسماعيل الذي بكى من أجله وهو يتركه وأمه هاجر في هذا المكان ، وبكى إبراهيم من أجلهما. التفتت هاجر حواليتها فلم تر شيئاً سوى الرمال والصخور والجبال الصماء ، فقالت لزوجها: أتركنا هنا في هذا الوادي الموحش؟ فيرد عليها: لقد أمرني الله بذلك يا هاجر. ولأن هاجر كانت امرأة مؤمنة وموحدة عرفت أن الله رعوف بعباده ويريد لهم الخير والبركات فقالت لإبراهيم: ما دام الله هو الذي أمرك فهو كفيلاً وهو يرعانا إنه لا ينسى عباده. ابتعد إبراهيم بعد أن ودّع ابنه وزوجته ثم وقف فوق التلال ونظر إلى السماء وابتهل إلى الله أن يحفظهما من الشرور. اختفى إبراهيم عن عيني هاجر وعيني إسماعيل ، وفرشت هاجر لابنها جلد كبش ، وقامت لتصنع لها ولطفلها خيمة صغيرة ، وكانت تعمل بكل طمأنينة فهي تؤمن أن هناك من يرعاها ويرعى وليدها ، وكانت في النهار تجمع بعض الحطب ، وفي المساء توقد النار وتصنع لها رغيماً تتعشى به ، وكانت تسهر معظم الليل وهي تنظر إلى السماء والنجوم. مضت عدّة أيام وهاجر على هذه الحال حتى نفذ ما معها من الماء ، ولم يبق في القربة قطرة واحدة! والقصة معروفة في القرآن الكريم. حيث استنجدت بالله سبحانه وتعالى من تلك الصحراء القاحلة التي أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم بأن يتركهما فيها لحكمة إعمارها بقوله: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). وأخذت تسعى بين جبلي الصفا والمروة حتى تفجرت عين زمزم تحت قدمي إسماعيل إيذاناً ببدء أول تجمع بشري في تلك الصحراء القاحلة! حيث بدأت القبائل العربية تأتي إلي تلك البقعة طلباً للماء ، واستأذنوا من السيدة هاجر في الجوار والإقامة ، فأذنت لهم وتم تعمير الجزيرة العربية التي لم

يسكنها بشر من قبل. بين تلك القبائل العربية نشأ إسماعيل عليه السلام ثم أتى إبراهيم إلى مكة حيث أقام الكعبة هو وسيدنا إسماعيل عليهما السلام ، وتم رفع قواعد البيت العتيق واختارت هاجر - أم العرب التي هي في الأصل مصرية - زوجة مصرية من قبيلتها لابنها إسماعيل ، "أبو العرب". إذن فهاجر كانت على صلة بأهلها القبط - المصريين - ولم تنقطع عنهم وكانت تزورهم وبعد أن تزوج ابنها إسماعيل تمكث أيضاً زوجته المصرية معهما في هذه البقعة من الصحراء ، إذن فالأسرة المصرية هاجرت إلى هذا الموقع لتسكن فيه لماذا؟ لا بد من وجود سبب مهم؟ هذا على فرض صحة هذه الرواية التاريخية ، وإلا فإن إسماعيل تزوج من جرهم! أما السبب فهو نسل إسماعيل وزوجته المصرية حيث سكنت قبيلة قريش بمكة المكرمة التي كانت جزءاً من مصر في ذلك الوقت لذلك فالعرب يعتبرون مصريي الجنسية وأمهاتهم مصريات (باعتبار هاجر أم لجد العرب إسماعيل). فيكون المصريون أهل هاجر أحوال العرب شاؤوا اليوم أم أبوا! ويُختلف في اسم زوجة سيدنا إسماعيل قيل إن اسمها عمارة بنت سعد بن أسامة ، وقيل إن اسمها جداء بنت سعد ، وقيل حبي بنت أسعد بن علق ، وقيل ريبة أو ميريبة. وأغلب الظن أنها مصرية مثل أمه السيدة هاجر. وإن كنت لا أعول كثيراً على المصادر التاريخية! وهؤلاء هم العرب أي الذين ينطقون العربية الفصحى التي نزل بلسانهم القرآن وغيرهم يسمون الأعراب واشتهروا بقرض الشعر والأدب والتجارة والأخلاقيات الحميدة مثل الكرم والنبيل والشجاعة ومساعدة الغير والفروسية. في هذه المنطقة وبين هؤلاء العرب "المصريين" ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ونشأ وترعرع وتعلم ونزل عليه الوحي. حتى اكتملت الرسالة الإلهية ، وبدأ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بناء الدولة الإسلامية وتدعيم أركانها. وكان من بين مهامه نشر رسالته للعالم أجمع ، ومن بين من أرسل لهم يدعوهم إلى الإسلام دين رب العالمين وخاتم الرسالات ودين أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم وأبي البشر سيدنا آدم. وكان المقوقس ملك القبط ممن كاتبهم وأرسل إليه حاطب بن أبي بلتعة يدعوهم إلى الإسلام. ومما جاء في الرسالة: "أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين". وأحسن المقوقس لقاء رسول رسول الله وأخبره بأن القبط لا يطاوعوه على ترك دينه. ومع ذلك فقد أكرم وفادة حاطب رسول رسول الله وكتب له: قد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بأميرتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوة ومطية لتركبها والسلام عليك. وتقبل رسول الله الهدية وأعجبتته ماريًا فاحتفظ بها ، ووهب أختها سيرين إلى حسان بن ثابت رضي الله عنه وأنزل رسول الله ماريًا بمنزل لحرثة بن النعمان قرب المسجد. البعض يدعي أن مارية كانت جارية في قصر المقوقس! والحقيقة أنها فرية وكذبة من الإسرائيليات الموضوعية في الأحاديث النبوية وكتب السيرة ولو كانت كذلك لما قال المقوقس عنها وعن أختها أن لهما مكاناً عظيماً بين القبط. كانت مارية القبطية - أي المصرية أي من مصر أي من - جبت - على عقيدة إخناتون دين قدماء المصريين ولم تكن نصرانية العقيدة كما يردد البعض! وكانت تتحدث اللسان المصري الفرعوني العربي ولم تكن تتحدث اللغة القبطية - لغة المستعمر الروماني - وكانت لغتها مفهومة نسبياً للعرب ولهذا لم تكن بحاجة إلى مترجم بينها وبين النبي محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا الكلام فيه نظر ، ونظر كبير! على أية حال تكتمل الحلقات بزواج النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مصرية بعد زواج إبراهيم وسيدنا إسماعيل من مصريتين لتصبح مصر بحق أم الدنيا وأم العرب اسماً على مسمى كانت مارية ، تفكر باستمرار في سيدة مصرية مثلها جاءت إلى هذه الديار قبلها وتزوجت من النبي إبراهيم عليه السلام ، وأنجبت له إسماعيل نبياً ابن نبي. وعندما شعرت ببوادر الحمل. كانت تتمنى أن يختم الله حياتها فتصبح أما لولد محمد صلى الله عليه وسلم كما كانت هاجر أم لولد إبراهيم. خاف الرسول على مارية فنقلها إلى العالية بضواحي المدينة ، توفيراً لراحتها وسلامتها ، وعناية بصحتها وصحة جنينها

وسهر عليها يرعاها ، وعندما بلغ الجنين أجله وحانت ساعة الولادة ذات ليلة من شهر ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ، دعا رسول الله قابلتها “سلمى زوج أبي رافع” ، ثم انتحى ناحية من الدار يصلي ويدعو. وجاءت أم رافع بالبشرى. وخف رسول الله إلى مارية فهناها. ثم حمل وليده بين يديه فرحاً وسماه إبراهيم تيمناً باسم جده وجد الأنبياء. وخيل لمارية أنها نالت مناها. فها هي تلد للنبي ولداً. كما ولدت هاجر المصرية من قبل لإبراهيم ابنه إسماعيل. ولكن لم تكتمل سعادة الأبوين. فقد مرض إبراهيم وتوفي ولما يبلغ العامين من عمره بعد. وحرمت مارية من ولدها الذي قرت به عينها حيناً ، ثم لم تلبث إلا القليل حتى حرمت من الرسول الذي أوصى المسلمين فقال: استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. وانتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ، وترك مارية تعيش من بعده خمس سنوات. لا تكاد تخرج من دارها. فلما ماتت سنة ستة عشرة من الهجرة صلى عليها سيدنا عمر رضي الله عنه ودفنها بالبقيع. ومن الواضح أن اليهود الذين اتبعوا تعاليم سيدنا عيسى عليه السلام ثم فروا من فلسطين إلى مصر هرباً من اضطهاد الرومان وأتباع موسى عليه السلام كانوا قلة ولم يدعو أحداً من القبط “المصريين” إلى دينهم بل سكنوا مناطق معزولة كعادة اليهود الذين يفضلون العيش في مناطق معزولة أو “جيتو”. ولأن عيسى عليه السلام لم يأمرهم بنشر تعاليمه للأمة أي باقي البشر من غير اليهود ، بينما كان الرومان وثنيين يضطهدون القبط “المصريين” وكانوا مكروهين منهم. فلا يمكن أن يترك المصريين العقيدة التي كانت عليها هاجر ومارية وأهاليها من أجل عقيدة أخرى لا تلبى حاجتهم الدينية ولا تتفق مع معتقداتهم ولذلك عندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالته أرسلها للمقوقس عظيم المصريين - وهو مصري أي “قبطي” أو “جبتي” فعظيم القبط يعنى عظيم المصريين أو حاكم المصريين - ولم يكن نصراني العقيدة لتسميته عظيم الجبت كما أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرسل برسالة مماثلة للحاكم الروماني الوثني مثلما بعث إلى المقوقس. كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال قبل وفاته عن مصر وأهلها في حديث صحيح: “ستفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً”. قال ابن كثير: والمراد بالرحم أنهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام وأمه هاجر القبطية “المصرية” ، وهو الذبيح وهو والد عرب الحجاز الذين منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوال إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه مارية القبطية “المصرية” وقد وضع عنهم معاوية الجزية إكراماً لإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإذا كان رسولنا الكريم قد أوصى بأهل مصر خيراً فلأنهم أهل جدته هاجر المصرية وزوجة جده إسماعيل عليه السلام المصرية وزوجته مارية المصرية وأخوال ابنه إبراهيم عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم ابن الذبيحين إسماعيل وعبد الله. والجيش الإسلامي الذي فتح مصر كانوا من أولاد هاجر المصرية الذين عادوا إلى وطن جدتهم ليحرروا عائلتها القبط “المصريين” من ظلم الرومان الأجانب. وقد تمكنوا من تحريرهم بالفعل بقيادة عمرو ابن العاص الذي حرر بلاد بني جدتهم من اضطهاد الاحتلال الروماني الوثني! وكان هذا بعلم الرسول صلى الله عليه وسلم. عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم ستفتحون أرضاً يذكر فيها القيراط. وفي رواية: ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً فإن لهم ذمة ورحماً. وفي رواية: فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحماً. رواه مسلم. قال العلماء: الرحم تعنى التي لهم وهي هاجر أم إسماعيل وزوجته سيدنا محمد وابنه سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ولم يكن المقصود بالحديث هم القبط بمعنى النصراني فالنبي صلى الله عليه وسلم كان دقيقاً في حديثه وكلماته وأفعاله لأنه لم يكن ينطق عن الهوى بل يتحدث بوحى من المولى عز وجل. كان المصريون القدماء يتحدثون بلغة مفهومة ومعروفة لعرب شبه الجزيرة العربية - الذين

أخذوا لغة هاجر عليها السلام - وهي نفس اللغة المصرية - أي العربية - التي كان يتحدث بها سيدنا موسى عليه السلام - الذي تربى في بيت فرعون وفي وسط الشعب المصري - وهي ذات اللغة التي نزلت بها التوراة وهي نفس اللغة التي كان يتحدث بها أهل مدين التي هاجر إليها سيدنا موسى بعدما قتل مصرياً خطأ ، وهي نفس اللغة التي كانت قبائل الجزيرة العربية تتحدث بها. إذن فمصر وأهلها الجبت أو القبط والعراق والشام والحجاز كانت تتحدث بنفس اللسان العربي والذي كان يشمل عدة لغات مثل اللغة الآشورية التي خرجت منها الآرامية واللغة الأكادية التي خرجت منها العبرية الحالية والحميرية والسبئية والنبطية والعربية والحبشية. فجميع تلك اللغات كانت بنفس اللسان ونفس جذور الكلمات ثم انقسم اللسان إلى عدة لهجات أو لغات تختلف اختلافاً طفيفاً في طريقة تصريف الأفعال وأدوات النداء والتعريف لا أكثر ولكنها تظل لغات مفهومة لكل المتحدثين بها. وهذا الكلام عليه مؤاخذات كثيرة لأنه بحاجة شديدة لأدلة تثبته! يكفي أن نعرف أنه توجد كلمات كثيرة في اللغة المصرية القديمة وهي نفس الكلمات التي نتحدث بها الآن أما اللغة التي أطلقوا عليها اللغة القبطية فهي لغة لم يتكلمها المصريون أبداً وهي اللغة التي ظهرت بعد الاحتلال الروماني لمصر عام 30 ق.م حيث ابتدع الرومان لغة جديدة للتفاهم مع الشعب المصري - الذي كان يتحدث بلغته العربية التي كانت تكتب بحروف ديوميطيقية - واقتصر استخدامها على اليهود الذين آمنوا بتعاليم عيسى عليه السلام وسموا "أتباع المسيح" دون غيرهم من المصريين - أتباع أختاتون - سكان مصر الأصليين فاللغة القبطية عبارة عن لغة رومانية أدخلت عليها بعض الحروف المصرية. كانت اللغة المصرية تحتوي على حروف غير موجودة باللغة الرومانية مثل القاف والضاد والغين والعين فقد أدخلت سبعة حروف أخرى على اللغة الرومانية كي تمتلك القدرة على كتابة الكلمات المصرية وهذه اللغة كانت مجرد لغة كتبت بها بعض الأناجيل ولكنها لم تكن اللغة التي يتحدث بها الشعب المصري الأصيل فهذا التلاعب بالألفاظ يغير المفهوم وينبغي تصحيحه لأن المصريين كان لهم فكرهم ولغتهم وعقيدتهم. وإذا عدنا إلى التاريخ القريب وتحديدًا في سنوات الاحتلال البريطاني لمصر للاحظنا انتشار لغة سميت بالفرانكو آراب وهي لغة تختلط فيها اللغة العربية باللغة الإنجليزية ، وهكذا كانت اللغة القبطية التي يطالب النصارى حالياً بعودتها وبعثها للحياة من جديد. ولا ندري كيف يتخلى النصارى المصريون بإحياء لغة المستعمر عن اللغة الأصلية للمصريين وهي اللغة العربية ، هل يعد ذلك حينئذٍ للغة المستعمر؟ أم كرهاً للغة القرآن؟ أم هي العنصرية والكراهية التي يُكنها النصارى لإخوانهم وشركائهم في الوطن المسلمين؟!).هـ. ويبقى سؤال مطروق قديماً وحديثاً: هاجر هل كانت من بلاد النوبة جنوب الصعيد؟ هنالك معلومة متداولة منذ زمن بعيد في أوساط النوبيين في شمال السودان وجنوب مصر مفادها أن السيدة هاجر هي في الأصل امرأة نوبية ، ويدعم هذا الادعاء عدة اعتقادات ما هي؟ ها - جر: (ها) بالهيوغليفي معناها زهرة اللوتس ، وكلمة (جر) معناها أرض جب بالمعنى التوراتي (مصر) أي اسمها زهرة اللوتس وكنيتها المصرية. والبداية يسردها علينا ابن كثير حيث ذكرها بأنها كانت أميرة من العماليق وقيل من الكنعانيين الذين حكموا مصر قبل الفراعنة ، وأنها بنت زعيمهم الذي قتله الفراعنة ، ومن ثم تبناها فرعون. وعندما أراد فرعون سوءاً بسارة دعت الله فشلت يدها ، فقال فرعون ادعي ربك أن يشفي يداي وعاهدها أن لا يمسه ، ففعلت فشفي الله يديه ، فعاد فدعت عدة مرات! فأهدى إليها الأميرة القبطية المصرية التي اسمها هاجر إكراماً لها وليست خادمة كما يدعى اليهود في كتبهم. ولدت هاجر إسماعيل عليه السلام عندما كان إبراهيم عليه السلام في السادسة والثمانين من العمر ، وسارة قد بلغت سن اليأس من الإنجاب ، فتعاطمت غيرة سارة ، وبات إبراهيم عليه السلام في حيرة من أمره ، كيف يستطيع التوفيق بينهما وهو في هذا العمر شيخ كبير.

وبدا إبراهيم عليه السلام يناجي ربه ، ويطلب أن يعينه ويساعده ، فبشره الله سبحانه بولدٍ آخر تنجبه سارة: (فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَا أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ). وبعد خمس سنوات من ولادة إسماعيل عليه السلام ، أنجبت سارة إسحاق عليه السلام ، وهكذا صار لإبراهيم ولدان: إسماعيل من هاجر ، وإسحاق من سارة. ولحكمة أرادها الله ، وتحاشياً لما قد يقع بين الزوجتين وولديهما من الخلاف والمشاحنات ، أمر الله سبحانه خليله إبراهيم أن يخرج بإسماعيل وأمه هاجر ، ويبتعد بهما عن سارة ، التي اغتمت كثيراً وثقل عليها أمر هاجر وولدها إسماعيل ، بعد أن صار لها ولداً. أذعن إبراهيم لأمر ربه فخرج بهاجر وابنها إسماعيل وهو لا يدري إلى أين يأخذهما. فكان كل ما مرّ بمكان أعجبه فيه شجر ونخل وزرع قال: إلى ههنا يا رب؟ فيجيبه جبرائيل عليه السلام: امض يا إبراهيم. وظلّ هو وهاجر سائرين ، ومعهما ولدهما إسماعيل حتى وصلوا إلى مكة ، حيث لا زرع هناك ولا ماء الا حرّ الشمس. أراد إبراهيم عليه السلام أن يترك هاجر وولدها إسماعيل ، في ذلك المكان القاحل المقفر ، حيث لا دار ولا طعام فيه ولا شراب ، إلا كيس من التمر وقربة صغيرة فيها قليل من الماء كانوا قد حملوهما معهم عند بدء رحلتهم. فخافت هاجر على نفسها الجوع والعطش ، وعلى ولدها الهلاك! فتعلقت بابراهيم عليه السلام تريد أن لا تتركه يذهب ، وراحت تسأله: إلى أين تذهب يا إبراهيم وتتركني وطفلي في هذا المكان الذي ليس فيه أنيس ، ولا زرع ولا ماء ، ألا تخاف أن نهلك أنا وهذا الطفل جوعاً وعطشاً؟ رق قلب إبراهيم وتحير في أمره ، ولكنه تذكر أمر الله له ، فماذا يفعل وهو إنما ينفذ ما أمره به ربه ، وألحت هاجر في السؤال ، وظل إبراهيم عليه السلام منصرفاً عنها يناجي ربه. ويأتي الجواب جازماً حاسماً لا تردد فيه ولا تراجع: إن الله هو الذي أمرني بترككما في هذا المكان ، وهو لا شك لن يضيعكم. فلاذت أم إسماعيل بالصمت ، ورضخت هي الأخرى لما أراده الله ثم قالت: إذن لا يضيعنا. نفذ التمر والماء من بين يدي هاجر. واشتدت حرارة القبيظ فعضشت هي وابنها. وراح يتلوى من الجوع والعطش فلم تعد هاجر تطيق رؤية طفلها على هذه الحال ، فراحت تنظر إليه ولا تدري ماذا تفعل. أتترك ولدها يموت جوعاً وعطشاً ، لن تقف مكتوفة الأيدي أمام هذا المصير. فلا بد أنها ستجد الماء. فالله لن يضيعها هي وطفلها. وقامت هاجر في الوادي في "موضع السعي أيام الحج". انطلقت هاجر تبحث عن الماء في كل اتجاه. وكان الصفا أقرب جبل إليها ، فصعدت عليه وراحت تنظر يمناً ويسرة وفي كل ناحية فلاح لها على المروة سراب ظننته ماءً ، نزلت عن الصفا وراحت تسعى مهرولة في الوادي باتجاه المروه وفي ظلها أنها ستجد الماء. ولكن كانت خيبتها حينما لم تجده شيئاً ، فوقفت منهكة تنظر وتتفحص فلاح لها سراب في الجهة الأخرى على الصفا وكأنه الماء فعادت مهرولة إلى الصفا ولكنها لم تجد هنالك شيئاً. وهكذا في كل مرة حتى فعلت ذلك سبع مرات وطفلها لم يفارق مخيلتها ولم تكن تطيق أن يغيب عن ناظرها. فلما كانت في المرة السابعة وقد اشتد بها العطش ، وأخذ منها التعب وأنهكها المسير دون أن تعثر على الماء. نظرت إلى طفلها فإذا الماء ينبع من تحت قدميه فأنته مسرعة وراحت تجمع حوله الرمل وهي تقول: زم زم. ثم أخذت تشرب من الماء حتى ارتوت وانحنت على إسماعيل لتسقيه. ورفع إبراهيم عليه السلام يديه بالدعاء متضرعاً إلى الله وهو يهم بالعودة (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ). ثم هم عائداً إلى بلاد الشام حيث سارة ، وقلبه يهوي إلى مكة وإلى ولده إسماعيل ، ولا حيلة له إلا الدعاء والتضرع. أما كونها نوبية الأصل أم لا ، هنالك معلومة متداولة منذ زمن بعيد في أوساط النوبيين في شمال السودان وجنوب مصر مفادها أن

السيدة هاجر هي في الأصل نوبية ويدعم هذا الادعاء عدة اعتقادات ماهي؟ * أولاً: اسم هاجر يقابله نفس النطق في النوبية كلمة هاقجر التي تعنى الجالس أو المتروك في إشارة ربما لعملية تركها وحيدة في مكة والمعنى المباشر للكلمة هو سوف اجلس. * ثانياً: من الثابت أيضاً في القصة أن السيدة هاجر كانت تلبس ثوباً طويلاً فضفاضاً ليخفي آثار أقدامها عن السيدة سارة وهذا الوصف ينطبق على الجرجار اللباس النسائي النوبي المعروف والمستخدم حتى اليوم. * ثالثاً: كلمة زم زم ، يعتقد بأنها أيضاً كلمة نوبية نطقت بها السيدة هاجر عندما انفجر الماء ، ويقابلها في اللغة النوبية سم ، والتي تعنى بالعربية فعل الأمر من جف ، فقد كررتها مراراً وهي تدعو الماء للتوقف سم سم وتحوّر النطق لتصبح زمزم. * رابعاً: كان ابنها إسماعيل رامياً بارعاً للسهام وهذا أحد أهم مميزات النوبيين القدماء الذين عرفوا تاريخياً باسم رماة الحدق في حروبهم مع الأشوريين والفرس والرومان وحتى مع العرب لاحقاً في 41 هجرية. وعموماً معلوماتنا تلك سواء ما أورده الأستاذ محمود خليل أو ما لخصناه بتصرف كبير من الموسوعة الحرة ، أقول: هناك ما يؤيد الكثير منه عند ابن إسحق وابن كثير في سيرته وبدايته ونهايته وعند السهيلي في روضه الأنف وعند المسعودي في مروجه وعند الواقدي في سيرته وابن هشام في سيرته! والله تعالى أعلى وأجل وأعلم بالحقيقة! تقول الكاتبة سلمى أمين في ترجمتها الخاطفة عن أم المؤمنين مارية القبطية ما نصه: (هي السيدة مارية بنت شمعون القبطية ، ولدت في قرية "حفن" ، وكلمة قبط يقصد بها أهل مصر ، أهداها الملك المقوقس حاكم مصر للنبي عليه السلام سنة 7 هجرية ، وكانت ابنة أحد أشرف القبط. تزوجها النبي عليه الصلاة والسلام وأنجب منها "إبراهيم" الذي توفي في صغره. وأما عن قصة إرسال المقوقس بمارية القبطية للنبي عليه السلام: فلقد اهتم النبي عليه السلام بعد صلح الحديبية بنشر الدعوة في بلاد العالم ، وبدأ يكتب للحكام والملوك بالاستعانة من ذوي الرأي والحكمة الخطابات يدعوهم فيها إلى الدخول إلى الإسلام. ومنهم كسرى ملك فارس ، وهرقل ملك الروم ، والمقوقس ملك مصر ، والنجاشي ملك الحبشة. كانت ردودهم أجمعين على خطابات النبي بالحسنى ، وردوها رداً جميلاً ، إلا كسرى الذي مزق كتاب النبي عليه السلام. وقد أرسل عليه الصلاة والسلام كتابه إلى المقوقس مع "حاطب بن أبي بلتعة" البليغ الفصيح ، فدخل عليه وأخذ يقرأ عليه كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام. استمع المقوقس لكلام حاطب وأثار إعجابه وقال: "إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بزهد فيه ، ولا ينهي عن مرغوب فيه ، ولم أجد بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آية النبوة بإخراج الخبء والأخبار بالنجوى وسأنظر". أخذ الكتاب وختم عليه بختمه ، وكتب للنبي عليه السلام يرد عليه: "بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد بن عبد الله ، من المقوقس عظيم القبط ، سلام عليك ، أما بعد فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، وما تدعو إليه ، وقد علمت أن نبياً بقي ، وكنت أظن أنه سيخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك ، وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبكسوة ، وأهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك" والجاريتان هما: مارية بنت شمعون وأختها سيرين بنت شمعون ، وعشرين ثوباً ، وبغلته الخاصة ، وشيخ كبير وقور وألف مثقال من الذهب. فاختر النبي عليه الصلاة والسلام مارية القبطية وأهدى شاعره المادح حسان بن ثابت الأنصاري أختها سيرين بنت شمعون. كان النبي يحفظ للسيدة مارية رضي الله عنها نسبها ومكانة قومها. فقال عليه الصلاة والسلام لجيوش الفاتحين: إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحماً وقيل: نسباً وصهرًا. والنسب هنا هو من جهة هاجر زوج سيدنا إبراهيم عليه السلام ، والصهر هو من جهة زوجته مارية القبطية. نزلت في السيدة مارية كثير من آيات سورة التحريم ، وقد ورد ذكرها في

أحاديث وتفاسير العلماء والفقهاء في تصنيفاتهم ، وقد ارتقى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو راض عنها. فقد كانت أم ولده إبراهيم! كما أنها كانت تتفانى في إرضائه رضي الله عنها. وحدثت السيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت شديدة الغيرة من مارية القبطية ، حيث كانت ذات حسن وجمال وبهاء طلة. فكانت كثيراً ما تراقب كيف يهتم النبي عليه الصلاة والسلام بها فتقول: “ما غرت على امرأة إلا دون ما غرت على مارية ، وذلك أنها كانت جميلة جعدة - أو دعجة - فأعجب بها رسول الله وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان ، فكانت جارتنا ، فكان عامة الليل والنهار عندها ، حتى فرغنا لها ، فجزعت فحولها إلى العالية ، وكان يختلف إليها هناك ، فكان ذلك أشد علينا”. وأنجبت السيدة مارية للنبي عليه السلام ابنه إبراهيم ، وفرح النبي بذلك أشد الفرح فقد كان قد فقد أولاده عدا فاطمة الزهراء وقد شارف الستين. وقد سماه النبي “إبراهيم” تيمناً بسيدنا إبراهيم. غير أنه توفي قبل إتمامه العام الثاني. وقد حمله النبي وهو ينازع الموت ، ومات بين يديه ، وبكى عليه بكاء الصابرين المحتسبين وقال حين سأله عبد الرحمن بن عوف بكائه: أتبكي يا رسول الله؟ أن: نعم فإنها رحمة ، وقال: “إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإن لفراقك يا إبراهيم لمحزونون”. وتوفيت في شهر محرم في سنة 16 هجرية ، وصلى عليها سيدنا عمر بن الخطاب وعدد من الصحابي والمهاجرين وساروا بها في جنازة كبيرة ودفنت بجانب نساء أهل البيت وبجانب ابنها إبراهيم). هـ. ويفرد كتاب «مارية القبطية في البحث عن أم المؤمنين» لمؤلفه محمد علي السيد ، مدير تحرير مجلة «آخر ساعة» المصرية ، ضمن قصص عديدة قصة السيدة مارية القبطية ، وعنده أنه على أعتاب قرية الشيخ عبادة في صعيد مصر ومحافظة المنيا جنوب القاهرة ، وجدت المنطقة التي تلخص تاريخ مصر ، فلو نظرت إليها من سفح الجبل الشرقي ستجدها تبدأ بالفرعوني فالروماني والإغريقي والنصراني ، ثم الإسلامي! وإذا نظرت إليها من غرب النيل لوجدتها حاضراً إسلامياً ، نصرانياً في عمقه وإغريقياً ورومانياً ، ثم في الأصل فرعونياً ، فهذا هو موطن زهرتي مصر: السيدة مارية القبطية وأختها سيرين. يأخذنا هذا الكتاب في رحلة للبحث عن أم المؤمنين زوج رسول الله مارية القبطية ، متتبعاً نشأتها وكل أماكن تواجدها ، كما يفتح آفاقاً لم يطأها أحد من قبل في البحث عن صحابة رسول الله. في قرية الشيخ عبادة بدأت رحلة ربط الأرض بواقع التاريخ والجغرافيا ، وفي البحث عن صحابة رسول الله ، الرحلة لم تنته بعد. فمن هي مارية القبطية أم إبراهيم؟ إنها امرأة بيضاء البشرة مجعدة الشعر أثارت بجمالها الرباني وملابسها المصرية «القباطي» ونور وجهها نساء المدينة المنورة من الأنصار والمهاجرين. كما أثارت غيرة بعض زوجات النبي اللواتي تخفين في دار «حارثة بن النعمان الأنصاري» ، حيث أنزلها الرسول قرب مسجده ومنازل زوجاته الملاصقة له ، قبل أن يسكنها بعد عام ونصف العام في منطقة «العالية» على بعد ٣ كم في مزرعة على مجرى سيل البطحان كانت غنيمة له في غزوة بني قينقاع «تشابه موطنها من النيل والخضرة» ، وهناك حملت بابنها إبراهيم ووضعته. ففرض عليها الرسول ارتداء الحجاب لأن ابنها أعتقها وأصبحت من أمهات المؤمنين. مارية بنت شمعون ، والدها مصري قبطي ، وأمها رومية. أصلها من مدينة أنطونبولس - أنصنا - قرية حفن - الشيخ عبادة في شرق النيل ، مركز ملوى بالمنيا حالياً ، واسمها الحالي يعود إلى الصحابي عبادة بن الصامت الذي بحث عن قريتها بعد الفتح الإسلامي لمصر (٢١ هـ) ، بعد ١٤ سنة من زواجها من الرسول ، وبعد خمس سنوات من وفاتها ، وأقام لها مسجداً ، ثم جاء بعده ابنه أو حفيده وأقام له مسجداً في القرية أو جدد المسجد الأصلي وسمي «مسجد عبادة بن الصامت». ثم مسجد الشيخ عبادة ، وسميت به القرية. كان سنها ما بين ١٢ و ١٥ سنة ، وكان المصريون - ولا يزالون - بخاصة في القرى يزوجون فتياتهن صغاراً ، وقد

شاعت أقدارها أن تحولها من واحدة من ملايين المصريات إلى علامة في تاريخ الإسلام «وبنص رسالة المقوقس عنها وأختها سيرين» - جارييتين لهما مكانة في القبط - ومصاهرة الرسول المصريين «القطب» فأصبحوا «أخوال» ابنه (إبراهيم). وهم أيضاً أخوال نبينا إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، من هاجر المصرية التي عمرت مكة وكشفت بئر زمزم. يكتمل الشرف في إبراهيم ، لأنه المولود الوحيد للرسول من زوجاته العشر بعد السيدة خديجة ، التي أنجب منها البنين والبنات ، ما زاد من غيرة نساته ، وخصوصاً السيدة عائشة ، التي تمنى أن يكون لها ولد منه. يقول المؤلف: لم أقوم المشهد العاطفي للرسول حاملاً ابنه بكامل فرحته به ليريه أحب نساته ، فاتفعلت وبكت ، فأخذ النبي رضيعه مسرعاً وهو يدعو لها بالهداية. ضم بيت النبي سودة بنت زمعة ، وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وزينب بنت خزيمة ، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش ، وجويرية بنت الحارث التي (توفيت عام 4هـ) ، وصفية بنت حيي وأم حبيبة ، وميمونة بنت الحارث التي (تزوجها عام 7هـ). وفي الطريق من الإسكندرية إلى المدينة المنورة (٤٥ يوماً) ، وفق سطور الكتاب ، كانت الحوارات بين ماريّا وشقيقتها سيرين والعبد «مايور» وبين حاطب بن أبي بلتعة سفير رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط والي مصر الروماني ، وكانت أحاديثهم بالقطع عن الرسول والإسلام ، والعرب وحياة المدينة. وجهاد المسلمين لنشر دعوتهم. فأصبحوا على دراية بما هم مقبلون عليه. وفور وصولهم عرض النبي دين الإسلام عليهم ، فأمنت ماريّا على الفور وانتظرت أختها ومايور ساعة ، فاتخذ النبي من ماريّا سرية «يتسرى ويسعد بها». وأهدى أختها سيرين لشاعره حسان بن ثابت ، وجعل العبد في خدمة ماريّا. أحب الرسول ماريّا ، فأخذ يمضي عندها عصر يومه ما أثار غضب زوجاته فنقلها إلى العالية ، وفي شهر ذي الحجة 9هـ جاءته بشارة المولود من قابلتها (الداية) أم رافع سلمى ، زوجة أبي رافع مولى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد أهداهما له عمه العباس ، فأهداها هدايا كثيرة ، وتصدق بوزن شعر إبراهيم من الفضة على فقراء المدينة. وأعتق إبراهيم أمّه من الرق. وقدم الأنصار مرضعة لإبراهيم وسبعة من الماعز إذا احتاج اللبن ، لتتفرغ ماريّا للنبي. ويشاء الله أن ينتقل إبراهيم إلى جواره في سن ١٨ شهراً ، ودفن في البقيع ، وبكى النبي عليه كثيراً. لكنه رفض كل ما قاله أهل المدينة عن مصادفة موته كسوف الشمس في هذا اليوم ، ثم صلى بالمسلمين صلاة الكسوف ، وطيب خاطر ماريّا قائلاً إن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الندي ، وإن له لظئرين تكلمان رضاعته في الجنة. لاحظت السيدتان عائشة وحفصة حبّ النبي غسل بنها الذي جاء مع ماريّا ، فادّعتا أن به رائحة وكان النبي حريصاً على طيب رائحته ، فامتنع عنه. ثم كانت ماريّا سبباً في اعتزال النبي نساته مدة شهر عربي (٢٩ يوماً) ، حتى شك المسلمون أنه طلقهن ، وأقام في عش بسيط أعلى شجرة. وكانت السيدة حفصة تزور والدها عمر بن الخطاب في يومها مع الرسول ، الذي كان يقضي قيلولة في منزلها ، فجاءت إليه ماريّا لبعض أمورها ، فدعاها النبي إلى منزل حفصة وقضى معها الظهر فغضبت حفصة وقالت: ما كنت لتصنعها لولا هواني عليك ، فطيب خاطرها وأسّر لها بأن ماريّا حرام عليه من الآن ، ومن فرحتها فشت سرها للسيدة عائشة ، التي قالت لا تبقى ماريّا في المدينة بعد اليوم ، فأبلغ سيدنا جبريل النبي بما حدث ، فغضب غضباً شديداً لإفشاء سره. واعتزل زوجاته ، فأنزلت عليه الآية الكريمة: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ * تَتَّبِعِي مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ * وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلَةَ أَيْمَانِكُمْ * وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ * وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ * فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا * قَالَ نَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ » ، فعاد النبي إلى زوجاته. فأصبحت لماريّا مكرمة للنساء كفارة تحرير رقبة عند يمين التحريم بدلاً من تحريم

الزوجة تماماً ، ولها مكرمة أخرى للجواري ، بتشريع عتق الجارية «أم الولد» التي تلد ولو «سقطاً» ميتاً لسيدها والتي أصبحت أهم وسائل تحرير الجواري وتحولهن زوجات بعدما أنجبت إبراهيم ، وقال النبي عنها: «حررها ابنها». آثار بقاء مارية في منطقة العالية وحدها مع العبد «مايور» هواجس منافقي المدينة ما أغضب النبي فأرسل علي بن أبي طالب يستطلع الأمر ، فوجد العبد «خصياً». وبعد وفاة النبي عام 11 هـ اعتكفت السيدة ماريًا في بيتها حتى انتقلت إلى جوار الله بعد خمس سنوات ، لتدفن في البقيع عام ١٦ هـ ، بعدما أمضت ٩ سنوات في المدينة ، منها أربع مع رسول الله وهي في حدود سن العشرين ، وكانت أولى زوجات النبي لحاقاً به. وآخر من مات من زوجات النبي أم سلمة (٦١ هـ). عاشت بعده ٥١ سنة. في عام 41 هـ ، بعد 20 عاماً من فتح مصر ، تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان مقابل شروط ، فأرسل له معاوية رسالة مختومة يضع فيها ما يشاء ، وكان منها إعفاء أهالي قرية حفن وأنصنا بناحية البهنسا (المنيا) من الجزية المقررة على القبط «غير المسلمين» دينارين عن الرجال ، تقديراً لزوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووافق معاوية). ولازالت الكتب والمراجع ودوائر المعارف تسطر لنا مناقب الزوجتين العظيمتين ، تلك المناقب التي قد تفردتا بها وصارت حكرًا عليهما! وإنني كصعيدي أستشعر ذلك المجد يجري في دمي ، أنني من أصهار نبي الله إبراهيم عليه السلام ، ومن أصهار نبي الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم . - فأنشدت في الزوجتين الكريمتين العظيمتين الجليلتين:-

نقاءً في الخليقة والرشادِ	وطهرٌ في السريرة والنجادِ
وعزٌّ في المكانة والبرايا	ومجدٌ عمّ أرجاء البلادِ
(فهاجرُ) بالخليل غدت مناراً	وقدوة من أناب من العبادِ
وذئ (مارية) عزت ، وجلت	بأحمد خير مبعوثٍ وهادِ
ومن تك زوجة لنبي خير	وصدقت النبوة بأجتهادِ
فقد وطئت سنام المجد فخراً	لأن الزوج - للتقوى - ينادي
وهل - بعد النبوة - من سمو؟	وهل - بعد الرسالة - من رشاد؟
لقد شرف الصعيد بغادتيه!	وبالتشريف قد شهد الأعادي
فهاجر آمننت بالله طوعاً	وخاضت بعض ألوان الجهادِ
وسارة للحنيفة قد دعتهَا	وتقوى الله باتت خير زادِ
وأصبحت (الأميرة) رغم أسر	تندد بالفراعن والفسادِ
وتظهر دينها في ساح سجن	ولا تخش العقاب ، أو العوادي

وفي ملاً ، وبعُدْ على انفراد
وبساتٍ مُحَرَّمًا طعم الرقّاد
بليـلٍ قد توشَّح بالسـواد
فقد طلبتُ ، وباعـت بالمراد
وأسكنها الخليل بخير واد
والابنَ البرَّ من أزكى العماد
وللأخوال - في الرجم - الأيادي
فقد حظيتُ بعاطفة الوداد
لغربتها على أهل البلاد
ببيتٍ قد سما بين الوهاد
ومجداً في القبائل والنوادي
وصيتاً في الحواضر والبوادي
ونحن اليوم نفخر بامتداد
وإن لنا - بذاً - بعضَ اعتداد
للؤلؤتين ، والإطراء بـباد
وآذنها الخليل بالابتعاد
وبعض الأهل في برك الغماد
فهم - والله - من خير العباد

وتدعو الله في سر وجهـر
وعبر الليل تدمع مقلتاها
ويأتي - من مليك الناس - غوث
فتصحب سارة وبأمر طاغ
وباتت - لل خليل الشهم - زوجاً
وإسماعيل أمسى خير عون
فأحوال الأعراب من صعيدٍ
وللماريّة العصماء قذراً
فقد كان النبي بها رحيماً
وأكرمها ، وأسكنها (العوالي)
كفى أهل الصعيد بذاك فخراً
وعزاً - في المناقب - لا يُباري
فأصهار الخليل أجل شأناً
وأصهار الحبيب أعز قدرأ
وإن نأت الديار ، فنحن أهل
فلؤلؤة بمكة قد أقامت
ولؤلؤة بطيبة قد أقامت
على كلِّ سلامٍ الله دوماً

القاتل البطيء (أرجوزة)

(إن هذه الأرجوزة من الخفيف. أنشدتها للقاتل البطيء الذي هو التدخين بجميع أنواعه المعروفة وغير المعروفة في الأرض اليوم. التدخين الذي يسبب 25 مرضاً في جسم الإنسان باعتراف منظمة الصحة العالمية. التدخين الذي هو محرّم بأدلة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - هذه الأدلة تراجع وتدرس في مظانها. التدخين الذي يحلو لكثير من العلماء العملاء المرتزقة ، أن يُفتوا بأنه فقط مكروه ليُهونوا على الناس خطره وليلبسوا على العامة والدهماء أمور دينهم. وإذا كان العالم مبتلى بالتدخين ابتداءً فكيف يقول بحرّمته؟ والطبيب المدخن المدمن هل يتصور منه أن يستمع إليه عندما ينهى مرضاه عن التدخين؟! إن هذه المسألة تشبه إلى حد بعيد أهل الفن والتمثيل - عليهم من الله ما يستحقون - عندما يقوم أحدهم أو إحداهن بدور محترم في مسلسل أو فيلم إسلامي بزعمهم ، فإن الواحد منهم فقط يمثل الدور ولا يتأثر به ، ولا ينتهي عن موبقات هو يأتيها في عالم الواقع كان ينهى عنها في مسلسله أو فيلمه! أحد معارفي حكى لي موقفاً مبتدأه سؤال سأله له أحد أبنائه فقال له: هل كان الإمام أبو حنيفة يراقص النساء ويقبلهن ويشرب الخمر؟ فقال الأب: لا يبني ، معاذ الله! وسأله الأب قائلاً: كيف عرفت هذا عنه؟ فقال الابن في براءة الأطفال الذين يُجرم آباؤهم عندما يتكونهم فريسة للقنوتات الفضائية الجاهلية الملعونة: يا أبت رأيت الإمام في المسلسل ظهراً يعظ الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ثم في فيلم السهرة رأيت يراقص البنات ويقبلهن ويشرب الخمر! فعلم الأب أنه دور لممثل رقيق مخنث كان في المسلسل ثم هو بعينه يؤدي دوراً ماجناً في فيلم السهرة! وأدرك الأب مقدار الجرم الذي أجرمه في حق أبنائه ، وقرّر أن يحذف القنوتات الجاهلية مثل أحد أصحابه ، فإذا به لا يجد نفسه أبقى من 1000 قناة تليفزيونية إلا ثلاثين قناة! وهو الذي كان ينكر على صاحبه ذات الأمر. ويتعلل بأنه يترك للأطفال حرية الاختيار وتحليل ما يشاهدون بكل حيطة ، معتمدين في ذلك على فطرتهم التي فطرهم الله عليها وذكائهم الحاد وما لديهم من علم بالحرام والحلال! متناسياً ذلك المفرط أن الأبناء لم يبلغوا هذه المرحلة بعد! يؤدي التدخين إلى الإصابة بالعديد من الأمراض والأزمات الصحية كالسكتة القلبية والجلطة الدماغية وأمراض الجهاز التنفسي والسرطان (سرطان الرئة بشكل خاص) بالإضافة إلى مشاكل صحية أخرى وبالتالي الوفاة المبكرة. وبالإضافة إلى ذلك فإن الأعراض التي تنتج عن الإصابة بأحد الأمراض الناتجة عن التدخين تؤدي إلى زيادة الضغط العصبي والنفسي وبالتالي تؤثر سلباً على نوعية الحياة منذ سن مبكرة ولا يقتصر الأمر على الصحة فإن التدخين يؤثر أيضاً على مظهر الجلد مما يجعل صاحبه يبدو أكبر من عمره الحقيقي. وأيضاً يؤثر على حاسة تذوق الطعام وقد يؤدي للعجز الجنسي عند الرجال. وحتى لو كنت غير مهتم بالصحة والعافية ، فيجب العلم بأن التدخين يُعرّض من حوله من يدخن للتدخين اللاإرادي/السليبي. التدخين اللاإرادي/السليبي هو عبارة عن استنشاق دخان التبغ من المدخنين. كما يعرض لأنواع متعددة من السرطانات بالإضافة لأمراض القلب والرئة. ويؤثر التدخين أيضاً على الأطفال ويعرّضهم بشكل أكبر للإصابة بالأمراض مثل تشمّع الأذن والربو. والجدير بالذكر هنا أن أطفال المدخنين هم أكثر عُرضة بـ 3 مرات عن أطفال غير المدخنين لإدمان التدخين في المستقبل. وأرانا أسرفنا في تسجيل ورصد الأمراض التي يسببها التدخين! والآن لنرصد ونسجل بعض فوائد الإقلاع عن التدخين: التوقف عن التدخين ليس أمراً سهلاً ولكن عند ملاحظة التحسن الجذري لحياتك وصحتك بعد التوقف عن التدخين ، ستعمل على مساعدة من حولك أيضاً في الإقلاع عن التدخين. * رضا الله تعالى عنك أيها المسلم لأنك قد أقلت عن

شيئ محرم! * بالتوقف عن التدخين سوف تقلل مخاطر الإصابة بالأمراض والعجز أو الوفاة الناتجة عن السرطان أو أمراض القلب والرئة أو أمراض الأوعية الدموية الطرفية التي قد تؤدي على سبيل المثال إلى بتر الأعضاء. * حماية صحة من حولك بعدم تعريضهم للتدخين اللاإرادي. * تحسين مستوى الخصوبة لدى المرأة وبالتالي حمل آمن وأطفال أصحاء. * تحسين التنفس واللياقة بشكل عام. * التمتع بمذاق الطعام بشكل أفضل. * تحسين مظهر الجلد بشكل واضح. * لن تكون رائحتك منفرة. * مظهر جلدك وأسنانك سوف يتحسن. * سيصبح منزلك أكثر انتعاشاً ونقاءً حيث إنك ستتخلص من التصاق رائحة التبغ بأثاث وجدران منزلك. * ستقلل خطر الحرائق في منزلك. * ستوفر المال الذي تنفقه فيما حرم الله لتنفقه فيما أحل الله! ويسأل ابن عثيمين عن ما حكم التدخين ، فيجيب قائلاً: (الدخان حرام ، والدليل قوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} ، وقوله تعالى: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} ، وقوله: {وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا} ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن إضاعة المال ، وثبت من الناحية الطبية أن الدخان ضار وربما أدى إلى الموت ، فتناوله سبب لقتل شاربته لنفسه ، وشاربه ملق بنفسه إلى التهلكة وشاربه مفسد لماله حيث صرفه في غير ما جعله الله له ، فإن الله جعله قياماً للناس ، تقوم به مصالح دينهم ودنياهم ، والدخان ليس مما تقوم به مصالح الدين ولا الدنيا ، فصرف المال فيه إضاعة له ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال). هـ. ويسأل السؤال ذاته ابن باز فيقول: (التدخين ثبت عندنا أنه محرم ، وقد علمنا أسباباً كثيرة لتحريمه من أضراره المتعددة فهو محرم بلا شك ، لأنه يشتمل على أضرار كثيرة بينها الأخطاء وبينها من استعمله ، فالواجب على كل مسلم تركه والحذر منه ، لأن الله حرم على المؤمن أن يضر نفسه ، فهو يقول سبحانه: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ، ويقول جل وعلا: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) ، فالواجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة ، الحذر من كل ما حرم الله ، والحذر من كل ما يضر دين العبد وبدنه ودنياه ، فالله أرحم بعباده منهم بأنفسهم فقد حرم عليهم ما يضرهم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا ضرر ولا ضرار) ، وهذا التدخين ضار ضرراً بيئياً بإجماع أهل المعرفة ، من أهل الطب ، وإجماع من عرفه وجربه وما فيه من الضرر العظيم ، فعلى كل مسلم مدخن أن يتقي الله وأن يحذر هذا الخبيث وأن يتوب إلى الله منه ، حتى تعود له صحته ، وحتى يسلم من غضب الله وحتى يحفظ ماله أيضاً والله المستعان). هـ. ويسأل الأستاذ سعد الحميد ذات السؤال فيكون من جوابه: (إن جميع أمم الأرض الآن - مسلمهم وكافرهم - أصبحوا يحاربون التدخين لمعرفة بضرره الشديد. والإسلام يحرم كل ما هو ضار لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا ضرر ولا ضرار". ولا شك أن المطاعم والمشروبات منها ما هو نافع طيب ، ومنها ما هو ضار خبيث ، وقد وصف الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) ، فهل الدخان من الطيبات أو من الخبائث؟ ثانياً: جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: "إن الله ينهاكم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال". ونهى الله سبحانه عن الإسراف فقال تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) ، ووصف عباد الرحمن بقوله: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً). ويدرك العالم أجمع الآن أن المال المهدر في الدخان عبارة عن مال ضائع لا يستفاد منه ، بل ينفق فيما فيه ضرر. ولو أن أموال العالم التي أنفقت في الدخان جمعت لأنقذت شعوباً ممن أهلكتهم المجاعة ، فهل هناك أسفه من الذي يمسك دولاراً ويوقد عليه النار؟ ما الفرق بينه وبين المدخن؟ بل المدخن أعظم سفهاً فالذي يحرق الدولار ينتهي سفهه عند هذا الحد ، وأما المدخن فيحرق المال ويضر بدنه. ثالثاً: كم من الكوارث التي سببها الدخان ، بسبب أعقاب السجائر التي تلقى وتتسبب في حرائق ، وغير أعقاب السجائر

وقد احترق منزل بأكمله على أهله بسبب تدخين صاحب المنزل ، وذلك حين أشعل سيجارته والغاز متسرب فكان ذلك سبباً في حريق كبير. رابعاً: كم الذين يتأذون بروائح المدخنين وبخاصة إذا ابتليت به وهو في جانبك في المسجد ، ولعل الصبر على الروائح الكريهة أهون بكثير من الصبر على رائحة فم المدخن عقب قيامه من النوم. فالعجب من النساء كيف يصبرن على روائح أفواه أزواجهن؟ وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم من أكل ثوماً أو بصلاً عن الصلاة في المسجد حتى لا يؤذي المصلين برائحته ، ورائحة البصل والثوم تهون عن رائحة المدخن وفمه. هذه بعض الأسباب التي من أجلها حرم التدخين). هـ. ويسأل السؤال نفسه الأستاذ شريف هادي فيكون من جوابه: (قبل أن نحكم على الدخان هل هو حلال أم حرام ، يجب أن نوضح منهجنا في استنباط الأحكام الشرعية من كتاب الله سبحانه وتعالى. نقول أولاً: ما لم ينص على تحريمه في القرآن فهو من المباح والحلال كقاعدة. ثانياً: أن التحريم يؤخذ من القرآن بنص! وما ليس فيه نص فلا يمكن أن نطلق عليه لفظ محرم ، ولكن قد يكون النص صريحاً ، أي يصرح باسم الشيء المحرم كقول الله تعالى: “إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله... الآية” ، وكقوله تعالى: “وحرم عليكم صيد البر ما دمت حراماً” ، وقد يكون تحريم الأشياء أو الأفعال بصفتها ، كقوله تعالى: “قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون” ، ونفهم من هذه الآية تحريم (الفواحش) وتحريم (الإثم) ، وتحريم (البغي) وتحريم (الشرك) ، فكل ما تعارف عليه الناس أنه فاحشة أصبح محرماً حتى ولو لم يذكر التحريم تصريحاً ، فمثلاً لو تعرض أحدهم لأنثى على وجه يחדش حياءها بالقول البذيء ، سنسمي هذا الفعل فاحشة ونضعه تحت المحرمات ولو لم يذكر التحريم لهذه الحالة بشكل صريح في القرآن ، ولو تعدى أحد الشريكين على شريكه الآخر سنسمي الفعل (بغي) ونعتبره محرماً حتى ولو لم ينص في القرآن صراحة على تحريم التعدي على الشريك ، لم يقل الله سبحانه وتعالى في القرآن لا تتبركوا بالقبور لمسأً ولا تقبلاً ، ولكن من يفعل ذلك نقول أنه أتى فعل من أفعال الشرك وهو حرام. ثالثاً: التحريم بانطباق الصفة لا يعد قياساً ، ولكنه يعد من باب تفصيل المجمل ، لذلك لا يجب التوسع فيه ، كما لا يجب استخدام القواعد التي تحكم القياس عليه ، وعندنا أن القياس لا يجوز في استخلاص الأحكام الشرعية على خلاف جمهور علماء الطوائف. حكم التدخين وفقاً للقواعد سألفة البيان: أولاً أضرار التدخين ومنافعه: * التدخين ضار بالصحة العامة للمدخن ، وبصحة من يعاشره ويتعامل معه ، وقد قسم العلماء التدخين لنوعين إيجابي وسلبي ، والإيجابي هو القائم بالفعل من المدخنين ، والسلبي هو كل من يعاشر مدخن ، وهو أخطر لأنه استنشاق لمادة أول أكسيد الكربون وهي سامة وقاتلة. * المدخن أكثر عرضة للإصابة بأمراض الرئة وسرطان الجلد وسرطان الرئة من الشخص العادي ، وقد جاء في أحدث التقارير الصادرة مؤخراً في جنيف عن بعض العلماء والمهتمين أن مدخناً يموت كل عشر ثوان في العالم نتيجة التدخين؟! وأنه خلال الفترة ما بين عام 1950 و عام 2000 قضى التبغ على نحو (60) مليون شخص في الدول النامية فقط ! نصفهم في سن الشباب. * غير المدخنين الذين يتضررون جراء تدخين الآخرين (التدخين السلبي). * التدخين فيه تعدي على البيئة بتلويثها ، وعلى الغير بجعله عرضة للمرض ، ويفرض الأذى عليه من روائح كريهة و خانقة قد لا يتحملها البعض. وهنا نأتي لتطبيق نصوص الآيات على هذا النحو: * قال تعالى “الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون” ، إذن الخبائث محرمة شرعاً (كل الخبائث) وطبعاً الطيبات حلال ،

والسؤال لو أراد العالم اليوم أن يتفق على جدول موحد للطيبات والخبائث ففي أيهما سيكون التدخين (الطيبات) أم (الخبائث)؟ ، قطعاً الخبائث فيشملة التحريم بالآية ، باعتبار انطباق وصف الخبث على الفعل وهو حرام. * نهى الله سبحانه وتعالى عباده أن يُلْقُوا بأيديهم إلى التهلكة فقال عز من قائل: “وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين” ، وبعد أن عرفنا أن معدل الموت السنوي خمسة ملايين الذي يقتلع المدخنين لا سيما الشباب منهم ، فهو وفقاً لشهادة العدول في مهنة الطب ومراكز الإحصاء تهلكت ، فينطبق عليه النهي. * قال تعالى: “قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون” ، والتدخين فيه (بغي) و(عدوان) فهو بغي على الغير الذين هم عُرضة للمرض والموت لمجرد معاشرتهم لمدخن إيجابي فيجعلهم جميعاً (مدخنين سلبيين). وهو نوع أشد من التدخين الإيجابي مما يجعله (حراماً)! ثم إن في التدخين عدواناً على البيئة وعلى حق الغير في حياة صحية وبيئة نقية ، فهو حرام لتحريم رب العالمين للبغي. * قال تعالى: “يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً” ، وسبحان الله فإن حكم هذه الآية ينطبق على التدخين أيما انطباق ، فأصحاب شركات الدخان وبانعي التبغ ، يأكلون أموال المدخنين بالباطل لأنهم يبيعون لهم الحرام والوهم والمرض ، وكل هذا يندرج تحت (أكل الأموال بالباطل) ، وهذه ليست تجارة لأن التجارة قائمة على الربح المشترك ، لا أن يبقى الربح في خانة البائع والخسارة في خانة المشتري والمجتمع والبيئة مجتمعين ، ثم ينهي الله سبحانه عن قتل أنفسنا ، وهنا البائع يقتل المشتري قتلاً بطيئاً ، والمشتري نفسه يقتل نفسه ، وكل هذا يجعله حراماً. قد يسأل البعض ، وكيف نحكم على الأفعال بالصحة أو الفساد؟ أقول بتوفيق الله يكون ذلك على ما جرى به العرف بين الناس ، لقوله تعالى: “خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین” ، وأقول: استقر العرف البشري على ضرر السجائر وأنها من الخبائث. بقي سؤال: وهل يمكن أن تخرج السجائر في زمن ما أو مجتمع ما من دائرة الترحيم؟ ، أقول: نعم لو خرجت من تحت عباءة وصفها بالخبائث ، ووصف حالة مرتكبيها بالعدوان والبغي والتهلكة ، ويكون ذلك لو اكتشفت البشرية براءة السجائر من كل ما ألصق بها من أضرار ، أو لو في مرحلة من مراحل التطور البشري ، تمكنت البشرية من اختراع سيجارة وتعميمها ليست فيها أو منها أي أضرار وتقف مع شاربيها عند باب الاستمتاع والمساعدة على التركيز. فالسجائر بوضعها الحالي حرام... حرام... حرام. هـ. وأخيراً يُسأل السؤال عينه الشيخ الألباني فيكون من جوابه: (قد يتوهم بعض المبتلين بشرب هذا الدخان الخبيث أنه مضطر إلى شربه ، وبخاصة أنه قد يكون هناك بعض الأطباء الذين لا يلتزمون الأحكام الشرعية ، فيقولون لبعض المرضى: إنه لا بأس أن تشرب كل يوم مثلاً سيجارتين أو ثلاثة إلى آخره ؛ فيتوهم هذا المبتلى بشرب الدخان أنه معذور والحالة هذه في شرب الدخان ، ثم يصبح هذا الدخان بالنسبة إليه كما يصاب بمثله المبتلون بالمخدرات من الأنواع الكثيرة ؛ فيدمن على شرب الدخان ، فإذا ما ابتلى بالإدمان صار عليه من الصعوبة بمكان أن ينتهي عن شرب الدخان! فنحن نقول: لا أتصور أن يكون هناك شخص مضطراً أولاً على شرب الدخان ؛ ثانياً وهو من باب أولى: أن يكون مضطراً إلى بيع الدخان! أي إذا أردنا أن نفسر بيع الدخان لا أتصور أن يكون هناك إنسان مضطر إلى أن يبيع ما يضر به المسلمين ؛ لأن الدخان مُضِرٌّ قولاً واحداً بشهادة الكفار فضلاً عن المسلمين ، ولعلكم جميعاً تسمعون الإذاعات وتقرأون في الجرائد والمجلات ، الأخبار الخطيرة جداً الناتجة من إدمان بعض الناس في تلك البلاد على شرب الدخان وأن من آثار ذلك الإدمان أن يقع في المرض الخبيث المعروف بالسرطان ؛ فإذن لا يجوز قطعاً أن يشرب المسلم

الدخان ، ولا يجوز أن أتصور بأن إنساناً مضطراً إلى شرب الدخان وإلى بيع الدخان ، وإنما هذه من وسائل الشيطان يسوّغ لبني الإنسان أنهم أنت مضطرون إلى شرب الدخان ؛ لماذا ؟ لأن الواحد منهم عصبي مثلاً ، وهذه الظاهرة نحن نراها في رمضان مع الأسف ، حيث تصبح نفس هذا المدمن للدخان أخبث ما تكون مما كانت عليه في رمضان ؛ لماذا؟ لأنه يزعج صاحبه إذا ما تركه يوماً من الزمان ؛ لذلك على كل مبتلى بشرب هذا الخبيث أن يقلع عنه ؛ لكننا لا نقول إنه من السهل الإقلاع عنه خطوة واحدة وإنما على التدرج ؛ لأن قضية التدرج بالنفس الأمانة بالسوء هو من السياسة الشرعية لكن الذي نريد أن نقوله هو أنه من اليسر بمكان لكل من كان مبتلى بشرب الدخان أن ينتهي عنه في ظرف شهرين ثلاثة أو قريباً من ذلك ، وهذا مجرب في كثير من الناس ؛ لكن الأمر يحتاج أولاً إلى استحضار الحكم الشرعي وهو التحريم وما وراء ذلك من الخوف من الله تبارك وتعالى فهو يضع هذا اتقاء لمعصية الله عزوجل ؛ وقد يقول قائل وأين المعصية في شرب الدخان؟ نقول في شرب الدخان معاصٍ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، كثير من الناس مع الأسف الشديد يبتغون نص في القرآن أو في السنة مفصل هذا النص حسب عقولهم ، شرب الدخان حرام ؛ فهم يعلمون أن مثل هذا النص غير موجود! ولذلك في أسئلتهم يقولون: هل هناك نص في تحريم شرب الدخان؟ بل وصل بعضهم إلى أن يقولوا: إن الخمر ليست حراماً في القرآن! أقول لهم: الخمر محرم في القرآن؟ (فاجتنبوه) ، أليس هذا معناه التحريم ، فعلاً لا يوجد نص في القرآن يبين أن شرب الخمر حرام ؛ لكن في القرآن ما يؤدي هذا المعنى عند من يعقل ، فمن لا يعقل فأولئك الكفار ، أم لهم قلوب لا يعقلون بها (فاجتنبوه لعلمكم تتقون) اجتناب الشيء هو معناه تحريمه: (ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه ألا من حام حول حمى يوشك أن يقع فيه). فالشاهد فإذا لم يقع بهذا وأتينا إليه بالحديث الصحيح (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) فيقول لك: لا أنا أريد آية من القرآن! ويقولون مثلاً بالنسبة لبعض الملاحى كالموسيقى وآلات الطرب: لا يوجد نص في تحريمها في القرآن الكريم ، والأصل في الأشياء الإباحة ما لم يأت نص في القرآن أو في السنة ، وهناك مثلاً حديث البخاري: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف). والمعازف كل آلات اللهو والطرب ويُمسون في لهُو ولعب ويُصبحون قد مسخوا قرده وخنازير ؛ لا أريد أن أستطرد كثيراً أعود إلى أن الدخان محرّم بأدلة كثيرة وكثيرة جداً يعرفها أهل العلم والفقهاء الذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين). وأنا أقرب لكم المسألة ، إنه قبل أن آتي بالتفاصيل لتحريم الدخان ، في مادة مخدرة اليوم تعرف بالآفيون أو بالحشيش ، من رحمة الله ببعض عباده أنه ما وصلوا بعد إلى المرحلة التي وصل إليها بعض المدخنين وهو الشك في حرمة الدخان ، لم يصلوا إلى الشك في حرمة الحشيش والآفيون ، والحمد لله ؛ لكن نحن نقول الآن الحشيش والآفيون والدخان كلها فصيلة واحدة سواء من الناحية الشرعية أو من الناحية النباتية ، فكل هذه الأشياء أصلها نبات وصنعت بلا شك ، كذلك هي من الناحية الشرعية حكمها واحد وهو كل هذه الأشياء الثلاثة الدخان والحشيش والآفيون لا يوجد نص لا في القرآن ولا في السنة أنها محرمة ؛ فإذا قلنا: إن الآفيون حلال ، فيجب أن نقول الحشيش حلال... لا يوجد نص في تحريمه ، نقول لا ، لا إنما نقول هذه الأشياء هذه كلها محرمة ولو لم يكن عندنا إلا حديث واحد ، وهذا الحديث ما شاء الله اعتبره علماء الإسلام من جوامع كلم الرسول عليه الصلاة والسلام ، انظروا إلى هذا الحديث ما أخصره وما أفيده وأجمعه إلى المعاني ألا وهو قوله عليه السلام: (لا ضرر ولا ضرار) ، لا ضرر ولا ضرار ، كلمتان دخل في هذا تحريم كل ما يضر بالإنسان في صحته في بدنه فيما يتفرع من بدنه في بصره في المجتمع الذي يعيش فيه ، كله يكون حراماً ؛ لأنه يضر بنفسه ويضر بغيره ، وهذا معنى قوله عليه السلام

لا ضرر بالنفس ولا ضرراً بالغير ، لا ضرر في نفسك ولا ضرار أي إضرار في غيرك ، والدخان من خبثه في ذاته أنه يتعدى ضرره إلى غيره المبتلى بشربه ؛ فأنتم مثلاً إذا كنتم كما نرجو معافين من شرب الدخان لأنكم ستشعرون بشعور المعافين من شرب الدخان إذا سافرتم سفرة إلى الحج والعمرة في سيارة أجرة وكان هناك من بين الركاب الخمسة أو الستة واحد يشرب الدخان ، كلهم سيتضايقون منه وسيتأذون منه ؛ لماذا؟ من الدخان الذي يبثه في جو هذه الغرفة الصغيرة المنطلقة بهم إلى بيت الله الحرام ؛ إذن هنا أضرار! وبعض العلماء الأطباء يذكرون أن هذا الدخان الذي يلفظه شارب الدخان أنه إذا استكثر منه غير المبتلى به شماً قد يؤثر فيه لأن مادة النيكوتين هذه تصل أيضاً إلى جوف الذين يشمون رائحة الدخان ؛ فإذن هنا مضايقة غير المضايقة الظاهرة! فإذا تحقق اللفظان المذكوران في حديث الرسول (لا ضرر ولا ضرار) ، انظروا كيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن الإضرار بالآخرين ولو بتعاطي المباح وليس المباح بمعنى الكلمة يعني لا يوجد خير ولا شر ؛ بل المباح النافع ؛ كيف ذلك؟ قال عليه الصلاة والسلام: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلاتنا) من أكل من هذه الشجرة الخبيثة يعني الثوم والبصل ، كل الناس والحمد لله يأكلون هذا الحلال الثوم والبصل ، لكن كل الناس يعلمون مع فائدة أكل هاتين الشجرتين رائحتهما مكروه ؛ ولذلك قال عليه السلام لما نهاهم عن أكل الثوم والبصل قال لهم: (إلا أن تميتوه طبخاً) إلا أن تميتوه طبخاً ، فالطبخ يغير هذه الكراهة ؛ فمن أكله نيئاً لا يقربن مصلاتنا ؛ لماذا؟ لقد ذكر الرسول عليه السلام جنسا من أنواع المخلوقات الكريمة أنها تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، فقال عليه السلام معللاً هذا الحكم الشرعي: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلاتنا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) ، فبنو آدم يتأذون من رائحة البصل والثوم فما بالكم بالملائكة وهم يحضرون المساجد صباح مساء؟ فإذا لا يجوز للمصلي أن يدخل المسجد وقد كان عن كذب وعن قرب أكل من هذه الشجرة الخبيثة الثوم والبصل ؛ أما إذا كان الزمن بعيداً فلا بأس لأنه يكون مع تغير الريق قد قضي على الرائحة الكريهة ؛ فماذا نقول عن شارب الدخان الخبيث الذي أصبح جزءاً من حياته وجزءاً من رائحة بدنه؟ وأثار هذه الرائحة تظهر في شواربه إن كانت له لحية إنما في الشوارب وفي أصابعه مخضرة مصفرة ، هذا يؤذي المصلين كلما دخل المسجد ونحن نشعر أننا إذا كنا بين يدي الله في الصف وجاء رجل ووقف بجانبنا ، فإننا نعرف رأساً أن هذا مبتلى بالدخان ؛ لأن هذه الرائحة صارت ملازمة له ، إذا في إضرار للآخرين فضلاً عن الإضرار بنفسه ؛ فهو يقول لهذا السائل الذي يقول ما في نص في تحريم الدخان يا أخي يوجد نص في تحريم الدخان أولاً ويوجد نص بأنه لا يجوز أن تضر أخاك المسلم بالرائحة الكريهة من أكل حلال بنص السنة الصحيحة ؛ ولذلك فإن أضرار الدخان كثيرة وكثيرة جداً ، والنصوص في تحريمه لا تخفى على من كان قاصداً أن يعرف حكم الله وليس قاصداً أن يبرر الأمر ويمسحه ويغذي الناس لأنه يقولون: "إذا البلوى إذا عمت سهلت" لكن هذا لا يجوز استعماله أبداً في هذه النواحي لأنها تساعد على انتشار المنكر). هـ. جزا الله خيراً شيخنا الألباني! وأنا أوردت جوابه كما هو إلا من بعض الألفاظ العامية التي عربتها. وعموماً أن أنشد هذه القصيدة عن التدخين للمدخنين من باب الدين النصيحة فقط! والأستاذ الفاضل محمد المنجد يقول تحت عنوان: (فوائد النصيحة) ما نصه: (قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :- (الدين النصيحة) من عظمها ، وجعلها حقاً للمسلم، وقوله: (وإذا استنصحتك فانصح له) قال العلماء: هي للوجوب ، وأما الكافر فهل له نصيحة؟ فالجواب: نعم! نصيحته بدعوته إلى الإسلام ولو أنه استنصحتك فلا بأس أن تنصح له بما ليس فيه ضرر على المسلمين. النصيحة تنقذ أناساً من الكوارث ، وكذلك فإنها تدل الإنسان المسلم على أرشد أمره حتى في القضايا الدنيوية كالبيع والشراء والبناء ونحو ذلك ، ولذلك

صارت الخيانة فيها عزيمة. إن النصيحة تنقذ المسلم ، كما قال العبد الصالح لموسى لما جاء من أقصى المدينة يسعى: (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ). إن النصيحة تنقذ الإنسان من زواج فاشل إذا استنصحك في أمر امرأة سيقدم على الزواج منها ، وأنت تعلم أنها لا تصلح له فإنك تنقذه بنصيحته ، وكذلك ولي المرأة إذا استنصحك في حال شاب تقدم إليهم ، فقد تكون النصيحة منقذة من كارثة ستحل بهذه الفتاة لو تزوجها ذلك الفاجر المتخفي الذي يخادعهم ، فالنصيحة تنقذ أناساً من الكوارث ، وكذلك فإنها تدل الإنسان المسلم على أرشد أمره حتى في القضايا الدنيوية كالبيع والشراء والبناء ونحو ذلك ، ولذلك صارت الخيانة فيها عزيمة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانته). ونسأل: لماذا كادت النصيحة أن تختفي فيما بيننا؟ والجواب: لأن كثيراً من الناس قد انعكس وانقلب فهمهم للنصيحة ، فصاروا يفهمون أن النصيحة تدخل في الحريات الشخصية ، ولذلك صارت لا تُبذل. وكذلك صارت النصيحة مخيفة عند الكثيرين ؛ لأنها تورث كلاماً من قبل المنصوح يقول الناصح: أنا في غنى عنه ، من يريد أن ينصح يقول: أنا في غنى عن الأذى ، أنا لا أريد أن أواجه بكلام لا يسرني ، ولا أريد أن يقول لي: من أنصحه: لماذا تتدخل في شأني؟ ولما صارت القضية عندنا إرضاء الناس ، ولو سخط الله عم كثير من الشر والفساد ، صرنا نخاف أن نتدخل في شأن رجل على منكر ، صرنا نخاف أن نوجه كلمة حق إلى إنسان في شر واقع فيه! لماذا ضاعت هذه الفريضة العظيمة؟ ومما ضيع النصيحة أن بعض الناس يوجهونها بأسلوب خطأ ، كأن يشهر بالمنصوح ، أو أن ينصحه على الملأ ما إمكان النصيحة في السر ، وهذا مما جعل القصد من الكلام يتغير عن الطريق الحق والطرف الآخر لا يتقبل ؛ لأنه شهر به! أين تكامل المجتمع المسلم؟ أين حديث (المؤمن مرآة أخيه)؟ أين الشعور بالمسؤولية في هذا؟ هـ. أعتقد أنني نصحت بأمانة! ونعود للقاتل البطيء التدخين فنقول: إن البلوى بهذا المحرم الخبيث صارت عامة. ولا حول ولا قوة إلا بالله! فرأيت أن أنشد عنه هذه القصيدة. (

قاتلٌ كم سطرث عنه بلاغا!	ثم أمسى - بين الورى - مستساغا
قاتلٌ يفنى كل جسم سليم	لم يكن يوماً - في الورى - بالسقيم!
قاتلٌ فردٌ ، والضحايا كثيرُ	شُرهُ المحضُ بيننا مستطيرُ
قاتلٌ ، والمقتولٌ يثنى عليه	ثم يلقي السموم من شفثيه
قاتلٌ ، كم أرى صِحاخ البرايا	وعليهم ألقى الأذى والرزايا
قاتلٌ ، ذي أمراضه ليس تُحصى	ليته من دنيا الرعايد يُقصى
قاتلٌ ، والإصرارُ منه تبادى	واستمات في حربيه ، وتحدى
قاتلٌ ، قتلاه المعاتيه ضاعوا	عندما شيطان الدخان أطاعوا
قاتلٌ ، كم سنّ المدى والجرايا!	والمجانين تسبغ العذبا

مثلما القتل والزنا والمُدام
إن قولي أمسى بلاغاً مبيناً
إذ له من إدمان سُم مَحِيصُ
ثم تُفضي لعشقه الأهواءُ
كي يُبيدوا - رغم الأتوف - العبادا
والفتاوى تختال في التطويع
والحرام من خمرة السكر كأسُ
ثم عَجَّتْ - في الأرض - أعتى فوضى
وإذا بالنرجيل - بالتبغ - فارا
أعمل العقل ، إن تكن تتعقل
إن سرّ الأعدا بدا من بعيدِ
بالمعالي ، بل بالغلا يتأذى
يُحدث اليوم ثورة ودويّا
بل يريد الكفار جيلاً كسيحا
بل دويلاتٍ - عن هداها - شريدةً
ولذا كالوا - بالشانعات - التجني
فإذا بالتدخين - في الدار - ضيفُ
من سُبات - والله - أدمى النياما؟
صدّقوني التدخين أخبثُ عادِ

قاتل في شرع المليك حرام
هل وعت هذا زمرة المدمينا؟
ليس يهوى التدخين كلاً حريصُ
إنه الفخ خطه الأعداءُ
يغمررون - بالموبقات - البلادا
والدعايات أثيرت في القطيع
قيل: مكروة ، ما على المرء بأسُ
وإذا بالإدمان يُردي المرضى
وإذا بالسبيجار يغزو الـديارا
أيها الجيل أفهم ، ولا ترهـل
واسمع لي قبل الضياع الأكيدِ
لا يريد الأعداءُ جيلاً تغذى
لا يريد الأعداءُ جيلاً قويّا
لا يريد الأعداءُ جيلاً صحيحا
لا يريد الأعداءُ داراً عتيدةً
لا يريد الأعداءُ غيرَ التدني
أفهمونا أن السجائر كيفُ
ليت شعري هل يستفيق الندامي
ربّ سلم من ترهات الأعادي

طفّ الصاع

(ابتلاء المؤمنين بالشر والخير في هذه الحياة سنة ربانية لا تتبدل ولا تتحول ولا تتخلف. يقول الله: (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين). ويقول سبحانه: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإينا ترجعون). والنبى - صلى الله عليه وسلم - يقول: (أشد الناس بلاءً الأنبياء فالصالحون ، فالأمثل فالأمثل: يُبتلى المرء على قدر دينه ، فإن كان دينه قوة زيد له في البلاء). والحقيقة أنه لم يزل بعض المجرمين بهذا المؤمن الذي كان على ثغر من ثغور الإسلام حتى ضيقوا عليه ، واجتمعوا على الكيد منه والانتصار عليه ولو بالباطل وبغير الدليل. ولما طفّ الصاع ، وبلغ السيل الزبى ، وطفح الكيل ، ووصل الأمر إلى ذروته ، رأى أن يفارقهم غير آسف عليهم ، وإن كان حزينا على الثغر الذي بات بين أيديهم. والله المستعان على هذا الحال المزري. وإنها سنة الله تعالى ، أن الباطل في الأرض يظل يصارع الحق إلى قيام الساعة. فبعضُ الناس يُفتن ، والبعض يثبت غير عابئ بما ادخرت الجاهلية من عتادٍ وقوةٍ ورجال. ومن صبر واحتسب وجاهد وجالد فله عند الله الأجر. ومن نزل للمجرمين على ما يريدون وخارت قواه حرم الأجر وأصبح هدفاً لسهام أهل الضلال والهوى. ولكن عندما يُحال بينه وبين الحق الذي هو ثغر من ثغوره فهذا أمر آخر وقضية متباينة تماماً. إذ لا يكلف الله تعالى نفساً إلا وسعها. ومادام لا يستطيع فالله يتجاوز عنه ويغفر له. حيث إنه اجتهد طاقته في مواجهة الجاهلية وأهلها. وعن علاقة المصائب بالذنوب يقول أبو فيصل البدراني ما نصه: (لا شك أن الذنوب من أسباب المصائب ، ولكن ليس في نصوص الشرع ما يدل على أن المصائب لا تكون إلا بالذنوب ، فقد يُصاب بعض الناس لحكم أخرى ، فالمصيبة أعم من العقوبة ، فقد تكون بذنب وقد تكون بلا ذنب ، وذلك لسبب مقتض مصلحة أعظم من مراعاة المصلحة العاجلة والخاصة للعبد! ويدلك على ما قررناه قوله تعالى عن الموت: (فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ أَلَمْ تَكُنْتُمْ أَصْحَابَ الْمَوْتِ) فسماه مصيبة وهو يصيب كل إنسان ، من أشرف الأنبياء إلى أكفر الخلق ، فكل عقوبة بذنب وليست كل مصيبة بذنب ، وكذا الابتلاء والبلاء قال تعالى: (وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْأَخْيَرِ فِتْنَةً) وقال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ) ، وهو كما ترى مما لا تعلق له بالذنوب ، وإنما المصائب أحياناً تكون لمجرد الزيادة في اليقين والرفعة والاختبار ، قال تعالى: (نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ). ولا ننكر أنه قد جاء لفظ "المصيبة" يراد به العقوبة كما قال تعالى : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ). كما هي العادة بمجيء العام على معنى بعض أفراده ، وقد تقدم أن المصيبة أعم من العقوبة وبهذا يتبين لك أن من أسباب المصائب الذنوب ، ولكنها ليست السبب الوحيد ، فقد يبتلى الله تعالى بعض عباده الصالحين الذين لم يستوجبوا العقاب بذنوبهم ، لينالوا أجر الصابرين وترتفع بذلك درجاتهم ، كما قد يصيب الله بعض الأطفال بالمصائب ، وهم لا ذنب لهم).هـ. وعندما نزلت المصائب ببطل قصيدتنا ثبت وصبر ، فاستحق التكريم والإطراء! ومن هنا كتبت له على الخفيف أنشد على لسانه هذه القصيدة.)

طفح الكيل أيها السفهاء وانتصرتم - في الحرب - يا أغبياء
واكتويننا بنار أهل التشفي واحتوتنا سيهاؤكم والبلاء
واحترقنا بالكي لمتنا علاننا تعسس الكيئد والأذى والجفاء!

يستطيعون - في الناس - كيف يشاء
كم نساوي ، إذا قلنا الحياء؟
كيف تعينا الفهوم والفهماء؟
ليس شيء - عنا - طواه الخفاء
وسيحظى - بالنصرة - الأتفءاء
إنما أنتم - وحدكم - أسراء
وسنحيا نشيدنا الكبرى
وسيجني سوء الجزا من أساوا
سنة كم يباي - بها - السفهاء!
إنما تملني نظرتي الأرزاء
من نفاق يجيده الجهلاء
والتعدي - لمن طغى - سيماء
وانتقاص من قدرهم ، وازدراء
وفريق يودي - به - استهزاء
والضمير تلهو - به - الخيلاء
هو - والأعداء اللئام - سواه
لم يخب عبداً ذاد عنه الدعاء
رب أدرك من قد طواه الشقاء

واصلنا - بالغل - يشوي قلوباً
طفح الكيل ، والحياء قلاكم
لا يحار - في فهمكم - أي عقل
كل شيء كالشمس إما تبدت
بطشكم بالأفذاذ ليس يُباري
طفح الكيل ، نحن لسنا عبيداً
سنعيش الأحرار ، مهما فعلتم
لن تلبين - للطيبين - قناة
لست أدري ما في الغيوب ، ولكن
وأنا - في هذي الروى - لم أجامل
طفح الكيل ، والنفوس استشاطت
واعتدأت - بالبطش - في كل واد
واحتقار - للناس - في كل صقع
والتماس للطعن عند فريق
والمشيب لما يرد التصابي
رب سلم من كل باغ غشوم
نستجير - بالله - من كل طاغ
والمليك - بالخلق - بر رحيم

إلى كل مدير متعنت!

(الإدارة علم وفن ، وحكمة وحكمة ، وتخطيط ورؤية ، وضمير حي نابض وتقوى. وليست قط تلسطاً أو تعنتاً ، أو فرعنة أو طغياناً. بل الإدارة ارتقاء بالعمل وبالمكان الذي يديره هؤلاء المدبرون وبالكوادر البشرية التي يسيرونها. وكم من مدراء انتصروا لأنفسهم على حساب العمل فبددوا وضيعوا. إذ كانوا يعتبرون من تحت أيديهم من القوم والموظفين عبيداً لهم ليس إلا! فراحوا يُصِفون موقع العمل من المخلصين ويحتكرونه للمرتزقة من الجهلاء الحمقى أشباههم. ولم يدفعوا وحدهم الثمن. بل دفعه آخرون أكفاء برآء ، كما دفعته المنشأة ذاتها وأصحابها الذين أنشأوها ودعموها بأموالهم! إن المدير الناجح هو الذي يدرك المسؤولية ، ويرحم من تحت يده ويرفق بهم. إن كل مدير في أي مكان في الأرض يجب أن يعلم أنه - وأي موظف تحت يده - سواء. ونسأل: لماذا؟ والجواب بصدق: لأنه أي المدير يمد يده ليقبض راتبه كالموظف كل آخر شهر. ويجب عليه كذلك أن يدرك أن التسلط نقص في الشخصية. وليردك أنه إن دعت قدرته إلى ظلم الناس فليتذكر قدرة الله عليه. وليعتبر بغيره من المدراء الذين سبقوه وكانوا ظالمين. وأنه لو دامت الإدارة لغيره لما وصلت إليه. وليعلم - تمام العلم - أن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وأن عواقب الظلم وخيمة. وإن أخطأ موظف عنده فليتذكر قول الله تعالى في كتابه العزيز: (كذلك كنتم من قبل الله عليكم). فليعذر وليسامح وليصح وليوجه. وعليه أن يعيش في روح هذا العصر الذي يعيش من التفاهم والشورى وتبادل الآراء. ذلك أن الناس والدول والأمم المنصفة اليوم لا تتعامل بالحديد قط ولا بالنار. وأن العجرفة والعنجهية والتسلط والطغيان كلها أدوات تجني على أصحابها في النهاية. ولا بد من تخطيط وتدبير وتفاهم بين الإدارة والموظفين! لأن العجرفة والعنجهية عدو التخطيط والنظام الجاد! وعن حقيقة التخطيط الإداري وجدواه في العمل تقول الأستاذة خديجة أحمد محمد بامخرمة ما نصه بتصرف: (التخطيط أساس نجاح أي عمل من الأعمال سواء في حياة الفرد أو المنظمة وهو الطريق الذي يرسم بصورة مسبقة لسلوك الفرد أو المنظمة عند اتخاذ القرارات وتنفيذ العمل بشرط أن يكون وفق منهج فكري عقائدي متمثل بالإيمان بالقدر والتوكل على الله ، والإدارة سلوك إسلامي قويم ، ومنهج رشيد حث الإسلام على ممارسته في جميع شؤون الحياة ؛ لأن بالإدارة يحقق المسلم فعالية في عمله وإنتاجه ، وكفاءة في أدائه. فالسلوك الإداري يتضمن عمليات إدارية متمثلة في التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة ، أضف إلى ذلك الأخلاق الحسنة من صبر وإخلاص واجتهاد وإرادة ، كل ذلك من القيم التي دلَّت عليها نصوص الكتاب والسنة ، وهدي السلف - رضوان الله عليهم. وسنستعرض فيما يلي العمليات الإدارية من المنظور الإسلامي والنبوي. * التخطيط من المنظور الإسلامي: عرّف التخطيط الإسلامي بعدة تعاريف ، إلا أنها كلها تدور حول: «إعمال الفكر في رسم أهداف مشروعة مع تحديد الوسائل المتاحة وفق الموارد المتاحة شرعاً ، وبذل الطاقات في استثمارها ؛ لتحقيق الأهداف في أقل وقت ممكن ، مع تعليق النتائج بقضاء الله وقدره». وتعتبر الآيات الواردة في سورة يوسف - رؤيا الملك للبقرات السبع وتفسيرها - أول موازنة تخطيطية مبنية على أسس علمية ، استطاع من خلالها نبي الله يوسف - عليه السلام - كسب الوقت في سنوات الرخاء بمضاعفة الناتج للإفادة منه في سنوات الجذب ؛ وعليه كانت بمثابة أداة رقابية تفنذ هذه الخطة على مدار أربع عشرة سنة ، ويدل ذلك على التخطيط لمواجهة تحديات إنجاز العمل في المستقبل ولا يترك تحت رحمة المفاجآت بل يأخذ في الاعتبار توقعات المستقبل والإمكانات المتاحة حالاً ومستقبلاً وهو ما يتجلى في قوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)...، وقد وردت هذه الآية

الكريمة في مجال التخطيط العسكري لوضع مواجهات للتحديات المستقبلية. * التخطيط النبوي بادئ الأمر كان في العهد المكي والمدني مبنيًا على تخطيط بعيد المدى - استراتيجي - وتخطيط قصير المدى - تنفيذي! وقد كان رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - قوة عظيمة لنا في مجال التخطيط حيث كان عليه أفضل الصلاة والسلام يمتلك الحكمة والفتنة والمنهج الفكري العقائدي المتمثل في الإيمان بالقدر والتوكل على الله والسعي لتحقيق الهدف الشرعي. فقد استطاع - عليه الصلاة والسلام - أن يقود به الأمة الإسلامية ويحقق الانتصارات العظيمة بفضل الله ثم بفضل فطنته الإيمانية. وسيرته العطرة سجلٌ خالدٌ لمن أرد النجاح في الحياة).هـ. إنني أنشد هذه الرسالة الشعرية على لسان موظف محترم كفؤ ضحية ، لم يزل به مديره المتعنت المتعجرف الجاهل المجهال الجهول الجهل (وإن حصل على الماجستير والدكتوراه) ، حتى شرده هو وأبناءه في الشوارع بإنهاء عقده. وكان ذلك من المدير بدون أدنى وجه حق له في ذلك! وفي النهاية يسأل المدير الظالم ذلك الموظف المظلوم أن يسامحه. أكتبها على البحر الوافر نذيراً لكل مدير متعنت).

بروحك أن أرف لك السامحا
وخمشت المشاعر بالتجني
وعذبت الخواطر بالتعدي
وأهدرت المودة ، لم تصونها
وصفدت العواطف بالتحدي
وغيّرت الحقائق في دهاءٍ
وأمسى الظلم عدلاً وانتصافاً
وأضحى ترهاتك محض علم
كأنك فيلسوف لا يُبارى
حنانيك الإدارة تضحيات
وفلسفة ، وحب ، واحترام
وتكليف ، وإيثار ، وبذل
وليسيت ساحة للظي التشفي
وليسيت سيف عدوان تهاوى

وقد أدميت - في القلب - الجراحا
وأشهرت الأسنة والصفا
وصوبت الصياقل والرماحا
ونأوت التعفف والصلاحا
وكبلت الشجاعة والطماحا
فأصبح الافترا حقاً صراحا
وأمسى الذم والقبح امتدادا
وتحسب جُلها خطباً فصاحا
قد انتخب المقالات الصحاحا
وسعي خيره - في الناس - لاحا
وعفو وبات يصطب السامحا
وليسيت مغنماً ، أو مستراحا
لتنحصر - بالمغالطة - الكفاحا
على البراء يجترح اجتراحا

فإن البغي يخترم النجاحا
ليحصد - بالإدارة - ما استباحا
تعزز من - ببطشها - استراحا
وإن تك هكذا ساعات سلاحا
وأطلق - للرعايد - السرراحا
كأن الناس كالإبل الرزاحي
وناساً من مصائبهم أراحا
خطوا - نحو الشريف - خطى فساحا
لذلك أصبوا كلاً مباحا
وشأن يلبس التقوى وشاحا
تبدت تخلف القمر اللياحا
وجد ليس يحتقر المزاحا
وناقشه ، وبالأفكار باحا
وشاد به ، وناقش الاقتراحا
إذا لم يلق نيشاناً متاحا
فإن النصح - بالخيرات - فاحا
لعل الليل أن يلد الصباحا
لعل - ورا الدغول - الانفساحا
تعنت ، ثم قد حرم الفلاحا

وليسست فرصة للبغي ظمماً
وليسست مغنماً لمن اشتهها
وليسست ساطة بين البرايا
وليسست حربية تند النشامى
إذا فسد المدير أذل صيداً
ومارس أبشع التعذيب قهراً
ومرغ - في المصائب - بعض ناس!
يخال الناس عبداً لديه
كأن الرق مفروض عليهم
ألا إن المدير له خلال
وسمت - في الدياجر - مثل شمس
وجود مال - في الوصف - حد
إذا اقترح الموظف ما ارتاه
تبناه المدير بلا ازدراء
وكافاً من أجاد ، ولو بقول
وناصح من به الأخطاء حاقت
ويحلم ريثما يأتي رخاء
لعل العسر يتحفه بيسر
وجنبنا المليك هو مدير

أنت قد علمتنا يا عروة

(إنه عروة بن الزبير بن العوام - رضي الله عنه - . يقوم بربع القرآن من الليل. ما ترك هذا إلا ليلة قرر الأطباء قطع ساقه لأكلة فيها (أي سرطان). وعرضوا عليه أن يشرب ما يُغيب وعيه حتى لا يشعر. فيأبى عليهم ويأمرهم بأنه عند دخوله في صلاة وسجوده فيها فليفعلوا ما شاؤوا. وفعلاً عندما سجد قطعوها ، وهو بين يدي ربه - تبارك وتعالى - ، ولم يشعر قط. وفي ذات ليلته تلك سقط أحد أبنائه من سطح المنزل فمات لتوه! وكان أحب أبنائه إليه. فجاء المعزون فقال وهو يحمد الله عز وجل: (اللهم لك الحمد على كل حال ، كان لي من الأولاد أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة ، فلئن كنت أخذت فقد أعطيت ، وإن كنت قد ابتليت فقد عافيت). إن ابن الزبير بهذين الخبرين ، ناهينا عن عطر وجميل وعذب أخباره الأخرى يكون مدرسة في الصبر. إننا بمثل هذه الأخبار نتعزى بما قد يواجهنا من الإحن والعذابات والدغاول في جُل حياتنا. إنني أكتب لابن الزبير هذه القصيدة العصماء من البحر الكامل لأكمل بها رد الجميل لابن الزبير. حيث إنه قد علمنا كيف نصبر ونحتسب ونوقن بأن الله عز وجل لطيف بعباده عندما يبتليهم. فليعتز بابن الزبير اليوم أهل البلاء ، وليصبروا الصبر الجميل حتى يأتي الله بأمره. يقول أبو فيصل البدراني في فقه الابتلاء ما نصه: (في البداية يجب على المسلم أولاً أن يعلم أن حكمة الله تعالى في خلقه لا يمكن الإحاطة بها ، فمنها ما ندرکه ، ومنها ما لا ندرکه ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وعلى هذا فكل ما فعله علمنا أن له فيه حكمة ، وهذا يكفيننا من حيث الجملة ، وإن لم نعرف التفصيل ، وعدم علمنا بتفصيل حكمته بمنزلة عدم علمنا بكيفية ذاته ، وكما أن ثبوت صفات الكمال له معلوم لنا وأما كنهه - أي حقيقة - ذاته فغير معلومة لنا: فلا نكذب بما علمناه - أي من كماله - ما لم نعلمه - أي من تفاصيل هذا الكمال - ، وكذلك نحن نعلم أنه حكيم فيما يفعله ويأمر به ، وعدم علمنا بالحكمة في بعض الجزئيات لا يقدح فيما علمناه من أصل حكمته ، فلا نكذب بما علمناه من حكمته ما لم نعلمه من تفصيلها ، ونحن نعلم أن من علم حذق أهل الحساب والطب والنحو ولم يكن متصفاً بصفاتهم التي استحقوا بها أن يكونوا من أهل الحساب والطب والنحو: لم يمكنه أن يقدح فيما قالوه لعدم علمه بتوجيهه ، والعباد أبعد عن معرفة الله وحكمته في خلقه من معرفة عوامهم بالحساب والطب والنحو ، فاعتراضهم على حكمته أعظم جهلاً وتكلفاً للقول بلا علم من العامي المحض إذا قدح في الحساب والطب والنحو بغير علمٍ بشيءٍ من ذلك. اهـ هذا الكلام الجميل من "مجموع الفتاوى". قال ابن القيم في (مفتاح دار السعادة): مذهب أهل السنة والجماعة أن أفعال الله تعالى لا تقاس بأفعال عباده ، ولا تدخل تحت شرائع عقولهم القاصرة ، بل أفعاله لا تشبه أفعال خلقه ، ولا صفاته صفاتهم ، ولا ذاته ذواتهم ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. اهـ. قال ابن الجوزي في (صيد الخاطر) مفصلاً مكانة الإيمان بالقدر بين جملة الإيمانيات: أترى يظن الظان أن التكليف غسل الأعضاء برطل من الماء ، أو الوقوف في محراب لأداء ركعتين؟! هيهات! هذا أسهل التكليف! وإن التكليف هو الذي عجزت عنه الجبال! ومن جملته: أنني إذا رأيت القدر يجري بما لا يفهمه العقل ، ألزمت العقل الإذعان للمقدر فكان من أصعب التكليف ، وخصوصاً فيما لا يعلم العقل معناه ، مع الاعتقاد بأن المقدر لذلك ، والأمر به أرحم الراحمين! فهذا مما يتحير العقل فيه ، فيكون تكليفه التسليم وترك الاعتراض ، فكم بين تكليف البدن وتكليف العقل. اهـ. وقال أيضاً: القدر يجري في الأغلب بمكروه النفس ، وليس مكروه النفس يقف على المرض والأذى في البدن ، بل هو يتنوع ، حتى يتحير العقل في حكمة جريان القدر ، فمن ذلك تسليط الكفار على المسلمين ، والفساق على أهل الدين. اهـ. ومن الفذ عروة بن الزبير نستلهم الدرس في الصبر على شر القدر مهما كانت التكليف!

لَقِنْ - بصبرك في البلاء - دروساً وأنرُ عقولاً أظلمت ، ونفوساً

وأطل - من عياء صبرك - مخبتاً
يا آية في الصبر ، ليس كمثلهما!
يا ابن الزبير لك التحايا جمّة!
مازلت أجزركم - وربّي - في الورى
علمتنا الصبر الجميل تفضّلاً
وضربته مثلاً ، وما خالفته
مهما ابتليت ، فما ارعويت لمحنة
لكن تحملت القوارع باسماً
وسعيت - نحو المكرّمات - مخفياً
وركبت - للجوزاء - أسرع ناقية
وسيدكر التاريخ قصتك التي
وسيسرد الكتاب عنك مناقباً
وستذكر الأجيال سيرتك التي
وتشيد - بالبطل المثابر - أمة
وكأنه في عرس أجمل عادة
محظوظة (أسماء) بابن مخلص
يا ابن المبشر بالجنان تحية

حتى تُصبر قانتاً ويؤوسا
وبشارة تهدي الحبور بنيسا
وتحتي شعراً ، يزين طروسا
صدقاً ، ولا ألقى اليمين غموسا
حتى نصدّ دغاولاً ودروسا
ولزوم ما قد قلت كان نفيسا
كلا ، ولم تعبس لذاك عبوسا
وسواك يندب حظه المتعوسا
مجدداً يُتوج صيتك المأوسا
وغدوت - للقمر المنير - جليسا
أمسى يرجع فخرها الملموسا
لا يستطيع لها الغواة طموسا
قطعاً تُزاحم داحساً وبسوسا
ذاك الذي - في الصبر - فاق رؤوسا
أضحى - لها - ذاك الهمام عريسا
في موكب الشهداء قادميسا
من شاعر قد خط فيك طروسا

سبقوا وأنا بهم لاحقة

(أسرة هندية مسلمة كانت تستقل سيارة يقودها رب هذه الأسرة في صيف 1993م على طريق (أبو ظبي). وقريباً من المدينة ببضع كيلومترات تصطدم السيارة بأحد الأرصفة فتقلب عدة مرات في الرمال. وأسفر ذلك الحادث عن موت الكل. وأما الأم فكانت في المقعد الأمامي وعلى يديها طفل رضيع. نزف الكل الدماء وودّعوا الدنيا. ولفظت الأم أنفاسها الأخيرة. وأمام بعض أفراد الشرطة تقول مودّعة الحياة والأحياء وقد اختلطت كلماتها بدمائها ودماء الضحايا من أبنائها وبناتها وزوجها: (خذوا هذا الرضيع وربّوه وأحسنوا له ، والكل كما ترون قد ماتوا ، وأنا بهم لاحقة ، وهذا نصيبنا ثم شهدت المرأة شهادة الحق مرتين ثم ودعت الحياة!) وبقي الرضيع حياً يرزق. وكان الناجي الوحيد في الحادث! وقد حدثني بهذه الحادثة الأستاذ عبد الوهاب الخطيب أحد جيراننا هنا في عجمان. وكم أسفت لهذا المصاب ، وكم اعتبرت منه. ومن هنا رحت أنشد هذه القصيدة من البحر الخفيف وعنونت لها بـ (سبقوا ، وأنا بهم لاحقة) تلك الكلمات التي بها ختمت هذه الأم حياتها ووصيتها. وتخليلتها تحكي لنا القصة. يقول الأستاذ سعد البريك عن الموت والدنيا: (والله إن هذه الدنيا بما فيها من ملذات وشهوات ومراكب وقصور ودور وضيعات وزوجات وجنات ، وأموال وذريات لا تعدل غمسة في نار جهنم. وإن الشقاء في هذه الدنيا بما فيه من الفقر والمرض والسقم والذلة وضيق الحال لا يساوي غمسة في نعيم الجنة. يوم القيامة يؤتى بالذاهل الأرض حالاً وأيسرهم عيشاً ثم يغمس غمسة في وهي أقل من اللحظة أو أقل جزء من أجزاء اللحظة يغمس غمسة في النار فيقال: يا ابن آدم هل رأيت نعيماً قط هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا يا ربي ما مر بي نعيم قط. ينسى نعيم الدنيا كله في غمسة صغيرة دقيقة في النار. ويؤتى بأشد أهل الدنيا بؤساً وفقراً ومرضاً فيغمس غمسة واحدة في الجنة. ويقال يا ابن آدم هل مر بك بؤس قط ، هل مر بك شقاء قط؟ فيقول: يا ربي ما مر بي شقاء وما مر بي بؤس. فلنعد لذلك اليوم ، وهو يوم لا بد أن نرده على صراط أدق من الشعرة وأحد من السيف ، والناس يمضون عليه على قدر أعمالهم وكلايب جهنم عن يمينه وعن يساره. فمن المؤمنين الذين يسعون ونورهم بين أيديهم مد أبصارهم من يمرون عليه كالبرق الخاطف. ومن المؤمنين من يمرونه كأجاويد الخيل. ومنهم من يمره كأسرع الناس عدواً. ومنهم من يحبو على الصراط حبواً. ومنهم من يمضي عليه فتدركه كلايب جهنم. أين الملوك أين الوزراء ، أين الأمراء أين الرؤساء ، أين الخلفاء؟ أين الذين ذهبوا ، أين الذين ملكوا أين الذين نالوا ، أين الذين جمعوا؟ أين الأثرياء ، أين الكبراء؟ لقد ودعواهم وودعناهم في حفر لا فراش فيها ولا خادم فيها ، ولا مائدة عندها ، ولا باب إليها ، ولا نور يضيئها ، ولا هواء يهويها. كتب الله أن تعود إلى هذه الدنيا في نهاية المطاف وفي خاتمة الأمر كما نزلت عليها. فإن من الله عليك وكنت من الصالحين عوضك الله عن هذا الكفن أبواباً إلى الجنان ونيماً مقيماً في دار الخلود فتفتح لك أبواب الجنة ويضاء لك القبر وتأنس بعملك الصالح وتبقى زاهياً متغنياً تقول ربي أقم الساعة ، ربي أقم الساعة. وإن كنت من أهل الشقاء ، ضيق عليك قبرك وصار حفرة من حفر النار!) هـ.

حصد الموت الكل - في التو - حصدا
والبي - جسر النهاية - مدا
حادث فاق الحوادث سُوءاً
والحياة ضدّ يُصارع ضدا
كُتب الموت ، فالفناء مصير
ليس عبد يُؤتى - بذى الدار - خلدا

ثم عدّ كل المخاليق عدا
ومن الرجعى - صدّقوا - لا بُدَا
يُحشرون عبداً يجادل عبدا
حُشروا للمولى المهيمن وفدا
حيث سيقوا للنار - بالجبر - وردا
غير عبدٍ قد عاهد الله عهدا
وسياًتي كلُّ إلى الله فردا
فإذا النعشُ مرغماً يتردى
والعيونُ أمست - من النزف - رُمدَا
ثم تبكي - على المُصابين - وجدا
والجثامينُ ترجو الثرى واللحدا
قد زهدت - من أجلها - العيشَ زهدا
والمنايا قد أفقدتها الجادا!
ثم باتت تشكو الدمَ المُسودا!
ثم بطن منها المعى تبدي
كل عين ضمت - مع الأنف - خدا
وإلى قلبي مد ذلك يدا
ما كذبت إن قلت شيئاً إذا
من أساه ، والأرض أن تزبدا
والجبال تكاد تنهد هدا

والمليكُ خط المقادير قطعاً
والجميعُ آتون يوماً إليه
والعجيبُ أن الجميعَ قياماً
فالتقاة الأبرارُ باؤوا بخير!
والعصاة الأشرارُ باؤوا بشر
مالهم - من شفاعَةٍ - في البرايا
لم يفروا - من الحساب - بتاتاً
قد ركبنا نعشَ الحمام صباحاً
في رمال كم أشربت من دمانا!
والجراحُ تُذمي قلوباً رأتها
صعدت أرواحُ الجميع ، وماتوا
هذه الأشلاءُ الكثيرة حولي
كم أيادٍ - عنها الأصابع - زالت
كم لحوم تكسّر العظمُ فيها
رأس طفل قد أغرقتني دماء
بل عيون هذين ما أبصرتني
وبقّفي عاينت كف رضيع
إنني قد عايشت شيئاً فظيعاً
إذ تكاد السمام أن تنهواوى
والحياة تكاد تبكي علينا

أَنْ غَدَوْنَا صَرَعِي بِأَرْضِ فَلَاحٍ
لَا صَدِيقٌ ، وَلَا خَلِيلٌ يُوَاسِي
وَالدَّمُوعُ كَالسَّيْلِ ، أَوْ هِيَ أَعْتَى
قَدْ فَجَعْتُ فِي أَسْرَتِي ، وَحِيَاتِي
غَيْرَ أَنْ الْأَحْزَانَ طَالَتْ ثَبَاتِي
وَاصْطَبَارِي أَمْسَى رَهِينَ الْمَآسِي
كَمْ سَأَلْتُ الْبَاكِينَ مَنِ شَاهِدُونَا!
إِنِّي مِتَّ قَبْلَ نَزْفِ دِمَائِي
لِيَتْنِي مِتَّ قَبْلَ مَوْتِ الضَّحَايَا
لَيْتَ أُمِّي لَمَّا تَلَدْنِي لِأَشْقَى
أَحْمَلُوا طِفْلِي ، وَابْذُلُوا كُلَّ خَيْرِ
مَالِهِ - قَطْ - بَعْدَ رَبِّي سِوَاكُمْ
يَعْتَذِرُ مِنْ كَاسِيْنَ: كُلُّ مَرِيضٍ
كَأَسُ يُتَمَّ يَقْوَى بِكَأَسِ رِضَاعٍ
رَبَّمَا - بِالْإِحْسَانِ - نَلْتَمُ ثَوَابًا
يَا صَغِيرِي - عِنْدَ الْمَلِيكِ - التَّلَاقِي
هَكَذَا الدُّنْيَا وَمَنْ يَعِيشُ عَلَيْهَا

بَعْدَمَا فَارَقْنَا الْقَرْيَ وَالْبُلْدَا
وَالْأَنْبِيْنَ - رَغَمَ الثَّبَاتِ - اشْتَدَا
وَالنَّحِيبُ جَسْرٌ إِلَيَّ امْتَدَا
مَنْ غَبِيَّ مَصَابِيَهُ يَتَحَدَى؟
وَالجَوَى كَمْ عَلَى الْيَقِينِ تَعَدَى!
وَيَ كَأَنِّي - فِي الْعَيْشِ - مَا ذُقْتُ سَعْدَا!
غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَلْقِ لِلسُّؤْلِ رَدَا
وَاحْتَرَقْتُ ، وَامْتَدَّ مَوْتِي عَقْدَا
أَوْ رَزَقْتُ - إِصْرَ الْبَلِيَّةِ - رُشْدَا!
أَوْ حُبِيثٌ إِذْ عَشْتُ سَمْتًا أَهْدَى
وَأَمْنُوهَ أَمَّاءَ ، وَدَارًا ، وَمَهْدَا
يَا كِرَامًا كُونُوا لَطْفًا لِي جَنَدَا
بِهِمَا كَمْ يَرْمِي - عَلَى النَّاسِ - حَقْدَا!
فَابْذُلُوا - لِلطِّفْلِ الْيَتِيمِ - الْوُدَا
إِنْ رَبِّي - مِنْكُمْ - يَرِيدُ الْجَهْدَا
وَاللِقَاءَ يَحْلُو ، إِذَا زِدَدَتْ بُعْدَا
مِثْلَ بَحْرِ يَشْتَتِ جَزْرًا وَمَدَا

(الطيبتان)

(عاش ذلك الملياردير المسلم الخليجي يرفل في النعيم المقيم. وتكاثرت أمواله تكاثر الدود. وكان حريصاً منذ صباه على خصال ثلاث: الأولى القرآن ، والثانية الصلاة ، والثالثة الصدقة. واعتاد أن يواظب ويتابع بين الحجة والحجة. وقل أن نجد مليارديراً يحرص على هذه الأشياء ولا على واحدة منها ، إلا من رحم الله تعالى. وبعد أن تجاوز الخمسين ، وداهمه المرض تخلت عنه زوجته وأولاده وبناته. وعاش طريق الفراش ، وأهمله الكل. حيث كانوا لا يزورونه إلا من أجل المال فقط. وأما زوجته فاعتادت على الرحلات الدولية من عاصمة إلى أخرى في بلاد الغرب ، حتى أهلكت شطر مال زوجها تقريباً. وعاشت في وادٍ ، وفشل الأولاد وزوجها في وادٍ آخر. والأب له عذره في مرضه الذي داهمه. المهم كان الأب يتحرج من مخدومته الفلبينية الشابة الحسنة ، فاقترح عليه أحد أصفياه أنه لو تزوجها لما كان هناك حرج من الخلوة بها والنظر إليها وتطبيبها له. وبالفعل ذهب إلى القاضي وعقد عليها وتزوجها ، وعندما استقرت حياته نسبياً ، تبين له أن مرضه كان نفسياً ومزاجياً وعصبياً أكثر منه عضوياً. ورد الله عليه صحته بقدر منه عز وجل ، وشفاه الله من سقمه العاتي المينوس من علاجه ، كما أخبره بذلك الأطباء. وصار أحلى وأصح مما كان عليه في الماضي ، وتكاثرت أمواله لكثرة صدقاته ، إذ لم يكن يرد سائلاً قط. بل كان يُضاعف للسائل ما يطلبه. والحقيقة أن الإنفاق يعقبه الخلف والبركة والزيادة! فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا). وقد علق العلامة ابن باز على هذا الحديث وقال ما نصه: (هذا الحديث فيه الحث على النفقة والإحسان والجود والكرم ، وأنه ينبغي للمؤمن إذا كانت عنده سعة أن يُنْفِقَ وَيُحْسِنَ ، فهذا يدل على فضل عظيم للإنفاق ، وأن صاحب النفقة تدعو له الملائكة بالخلف ، فينبغي الإكثار من ذلك. ويقول الله في الحديث القدسي: يا ابن آدم ، أَنْفِقْ يُنْفِقَ عَلَيْكَ ، ويقول الله في كتابه الكريم: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ، ويقول سبحانه: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أربعون خصلةً - أعلاها: منيحة العنز- ما من عبد مسلمٍ يلقي الله بشيءٍ منها تصديق ثوابها ورجاء موعودها إلا أدخله الله بها الجنة) ، هذا فيه الحث على أنواع الإحسان ، وأنواع الجود والكرم. كذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم لما سُئِلَ: أي الإسلام أفضل؟ قال: (تُطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ) ، هذه أفضل خصال الإسلام: إطعام الطعام ، وإفشاء السلام. أيضا قوله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا ، فهو يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا. فينبغي للمؤمن أن يغتنم فرصة ما أعطاه الله من المال وما وسَّعَ عليه في الإنفاق والإحسان ، والجود والكرم ، للفقراء والمساكين ، والأرحام ، والضيِّف ، ووجوه الخير). هـ. وساعت معالجة الزوجة الأولى للرجل عندما علمت بزواجه من مخدومته الفلبينية! وذات يوم طلبت منه أن تختلع ، فخالعها ، ولم يحرّمها ولا أولادها ولا بناتها من أمواله بل قسمها مناصفة بين الأسرتين والزوجتين. ومرت بعد ذلك سنوات عشر على هذه الهدنة المدخونة ، حيث هدأ الحال ولكن بالقطيعة التامة بين الأب وزوجته الجديدة وابنتيه سلمى وسلامة وبين زوجته القديمة المختلعة وأولادها. حيث كان المال بديلاً عن الأب عند أسرته الأولى التي غرقت في المذلات والمتع والرحلات ومحبوبات النفوس الأمارة بالسوء. وما كان للمال الذي قُدر بالملايين ليصمد مع زوجة مبدرة مسرفة سفيهة تنفق بغير تقدير ولا مراعاة للعواقب. وكذلك كان

أولادها الفاشلون في التعليم والحياة على حد سواء. وما هي إلا سنوات قليلة حتى فني المال عن آخره معهم. بينما الزوجة الثانية الشابة التي عانت من الفقر ، وعضها الإملاق بأنياه، وكانت تعرف قيمة هذا المال ، فراحت تدبّر وتقتصد ، وتجعل من حياة اليتم والفقر والاعتراب التي عاشتها نبراساً لها يضيئ لها حنادس الأغيار والأحوال ، فازدادت أموالها ، وربت ابنتيها على القرآن والعلم والصلاة والصدقة والقيم. وفي سن العاشرة للابنتين التوأم مات الأب. وكان لزاماً على الأم الشابة الحسنة أن تكمل المسيرة. ورفضت كل الخطاب الذين لم يطمعوا في مالها فقط ، بل كذلك في صباها وذكائها وحسن تدبيرها وجمالها أو في الثلاثة مجتمعة. فتأيمت مؤثرة أن لا تدخل على ابنتيها زوج أم يسود عليهما الأيام ويعكّر صفو الحياة. وعلى الأيام تخرجت البناتان في كلية الطب ، وبنفس الدرجة وبذات التخصص ، وأصبحتا طبيبتين في ذات المشفى. ولم يجد إخوتهما وأخواتهما من أبيهما في التعرف عليهما بالرغم من هذا المجد. والسبب أنهما ابنتا الفلبينية الخادمة التي خطفت أباهم من أهم ومنهم بزعمهم. وكأنه لم يكن زواجاً على كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - . وبعد زوال المال والثراء والغنى وضياع المستقبل ، راح الإخوة والأخوات يلتمسون هاتين الأختين الطبيبتين في المستشفى رجاء أن يصلوا إلى شئ من البر والإحسان. وكانت في غاية القيم والأدب والإنسانية كأبيهما ، حيث أحسنتا استقبال إخوتهما وأخواتهما وزوجة أبيهما. وقررتا المعيشة في قصر واحد وبمال واحد وعلى نمط للحياة واحد ، فقامتا بإنشاء مجمع طبي كبير ليعمل فيه الكل ويسهروا على راحة الآخرين. وبارك الله في المال وكانت نعم الفكرة. والله في خلقه شؤون. قال لقمان لابنه: يا بني ليكن أول شيء تكسبه بعد الإيمان بالله أحماً "صادقاً". فإنما مثله كمثل "شجرة" إن جلست في ظلها أظلتك ، وإن أخذت منها أطعمتك ، وإن لم تنفك لم تضرك! ومن عجائب الإيثار والأخوة الصادقة ما أورده القرطبي في تفسيره: قال حذيفة العدوي: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لي - ومعني شي من الماء - وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به ، فقلت له: أسقيك ، فأشار برأسه أن نعم فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجنته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. قال الحسن البصري رحمه الله: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ شُعْبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ بِهِ حَاجَتَهُ ، إِنَّ بِهِ عِلَّتَهُ ، يَفْرَحُ لِفَرَحِهِ ، وَيَحْزَنُ لِحُزْنِهِ ، وَهُوَ مِرَاةٌ أَخِيهِ ، إِنْ رَأَى مِنْهُ مَا لَا يُعْجِبُهُ سَدَّدَهُ وَقَوْمَهُ ، وَوَجَّهَهُ ، وَحَاطَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، إِنْ لَكَ مِنْ خَلِيلِكَ نَصِيبًا ، وَإِنَّ لَكَ نَصِيبًا مِنْ ذِكْرِ مَنْ أَحْبَبْتَ ، فَانْتَقُوا الْأَصْحَابَ وَالْمَجَالِسَ). وسبحان من جمع شمل هذه الأسرة من الضياع وأعاد شأنها من حيث لم يحتسب أحد من أفرادها! ومن هنا كتبت قصيدة (الطبيبتان) على الطويل ، أحيت فيها الأختين الطبيبتين المحترمتين اللتين لم تبخلا بمالهما ولا بوظيفتيهما ولا بجاههما على عائلتهما ، كما لم يراودهما شبح الانتقام بل غازلتهما طيف الالتئام والالتحام! إنها العبقرية الفذة. وأراها بطلتنا القصيدة!

أعطرُ إعجابي ، مع الأمنياتِ وأبذلُ حباً يمدحُ التضحياتِ

وأثنى - على الشخصيتين - مُبجلاً عظيمَ الروى في مُستطاب الصفاتِ

وإذكُرُ تاريخاً تسامى فخاره وأحكىه بالأحداث ، والواقعاتِ

وأروي يواقيتاً تجأسى سناؤها وأهدي الورى أمجادهما النضراتِ

بما حاز من ساحاتها الخضرات
أحلي - به - الساحات والعَرَصات
فأشكرُ ربي ضارع الرعشات
من الحب تزجي طيب السباحات
وما هو إلا صادق النبضات
وتبعث في قلبي صدى النفحات
وأستقرئ الألفاظ في الصفحات
لحوناً تفوق اليوم رجوع شدة
بأنى سأجني زبدة الكلمات
فكم أغرقتني في خضم هبات!
لأختان كل تسعد المهجات
فأروي بلاس وزيف رواة
مُديم لذكر الله ، والصلوات
وسراً وجهراً يبذل الصدقات
يطوف ويسعى ، يبذل القربات
ويدعو مليك الناس في (عرفات)
لمن لم ينالوا لو حصاة فتات
فكم تحرقُ الأموال بالشبهات!
ولا يُهاك الإنسان كالشبهات
ويدعو الورى في عزيمة وثبات

وأبذرُ آمالاً تبخر شذوها
وأنشر ورد الخب في كل بقعة
وأفخرُ أني قد ظفرت بسلوتي
وأشهدُ أني قد خصصت بنفحة
وأقطعُ أني لست - في الود - غالياً
وأجعلُ - من شعري - حياة تشوقني
وأستحبُ الأنعام من ثدي ضادنا
وأنتخبُ الأوزان تُعطي قصيدي
وأستمطرُ الضاد الكريمة موقناً
ومهما مدحت الضاد إنني مقصّر
ألا إن (سلمي) و(السلامة) أختها
وأبدأ بالشيخ الوقور أبيهما
وأحسبه فذاً ، ورببي حسيبُه!
ويقرأ قرآن المليك تعبداً
وفي الحج للشيخ المبجل رحلة
ويُعطي اليتامى والمساكين حِسبة
وينحرُ هدياً ، لحمه اليوم طعمة
وينأى بكل المال عن أي شبهة
وكم ينتحي بالنفس عن أي شهوة!
ويصدقُ في الأقوال ، حتى مزاحها

وَيُنْقِذُ مَدْيُونًا مِّنَ الدِّينِ هَدًى
 وَيَعِذُّ نَكَلًا تَسْتَعِينُ بِمَالِهِ
 وَيُقْرِضُ مَن يَأْتِيهِ اسْتِئْذَانًا
 وَكَيْفَ يُوَدِّي الدِّينَ مَن صَدَّه الْقَضَا
 وَيَنْصَحُ إِن ظَنَّ انْتِفَاعًا بِنَصْحِهِ
 وَكَانَ بِلَاءُ الشَّيْخِ أَعْتَى ضِرَاوَةً
 لَهُ زَوْجَةٌ مِّنْ كُلِّ خَيْرٍ تَجَرَّدَتْ
 فَلَيْسَ - لِمَعْرُوفٍ - عَلَيْهَا أَمَارَةٌ
 تُعْرَبُ فِي الدُّنْيَا ، وَتَرْكُضُ خَلْفَهَا
 وَتَرْكُوبُ أَهْوَاءٍ ، وَتَحْيَا لِنَفْسِهَا
 وَتَذْهَبُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ ، وَغَرْبِهَا
 وَتَنْفِقُ أَمْوَالًا عَلَى مَا تَرِيدُهُ
 وَدَمَرَتْ الْبَيْتَ الَّذِي كَانَ عَامِرًا
 وَأَهْمَلَتْ الزَّوْجَ الَّذِي كَمَّ أَحْبَبَهَا!
 وَعَاشَ وَحِيدًا - فِي دَجَى الْبَيْتِ - بَاكِيًا
 عَلَى كَثْرَةِ الْأَوْلَادِ يَشْكُو ابْتِعَادَهُمْ
 فِيرِثِي وَيَأْسَى ، وَالْدَمُوعُ لَهَا لَظِي
 وَيَبْكِي ، وَمَنْ يُصْغِي لِأَنَاتِ جِرْحِهِ
 بِأَمْوَالِهِ يَسْتَمْتَعُ الْكُلُّ فِي الدُّنَا
 بِخَيْرَاتِهِ الْأَهْلُونَ كَمَّ بَلَّغُوا الْمُنَى!
 وَيُنْصِرْتُ بِسَامًا لِكُلِّ شَاكَاةٍ
 عَلَى ذَلِّ عَيْشِ صَائِبِ الطَّعْنَاتِ
 وَيَعْفُو إِذَا مَا غَاصَ فِي التَّبَعَاتِ
 وَلِلدَّائِنِ الْمَغْوَارِ كَفُّ أَسَاةٍ؟
 وَلَيْسَ يُعِيرُ الْأَذْنَ قَوْلَ وَشَاةٍ
 بِرَغْمِ وَفِيرِ الْمَالِ وَالثَّرَوَاتِ
 وَكَمَّ أَفْسَدَتْ ذُرِيَّةَ وَبَنَاتِ!
 وَلَيْسَ - لِنَقْوَى اللَّهِ - مِّنْ لِّمَحَاتِ
 وَتَهْوَى الْخِنَافِ فِي الْجَهْرِ ، وَالْعَمَاتِ
 وَكَمَّ قَارَفَتْ - فِي الشَّرِّ - مِّنْ نَّزَوَاتِ!
 لِحَصْدِ - مَا فِي الْخَلْقِ - مِّنْ كَبَوَاتِ
 وَيَوْمًا سَتُزْجِي عَاتِي الْحَسِرَاتِ
 وَلَمْ تَقُلْ مَا تَغْشَاهُ مِّنْ حُرْمَاتِ
 وَأَمْسَى يُعَانِي مِّنْ أَسَى وَشَتَاتِ
 وَفِي اللَّهِ أَضْحَى يَذْرَفُ الْعَبْرَاتِ
 فَيَغْرَقُ فِي إِغْفَاءٍ وَسُوبَاتِ
 وَيَشْكُو الْجَوَى فِي جَهْرَةٍ وَبِيَّاتِ
 عَلَى غَصَصٍ - مِّنْ وَجْدِهَا - شَرِيقَاتِ؟
 وَيَشْقَى - بِبُعْدِ الْأَهْلِ - فِي الرِّحَلَاتِ
 وَيُتْرَكُ فَرْدًا فِي دَجَى الظُّلْمَاتِ

ويبقى على الأبواب والطرق
وأفقه اسده امتاعه بحياة
منمقة موصولة الحلقة
وقالت لهم: إنني أعيش لذاتي
إذا ظل يبكي بعد كل صلاة
إذا ظل يعطي الناس كل زكاة
وما انتفعوا - في حربهم - بعظمت
بزيغ انتماء في عذاب تارة
إذا لم يكن من غرورة وصلات
لماذا صراعات ورجع قناعة؟
وكالوا - له - الأوجاع بالضربات
وخارت قوى تستنهض العزمات
فجابه ما يلقاه بالدعوات
ولم يمتطر الأقسام بالغضبات
ويرجو صلاح الأهل ، والبركات
همومك ، قم ، واستعرض الفتيات
كريمة أصل العود والغرسات
وتحيي رحيل الليل بالركعات
ولا ترعووي للكييد والسطوات
وطيبة الأردن والقسمات

يخير بين الهزل والجد مرغماً
وأبناؤه لم يرحموا الشيب غاله
وذي أمهم قد أخرجت مسرحية
وأولادها كم يحبون أداءهم!
وأما أبوكم فالجنون مصيره
وأمواله - يوماً - سيلحقها الفنا
وحرضت الأولاد حتى تمردوا
تحمس كل - في النزال - مزجراً
كان أباهم ليس قط بمسلم
عليهم له حق ، وثان ، وثالث
فما وقروا شيباً ، ولا احترموا أباً
وساءت - على الأيام - حال وصحة
فما هل عسى تحل عقدة عيشه؟!
وسارع في الخيرات ، يرجو ثوابها
ويرجو مليك الناس تفريج كربته
وقال صديق: بالزواج ستنتهي
ومن بينهن اختر عروساً حشيمة
مؤخدة ترعاك تزجي ودادها
تحب وتحنو ، ثم تعطي وترتضي
فتاة كمثل البدر حسناً ورفعة

على شريعة المولى ، فتلك وصاتي
فقد ينتهي عمر الفتى بوفاة
وإن بارزت - دهرأ - بويل غداة
فلا يسلم الإنسان من غمزات
وليس - من المقدر - أي نجاة
علام إن تخشى تعدي الجناة؟
واحسانها ذو فطرة وسيمات
فمسامة في عزة وثبات
وكم عند هذي من كثير اللغات!
ودع عنك ما تدري من النعرات
وتغرق أهل البيت بالثروات
وأذهب - عنك - السوء والنزغات
وحن إلى (ريتا) ، وبات يواتي
وما الخل في عشق ملح ، وعات؟
(ريتا) تمت إن تطرق الفلوات!
لهم تنتمي ، هل هم ذوي حظوات؟
إذا حل ضنك من ورا النكبات؟
يقيلون إن عم الدجى العشرات؟
إذا ما دهنتا صولة الغزوات؟
ألا إننا نعد بالنزعات!

تعود شباباً عندما تختلي بها
فيا صاح عجل ، واستمع لنصيحتي
ولا تخش من أم العيال هجومها
ولا تبتس باللوم يُطلقه الوري
فهذا انطلاق لا توقف بعده
ورزقك عند الله ، والعمر عنده
(ريتا) فتاة غضة ، جد تشتهي
وأخلاقها من دينها قد تمخضت
وخادمة ، هذا نصيب مقدر
فخذها تنل أجراً ، وتحيا كرمأ
ستبتسم الدنيا ، وتغدو منعمأ
ألا إن صدقت الله ببارك زيجاة
فأطرق ليث الشيب هذا هنيهة
فواعجبأ حبب تمكّن عاجلاً!
وقيس أصيل - إي - وليلى غريبة
قبيلة (ريتا) أين؟ والملا الألى
وأين الغطاريف الألى هم رجالها
وأين الرجال الشم يخشاهم الغشا
وأين الصناديد الألى هم جنودنا
وأين البهاليل الأعارب أهلها؟

بئس ما أوجب الأهل لو قيل زوجتي
وأعمامها من هم؟ تكلم ، وأفصح
وأخوالها من في البطون التي سميت
وجيرانها من في الديار التي نأت
فلم يعرفوا رباً ولا هدي مرسلاً
تكلم ، وإلا لم تجدنا بصمتنا
فرد - بكل الصدق - دون هوداة
وإني عليكم عاتب ، رغم خرقتي
وأقذر نصحاء من كرام أشاوس
وأكبر مجهوداً لكم غير منكر
ولست كما قلتم لـ (ريتا) بعاشق
ومالي بصيد الغيد يا قوم طاقة
وزوجي كما أنتم ترون سفيهة
فلا زوجها - كلا - ولا أولادها
ورأسي غزاه الشيب ، والعظم قد وهى
فلا تنكأوا الجرح الذي قض مضجعي
ألا إن (ريتا) من ربا الشرق قد أتت
ولست أسيراً للجمال ولا الهوى
(ريتا) تُعاني الاغتراب وذُلها
وتطلبني للمال ، يُغني وليها

بئس ما أوجب الأهل لو قيل زوجتي
وأعمامها من هم؟ تكلم ، وأفصح
وأخوالها من في البطون التي سميت
وجيرانها من في الديار التي نأت
فلم يعرفوا رباً ولا هدي مرسلاً
تكلم ، وإلا لم تجدنا بصمتنا
فرد - بكل الصدق - دون هوداة
وإني عليكم عاتب ، رغم خرقتي
وأقذر نصحاء من كرام أشاوس
وأكبر مجهوداً لكم غير منكر
ولست كما قلتم لـ (ريتا) بعاشق
ومالي بصيد الغيد يا قوم طاقة
وزوجي كما أنتم ترون سفيهة
فلا زوجها - كلا - ولا أولادها
ورأسي غزاه الشيب ، والعظم قد وهى
فلا تنكأوا الجرح الذي قض مضجعي
ألا إن (ريتا) من ربا الشرق قد أتت
ولست أسيراً للجمال ولا الهوى
(ريتا) تُعاني الاغتراب وذُلها
وتطلبني للمال ، يُغني وليها

وماذا أفادتني تقاليدُ قومنا؟
وغيري يحوزُ المالَ بعدي مقطراً
ألا خففوا اللومَ المقيتَ ، وأقصروا
سأجعلُ من (ريتا) الحصان حليلاً
وظنني بربي أن يباركَ قَربَها
وإن قال أهل الأرض: لا! قلتُ: حسبكم
وبعد شهور عاشقانا تزوجا
وأشيبنا بالحب عاد شبابه
وصحَّته بآفات بأقوى صلابه
ألا إن (ريتا) أيقظتُ فيه فورةً
وبعد سنين توأمان (سلامة)
وبآفات بخلع زوجة قد تمردت
لزوجته الأولى نصيباً تحوزه
و(ريتا) لها قسط بدون تزييد
وأشيبنا خلوى الحياة وراءه
و(ريتا) تعاني طول درب مكلفٍ
ويرغبها للحسن والمال خاطبٍ
وعاشت لبنتيها كأظهر أيام
زها القصر بالبنتين والأُم فترةً
سنونٌ توالى بعد أخرى عجولة

أحياً وحيداً يرقبُ الغمرات؟
إذا ما اعتثنى عاجلاً سكراتي؟
ولا تقطعوا بالظننة العُـرُوات
وأخمدُ ما في النفس من جمرات
لتجعل عيشي زاخرَ الحسنات
وحسبي الرزايا من لظى الافتئات
وصارت لريتيا صولة العاشقات
بوجهٍ سطوع مُشرق للمعات
وعاين فيها شامخ الوثبات
وسدَّت فراغاً واسعَ الثغرات
و(سلمى) ، وقصرَ وافرُ الخُجرات
وقسمتِ الأموالَ قسم الهبات
بدون صراع قسط في الحلبات
ووثقتِ الأختامُ في الصفحات
وودع كل الناس إصر ممات
مريـر ، وباتت طعمـة لبُـزاة
وتأبى بلا فـكر ، ولا وقفات
وكننَ الثلاثَ الغيـد كالملاكات
صلاة وقرآنٌ بذى الغرفات
كسُبحتها الموصولة الخرزات

وكل فتاة في البلاد طبيبة
 معاً في مكان واحد بأمانة
 وفائق وخبّ وانطلاقاً ونجدة
 وكل فتاة بالرشاد تساحت
 تجودان بالمال الحلال تقرباً
 وجاءت لهما أخرى تسائل: من أنا
 كذبت إذا ما قلت أعرفها أنا
 فقالت: أنا بنت الذي ها هنا ثوى
 وأنا ابنتا شيخ تباعد ذكره
 ألا أكرميننا ، نحن أهل ومعرّ
 كفانا هواناً ، أمنا غررت بنا
 فرقت لها (سلمى) ، وفاضت دموعها
 تعانقتا ، والناس تبكى لماترى
 وعادوا عشيراً واحداً بعد فرقة
 وضمّ الجميع القصر في موكب الهدى
 وباتت - لخلق الله - أصدق عبرة
 فسبحان من يهدي فريقاً لنوره!

تعالج مرضاها بكل أناة
 بلا ملل يس تهلك العزمات
 وجهد شباب يناع الزهرات
 وأنسام ذكر الله خير حمة
 هما دوحتا جودٍ بجوف فلاة
 وسلمى أجابت في عزيز ثبات
 فمن أنت يا ملتاعة النبرات
 وفي قبره لم يبق غير رفات
 ودمعي - على ما ناله - كالفرات
 ولا تجعلينا نصلي بالشيمات
 ونسأل خلق الله بعض فتات
 وقالت: فذاك المال بعد حياتي
 أنا منك ، لا تسلمطري رحماتي
 وعاشوا جميعاً بعد لثم الشئات
 تقاة ، وهل في الأرض مثل التقاة؟
 وموعظة فيها عطر الوصاة
 ويهدي فريقاً - للشقا - في الحياة

سبحان مقلب القلوب

(أوردت مجلة (الشقائق) 6/56 قصة لوي بوشيل مثيو التي تخرجت في جامعة كامبريدج. ومارست سيناريو الاستشراق ، وحاولت انتقاد الإسلام. فإذا بها تسلّم ، وتبلي في الإسلام بلاء حسناً. فسبحان مقلب القلوب! في كتابه عن الاستشراق والمستشرقين بين الأستاذ أنور الجندي وسائلهم العشرين في التحريف والتضليل فقال: (* أولاً: المستشرقون يدرسون قضايا الإسلام (لغته وتاريخه وشريعته وتراثه) بروح غير علمية ، تقوم إما على سوء الفهم أو سوء النية ، وهم لا يتصورون أي شيء إلا في حدود مفاهيمهم النصرانية اليونانية. * ثانياً: قدم المستشرقون كتابات أعطوها صفة العلم في مختلف المسائل الإسلامية تدرس في بعض الجامعات على أنها صورة صحيحة لما جاء في الشريعة الإسلامية من أحكام وقواعد ، جاء بعضها محرّفاً وبعضها لا يقيد حكمة الشارع ثم بولغ في تحريف مدلولاتها ومعانيها على نحو يتعذر معه فهم أحكام الإسلام على وجهها الصحيح. * ثالثاً: أخضع المستشرقون تاريخ الإسلام لمفهوم النصرانية وتفسيراتها ثم أخضعوها لتفسيرات المادية الغربية ثم التفسيرات الماركسية. * رابعاً: دخل المستشرقون إلى مجامع اللغة وحولوا أهدافهم إلى مناهج براقاة سواء في أحياء العاميات أو الدعوة إلى تعديل النحو أو اللغة الوسطى أو الكتابة العربية المعاصرة وكلها محاولات ترمي إلى إيجاد فجوة بين لغة القرآن ولغة الكتابة. * خامساً: أثار الاستشراق دعوات مسمومة للتشكيك في الإسلام والظعن في مبادئه وتشويه الحضارة الإسلامية. ومن ذلك دعوتهم إلى رفع لواء الإنسلاخ من الماضي والتراث وإحياء النزعات القديمة كالفرعونية والفينيقية والآشورية وأمثالها. * سادساً: المبالغة في تمجيد الحضارات الشرقية القديمة السابقة للإسلام والإدعاء بأن الإسلام أخذ منها والبحث عن الأثر الغربي والأوروبي في الفكر الإسلامي والمبالغة في تحديده وإكباره وجعله شيئاً أساسياً بالرغم من أنه أقل من ذلك ومحاولة إرجاع العلوم العربية إلى أصول يونانية. * سابعاً: دراسة الحركات المضادة للإسلام والتوسع فيها كالفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر التفسخ والانقسام والإدعاء بأنها أبرز ظواهر تاريخ الإسلام مع أن تاريخ الإسلام حافل بالإيجابيات ومراحل القوة والتمكن. * ثامناً: يدرس الاستشراق خصائص الفكر الإسلامي بروح خصومه وبفكرة مسبقة قائمة على أحكام قوامها سوء نية وعجز عن الإنصاف ، ويعجز الاستشراق عن أن يتخلص من عواطفه الخاصة وهو يدرس مجتمعاً مختلفاً ومنهجاً متبايناً مع فكره ومنهجه. * تاسعاً: توسعة شقة الخلافات المذهبية بين المسلمين ، بينما هذه الخلافات لم تصل إلى ما وصلت إليه بين فرق الأديان الأخرى وخاصة المسيحية لا في طبيعتها ولا في مداها فلا يوجد خلاف بين المسلمين على المبادئ الأساسية للإسلام مثل وحدانية الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم والاعتقاد في أن القرآن الكريم هو كلام الله والإيمان باليوم الآخر. * عاشراً: حاول الاستشراق الغض من عظمة الدعوة الإسلامية بإثارة شبهات متعددة منها محاولة الإدعاء بوجود صلة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني (وقد كشفت البحوث عكس دعوى الاستشراق فإن القانون الروماني الحديث مأخوذ من مذهب مالك نقله نابليون معه إلى أوربا) كذلك التشكيك في عالمية الرسالة الإسلامية بالقول بأن الآيات جاءت بعد استقرار الرسالة. * حادي عشر: يذهب المستشرقون إلى أبعد حدود المغالطة حين يواجهون تاريخ الإسلام بأهوائهم فهم معجبون ببني أمية لأن أحدهم (أبا سفيان) كان عدو الرسول (ما كتبه هنري لامانس عن معاوية ويزيد). أما عهد العباسيين فالدولة الإسلامية خرجت من يد العرب. أما المغرب فيسمونها بلاد البربر وهذه التسمية دسيسة تافهة لأن أهل المغرب عرب وبربر ولكنهم مسلمون أولاً. وهم لا يتحدثون

عن الملوك الذين وطموا الدولة بل عن الخارجين (بني رستم الخارجين أيام عبد الرحمن الداخل وبني مدرار أصحاب سلجمار). * ثاني عشر: وضعوا أساس الشبهات ثم نسبوها إلى كتاب عرب ومسلمين فالشعر الجاهلي والأدب الجاهلي أساسهما بحث عن انتحال الشعر لمرجليوث ، وكتاب الإسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرازق أساسه كتاب عن الخلافة الإسلامية لمرجليوث. ومع المتنبي لظه حسين أساسه بحث لبلاشير، و... * ثالث عشر: غلبة التفسير النصراني على التحليل والعرض ، فدرمنجم يقول أن تعاليم أهل الكتاب هي التي لفتت نظر سيدنا محمد إلى الكمال الروحي والمثل الأعلى وجعلته يتحنث في الغار وهذا كذب صراح ، كما يحاولون تصور أن القرآن جاء من الكتب السابقة. وهذا غير صحيح ، لأن الإسلام جاء خاتماً للرسالات وداعياً أهل الكتاب للدخول فيه لأن دين الله الحق وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن متصلاً بأهل الكتاب. * رابع عشر: أن القول بأن مصادر النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن هي التوراة والإنجيل من المسائل التي يكاد الاستشراق يجمع عليها ويردها من كانوا من مستشرقى اليهود أو النصارى والواقع أن هذا الاتهام باطل بدليل واحد أن مفهوم القرآن للتوحيد يختلف عن مفهوم التوراة المكتوبة بأيدي الأبحار أو الأناجيل الموجودة في أيدي الناس الآن. * خامس عشر: في محاولة لتأييد النفوذ الأجنبي الذي فرض القانون الوضعي كانت حملة الاستشراق على الشريعة الإسلامية ، جولدزيهر وشاخت وغيرهم الذين كانوا ينشرون دعياتهم الرامية إلى القول بأن الفقه الإسلامى جامد ولم يتطور وسيبقى جامداً إلى الأبد وأنه لا يحتوي على قواعد عامة وإنما يتناول النوازل الخاصة. * سادس عشر: كذبت الحقائق دعاوى الاستشراق في أن التصوف الإسلامى أخذ من الافلاطونية الحديثة أو مذاهب المسيحية أو أن البلاغة العربية أخذت من كتاب الخطابة لأرسطو أو أن الفقه الإسلامى أخذ من مدونة جوستنات. * سابع عشر: ليس أدل على سوء نية الاستشراق في البحث من إصرار لويس ماسنيون على متابعة آثار الحلاج خلال أربعين سنة حتى نشر ذلك المجلد الضخم في 1400 صفحة ثم أخذ يتتبع متروكاته فطبع ما ورد عنه في الفقرات النثرية ثم نشر ديوانه الشعري وقد جمعها قطعاً من نحو مائة مؤلف بين مخطوط ومطبوع. * ثامن عشر: لقد تجمع في تحرير دائرة المعارف الإسلامية أخبث وأخطر رجال الاستشراق من يهود وغيرهم ممن يكون الكراهية للإسلام ولذلك فقد حرصوا على صنع مواد الدائرة بمفاهيم كنسية ويهودية وتأخذ دائرة المعارف الإسلامية القصة اليهودية للعهد القديم في خلق آدم عليه السلام فيحيلها مصدراً لقصة آدم في دائرة معارف إسلامية. * تاسع عشر: حرص الاستشراق على تصوير المجتمع الإسلامى في مختلف العصور وخاصة في العصر الأول على أنه مجتمع متفكك تقتل الأنانية رجاله ، وهم في كل محاولاتهم المسمومة للانتقاص من الإسلام ولغته وتاريخه وتراثه يخضعون النصوص للفكرة التي يفرضونها. * العشرون: يحاول كل من الاستشراق المسيحى خطة والاستشراق الشيعوى خطة مختلفة والاستشراق الصهيونى خطة ثالثة ، كل منها يهدف إلى تحقيق غرض خاص ولكنها جميعاً تطبق على الإسلام بالعداوة والحقد الدفين).هـ. ثم يزيد الأستاذ الجندي الأمر وضوحاً فيتناول الغزو الفكرى الملعون فيقول: (هذا هو لويس التاسع بعد أن هُزم في الحملة الصليبية السابعة التي تحطمت أمام المنصورة واقتيد وهو قائدها أسيراً حتى يفندي نفسه وسجن في بيت لقمان. هذا الرجل المهزوم الأسير كتب في مذكراته يقول: "لقد تبين لنا بعد هذه الجولة الطويلة أن هزيمة المسلمين عن طريق الحرب مسألة مستحيلة لأنهم يملكون منهجاً محكماً يقوم على الجهاد في سبيل الله ، ومن شأن هذا المنهج أن يحول دون هزيمتنا عسكرياً ، ولذلك فإن على الغرب أن يسلك طريقاً آخر ، هو طريق الكلمة ، الذي يقوم على نزع الفتيل من هذا المنهج وتفريغه من القوة والصمود والبسالة ، وذلك عن طريق تحطيم

مجموعة من المفاهيم بتأويلها أو التشكيك فيها". هذه الوصية كانت أساس الخطة التي قام بها الغرب من بعد عن طريق إنشاء مؤسستي التبشير والاستشراق وإثارة الشبهات حول مفهوم الإسلام الأصيل الجامع دنيا ودولة وعقيدة وشريعة وأخلاقاً ، ومن ثم كانت محاولات الاستشراق تدور كلها حول تحويل الإسلام إلى دين لاهوتي عبادي منفصل عن الحياة منزع من ميادين الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية).هـ. عموماً هؤلاء يمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين!)

كانت تؤمّل - في التثبيط - إخلادا	كما تؤلّب أو غاداً وحُسادا
كانت تزيد نظى النيران ملهبة	وتوسع الحقد - تلو الحقد - أحقادا
كانت تحضّ - على الإيقاع - عامدة	وتملأ الجو رغماً وإزيادا
كانت تحرّض من كادوا ، ومن حنقوا	وتغمّر الهمم الرعاء إفسادا
كانت تُزجر في اللاهين ، تحفزهم	وتوقد النار - للباغين - إيقادا
كانت تُعبّئ أجناداً لمحمّة	وتلزم الجنّد تحذيراً وإرشادا
كانت تُجيش جيشاً من صهاينة	سُيوفهم صوّبت كيداً وإرصادا
لكي تهَيء للفرسان أسلحة	وتدرس الحرب أفاقاً وآمادا
كانت تنال من الإسلام في صافٍ	وكم أقامت أكاليلاً وأعيادا!
ثم استقامت على منهاج خالقها	ونارها أحمّدت - بالسلم - إخمادا
(لوسي) شرفت بهذا الدين ، فانطلقى	وادعى إلى الله من - عن دينه - حادا
وبيّئ الحق - للضلال - في وضوح	فربما أصبح الضلال عبّادا
وجادلي - عن كتاب الله - من كفروا	لقد يكونون - للقرآن - أجنادا
واستشهدى بالآلى أطروا شريعتنا	مستشـرقين ، وكتابياً ، ونُقـادا
ونافحي عن رسول الله في جلدٍ	بذا تقيمين - بين الناس - أمجادا
وعلمى الناس ، من ضلوا ومن جهلوا	أن يُفردوا الله - بالتوحيد - إفرادا
نريد خدمة في (كمبريدج) تفلي	بحق شـرعتنا ، تصد إحدادا

كل العقائد أفكاراً وأبعادا
قومٌ قد اتخذوا - والله - أنسداد
وأشهد الله رب الناس إشهادا
ورتلوا - من دجى التلمود - أورادا
وحاربوا السلم ، والأخلاق ، والضادا
وأشهروا الفسق أغلالاً ، وأصفادا
وهل يكون الردى لأمة زادا؟
وإن - للباس - أجنادا وأعتادا
على عدو - برغم الأنف - قد سادا
واليوم باتوا - على التقاة - أسيدا
وصوتها يملأ الأذان إرعادا
وإن للقول - في التاريخ - إسنادا
مهما طغى الكفر في الأمصار ، أو كادا
فاهزم طغاة غدوا - في الكيد - أو غادا

ونسفد من الحرية انتظمت
وندفع الشر عن دين تعقبه
(لوسي) أريدك - للإسلام - داعية
أعداؤنا نشطوا في نشر باطلهم
وصدروا الغهر ، كي يُغوا شبيبتنا
وكلونا بإعلام يُحظننا
وأغرقونا بما يُبيد عزتنا
كماترين لهم بأس يهدنا
(لوسي) أريدك - في الميدان - صائفة
بالأمس كانوا عبيداً ، لا اعتداد بهم
هذي معادلة صعبت تفهمها
المسلمون هم الأعلون منزلة
وشريعة الحق عليها في مرابعها
يا رب نصرك إنا اليوم في ضعة

سبق تقوى النفس الفجور

(ونفس وما سواها ، فآلهمها فجورها وتقواها. وإن الذي يأخذ بأسباب التقوى تزكو نفسه. والذي يأخذ بأسباب الفجور تدسى نفسه. وعبر الحافلة المسافرة ، أدار السائق الفيلم كعادته ، كما يفعلون في الطائرات والسفن. فلا تسلم العيون لا في الأرض ولا في الجو ولا في البحر من النظرات الخائنة المحرمة. ودار الجدل مع السائق فاقتنع. ولكن الركاب المسافرين هاجوا ، ثم أصروا على الفيلم. وانتصروا ، وأدير الفيلم رغم أنف من أنكر وقال ، يا قوم اتبعوا المرسلين! ويبين حقوق النفس على صاحبها الشيخ محمد بن إبراهيم السبر فيقول ما نصه: (الإسلام دين السّماحة واليسر ، يُساير فطرة الإنسان وحاجاته ، فحين شاهد النبي صلى الله عليه وسلم الحبشة يلعبون ، قال: (لتعلم يهود أنّ في ديننا فسحةً ، إنّي أرسلتُ بحنيفيّة سمّحة) ؛ رواه أحمد. فبعضُ النَّاس لا يرى في الحياة إلا العمل المتواصل ، وآخرون يرونها فرصةً للمتعة المطلقة ، وتأتي النصوص الشرعية فيصلاً لا يشقُّ له غبار ، فيشعر بعدها هولاً وهولاً أنّ هذا الدين وسطٌ ، وأنّ التوازن في حياة المسلم مطلبٌ ؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه: “كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام ؛ كراهة السّامة علينا”. رواه البخاري ومسلم. ذلك أنّ السّامة والملل يُفضيان إلى النّفور والضّجر، يقول علي بن أبي طالب: “إنّ القلوب تمل كما تمل الأبدان ، فابتغوا لها طرائف الحكم”. ويقول أيضاً: “رَوِّحُوا القلوب ساعةً بعد ساعة ، فإنّ القلب إذا أُكْرِه عَمِي”. ويقول أبو الدرداء: “إنني لأستجمُّ قلبي باللّهو المُباح ليكون أقوى لي على الحقِّ”. وقال عمر بن عبدالعزيز: “تحدّثوا بكتاب الله وتجالسوا عليه ، وإذا ملّتم فحديث من أحاديث الرجال”. وهذا نبينا عليه السلام يقول: (يا حنظلة ، ساعةً وساعةً) ؛ رواه مسلم). هـ. وإن فلا بد من تعهد القلوب بالمداومة على ذكر الله تعالى!)

تعودت القلوب على الفجور	فعضشت المفاصد في الصدور
وأقبلت النفوس على الخطايا	وغرته الأعياب الغرور
وهبت فتنة بلغت مداها	وهددت الخلائق بالثبور
ولم تسلم عيون الناس منها	ولو ركبوا السفائن في البحور
ولو طاروا بطائرة تسامت	تشق السخب شقاً كالنسر
ولو كانوا بحافلة تأذوا	بما يجدون من خدش الشعور
سفلوا ما له أبداً حدود	يجرّ إلى انحطاطٍ مُستطير
وهزل قد تزرع بالتدني	يقود إلى المهالك والسعير
وقبح لا يصوره كلام	بمنظور السري ، أو النثير
وفحش إن غزا أخلاق قوم	لساقهم إلى سوء المصير

وموت للضمائر في نفوس
أليس هناك من رجل رشيد
يعيش لشريعة الإسلام ليثماً
وتُحزنه الحدود إذا استبيحت
يُخوف - بالمليك - من استطالوا
ويغضب - للعقيدة - في اعتزاز
ويقتحم الخبار، ولا يبالي
ويلقي بالأدلة ساطعات
ويحلم - في الجدل - على البرايا
ويدعو للفضائل والمعالي
عجبت لسائق للحق أصغى
ووافق دون طعن في النوايا
ألا رزق السلامة في طريق
ولو ركابه رفضوا الوصايا
وما احترموا الشريعة في قليل
بل احتقروا الذي للخير يدعو
وقال البعض: يمرض ما ارتآه
ورب الناس يعلم بالخفايا
وإن الله لهم كل نفس

وموت النفس من موت الضمير
على التقوى - إذا انتهكت - غيور؟
وأنعم بالتقي المسنتير!
ويصدع بالوعيد وبالذير
فأنسوا هول كارثة القبور
وينصر سؤنة الهادي البشير
بصولة ذلك الجمع الغفير
وفي الإقناع ذو خلق صبور
وليس يثور كالأسد الهصور
قلوباً أصبحت مثل الصخور
وبشّر بالقبول وبالسرور
وأبدى فرحة القلب القريير
ونال محبة الله الغفور
وشطوا في التخاصم والنكير
ولا احترموا المبادئ في كثير
وقال البعض: ويحك من غرير!
ورھط قال: يوغل في الشرور
ولا يخفى الخبيء على الخبير
تقاهما بعد إلهام الفجور

جاسيكا ازدواجية المعايير!

(في مجلة (الشقائق) العدد46 / الصفحة75 كان هناك تقرير عن طفلة رضية عمرها 18 شهراً ، كانت قد سقطت في بئر ، وغاصت فيها إلى عمق 29 قدم لأنها مهجورة. فاستنشرت لها جميع الطاقات في بلدها (أمريكا). فهذا مهندس جيولوجي ، وذلك خبير في الكهوف والمغارات ، وذلك حفار. وبعد 57 ساعة تم حفر بئر موازية ، وتم التوصيل بين البئرين ، وأنقذت الرضية. وأتت الصحف ووكالات الأنبياء بكاميراتها ومسجلاتها وخيلها ورجلها وركابها. فما بال مليون ونصف من أطفال العراق وأربعون ألف من أطفال الإخوة الشيشان ، ناهيك عن البوسنة والهرسك وأطفال أفغانستان ، بل وكوسوفا. أولئك الأطفال الذين قد ماتوا ظمأً وعدواناً. وتذكر الشقائق أن الجنود قد دخلوا على امرأة تطبخ الطعام هناك في كوسوفا فقالوا لها: ماذا تفعلين؟ وأجابوا: تطبخين الخضار بدون لحم؟ فذبحوا طفلها أمام ناظريها ، ووضعوه في القدر ليكون الخضار معه لحم. وأيضاً ذبح الصرب طفلاً ، وقاموا بشيئه أما عيني أبيه ، وأمروا الأب أن يأكل منه بعد شيه ونضجه. وأيضاً قطعوا رؤوس الأطفال ليلعبوا بها الكرة في شوارع سرايفوا. إنها ازدواجية المعايير في الحضارة الغربية الجاهلية التي تكيل بمكيالين ليس ذلك فقط. بل لديها اهتمام بالحيوانات ورعايتها ، في حين تسحق الإنسان إلى الحد الذي ذكرته مجلة الشقائق. وما خفى ويعلمه الله ولا شك أعظم وأعظم. من أجل ذلك وغيره الكثير والكثير ، أنشدت من شعري وعلى البحر الوافر هذه القصيدة الجيمية القافية. يقول صاحب الظلال في تعليقه على آية سورة التوبة (لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة) بتصرف زهيد جداً ما نصه: (وحقيقة إن المعركة الطويلة الأمد لم تكن بين الإسلام والشرك بقدر ما كانت بين الإسلام وأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ولكن هذا لا ينفي أن موقف المشركين من المسلمين كان دائماً هو الذي تصوره آية: (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا آيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون)! لقد كان هذا هو الموقف الدائم للمشركين وأهل الكتاب من المسلمين! فالمشركون كان هذا دأبهم من المسلمين على مدار التاريخ. وإذا نحن اعتبرنا أن الإسلام لم يبدأ برسالة محمد – صلى الله عليه وسلم – إنما ختم بهذه الرسالة وأن موقف المشركين من كل رسول ومن كل رسالة من قبل إنما يمثل موقف الشرك من دين الله على الإطلاق ، فإن أبعاد المعركة تتراعى ، ويتجلى الموقف على حقيقته ، كما تصوره تلك النصوص القرآنية الخالدة على مدار التاريخ البشري كله بلا استثناء. ماذا صنع المشركون مع نوح وهود وصالح وإبراهيم وشعيب وموسى وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه والمؤمنين بهم في زمانهم؟ ثم ماذا صنع المشركون مع محمد – صلى الله عليه وسلم – والمؤمنين به كذلك؟ إنهم لم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة متى ظهروا عليهم وتمكنوا منهم! وماذا صنع المشركون بالمسلمين أيام الغزو الثاني للشرك على أيدي التتار؟ ثم ما يصنع المشركون والملحدون اليوم بعد أربعة عشر قرناً بالمسلمين في كل مكان؟ إنهم لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة كما يقرر النص القرآني الصادق الخالد! عندما ظهر الوثنيون التتار على المسلمين في بغداد وقعت المأساة الدامية التي سجلتها الروايات التاريخية والتي نكتفي فيها بمقتطفات سريعة من تاريخ البداية والنهاية لابن كثير فيما رواه من أحداث ، ومالوا على البلد فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان. ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقتى الوسخ وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون. وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحتها التتار إما بالكسر وإما بالنار ، ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعلى الأمكنة

فيقتلونهم بالأسطحة حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة. فإننا لله وإنا إليه راجعون! كذلك في المساجد والجوامع والربط ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي ، وطائفة من التجار أخذوا أماناً بذلوا عليه أموالاً جزيلاً حتى سلموا وسلمت أموالهم وعادت بغداد بعد ما كانت آتس المدن كلها كأنها خراب ليس فيها إلا القليل من الناس بوقوعه وهم في خوف وجوع وذلة وقلة. وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الواقعة فقيل ثمانمائة ألف وقيل ألف ألف وقيل بلغت القتلى ألفي ألف نفس! فإننا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكان دخولهم إلى بغداد في أواخر المحرم وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يوماً ، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعُفي قبره وكان عمره يومئذ ستاً وأربعين سنة وأربعة أشهر ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام. وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد وله خمس وعشرون سنة. ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبدالرحمن وله ثلاث وعشرون سنة. وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم. وقتل أستاذ دار الخلافة الشيخ محيي الدين يوسف بن الشيخ أبي الفرج ابن الجوزي ، وكان عدواً للوزير ، وقتل أولاده الثلاثة عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم وأكابر الدولة واحداً بعد واحد ، منهم الدويدار الصغير مجاهد الدين أيبك وشهاب الدين سليمان شاه وجماعة من أمراء السنة وأكابر البلد ، وكان الرجل يستدعى به من دار الخلافة من بني العباس ، فيخرج بأولاده ونسائه فيذهب إلى مقبرة الخلال تجاه المنطرة فيذبح كما تذبج الشاة. ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه. وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة صدر الدين علي ابن النيار. وقتل الخطباء والأئمة وحملة القرآن ، وتعطلت المساجد والجماعات والجمعات مدة شهر ببغداد. ولما انقضى الأمر المقدر ، وانقضت الأربعون يوماً ، بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول. وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد وتغير الهواء ، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والقنأ والطعن والطاعون. فإننا لله وإنا إليه راجعون! ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقتى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم ، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى الخ الخ! هذه صورة من الواقع التاريخي حينما ظهر المشركون على المسلمين فلم يرقبوا فيهم إلا ولا ذمة! فهل كانت صورة تاريخية من الماضي البعيد الموغل في الظلمات اختص بها التتار في ذلك الزمان؟ كلا إن الواقع التاريخي الحديث لا تختلف صورته عن هذه الصورة إن ما وقع من الوثنيين الهنود عند انفصال باكستان لا يقل شناعة ولا بشاعة عما وقع من التتار في ذلك الزمان البعيد. إن ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند ممن أفرعتهم الهجمات البربرية المتوحشة على المسلمين الباقين في الهند فأتروا الهجرة على البقاء قد وصل منهم إلى أطراف باكستان ثلاثة ملايين فقط. أما الملايين الخمسة الباقية فقد قضوا بالطريق طلعت عليهم العصابات الهندوسية الوثنية المنظمة المعروفة للدولة الهندية جيداً والتي يهيمن عليها ناس من الكبار في الحكومة الهندية فذبحتهم كالخراف على طول الطريق ، وتركت جثثهم نهياً للطير والوحش بعد التمثيل بها ببشاعة منكرة لا تقل إن لم تزد على ما صنعه التتار بالمسلمين من أهل بغداد. أما المأساة البشعة المروعة المنظمة فكانت في ركاب القطار الذي نقل الموظفين المسلمين في أنحاء الهند إلى باكستان ، حيث تم الاتفاق على هجرة من يريد الهجرة من الموظفين المسلمين في دوائر الهند إلى باكستان ، واجتمع في هذا

القطار خمسون ألف موظف ودخل القطار بالخمسين ألف موظف في نفق بين الحدود الهندية الباكستانية يسمى ممر خيبر وخرج من الناحية الأخرى وليس به إلا أشلاء ممزقة متناثرة في القطار. لقد أوقفت العصابات الهندوسية الوثنية المدربة الموجهة القطار في النفق ولم تسمح له بالمضي في طريقه إلا بعد أن تحول الخمسون ألف موظف إلى أشلاء ودماء! وصدق قول الله سبحانه: كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة. وما تزال هذه المذابح تتكرر في صور شتى! ثم ماذا فعل خلفاء التتار في الصين الشيوعية وروسيا الشيوعية بالمسلمين هناك؟ لقد أبادوا من المسلمين في خلال ربع قرن ستة وعشرين مليوناً بمعدل مليون في السنة. وما تزال عمليات الإبادة ماضية في الطريق ذلك غير وسائل التعذيب الجهنمية التي تقشعر لهولها الأبدان. وفي عام 1963م وقع في القطاع الصيني من التركستان المسلمة ما يغطي على بشاعات التتار! لقد جيء بأحد الزعماء المسلمين فحفرت له حفرة في الطريق العام وكلف المسلمون تحت وطأة التعذيب والإرهاب أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية التي تتسلمها الدولة من الأهالي جميعاً لتستخدمها في السماد مقابل ما تصرفه لهم من الطعام ، فيلقوها على الزعيم المسلم في حفرة ، وظلت العملية ثلاثة أيام والرجل يخنق في الحفرة على هذا النحو حتى مات! كذلك فعلت يوغسلافيا الشيوعية بالمسلمين فيها حتى أبادت منهم مليوناً منذ الفترة التي صارت فيها شيوعية بعد الحرب العالمية الثانية إلى اليوم. وما تزال عمليات الإبادة والتعذيب الوحشي التي من أمثلتها البشعة: إلقاء المسلمين رجالاً ونساء في مفارم اللحوم التي تصنع لحوم البولوبيف ليخرجوا من الناحية الأخرى عجينة من اللحم والعظام والدماء ماضية إلى الآن! وما يجري في يوغسلافيا يجري في جميع الدول الشيوعية والوثنية الآن في هذا الزمان! ويصدق فيهم جميعاً قول الله سبحانه: (كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون). إنها لم تكن حالة طارئة ولا وقتية في الجزيرة العربية ، ولم تكن حالة طارئة ولا وقتية في بغداد ، إنها الحالة الدائمة الطبيعية الحتمية ، حيثما وجد مؤمنون يدينون بالعبودية لله وحده ، ومشركون أو ملحدون يدينون بالعبودية لغير الله في كل زمان وفي كل مكان! ومن ثم فإن تلك النصوص وإن كانت قد نزلت لمواجهة حالة واقعة في الجزيرة وعتت بالفعل تقرير أحكام التعامل مع مشركي الجزيرة إلا أنها أبعد مدى في الزمان والمكان ، لأنها تواجه مثل هذه الحالة دائما في كل زمان وفي كل مكان! والأمر في تنفيذها إنما يتعلق بالمقدرة على التنفيذ في مثل الحالة التي نفذت فيها في الجزيرة العربية ، ولا يتعلق بأصل الحكم ولا بأصل الموقف الذي لا يتبدل على الزمان. فمن ناحية المبدأ لا يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله! والأمر بتخيير المشركين في الجزيرة بين الدخول فيما دخل فيه المسلمون أو قتالهم إلا من استجار فيجار حتى يسمع كلام الله ثم يبلغ مأمنه خارج دار الإسلام وبيان علة هذا الاستنكار وهي أنهم لا يراعون إلا ولا ذمة في مؤمن متى ظهروا على المؤمنين تجئ هذه الفقرة لمواجهة ما حاك في نفوس الجماعة المسلمة بمستوياتها المختلفة من تردد وتهيب للإقدام على هذه الخطوة الحاسمة ومن رغبة وتعلل في أن يفيء المشركون الباقيون إلى الإسلام دون اللجوء إلى القتال الشامل ومن خوف على النفوس والمصالح وركون إلى أيسر الوسائل والنصوص تواجه هذه المشاعر والمخاوف والتعللات باستجاشة قلوب المسلمين بالذكريات والأحداث القريبة والبعيدة تذكرهم بنقض المشركين لما أبرموه معهم من عهود).هـ. عن ازدواجية المعايير تلك وعن الكيل بمكيالين قلت على البحر العروضي الوافر:

يُعاني الناس من سوء ازدواج وتعصف - بالديار - رحى التداجي

أريققت - في الثرى - وفق المزاج؟
ولم تفقد ولو قدر المجاج؟
لثحقن بالكلام والانزعاج؟
سوى التفريق تصحبه الأحاجي
فهل باتوا كأشباه النعاج؟
لذا بيعت بأسعار الدجاج
ولم تؤذن ببارقة انفراج
تناسى الكل فرحة الابتهاج!
وملّ الكل من ضوء السراج
ومعيار يغص بالازدواج
وخيل الغرب تضبح في العجاج
ويئفى أو يُشردُ ألف لاجي
فما (الشيماء) كلام مثل (ماجى)
لتخرج من دياجير الفجاج
كمالوجاوزت سن الزواج
موازية تقود إلى الرتاج
ويؤذن فجر (جاسى) بانبلج
ولا رأسٌ تدمت بالشجاج
كمثل ملكة تزهو بتجاج
وسروالٍ وسيع الوسط (باجى)

لماذا - في قرى - رخصت دماءً
وفي بعض القرى حقت دماءً
هل الأولى دماءً لا تساوي
لقد سُفكت - وربى - دون حق
دماء المسلمين - اليوم - هانت
وأعراضٌ لهم رخصت تباعاً
وأزماتهم قد استعصت كثيراً
وكم عانوا من الكربات حتى
وعاشوا - في الدجى - دهرًا طويلاً
وعانوا من معاملة الأعداي
فلغرب الصدارة في البرايا
وفي عِج يُقتل ألف نفس
و(جاسيكا) تعلمنا كثيراً
لـ (جاسيكا) تحرك ألف عِج
ويؤذل - للرضيعة - كل جهدي
ويحفر - للأميرة - عمق بنر
وينقذها العلوّج ، فتلك منهم
وقد سلمت ، فلا ضلع كسير
وصورها الجميعُ بكل فخر
بجاييت لها جناز أنيق

ومهد قد ترصّع باللآلي
وأطفال العراق قضوا ضحايا
وأطفال - لدى الشيشان - صرعى
وأطفال بكوسوفا أضحى
يمين الله تكويني المآسي
أهجو أمة ذلت وضاعت؟
فأبرح كل كرب هدّ قلبي
وأبحث - في الوقائع - عن حلول
أهجو أمة كم ذدت عنها
ولو عادت لدين الله سادات
وأنصفها ، وأرجع كل حق
وأدى جزية فرضت عليه
وأجهز بالدعاء على الطواغي

وفسطاطٍ حمل المهّد عاجي
لحرب ليس فيها أي نجاج
وليّل مصابهم - والرب - داجي
على أيدي الجلاوذة السّماج
فأسأل: من أوم؟ ومن أهاجي؟
فيخنقتي جوئ - في القلب - ساج
وأمعن في معالجة اهتياج
واسأل: هل هنالك من علاج؟
وأعيأ همتي طول اللجاج؟
وعاش الغرب منها في اعتلاج
ولم يجهز بشيء من هياج
وأدى كل ألوان الخراج
وربّ الناس - من قلبي - أناجي

رقية المحارب

(نادراً جداً أن أجعل اسماً ما عنوان لقصيدة. ولكن هذه الكاتبة الغيرة الجادة من أسرة مجلة الشفانق فرضت اسمها على هذه القصيدة. وكان ذكر الاسم في ذاته شرف كبير للقصيدة وشاعرها! فكم أمتعنا في فقرتها (رؤية)! ولقد تابعتها في حوالي 20 عدد. فألفيتها تستحق هذه القصيدة من الكامل. عرفاناً بجميلها العظيم وفضلها المنقطع النظير وتحليلاتها وآرائها التي إن دلت على شيء فإنما تدل على رؤية ثاقبة وفهم عميق وتصور صحيح للإسلام ولحضارته الروحية السامية. ولا أزمي على الله ربي أحداً. إن هو إلا شكر الناس الذي ينبثق ابتداءً من شكر الله عز وجل. لأنه لا يشكر الله من لا يشكر للناس! تقول عنها الأستاذة وفاء الحكيري ما نصه: (تعد الدكتورة رقية المحارب من أبرز الشخصيات الدعوية النسائية في الساحة السعودية. ولدت سنة 1384 هـ الموافق لـ 1964م ، بمدينة الرياض السعودية ، تتلمذت ودرست كافة مراحلها التعليمية بالرياض وحصلت على البكالوريوس في الدراسات الإسلامية من كلية التربية بالرياض سنة 1406 هـ ، بتقدير ممتاز ومرتبة الشرف سنة 1410 هـ ، نالت درجة الماجستير في تخصص الحديث وعلومه ، الذي تمحور حول "دفع إبهام تعارض أحاديث الأحكام" في كتاب الطهارة. واصلت الدكتوراة رقية شق طريقها العلمي ، لتحصل على درجة الدكتوراه في تخصص الحديث وعلومه سنة 1416 هـ ، بموضوع "شرح صحيح البخاري لابن بطال ، دراسة وتحقيق". وهي تلميذة ابن باز رحمه الله. كان التميز في الفقه والحديث والعلوم الشرعية من أهم طموحات الدكتورة رقية المحارب ، التي قدم لها كل من الشيخين الألباني وابن عثيمين رحمهما الله ، لتجاز على يد الشيخ ابن باز رحمه الله ، بالفتوى للنساء. تعد الدكتورة رقية المحارب ، من رائدات الحركة النسائية ، التي نشأت في المملكة العربية السعودية وهي حركة تعرف كذلك بالتيار الصحوي ، الذي يعتمد على الفكر وإعمال العقل في إطار الشرع. وقد جمعت هذه الحركة بين الحركية والسلفية. وفي قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية للبنات في الرياض ، بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن ، بادرت الدكتورة رقية ، الى تأسيس منهاج جديد يعكس توجهها ورؤيتها الفكرية. حيث عملت على تثقيف وتوعية وإعداد نخبة من الداعيات الشابات ، في مجال الفقه والدين والإفتاء وتحفيظ القرآن الكريم. وعلى يديها كانت الدعوة الى تأسيس دور لتحفيظ القرآن الكريم للنساء ، وكان العمل على توعية المرأة بدينها الحنيف وإعانتها على حفظ كتاب الله ، كان من أبرز اهتمامات الدكتورة رقية ، التي كانت أول من دعا وناضل من أجل إنشاء دور لتحفيظ القرآن الكريم خاصة بالنساء. إضافة إلى حفظ آيات بينات وتفسيرها ، بادرت الدكتورة رقية إلى ممارسة عملها الدعوي ، للإحاطة بقضايا المرأة والفتوى في مسائل تخجل من طرحها علناً للدعاة الرجال. وتعتبر مسيرة الدكتورة الداعية رقية المحارب حافلة بالإنجازات الفكرية في مجال المرأة. وتعد أكثر السعوديات حركة ونشاطاً وتنقلاً من أجل خدمة الدين الاسلامي الحنيف ليس فقط في السعودية ، بل من خلال مشاركتها في عدة مؤتمرات دولية في الولايات المتحدة الأمريكية والسودان. ولقد مثلت المرأة والأسرة محور اهتمام الدكتورة رقية ، وهذا لم يبرز فقط من خلال المنابر الدعوية وجلسات تحفيظ القرآن والفقه ، بل عبر المقالات الفكرية التي تميزت بجرأتها وطرحت مشاكل وقضايا المرأة السعودية! منها قضية ولاية الرجل وقضية العنوسة وتأخر سن الزواج ، "إلى كل أخت تأخر عليها قطار الزواج هوني عليك". وقد برزت عدة عناوين منها ، "بناتنا واليد الحانية" ، "المرأة والمجتمع في عصر العولمة: رؤية إسلامية" ، "متى تجد المرأة حريتها؟" ، "المرأة والشهر الفضيل" ، "رؤية مستقبلية للدعوة النسائية" ، و"الخادمة". كما خطت الدكتورة رقية

المحارب مقالات حول ضرورة الاهتمام بالنشء والتربية - "تنمية الرقابة الذاتية لدى الناشئة" و"النشء والتحديات المعاصرة" و"القدوة وأثرها في التربية". ورغم التضييق على دور المرأة في السعودية ، كانت مسيرة الدكتورة رقية حافلة بتأليف الكتب والمراجع الفقهية ، التي لا تشمل المرأة المسلمة فحسب ، بل تهتم كذلك بعنصر الرجل المسلم ، من ضمن هذه المؤلفات نذكر: (الإبانة عن أسباب الإعانة على صلاة الفجر وقيام الليل - دفع إيهام تعارض أحاديث الأحكام - الرطوبة (مسألة مهمة لعامة نساء الأمة) - البكاء في الكتاب والسنة - المؤسسات الدعوية النسائية الواقع والتطلعات - برنامج ثقافي نسائي مقترح لحملة الحج).هـ. والحقيقة أن لها عدداً من المشاركات العلمية فلقد شاركت في بعض المؤتمرات الإسلامية في أمريكا عام 1413 - 1414هـ. وشاركت في بعض المؤتمرات الإسلامية بأمريكا في شيكاغو عام 1413-1414هـ بالتعاون مع جمعية القرآن والسنة ومع التجمع الإسلامي. ولقد أعدت دورة شرعية لمدة ثلاثة أسابيع بتورنتو بكندا عام 1417هـ بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. وأسست موقع لها أون لاين وهي المشرفة العامة على الموقع. وأشرفت على الكتاب التوثيقي لأمسيات لها أون لاين الثقافية الجزء الأول والثاني وتشرف على الأمسيات الثقافية والدورات التدريبية بالموقع. وأشرفت على مدارس التحفيظ المسائية الخيرية عام 1407هـ. وساهمت في تعزيز برامج معهد الإدارة بالمادة الشرعية؛ وساهمت في العديد من الملتقيات والندوات والمحاضرات. وشاركت في الكتابة الصحفية في جريدة الجزيرة والبلاد بزواوية أسبوعية. وساهمت في تحكيم جائزة التميز الرقمي 2006م مع وزارة الاتصالات وتقنية المعلومات. وساهمت في ندوة "الإصلاح والتأهيل في المؤسسات العقابية والإصلاحية" الذي نظمته وزارة الشؤون الاجتماعية بالتعاون مع وزارة الداخلية وجامعة الإمام ببحث محكم بعنوان "أثر القرآن في تهذيب سلوك السجين". ولها بعد الله الفضل في المساهمة في دراسة الخطة الوطنية لتقنية المعلومات عام 1424هـ. والمشاركة ببحث عن "المنظور الإسلامي وكيف تناول جانب تحريم المخدرات" بالتعاون مع الإدارة العامة لمكافحة المخدرات عام 1325هـ. وعلاوة على كل هذا هي عضو لجنة المناقشة لرسالة الماجستير للطالبة هند السويلم "شرح ابن رسلان لسنن أبي داود". ولقد رأت مسابقة الأمير سلمان لحفظ القرآن منذ عام 1418 - 1424 هـ . المشاركة في ندوة "المرأة والعمل الخيري" التي نظمتها الندوة العالمية. وشرفت بالمشاركة في رسالة "المؤسسات الدعوية النسائية الواقع والتطلعات" ، والمشاركة في أسبوع الوقف الخيري الذي نظمته وزارة الشؤون الإسلامية بدولة قطر عام 1423هـ. وإلقاء عدد من المحاضرات في الخرطوم عاصمة السودان بالتعاون مع جمعية المشكاة الخيرية. ولقد سنلت رقية المحارب أسئلة هي: (ما هي وظيفة المرأة برأيكم؟ وهل يعتبر الزواج هو نهاية ما تصل إليه المرأة؟ بمعنى: ما هو دور المرأة وواجباتها الدينية والاجتماعية؟ فأجابت: (إن وظيفة المرأة هي عبادة الله عز وجل ، والله عز وجل أمرها بأوامر حماية لها ، وهو الخالق العليم سبحانه ، وأوصاها بالقرار في البيت ، ولا يعني هذا القرار أن لا تخرج ، كلا بل المقصود أن الأصل هو في قرارها في بيتها ، وهذه إحدى صفات الحور في الجنة عند قوله تعالى: "حور مقصورات في الخيام" ، هذا القرار لا يعني أيضاً حبسها بين جدران أربع ، وعندما تتأمل سيرة الصحابيات تجد عجباً من فقههن رضي الله عنهن لمعنى القرار. أيضاً عندما نقارن بين بيوتنا اليوم وبيوت الصحابيات فإننا نستغرب من حالنا مع هذا التوجيه الرباني ، وهذا الموضوع - موضوع القرار- يحتاج إلى تأمل ودراسة ؛ حتى ندرك الأسرار ، ولا يتسع المقام لهذا ، فوظيفة المرأة هي في الالتزام بأوامر الله عناية بقلبها ، وملاحظة لسلوكها ، وتعلماً لدينها ، وتربية لأولادها ، وأن تعيش بين أقاربها ومعارفها ناشرة

للطيب من القول والعمل ، مبتعدة عن مواطن الفتن في مكان العمل والأسواق إلا لحاجة ماسة. والزواج في نظري نعمة من النعم تسخرها المرأة لطاعة الله ، وتدرس ماذا أمرها الله كزوجة من حسن التبعل لزوجها ، وحسن رعاية لأولادها ، وهو بداية للنشاط الدعوي الكبير في نظري ، فالزوجة لديها من مجالات الدعوة ما ليس لغير المتزوجة ، فهذا زوجها تحاول دلالاته إلى الخير وحته على أن يكون في الصف الأول في كل شيء ، وهؤلاء أولادها تؤهلهم وتعلمهم وتحثهم على معالي الأمور ، وتتعاهدهم في صلاتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم). هـ. فتحية شعرية أقدمها لأستاذتنا رقية المحارب ، أصوغها على البحر الكامل رجاء أن يوفيقها ربنا - تبارك وتعالى أجراها كاملاً غير منقوص في الدنيا والآخرة ، نفع الله بها وبكتبتها وبمقالاتها وبأفكارها وبجهودها وبمساعيها الحثيثة في النهوض بأمة الإسلام! إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه!

هذي الحريّة بالتقي أن تُذكرنا	وعلى الدفاع عن الهدى أن تُشكرا
هذه الجديرة باحترام وافر	من كل من يهوى الرشاد من الورى
هذه الخليقة بالتحية ، صاغها	شعرٌ أديبٌ قد تشجع وانبرى
هذي (رقية) ، فالرقي سبيلها	ببراعها تُردى الهوى والمنكرا
وتقود - للأخلاق - جيلاً ضائعاً	فقد الكرامة ، والشهامة ، والعُرى
وتُبَيِّن الحق الذي قد عُلِمَتْ	وتصد من كذباً - على الله - افترى
وتُفَنِّد الشبهات دون تلعثم	إني أراها - بالحقائق - أخبرا
وتجاهد الباغين دون هواده	وترد هجمة من تطاول في القرى
وتواجه المستشرقين بمنهج	جعل الشريعة والعقيدة مَصَدرا
وتسوق - للمتعمالمين - أدلة	من هولها رجع القطيع القهقري
وتجابه المسهزين بحذوة	حتى يكفوا عن أباطيل الهُرا
وتقض مضجع من يعيب نبينا	ويخط بالأقلام - في الصحف - الفرى
ويريدها فتناً تموج مريجة	تجتاح أهل الخير آساد الشرى
ويبيد بالتشكيك صحتنا التي	إيمانها بالله يذهب بالمرا
ويشجع التجهيل يوقد ناره	والعلم يمحق كيدَه المتبظرا

وتعقببتُ شرراً يقدود إلى الورا
من بعد أن غدتِ (الشقائق) منبرا
أهل الضلال والاختبال والافترا!
والحق كان - لما شجّل - محورا
وخفيها أمسى أجلاً وأظهرا
والصعب - من عسير الكلام - تيسرا
حتى غدت مسكاً يفوخ وعنبرا
وكلامها - في كل وادٍ - أثمرا
فأق اللآلىء نضرة والجوهر
وسمؤ فكرتها تربّع في الذرى
إذ أوردت - بمقالها - ما قد جرى
وحلاوة الإحساء تزدرد الكرى
من معظم الكتّاب ولى مدبرا
وبدون تزكية أقول مبشرا
ما جاهدت - في الله - ضلال الورى
من نهره ، إنى لأعني الكوثر

فإذا (رقيقة) قد وعت لضلالهم
فلها - ورب الناس - أنقى (رؤية)
ولكم - على صفحاتها - قد ناظرت
كتبت ، فما تركت لخصم حجة
والضاد لانت للأديبة غضة!
وعسيرها سهلت غوامض غسره
وتضمخت - بالعطر - خير مقالة
وعبارة الفضلى (رقيقة) أثمرت
دوراً تخط - من البيان - بريقها
وبلاغة الأسلوب كم تسبي النهى!
وتكاد تغني عن مقالة غيرها
وطلاوة التركيب تأسير قارئاً
أحببت - في كلماتها - الصدق الذي
إنى لأحسبها أديبة عصرها
وعد المليك (رقيقة) جناته
وسقاك خير الناس أفضل شربة

إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض

(إن أصل هذا المثل العربي يعود إلى أن علياً بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال: إنما مثلي ومثل عثمان - رضي الله عنه - كمثل أثور ثلاثة كانوا في أجمة: أبيض وأسود وأحمر ومعهم أسد. فكان لا يقدر على شيء منهم وذلك لاجتماع الكل عليه. فقال الأسد لهما: لا يدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض ، فإن لونه مشهور ، ولوني على لونكما ، فلو تركتماه لي آكله صفت لنا الأجمة. فقالا: دونك فكله. فأكله الأسد. ثم قال للثور الأحمر بعد حين: إن لوني على لونك فدعني آكل الثور الأسود ، فأذن له ، فأكله. وجاء الأسد بعد حين يقول للثور الأحمر: إنني آكلك لا محالة. فقال: دعني أنادي ثلاثاً. فقال: افعل. فنادى: ألا إنني أكلت يوم أكل الثور الأبيض! يقول علي: وكذلك أنا وهنت يوم قتل عثمان ، قالها يرفع بها صوته لسمع الناس. وصارت مثلاً تضربه العرب في الرجل يزار بأخيه الذي كان عضده ورداه في الحياة. ولقد كان الشاعر ينشد في إخوة أشقاء له أن يكونوا منه كما كان عثمان من علي وعلي من عثمان. ولكن أبي الأشقاء وهم يعلمون ، أبوا إلا أن يكونوا أعداء ألداء في غربة كان كل شقيق في أمس الحاجة إلى دفء وعطف وحنان وعطاء وقوة شقيقه. رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها. وأثبتت الأيام أنه كان خطأ كبيراً منه أن يثق فيهم ثقة عمياء ، ويطلعهم على أسراره بدون أدنى مواربة ، الأمر الذي جعلهم يستخدمون كل هذه الأشياء في التشفي من أخيها. فباتوا بذلك أضحوكة الناس من حولهم. فأنشدت هذه القصيدة أنعي بها ذهاب الأخوة والمروعة وهي من البحر الطويل والقافية الرائية. يقول الأستاذ محمد المنجد عن الأخوة في الله ما نصه: (قول الله عز وجل: (وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا). لا يوجد في دين من الأديان أو مذهب من المذاهب أو مكان من الأماكن شيء اسمه الأخوة التي هي بهذا الطعم إلا في الإسلام! لا يمكن أن يوجد مطلقاً لأن هذا الشعور - شعور الأخوة في الله والتآخي في الله - نعمة عظيمة لا يشعر بها إلا المسلمون ، لا يشعر بها إلا الذين جعلهم الله إخوة. والمجتمع الإسلامي يقوم على دعامين أساسيتين: الإيمان والأخوة: (وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا). فلا يمكن أن يقوم المجتمع الإسلامي قياماً صحيحاً على سوقه كما أمر الله إلا بهاتين الدعامين الأساسيتين: الإيمان والأخوة ، ولذلك أمر الله بالتآخي ، وعقد من عنده عز وجل عقد الأخوة بين المؤمنين ، فقال عز وجل: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ). فالأخوة تنبتق من التقوى ومن الإسلام. وإعانة الأخ المسلم في قضاء حوائجه: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم - هذا الحديث الحسن الذي رواه الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً إلى الرسول صلى الله عليه وسلم - (أحب الناس إلى الله أنفعهم - أي الذي ينفع أكثر يحبه الله أكثر- وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة - كأن يقع في مشكلة فتزيلها عنه - أو تقضي عنه ديناً) هذا الأخ عليه ديون وعليه نفود تزوج - مثلاً - وعليه ديون ، احتاج لحاجة معينة ، صار له حادث سيارة ، يبني بيتاً ، صار عليه دين - (أو تطرد عنه جوعاً - أحياناً قد يجوع المسلم ، قد يجد الطعام أو لا يجده ، المهم أن يكون في مناسبة أو في وضع جائع - ولنن أمشي مع أخي المسلم في حاجته أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً) المسجد النبوي الصلاة فيه بألف صلاة ، وفي بعض الروايات: خمسمائة صلاة. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ولنن أمشي مع أخي المسلم في حاجته أحب إلي من أن أعتكف في المسجد شهراً). تمشي مع أخيك المسلم في حاجته ، فتأخذ أكثر من أجر الاعتكاف في المسجد النبوي شهراً ، فهذه المسألة تحتاج إلى تفكير لأن تصورهما صعب. أمشي مع أخي المسلم لأقضي له حاجته: عنده مشكلة ، أو عنده شيء يريد مساعدة

فيه - أي مساعدة - فأذهب معه حتى أقضي له حاجته وأزيل عنه هذه الكربة أفضل عند الله من الاعتكاف شهراً في المسجد النبوي (ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام). هـ. فتخيلت بطل قصيدتنا يشكو الحال ، ويصف إخوته الأوباش الأنانيون الأراذل ، الذين تنكروا لمعرفه ، وأنكروا جميله ، وأهدروا فضله ، ونسفوا عطاءه! ويبين كيف أنها بلوى عظمى ، أن يبتلني الله تعالى عبداً من عباده بإخوة كهؤلاء! ويصرح بأنه أكل يوم أكل الثور الأبيض ، كما صرح بذلك في سالف الدهر ، تاج رؤوسنا علي بن أبي طالب - رضي الله تعالى عنه -! حيث إن خُدَّان إخوته كان جسر العدا لينالوا منه!

بليثُ بإخوان ، همُ الخسْفُ والقهرُ
 كأنِّي بهم أعداءُ ، إن جاء يومهم
 وكنتُ بذلتُ المجد ، ذللتُهم لهم
 وأمسوا بحق حربة تقتل الوفا
 فذفتُ العذاب المر من فرط خذلهم
 وقاسيتُ آلاماً تنوء بعصبة
 وأثر - في نفسي - تخلي أراذل
 وأمسى ضميري يذرف الدمع باكياً
 وأمّا فوادي فاستبدّ به الجوى
 وعاطفتي كادت تموت بلوعة
 وضاق بإحساسي التواء أقاربي
 همومي بأشعاري نقشت ثقيلها
 بإخوانه الإنسان يختصر المدي
 ويحيى مهاباً ، لا يمسّ جنابُه
 ويُصبح - بين الناس - خراً وسيداً
 ويرقى رقياً لا يُبارى ، ويستمي

بعقد انتساب بيننا ، ماله سِعْرُ
 وحرب إذا ما استنفروا للوغى فروا
 فلما اغتنوا باعوا الإخا ، فاعتدى الغير
 وناراً لظاها ظله الحرق والصره
 وعانيت لَمَّا هدني الكيد والمكر
 ومني انحنى الإقدام ، لَمَّا انحنى الظهر
 وخذلان أهل ، وصلهم طعمه مُر
 فقد مسّني مما أتى إخوتي الضر
 وولى ثبات القلب ، واستبقي النذر
 وآلمها قطع الأشقاء ، والهجر
 لأن له وسعاً يضيق به الصدر
 وبأقي همومي صاغها النظم والنثر
 ويُدرِكُ آمالاً يُجملها الخير
 وتدرُكُه الأمجاد ، والعز ، والفخر
 وللسيد التدبير ، والنهي ، والأمر
 ويلحقه التمكين ، والجاه ، والنصر

وكلُّ له - من سعيه - الرزقُ والأجر
وأى الألباء الألى خصهم الشِعر؟
ومن هم إذا ضاق الفضا العونُ والذخر
على مستغيثٍ مستكين هو الخسر
وهل - للذي جافى الوفا والإخا - قدر؟
ولا التزموا الإخلاصَ يشدو به العمر!
ولا أغدقوا مالاً - به - يذهب الفقر
فقد حال - بين الوبش والطيب - الكبر
وقيمة كلِّ - في الورى والدنا - صفر
فللمرء يعطي غيرَه الفضلُ واليسر
إسارٌ من الدين القويم ، أو القبر
فطهرها المولى ، وهل يُعدّل الطهر؟
فما سر هذا؟ إنما الخلّة السر!
إلى أن يجفّ الدمع ، يعقبه البشر
لأعدائه ، مهما طغى الظلم والجور
وسعيّ كهذا - في الأنام - له الشكر
مودتهم تبقى ، ويحرسها البر
فضاعوا ، وفي آثارهم - للورى - نذر
من الثور إذ راوي المناسبة الثور

ويكبُرُه الأفـذاذ حتى يُحـببهم
فأى الأشقاء الألى قد عنيتهم
وأى المغاوير الألى قد ذكرتهم
أأعني الرعايد الأختة ، جوذهم
لأنفسهم عاشوا ، فمات إخاؤهم
فما التزموا أخلاق خِل مصاحب
ولا احترموا - بين البرايا - أخاهم
ولا احتملوا ذل الحياة يهزّه
تكبّر أشقاهم ، وغالى سَفِيههم
أنا ما عنيتُ الأهل يشقى وليهم
ألا إنني أعني الأشقاء ضمّهم
قلوبٌ على التقوى تلاقى ، فأخلصتُ
مصيبة هذا كم تـورق غيره!
ودمعة (زيد) عند (عمرو) بليّة
وليس لزيد أن يسلم عمره
أخو المرء من يشقى لأجل شقيقه!
وإن الأشقاء الألى ذاك وصفهم
لهم عبرة في أثور قد تفرقوا
وقد يأخذ المرء النصيحة تزدهي

لك الله يا أم شريك

(إنها الصحابية الجليلة القديرة (غزيرة بنت حكيم) الدوسية التي أسلمت في مكة ، ثم دعت غيرها من النساء إلى الله. حتى ظهر أمرها ، فعذبها المشركون لما علموا بالأمر. حملوها على جمل بطيء ثقيل ، ثم أطعموها الخبز والعسل بدون أن تشرب الماء ، حتى إذا انتصف النهار ، وسخت الشمس تركوها في الشمس حتى ذهب عقلها وبصرها ثلاثة أيام. وقالوا لها: اتركي ما أنت عليه. فكانت تشير بإصبعها إلى السماء بالتوحيد. وتحلف أم شريك فتقول: فوالله إني لعلي ذلك قد بلغني الجهد ، إذ وجدت برد دلو على صدري ، فأخذته فشربت منه ثم انتزع مني. فذهبت أنظر فإذا هو معلق بين السماء والأرض. ثم دلت ثانية فشربت ثم دلت الثالثة. وأهرقت على رأسي ووجهي وثيابي. فقالوا: من أين لك هذا يا عدوة الله؟ فقلت: عدوة الله غيري ، وهو من عند الله! فانطلقوا سراعاً إلى قريتهم فإذا هي موكاة لم تحل. فقالوا: نشهد أن ربك هو ربنا ، وأسلموا جميعاً. وهاجروا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والله الحمد. والخبر بتمامه في الطبقات الكبرى لابن سعد 156/8. إن العقيدة لا بد لها من تمحيص وابتلاء واختبار وفتنة ليميز الله الخبيث من الطيب وليعلم الله عز وجل - من يعبد على الحق المبين الذي أنزله ممن يكفر به. وتكون التضحية في سبيل العقيدة أحلى وأجمل وأكمل وأجل وأعظم ، عندما تكون من امرأة لا تملك قدرة ولا طاقة ، فيقدرها الله القدير على ما لا تطيقه الجبال الرواسي. وتعلق الكاتبة إيمان العباسي على هذا السبق الدعوي من أم شريك قائلة ما نصه: (ذلك أن الله تعالى لم يخذل عباده الصابرين ، وأن فرجه يحف من كل جانب ؛ لأنه عز وجل لن يتخلى عن الصادقين ، فشمها برعايته وعنايته ، وبعث إليها ما يثبتها ويفرج عنها ، مما زادها صبراً وثباتاً كان سبباً في إسلام أعدائها عن بكره أبيهم ، ولنا في ذلك قدوة حسنة. ورغم كونها امرأة ضعيفة ، فإنها تحمّلت في سبيل دينها ودعوتها ما تنوء به الجبال ، فلم تترك عذراً لقاعد ولا متخلف ، إذ كانت مثلاً رائعاً في العمل والتضحية والفداء والصبر ، وكسر ما يعوقها من حواجز ؛ لتنتشر الخير والهدى بقلب ملؤه اليقين والثقة والهمة العالية بأن الله تعالى ناصر المؤمنين لا محالة. فطوبى لأم شريك - رضي الله عنها - طوبى لها صمودها ورباطة جأشها ، واحتسابها. طوبى لها - رضي الله عنها - حين تأتي يوم القيامة وفي صحيفتها رجال ونساء أسلموا على يدها). هـ. أكتب هذه النونية من الكامل حباً وكرامة لأم شريك تلك الصحابية المؤمنة الفذة المجاهدة التقية الورعة).

أذهبت ما في النفس من أشجان	وغمرتني بحلاوة الإيمان
وملأت قلبي بالثبات ، وبالمنى	حتى يذوق طلاوة الإحسان
وجعلتني أشدو بعزة شرعتي	وأتيه بالإسلام ، والقمرآن
وأعطر الأسماع بالخبر الذي	هو - عندنا - أزكى من الريحان
وأسطر الأشعار فيك مفاخرأ	وأضمخ الأشعار بالتبيان
فالشعر - يا أم الشريك - بضاعتي	أبيأته كسه بانك العقيان

أزجي قليـل الفضـل والعرفان
صدق المحبة في سنا البرهان
وبرغم أنف الشرك والكفران
دوماً أجـلّ عوابـد الرحمن
عن ربة الإشهار للفرقان
لولية تبعث هدى (العندان)
وهزال قيمة نحاة الأوثان
ووقيت - بالتقوى - من النيران
حتى بلا شورى ، ولا استئذان
والفضل - كل الفضل - للديان
لم تعبني بمكائد العودان
حتى وإن كُبات بالأرسان
وبهممة ، وتجرّد ، وتفان
بالدعوة الشهباء ذات الشان
من دعوة العصماء للنسوان
إن التـدسّس سـمّت كل جبان
وتفرّدت بالجهر ، والإعلان
إن التزلّف مؤدّن بهوان
ويعيذها من نزغة الشيطان
قطعاً ، ويحببها عن الخوران

أطريك حُباً واحتراماً ، عني
وأردّ بعض الحق ، حتى تعلمي
وأعظم التوحيد ، قد أظهرته
وأجلّ قدرك يا (غزية) ، إنني
وأصدّر الذكري بعذب حكاية
وأشرف الشعر الأصيل بسيرة
وأبصر الدنيا بقيمة ديننا
(أم الشريك) رزقت جنة ربنا
فقد تبعث الحق دون تردد
أمنت بالله العظيم بمكة
أسلمت ، ما هذا بأمر هين
لما تخفك - من العتاة - قيودهم
ودعوت للحق الأنعام بحكمة
ونساء مكة قد شهذن ، وأهلها
والأمير باد للعيران بلا مرا
لم تتخذ لغة التدسس منهجاً
بل صارحت من تقتفي منهاجها
ونأى عن الفضلى التزلّف للنسا
تدعو ، ويكأها الخبير بعينه
تدعو ، ويعصمها الحكيم عن الهوى

بدأ الـبلاء بهواً له الفـتان
وتبـوء بالحسـنات والغـفران
هو جسر قوم للحميم الأني!
من قسوة الصحراء كان يعاني
يحمي النساء بظله الفينان
ببشاعةٍ ، فيصـاب بالغـثيان
تحتاط منها حيطـة الشهبان
ما البطن يأكله سوى ظمآن
لمرادهم ، فتبـوء بالخسـران
قد جاءها بالماء بعد ثوان
كيلا يكون البطن بالعطشان
بين السما والأرض بعد أوان
يا رب ضمّ الدلو أي مكان؟
لثريق ما تهوى على الجثمان
قالت: من المتكبر المنان
واسـتبدلت منظومة الشنآن
وعليك كل سحائب الرضوان
ونفحت كل قصائد الـديوان
ما قد تعاقب في السما القمران

حتى إذا ما أُنعت زهراتها
لتنال من رب السماء رضاه
كم عذبت لتعود للدين الذي
حُملت على جمل بطيءٍ مثقل
عزلوا - عن الجمل المثقل - هودجاً
حتى يُذيب الصهدُ جسماً حاطه
وتحرّق الشمس الظعينة ، لم تكن
والخبز قد أكلت مع العسل الذي
وتعمدوا تعطيشها لتجيبهم
لكنها اعتصمت بخالقها الذي
بالدلو فيه الماء يُشبع نهمة
حتى إذا شربت تباعد دلوها
فتلفت من حولها ملتاوعة
فإذا به يأتي إليها مسرعاً
إن العتاة تعجبوا من مائها
وأمام صبرك واصطبارك آمنوا
(أم الشريك) عليك رحمة ربنا
بك إنني فاخرت أهل زماننا
فلك التحية من فؤاد شاعر

ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض

(إنه ليجب علينا أن نصدق فقط ما نص عليه القرآن والسنة وإجماع المسلمين بشأن الحقائق العقيدية عن السماوات والأرض. وأما نظريات العلم التي تتغير يوماً بعد يوم ، فيجب أن يكون لنا منها موقف. أعني مثلاً (كروية الأرض ، تسمية الأرض بأنها كوكب ، واعتبار الأرض من المجموعة الشمسية ، ودوران الأرض حول الشمس ، وإمكانية الحياة على البروج الأخرى ، وافترض أن هناك مائة وخمسين ألف سماء وليس فقط سبع سماوات ، وافترض أن هناك تعددية في الأقمار وتعددية في الشمس وليس شمساً واحدة وقمرًا واحداً ، والقول بأن كتلة الأرض واحد وثلاثين من مليون من كتلة الشمس ، وأن المسافة بيننا وبين الشمس 93 مليون ميل ، وأن السماوات هي الأفلاك أو أنها مجموعة نجمية ، وأن الشمس هي فعلاً جهنم. إلى غير ذلك من التخرصات التي لا دليل أبداً عليها). ويأتي سبب هذه القصيدة أن مدرساً للجغرافيا يصر إلى درجة التشنج على أن الأرض هي التي تدور حول الشمس جرياً على نظرية وفرضية (كوبرنيكوس) فقلت: نحن على هدى القرآن (والشمس تجري لمستقر لها) ، (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون). فإن لم يعجبك فاتني بآية أو حديث يثبت دوران الأرض حول الشمس. وإن كنت مصرّاً على ما تقول: من الأخذ عن علماء ليس واحد منهم بمسلم. فنحن مع (بطليموس) الذي يقول بدوران الشمس حول الأرض ، تلك النظرية التي توافق كتاب ربنا وسنة نبينا ، وكفى الله المؤمنين القتال. وإذن فالقضية عليها خلاف بين العلماء الكفار ، فلماذا نقطع نحن فيها بما يخالف القرآن والسنة؟ والعكس كان أولى. في مقال للأستاذ أنور الجندي عنوانه: (موقف الإسلام من العلم والفلسفة الغربية) يقول ما نصه: (إن الخلاف بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي ليس مع العلم التجريبي ولكن مع الفلسفة ، هذه الفلسفة التي أخذت إطارات العلم ، وحاولت أن تستعين بها على إذاعة مفاهيم المادة ، وعلى الباحث المسلم أن يتنبه بأن هناك فاصلاً واضحاً وعميقاً بين العلم التجريبي وبين الفلسفة ، ومن شأن هذا الفارق أن يتقبل العلم التجريبي ؛ لأنه من المعرفة الإنسانية العامة ، ويتحرر من تقبل الفلسفة ؛ لأنها من المعطيات الذاتية الخاصة بالأمم والعقائد. والثقافات تختلف من أمة إلى أمة ومن عصر إلى عصر. فالعلم لا ينكر وجود الله ولا ينكر الغيب ، ولكنه يقصر جهده على عالم المحسوس والملموس من حيث هو تجربة مادية خالصة ، ولكنه لا يدعي أنه يقدم نظرة كاملة للحياة. وقد تكشف للعلماء التجريبيين الآن بعد انفلاق الذرة أن هناك باباً قد فتح لعالم غيبي مجهول ضخم يعجز العلم بأدواته العاجزة عن اقتحامه ، ولكنهم يعلمون الآن بوجوده ويقرون به. وقد أعلن العلم أنه يعجز عن حل المشاكل ، وقال العلماء أن الذهن البشري وحده لا يستطيع فهم حقائق الحياة. وقد تبين بعد طول الجهد المبذول أن العلم لا يكشف المجهول من الأسباب ، ولكنه يدرس الظواهر وأنه يقوم في أول أمره على فروض ، فإذا ثبتت بالتجربة أصبحت صحيحة وإذا فشلت لم تكن شيئاً. وأهم ما تجاوزه العلم في المراحل الأخيرة اقتراباً من مفهوم الدين هو تحطيم نظرية الجوهر الفرد ، فإن فهم الذرة وانفلاقها قد ألغى تلك الفوارق التي تفصل بين المادة والطاقة ومن ثم أصبح معلوماً أن المادة تصبح طاقة والطاقة تصبح مادة). هـ. وعموماً لا يزال العلم ينضج! وهذا سؤال للجنة الدائمة وهذا جوابها! كيف نوفق بين الدين والعلم في أمور ظاهرها التعارض. أما السؤال: كيف نوفق بين الدين والعلم في أمور ظاهرها التعارض بينهما ، فمثلاً عرفنا في الدين: أن النجوم خلقت لثلاثة أشياء: خلقت زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وجعلت علامات يهتدى بها ، وقرأنا في الجغرافيا: أنها مجموعة أجرام لها نظام معين في الدوران ، وأن ما نشاهده ليلاً يحترق ويسقط إنما هو

نيازك وشهب تخرج من جاذبية إلى جاذبية الأرض فتحترق وتسقط بسرعة 45 ميلاً في الثانية؟ وأما الجواب: إن الذي أنزل القرآن المجيد وأوحى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بشريعة الإسلام هو الله العليم الحكيم الذي خلق السموات والأرض وخلق كل شيء وسخره لما خلق له وعلم ما أودعه فيه من الخصائص والأسرار فلا يمكن أن يتناقض ما أخبر به أو شرعه مع ما خلقه وسخره لعباده ، بل كل ذلك متسق اتفق فيه خبره وشرعه مع كونه وقدره ، فخبيره يطابق الواقع وتكوينه وتسخيريه يصدق مقتضى خبره. فإن ظن إنسان التعارض بين خبر الله في كتابه أو خبر نبيه صلى الله عليه وسلم الثابت بالنقول الصحيحة فإما أتى من قبل قصور عقله أو سوء فهمه وقلة اطلاعه أو تحصيله للعلوم الكونية والنصوص الشرعية. مثال ذلك: ما جاء في كتاب الله تعالى من قوله سبحانه: {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحوراً ولهم عذاب واصب إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب} ، وقوله: {ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير} ، وقوله: {ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} وقوله: {وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون} ، وقوله: {وعلامات وبالنجم هم يهتدون} ، وجاء في السنة الصحيحة شيء من ذلك يتفق مع نصوص القرآن في المعنى. ومن نظر في هذه الأخبار وجدها واضحة في بيان بعض خواص النجوم وفوائدها ، وليس فيها ما يدل على حصر فوائد النجوم ومزاياها في الأمور الثلاثة التي ذكرت فيها. كما أنه ليس فيها ما يدل على حصر الشهب التي نراها فيما ترجم به الشياطين من شهب النجوم ويرمى به مسترقو السمع منهم ، كما أنه ليس فيها تعرض لشهب أخرى نفيماً أو إثباتاً ، يعرف ذلك من درس لغة العرب وعرف ما في أساليبها من أدوات القصر التي في كلامهم لإفادة الحصر والدلالة عليه. فإذا ثبت في العلوم الكونية أن هناك حجارة وأجراماً منتثرة في الجو وأنها مجموعات تقع كل مجموعة منها في دائرة جاذبية كوكب أكبر منها ، وأنها إذا انحرفت عن دائرة جاذبية هذا الكوكب فبعدت منه وقربت من دائرة جاذبية كوكب آخر سقطت بسرعة ، وتولد عن احتكاك سطحها بسطوح أخرى شعلة نارية هي الظاهرة الكونية التي تسمى: الشهب. إذا ثبت هذا فإنه لا يتنافى مع ما جاء في نصوص الشريعة من النصوص التي فيها مجرد الإخبار برجم الشياطين بشهب من النجوم ، إذ من الممكن أن تحدث ظاهرة الشهب من الأمرين إذ ليس في العلوم الكونية ما يدل على حصر الشهب فيما يتساقط من غير الكواكب ، كما أنه ليس في النصوص حصر الشهب فيما يتساقط من الكواكب لرجم الشياطين). هـ. وإذن فالحديث عن الغيبيات تلك يحتاج إلى أدلة يقينية من كتاب الله ومن سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -! ولا ينبغي أبداً التصديق بكل ما جاءت به النظريات الغربية التي تلبس ثياب العلم!

معشراً باؤوا - بيننا - بافتضاح	لافتيراً لم يلق أي نجاح
الافتراضات كيف تُمسي يقيناً	يفتدى بالأعلام والأوضاع؟
ثم تلقى - لدى البرايا - رواجاً	واحتراماً يشي بسوء انفتاح
يفتح الغرب باب شر علينا	ويلوخ - للناس - بالمفتاح

يتبنى قلب الحقائق زوراً
مُحدثاً فوضى ، شرها مستطير
ويدير - للحق - ظهراً قبيحاً
والرؤى قد غصت بليـل بهيم
قطع الغربُ في أمور عظام
واستبدَّ بالرأي ، حتى يُواري
وادعى كالكذاب علماً ورشداً
لم يحقق في أمهات القضايا
لم يُدقق أبحاثه باتتدادٍ
وتمادى - في الغي - دون اكتراثٍ
رافضاً تقويم الأباطيل راجت
كان أولى أن يستجيب لقوم
إن أهل التوحيد قومٌ كرامٌ
جاهدوا - بالقرآن - من خالفهم
أعلنوا الحق ، لم يخافوا البرايا
أخذوا العلم للشريعة قسراً
يتداعى الإيوان إن كان هشاً

لائذاً بالمزمار والإصباح
ويُمنيهما بالوداد المباحي
ثم يُخفي سجية المنحاح
ماله - إذ عم القرى - من صباح
بعد تلبيس مقرفٍ ، وتلاحي
سـيناتِ الأفكار بالأمـداح
ولـه - فينا - جوقة كساجح
مثل ساع - للحرب - دون سلاح
بل تعالى بالمنطق المنصاح
وانبرى عن أهل الضلال يلاحى
بل حماها الكفار بالأرواح
أرشدوا الناس بالهدى المنصاح
مالهم في الأوتار والأقداح
ثم جدوا في النصح والإصلاح
إنهم من كُلماته النـزاح
إن هذا - والله - عين الفلاح
والبناء - بالبأس - صرخ ضاحي

السهمري اليماني في نحر الأغاني (للأصفهاني)

(إن هذى القصيدة بياناً لأهل التوحيد ، وإعذاراً إلى الله تعالى عن كتاب الأغاني (للأصفهاني) ذلك الرافضي الخبيث المنحط أبي الفرج المعروف. إن كتابه بأجزائه لم يحتو إلا على الهراءات والسخافات والمجون والخلاعة والإباحية والتحلل. * قال اليوسفي المؤرخ: إن أبا الفرج أكذب الناس إذ يدخل سوق الواراقين ، فيشتري الكتب والصحف ومنها يكتب الروايات. * وأما صاحب معجم الأديباء فيقول: كان أبو الفرج يعاقر الخمر ، ويحب الغلمان ، ويميل إلى وصف النساء ، شأن أديباء وشعراء عصره. * وأما الصابي فيقول عنه: كان أبو الفرج وسخاً يحذر الناس لسانه ويصدون عن مجالسته ومعاشرته. * ويكفي موقف الأستاذ / أنور الجندي حفظه الله - وبيانه عن أبي الفرج الأصفهاني ورواياته ومجونه وأغانيه. فالكتاب كله طوام وذلك لكثرة ما احتواه من البذاءات والسخافات والمغالطات ، ويضاف إلى هذا كله أنه احتوى على تشويه سير خلفاء الإسلام. وكان الكتاب برمته مرجعاً وأساساً وعمدة للمستشرقين للنيل من الإسلام وأهله ، على مدى نصف قرن تقريباً. إذ جُل هؤلاء إن لم يكن كلهم يعززون إلى كتاب (الأغاني) جاعلين إياه حجة دامغة في الدس على تاريخ الإسلام والمسلمين. ومن هنا وجب التحذير من هذا الكتاب الخبيث ، وقد بصرنا الله به ، ونهيب الآن بالآخرين أن يأخذوا منه أو يستشهدوا ببعض العبارات الواردة فيه ، إلا على سبيل نقده وتمحيصه. وأبو الفرج علي بن الحسين الأموي القرشي الأصفهاني يرجع نسبه لبني أمية (284هـ/897م - 14 ذو الحجة 356 هـ/20 نوفمبر 967م) من أديباء العرب ، صاحب كتاب الأغاني ، وجده مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ؛ وهو أصفهاني المولد بغدادي المنشأ ، كان من أعيان أديبائها ومصنفيها ، وروى عن كثير من العلماء. وكان عالماً بأيام الناس والأنساب والسير ، وله أشعار كثيرة. وينبغي التنبيه إلى أن كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني يعتبر كتاب أدب وسمر وغناء وليس كتاب علم وتاريخ وفقه! وله مكانة عالية عند أهل الأدب والتاريخ وليس معنى ذلك أن يسكت عما ورد فيه من الشعوبية والكذب! وقد قام الأستاذ الكريم وليد الأعظمي بتأليف كتابه القيم الذي سماه (السيف اليماني في نحر الأصفهاني). وقد تناول الأستاذ وليد الأعظمي في كتابه هذا الحكايات المتفرقة التي تضمنها الكتاب والتي تطعن في العقيدة الإسلامية والدين الإسلامي وتفضل الجاهلية وغيرها من الأباطيل على الإسلام. وقد طعن العلماء قديماً في الأصفهاني ومن هؤلاء الخطيب البغدادي قال: (كان أبو الفرج الأصفهاني أكذب الناس كان يشتري شيئاً كثيراً من الصحف ثم تكون كل روايته منها). نقل ابن كثير في البداية والنهاية عن ابن الجوزي أنه قال: (ومثله لا يوثق بروايته يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ويهون شرب الخمر وربما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر). وقال الذهبي في الميزان (124/3): رأيت شيخنا تقي الدين ابن تيمية يضعفه ويتهمه في نقله ويستهل ما يأتي به. فلا يقتطع كاتب أو مؤلف أو ناقد أو طالب علم بعض نصوص الأغاني للأصفهاني بكل ارتياح ، مسوياً إياه بصحيح البخاري ، معتبراً أبا الفرج محققاً أميناً ، وموقناً بأن كتابه (الأغاني) مرجعاً صحيحاً لا دس فيه ولا كذب ، فهذا لا يجوز إطلاقاً ولا يصح أبداً! قال الأستاذ شوقي أبو خليل مقوماً مصادر فيليب حتى في كتابه تاريخ العرب المطول ما نصه: (واعتمد حتى كتاب الأغاني للأصفهاني ، وهو ليس كتاب تاريخ يعتمد أيضاً ، إنه كتاب أدب ، وهذا لا يعني مطلقاً أن كل كتاب أدب لا يؤخذ به ، بل يعتمد إن كان صاحبه ثقة ، معروفاً عنه الأمانة في النقل والرواية. إن كتاب الأغاني الذي جعله حتى مرجعاً تاريخياً معتمداً ، صاحبه متهم في أمانته الأدبية والتاريخية ، جاء في ميزان الاعتدال في نقد الرجال: أن الأصفهاني في كتابه

الأغاني كان يأتي بالأعاجيب بحدثنا وأخبرنا. ومن يقرأ الأغاني يرى حياة العباسيين لهواً ومجوناً وغناء وشراباً. وهذا يناسب المؤلف وخياله وحياته ، ومن يرجع إلى كتب التاريخ الصحيحة يجد صورة أخرى فيها علم وجهاد وأدب ، فكتاب الأغاني ليس كتاب تاريخ يحتج به).هـ. وكما يقول علوي بن عبد القادر السقاف: (وسبب تسميته بـ (الأغاني) هو تدوينه وجمعه عدداً من الأغاني والأصوات العربية وما يتبعها من نصوصها الشعرية وألحانها. وقد بنى مادة الكتاب على مائة صوت كان الرشيد أمر مغنيه إبراهيم الموصلي أن ينتخبها له ، وضَمَّ إليها أبو الفرج الأصوات التي زيدت للخليفة الواصل ، ثم ما اختاره أبو الفرج لنفسه من أصوات من مصادر أخرى. مع نسبة كل ما ذكره إلى قائله سواء كان شاعراً أو صانع لحن ويذكر ما يتعلق به من طريقة إيقاعه وغيرها. وتناول ما أورده من هذه الأمور بالشرح والبيان والتلخيص وتفسير المشكل وإيضاح الغريب والإعراب وما يتعلق بالشعر من عروض وغيره لماذا كتاب الأغاني؟ ربما يتساءل بعض القراء الكرام لماذا نتعرض لهذا الكتاب بالنقد والتحصيص والتفتيش عن أخطائه وسقطاته بينما الكتاب لا يعدو أن يكون كتاب أدب وأخبار ومسامرات كغيره من الكتب؟ ولعلنا نجمل الإجابة في الآتي: * أولاً: ما يحتويه الكتاب من تشويه مخز للتاريخ الإسلامي لاسيما الخلفاء والأمراء والعلماء وغيرهم حيث لم يفتأ يصورهم في صورة من لا خلاق لهم ولا دين لا يردعهم رادع عن اقتراف المحرمات ولا يمنعهم مانع عن ركوب الشهوات. * ثانياً: ما يتمتع به هذا الكتاب من شهرة وانتشار واعتماد الكثير من الباحثين في التاريخ الإسلامي على أخباره وما يورده من قصص كمصدر أصيل من مصادر التاريخ الإسلامي مما يجعله مادة دسمة لكثير من المتصدين في الماء العكر الذين يقتنصون الأخطاء ويتبعون الهفوات في محاولة منهم لإثبات أن الحضارة الإسلامية في أزهى عصورها كانت مليئة بالخلاعة والمجون بجميع أشكالها وألوانها. وهذا ما يتبادر إلى ذهن القارئ مباشرة عند استعراضه لأخبار هذا الكتاب حتى ليخيل له وللوهلة الأولى أن المجتمعات الإسلامية ومدن الإسلام وقراه ما هي إلا مواخير للخلاعة وحوانيت لمعاقرة الخمر واستماع الغناء والملاهي. * ثالثاً: الطريقة التي يعرض فيها المؤلف أخباره ويروي بها قصصه حيث يقرن الخبر بالإسناد ويسلسله بالرجال حتى يضيف إلى أخباره صبغة المصداقية والقوة ويستطيع من خلال ذلك تمرير ما يصبو إليه من قدح في أعلام الأمة وساداتها. كما اعتمد في ذلك على طريقة مأكرة يدس فيها السم في الدسم وذلك بنقله للروايات المتواترة والحقائق التاريخية والأحداث والوقائع بشيء من المصداقية ثم يضيف على ذلك أضعافه من الكذب والتدليس والتضليل فيخيل للقارئ أن ما أورده في طيات كتابه هو الحق الذي لا شبهة فيه. * رابعاً: الاهتمام المبالغ فيه بالكتاب من قبل المستشرقين حيث إنهم اعتبروه مصدراً مهماً لا يستغنى عنه لمعرفة ما كانت عليه المجتمعات الإسلامية في تلك الحقبة من التاريخ ، وراحوا يروجون له ويشيدون بقيمته ؛ لأنه يخدم أغراضهم الخبيثة. * خامساً: ومما يدعونا إلى التنبيه على محتويات الكتاب شخصية صاحبه المشبوهة وتحذير العلماء منه ووصمهم له بأوصاف تخرجه عن دائرة العدالة وتنفي عنه الثقة في نقل الأخبار وإليك بعضاً مما قاله فيه أهل العلم: قال ابن الجوزي: (... وكان يتشيع ، ومثله لا يوثق بروايته فإنه يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتاب (الأغاني) رأى كل قبيح ومنكر. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. وقال الحسن بن الحسين النوبختي: (كان أبو الفرج الأصبهاني أكذب الناس ، وكان يدخل سوق الوراقين وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منها). تاريخ بغداد وذيوله. وقال الإمام الذهبي وهو يتحدث عنه: (شيعي ، وهذا نادر في أموي كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيام

الناس والشعر والغناء والمحاضرات ، يأتي بأعاجيب بحدثنا وأخبرنا). ميزان الاعتدال. إضافة إلى ذلك إغراق الرجل في الشعوبية الحاقدة الناقمة على كل ما هو عربي فالشعوبية التي تفيض من سطور الكتاب وتفوح رائحتها من بين حروفه وكلماته. ومما يؤخذ على كتاب الأغاني: لعنا بعد هذه المقدمات نستطيع أن نلج في الكتاب ونستخرج بعض خباياه وما أخذ عليه مستشهرين على ذلك بما لا يחדش الحياء ولا تستقبحة الأسماع معرضين عن غيره: 1 - فمما يؤخذ على كتاب الأغاني أن صاحبه أكثر من نقل الخلاعة والمجون وركز على هذا الجانب حتى طغى به الكتاب وفاض مصرحاً بذلك لا معرضاً مستخدماً الألفاظ الفاحشة والعبارات القبيحة ولولا تنزهنا لأسماع القراء وألسنتهم لعرضنا جانباً من هذا الفحش والبذاء. ولعل ولعةً بهذه الأخبار يعكس جانباً من سلوكياته الأخلاقية وما طبع عليه من طباع فمن لا ينتزه عن قول الخنا والمفاكهة به لا يتورع عن فعله. 2 - ومن المآخذ التي تؤخذ على هذا الكتاب استخفافه بالعقائد والظعن فيها ونقلها والسكوت عنها فتراه ينقل الكفر البواح والاستهزاء بالصلاة وما إلى ذلك ويتضح ذلك من خلال بعض ما سنورده من نقول مقتضبة أبقينا فيها على الشاهد وحذفنا ما ننزه سمعك ولسانك عنه. ففي أحد الأخبار التي نقلها الأصفهاني يقول بعد نقل السند: (اجتمع يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وجميع أصحابهم فشرّبوا أياماً تباعاً فقال لهم يحيى ليلة من الليالي وهم سكارى ويحكم ما صلينا منذ ثلاثة أيام فقوموا بنا حتى نصلي فقالوا نعم فقام مطيع فأذن وأقام ثم قالوا من يتقدم فتدافعوا ذلك فقال مطيع للمغنية تقدمي فصلي بنا فتقدمت تصلي بهم عليها غلالة رقيقة مطيبة...) [الأغاني (13/ 350)] إلى آخر ما ورد في هذا الخبر. وفي خبر آخر يقول: (حدّثني حمزة النوفلي ، قال: صلى الدلال المخنث إلى جانبي في المسجد ، فضرط ضرطه هائلة سمعها من في المسجد ، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته: سبح لك أعلاي وأسفلي ، فلم يبق في المسجد أحد إلا فتن وقطع صلاته بالضحك)[الأغاني (4/ 273)]. ومن الأمثلة على نقله لتحريف القرآن وسكوته عنه ما نقله عن الفرزدق إذ سمع رجلاً يقول: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فقال الفرزدق: فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم فقال: ينبغي أن يكون هذا هكذا ، قال: فقيل له: إنما هو: عزيز حكيم ، قال: هكذا ينبغي أن يكون) [الأغاني (21/ 364)]. وإليك هذا الخبر الذي ينقل فيه لعن دين الإسلام إذ يحكي في قصة طويلة أن عمر فرق بين منظور بن زبان وبين امرأة أبيه لما تزوجها وزعم أنه لم يعلم بالتحريم ثم تزوجت ف (رأها منظور يوماً وهي تمشي في الطريق وكانت جميلة رائعة الحسن ، فقال: يا مليكة ، لعن الله ديناً فرق بيني وبينك ، فلم تكلمه وجازت... وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه)[الأغاني (12/ 228)]. 3 - ومما يؤخذ على الكتاب أيضاً أخطاؤه التاريخية التي أوردها مؤلفه فيه ومن ذلك على سبيل المثال قوله في [الأغاني (14/ 174)]: أن هارون الرشيد (قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة) بينما من قتله هو المهدي وحينها لم يكن عمر الرشيد يتعدى الخمس سنوات. ومن ذلك أيضاً روايته عن الوليد بن عقبة أنه قال: (لما فتح رسول الله مكة جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم فجاء بي إليه وأنا مخلوق فلم يمسنني وما منعه إلا أن أمي خلقتني بخلق فلم يمسنني من أجل الخلق) [الأغاني (5/ 154)]. والغريب أن الوليد ابن عقبة أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً إلى بني المصطلق يجمع منهم الزكاة فكيف يكون يوم فتح مكة صبيّاً؟! قال ابن عبد البر رحمه الله: (الحديث منكر مضطرب لا يصح ، ولا يمكن أن يكون من بعث مصدقاً في زمن النبي صلى الله عليه وسلم صبيّاً يوم الفتح) [الاستيعاب في معرفة الأصحاب (4/ 1553)]. 4 - ويؤخذ على الكتاب كذلك التشويه البالغ لأعلام الإسلام من خلفاء وعلماء وقادة فنقل عنهم الأخبار

الملففة والأقاصيص الكاذبة التي تصورهم على غير ما هم عليه ولا يخفى على العاقل المنصف ما تخلفه هذه الأخبار في نفس قارئها من تشويه لأعلام ظنهم لبرهنة من الزمن يتربعون على عروش العفاف ويتحلون بحلية الوقار فإذا هو يصدم بالازدواجية الأخلاقية لهذه الشخصيات. وللأصفهاني في عرض شخصياتهم دهاء ومكر فهو يعرض لاسم واحد من أفاضل الأمة مشفوعاً بما يليق به من صيغ التكريم ، حتى إذا استوثق من ثقة القارئ المغفل رماه بباقعة تجعله موضع الهزاء والسخرية! وقلما سلم من بوائقه هذه فرد أو جماعة أو حزب ممن لهم حميد الذكر بين العرب والمسلمين منذ العهد الراشدي مروراً بالأُموي فالعباسي حتى أيام الأصفهاني [انظر كتاب: جولة في كتابي (الأغاني) و(السيف اليماني) (ص: 419)].

وممن طعن فيهم الأصفهاني: النعمان بن البشير الأنصاري والإمام أبو حنيفة ، وعطاء بن أبي رباح وغيرهم الكثير ولم يسلم من أذاه آل البيت النبوي والذي كان يتشيع لهم ويظهر حبه وتقديره لهم بينما تكذبه أقواله وما ينقل عنهم فقد نالوا منه النصيب الأكبر من الإقذاع والتعدي ، إذن هو عدو الجميع لا صديق له يتمتع عن لسانه ولا صاحب يتورع عنه. وهاك بعض النقول عنه تبين طعونه في سرات الإسلام وساداتهم! قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحمام عجرد فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه فبلغ فيه ما بلغ ورفض حمادا وبسط لسانه فيه فجعل حماد يلاطفه حتى يكف عن ذكره. قال فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه) [الأغاني (14 / 326)]. وهذا افتراء على الإمام الأعظم إذ لم يعرف عن الإمام أي شيء عن صلته بحمام عجرد وأمثاله. ومن طعونه في آل البيت النبوي ذكره أن الحسين بن علي رضي الله عنه أقر يزيد على شربه للخمر [الأغاني (15 / 281)]. ومن ذلك ذكره أن المغنين يجتمعون عند الحسن بن الحسن [الأغاني (1 / 227)]. ومن ذلك تعديه على حرمتهم وحديثه عن نساتهم فهاهو ينقل عن سكينه بنت الحسين مواعدها لابن أبي ربيعة الشاعر هي وصويحباتها ومحادثته إلى الفجر [الأغاني (2 / 369)] كما ينقل عنه أنها تحكم بين المغنين وتفصل بينهم [الأغاني (2 / 359)] إلى ما هنالك من هذه النقول التي يطفح بها هذا الكتاب. 5 - كما يؤخذ على الكتاب أيضاً تصويره الفترة الزمنية التي تمثل صدر الإسلام بأنها فترة دموية مليئة بالدسائس والمؤمرات والمكر والخديعة! وهذا ما لا يحتاج إلى دليل ولا برهان ، فالكتاب مليء بمثل هذه الأخبار والأقاصيص ومن رجع إليها وجدها ظاهرة للعيان غير خفية على من تتبعها). هـ. وعن مسؤولية الكتابة والناس الذين لا يعرفون مسؤولية الكتابة يقول الأستاذ إيهاب الملاح ما نصه: (أتابع بكثير من الاهتمام السجلات التي تكاد لا تنتهي على الفضاء الافتراضي الكبير المسمى "فيسبوك" في كل شيء وأي شيء. من بين الموضوعات التي تستحوذ على قدر لا بأس به من الاهتمام والكلام ، الحديث عن مدى مسؤولية الكاتب عن نصه بالكامل ، أو المسؤولية المشتركة بينه وبين دار النشر في ما يخص سلامة نصه الشكلية وإخراجه.. إلخ. ولقد كتبت عن الأخطاء اللغوية في الكتابات الإبداعية والمأساة التي نشهدها ونتعذب بها من مستويات أقل ما توصف به أنها متدنية ومنحطة في مستواها اللغوي بشكل عام ، وتتصف بالرعونة والجهل والسخف في ما يتصل بالعناية والاهتمام بنص قام السيد الكاتب المحترم بكتابه وتسليمه إلى دار النشر وقال لهم: (هذا كتابي فخذوه) وكفى! ويبدو أن استيعاب فكرة بسيطة تتعلق بأن السلامة اللغوية للنص ؛ أي نص، تتصل بشكل أكيد بمدى فهم الكاتب أو القارئ لهذا النص مهما كان ؛ وأيا ما كان.. السلامة اللغوية التي أقصدها تعني الحد الأدنى من سلامة التعبير ، لغوياً وإملائياً ونحوياً ، بمعنى أن هناك جملة سليمة مكتملة الأركان صحيحة الكلمات خالية من الأخطاء! فقط! لا أكثر ولا أقل! لأن هذا ببساطة يعني أنك مدرك تماماً لما تحمله جملتك من معنى ، فتعرف - يا سيدي الكاتب النحرير - أنك كتبت جملة اسمية لها "مبتدأ" ولا بد أن يكون لها "خبر" ، حتى تكتمل

فلم يحو الكتاب من الصحاح
كمثل الطير عاش بلا جناح
وهل تصدّيقه بالمسحاح؟
وعاش - بإفكه - طلق السراح
وفي التحريف بعض خطي فساح
ويلقى إفكه كل النجاح؟
أفي التشكيك بارقة الفلاح؟
ويخمش ما تشافي من جراح
وكلّ كان كالقمر اللياح
يعاقر في الغدوّ ، وفي الرواح
يراوده ليظفر بالنجاح!
بما - في القلب - من عشق ، وراح
بألفاظٍ بايغاتٍ فصاح
فما - في وصفه - من مستراح
وخوفاً من أذاه والافتضاح
وما للشهم في وصف الملاح!
لتصبح - في النكاية - كالسلاح!
غدول ذلوا سبل الفلاح
وليس له - بها - أدنى طمّاح

وحرف في النقول ، بلا اكثراتٍ
وإن صحت ، فلم تُسند بتاتاً
هل الكذاب يصدق في حديث؟
(أبو الفرج) التخرص مبتغاه
له - في الزور - مدرسة ورأي
لماذا اليوم بات له اعتبار
لماذا نرتضي التشكيك نهجاً؟
ينال - من الشريعة - دون حق
وينقص الخائف مستهيناً
هو الخمار ، خمرته شعار
هو اللوطي ، يُعجبه غلام
ويُتقن جاهداً وصف الصبايا
كمن قد عاصروه ، بلا اختلافٍ
إلى أن ملأه الناس احتساباً
وبعض الناس قاطعه اتقاءً
لأن الناس تهوى كل شهم
وما للشهم في كيل المخازي
وما للشهم في تجريح قوم
وليس الشهم يمتدح (الأغاني)

الروبيضة

(أخرج أحمد والطبراني ، وقال أحمد محمد شاكر بأن إسناده حسن ومتمنه صحيح: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إنها ستأتي على الناس سنون خداعات يصدق فيها الكاذب ، ويكذب فيها الصادق ويؤتمن الخائن ويخون الأمين وينطق فيها الروبيضة. قيل وما الروبيضة؟ قال: السفية يتكلم في أمر العامة). وفي رواية (بين يدي الساعة سنون خداعة). وأخرج البزار مثله وزاد في تعريف الروبيضة: (المرء التافه يتكلم في أمر العامة). وأخرج أحمد مثله وزاد في التعريف بالروبيضة: (الفويسق يتكلم في أمر العامة). وتحت عنوان: (الروبيضة) يقول الأستاذ أحمد الجردان ما نصه: (زمن العجائب ، هذا الوصف يصدق في زمننا هذا! ، ففيه ترى العجائب تترى ، بل ربما عجائب تترى ، ومن ذلك أنك ترى من يتصدر الناس بلسانه وقلمه وإنتاجه الفني والأدبي ليوجه التهم ومن ثم يصدر الأحكام! ويا ليت ذلك فيما يخصه لهان الأمر ، بل إنه يتحدث في أمور تمس الشأن العام للناس ، ولو كان لا يفهم فيها شيئاً! والحقيقة أن العجب في ذلك يبلغ بك مبلغه فتتساءل تساؤلات مصحوبه بعلامات تعجب عن ذلك الصنف من البشر ، غير أنه لا يطول بك العجب لأن هذا الصنف من الناس قد جاء وصفه قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام مضت على لسان من لا ينطق عن الهوى محمد صلى الله عليه وسلم عندما سئل وما الروبيضة؟ فقال: “الرجل التافه يتكلم في أمر العامة”. نعم ، الروبيضة هو الرجل التافه الذي رغم تفاهته يتكلم في أمر جليل جداً يمس الناس كلهم! ، الله أكبر إنها نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ها هي تقع في زمننا هذا ، فنحن نرى الروبيضة من الرجال وكذلك الروبيضة من النساء كل منهم قد شحذ لسانه وأشهر قلمه وسخر فنه لا ليتحدث فيما يعنيه ، بل ليتحدث في شأن الناس كلهم! فهذا يتحدث عن شرائع الإسلام كالصلاة والولاء والبراء ونحو ذلك ، وأخرى تتحدث عن حجاب المرأة وتهون من شأنه فتلوي عنق الآية والحديث وكلام أهل العلم ليساير هواها ويحقق مبتغاها. وعلى العلماء والدعاة والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، حيث تجده يتناول على أولئك القمم الشامخة والهجمات العالية ويسعى في ذلك قدر جهده بخيله ورجله ، وما علم ذلك الروبيضة أنه قد فضح نفسه لأن الناس قد رأوه أمام هذه الهجمات الشامخة على حقيقته قزماً لا يعدو أخصم أقدامهم والروبيضة قد وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالتافه ، وهذا كاف شاف ، ولا غرابة فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم ، وكلنا لا يجهل ما يعني ذلك الوصف ، فالتافهون والتافهات الأحياء منهم والأموات معروفون بسيماهم من أثر التفاهة ، فهم معروفون بحقارتهم ودناءتهم وخستهم وقصور فهمهم ، وبلحنهم وزخرف قولهم الذي يوحى به بعضهم إلى بعض غروراً ، وكذلك معروفون أيضاً باصطبارهم وتواصيهم وتوزيعهم للأدوار فيما بينهم ليمارسوا تفاهتهم على أوسع نطاق عبر وسائلهم وذلك إمعاناً منهم في التفاهة وإشهاداً منهم على أنفسهم وإشهاد الناس كذلك بعمق تفاهتهم وسوء نيتهم وطويتهم! هؤلاء التافهون والتافهات من خلال الواقع ومن خلال تجارب التاريخ لا يعدون قدرهم ، بل جهودهم راجع عليهم ، فخذ مثلاً ذلكم الروبيضة الذي سبَّ محمداً صلى الله عليه وسلم عبر الرسوم التي رسمها جاء رد عمله الشنيع عكس ما يشتهي ، حيث حدث إقبال كبير من بني دينه للسؤال عن محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم الدخول في دين الإسلام! وكذلك كل روبيضة تطاول على علماننا من خلال بث الفكر الضال جاء رد عملهم الفاسد عكس ما يشتهون ، حيث وقفنا كما نحن دائماً لي وقفة ولاء وإخلاص وتكاتف فصرنا سداً منيعاً تحطمت عليه أمواج الفكر الضال حتى عاد بإذن الله خاسئاً وهو حسير! ولعلي أختم هذه الأمثلة بذكر كل روبيضة سعى جاهداً بقلمه ولسانه وفنه

ورواياته للنيل من الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، حيث جاء رد عملهم الفاسد عكس ما يشتهون حيث سقطت مصداقيتهم سقوطاً ذريعاً من الصعب عليهم أن يعيدوها مرة أخرى ، وشئنا أم أبينا سيبقى الرويبضة ولكن لن يضر القمم الشامخة عبثه وتفاهاته لا لشيء إلا لأننا نؤمن أن العقوبة للحق فهو شامخ شموخ السحاب وصدق من قال: (لا يضر السحاب نباح الكلاب!) هـ. قال ابن القيم رحمه الله واصفاً حال المتعلمين: "انتكست عليهم قلوبهم ، وعمي عليهم مطلوبهم ، رضوا بالأمانى ، وابتلوا بالحفظ وحصلوا على الحرمان ، وخاضوا بحار العلم لكن بالدعاوى الباطلة وشقاشق الهذيان ، ولا - والله - ما ابتلت من وشله أقدامهم ، ولا زكت به عقولهم وأحلامهم ، ولا ابيضت به لياهم وأشرفت بنوره أيامهم ، ولا ضحكت بالهدى والحق منه وجوه الدفاتر إذ بلت بمداده أقلامهم ، أنفقوا في غير شيء نفائس الأنفاس ، وأتعبوا أنفسهم وحيروا من خلفهم من الناس ، ضيعوا الأصول فحرموا الوصول ، وأعرضوا عن الرسالة فوقعوا في مَهَامِه الحيرة وبيداء الضلالة. وقد رأى رجل ربيعة بن أبي عبد الرحمن يبكي فقال: ما يبكيك؟ فقال: استفتيت من لا علم له وظهر في الإسلام أمر عظيم ، قال: وأبعض من يفتي ها هنا أحق بالسجن من السراق. قال بعض العلماء: فكيف لو رأى ربيعة زماننا وإقدام من لا علم عنده على الفتيا ، وتوثبه عليها ، ومد باع التكلف إليها ، وتسلقه بالجهل والجرأة عليها ، مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة ، وهو من بين أهل العلم منكر أو غريب ، فليس له في معرفة الكتاب والسنة وأثار السلف نصيب ولا يبدي جواباً بإحسان وإن ساعد القدر فتواه كذلك يقول فلان بن فلان". ابن القيم: إعلام الموقعين. إن محاولات المغرضين المشككين الرويبضات هؤلاء ، تعددت على كر الدهور وتعاقب العصور ، فهل أفادت أصحابها بشيء؟ بالطبع لا! لقد باؤوا بخزي الدنيا وينتظرون عذاب الآخرة! فهل اعتبر اللاحقون بالسابقين؟! فإلى كل رويضة - يفتي بين الناس بغير علم ، ويقطع في الأمور العظام بلا دليل ليرضي الطغاة والمجرمين وليضفي الشرعية على انحرافات الجاهلية - أهدي هذي القصيدة من البحر المتدارك إذاراً إلى الله تعالى!

اللهم إني قد بلغتهم ، فاشهد عليّ وعليهم ، وأنت - يا مولاي - خير الشاهدين!

اجهـرُ بالصـوت المـجـعـارِ	واسـتـدرُكُ كـلـ الأـغـرـارِ
واقـمـعُ مـن تـلقـى مـكـتـفـيـاً	فـي اللـقـيـا بـالـلـفـظ العـارِ
واسـتـفـرُزُ مـن يـبـغـي الفـتـيـا	وأصـرُّ تـمـام الإصـرـارِ
واسـتـنـشـقُ أبـخـرة السـوآى	واجـتـرُّ سـرـاب الأخبـارِ
واسـتـحـلبُ أثـداء الفـوضـى	واضـربُ - بالطـبـاة - فـي الـزـارِ!
وانطـقُ - فـي القـوم - بـلا خـجـلِ	وانظـرُ مـن كـوّة (بـشـارِ)
واقطـعُ فـي الأـمـر تـناقـشـه	وانشـطُ فـي سـوق الأفـكارِ
وانشـرُ - فـي النـاس - خـزـعـبـاة	وارتـجـل الفـتـاة فـي الـدارِ

وانهض في الساحة للثوار
واسـ تـلفتـ كل الأتـوار
وسـ تحرق يوماً بالثوار
تغتالـك مثل الإصرار
وسـيـصـبـعـ وجهـك بالعار
تابعه بعض الأشـرار
لثـعـانـي طـول المشـوار
بفعـال صـبغت بالعار
وسـ تهتك كل الأسـتار
تضرب - للجوقة - بالطار
بـكـمانـك ، أو بالقيـثار
وتعـاود نفـخ المزمـار
بـل تحمـل أعتـى الأوزار
كـم رفـعوا شأن الفجار!
واسـ تقريء بعض الأثـار
نقـم تحمـ خـصـم الأخطـار
بمعونـة رب قهـار
باسـم المتعـال الجبار
فـاللـه ولي الأخيـار

وامـ تحن الخالق بما تهـذي
واصـدع بالزيف علانية
لـن تفـلح فيـمـا تنشـده
وسـ تـلقى العقبـى عاصـفة
وسـ توأد فتنتـك الكبـرى
وسـ يـمـحـى تخريـف سـفيه
وسـ تمضي - في الدرب - وحيداً
وسـ تـمنـح القابـلـاً شـتى
وسـ يـكشـف أمـرك في مـلأ
ليـراك الكـل (رويضـة)
أو تعـزف لحنـاً منـهزماً
أو تنفـخ في الناي ، وتلهـو
أو تهـزل ، لا تدرك هـدفـاً
أو تعـرف قـدرـك في هـمـج
لـن يهـزم مثـلك صـحوتنا
يـخبـرك التـاريخ بأنـنا
ونحـقق نصـراً مؤتلقـاً
ونصـول فتنتـح الدنيا
والله سينصـر شـرعته

والشهادة معايير

(مجموعة من الهارفين بما لا يعرفون راحو يتخبطون في الحديث عن الشهامة. فمن قائل: هي امتلاك المال. وثان يقول: هي القدرة على الكلام. وثالث يقول: هي السيطرة والقيادة. إلى غير ذلك من الأقاويل والتخرصات الغثة التي لا تساوي الحبر تكتب به. وإذن فالشهادة لها معايير وضوابط وشروط يعجز عنها عديمو الشهامة والمروعة من الناس. وصدق معاوية بن أبي سفيان إذ قال: (المروعات أربع: العفاف وإصلاح الحال وحفظ الإخوان وإعانة الجيران). وإذن فتعدي الخير للغير هو عندي ضرب من المروعة. ويصدق ذلك ما قاله هنري دايفيد نورو (ليست المروعة أن تكون صالحاً في ذاتك ، بل أن تكون مصلحاً لمن حولك). وتقول الحكمة العربية المشهورة: (ما قرن شيء إلى شيء أفضل من إخلاص إلى تقوى ومن حلم إلى علم ومن صدق إلى عمل فهي زينة الأخلاق ومنبت الفضائل). ولا تتصور مروعة من ذي سلطة إلا إذا كانت طبيعة فيه قبلها. فهذا ألبرتو مورافيا يقول: (إذا أردت أن تعرف أخلاق رجل ، فضع في يده سلطة على الآخرين ، ثم انظر عن كثب كيف يتصرف). وقديما قيل إن رجلا سب الإمام الشعبي – رحمه الله – وهو من كبار أئمة التابعين. فأجابته: إن كنت صادقا فغفر الله لي ، وإن كنت كاذبا فغفر الله لك. وهذا من شهامة الشعبي. فالشهادة ليست بالادعاء ولا بالتمني ولا بالتعلي ، بل هي قول وفعل وعمل. {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءٌ مَدِينٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرَّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ}. قال ابن عطية: استعمال السؤال بالخطب إنما هو في مصاب ، أو مضطهد ، أو من يشفق عليه ، أو يأتي بمنكر من الأمر ، فكأنه بالجملة في شر فأخبرته بخرهما (المحرر الوجيز). قال الحجازي: فثار موسى ، وتحركت فيه عوامل الشهامة والرجولة ، وسقى لهما ، وأدلى بدلوه بين دلاء الرجال حتى شربت ماشيتهما. (التفسير الواضح) لمحمد محمود حجازي. وقال سبحانه: {وَلَا تَهْنُؤْا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}. قال السعدي: ذكر سبحانه ما يقوي قلوب المؤمنين ، فذكر شينين: الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم ، فليس من المروعة الإنسانية والشهادة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم ، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك ؛ لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من توالى عليه الآلام ، وانتصر عليه الأعداء على الدوام ، لا من يدال مرة ، ويدال عليه أخرى. (تيسير الكريم الرحمن). ثانياً: في السنة النبوية: عن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس ، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتاً ، قال: فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عُرِي. عُرِي: أي ليس عليه سرج ولا أداة ، ولا يقال في الأدميين إنما يقال عريان. (فتح الباري) لابن حجر ، وهو متقلد سيفه ، فقال: لم تراعوا. لم تراعوا: هي كلمة تقال عند تسكين الروح تأنيساً ، وإظهاراً للرفق بالمخاطب. (فتح الباري) لابن حجر ، لم تراعوا ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجدته بحرًا. بحرًا: أي واسع الجري (شرح النووي على مسلم) ، يعني الفرس». رواه البخاري. واللفظ له ومسلم. قال القرطبي: في هذا الحديث ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد جمع له من جودة ركوب الخيل ، والشجاعة ، والشهادة ، والانتهاض الغائي في الحروب ، والفروسية وأهوالها ، ما لم يكن عند أحد من الناس ، ولذلك قال أصحابه عنه: إنه كان أشجع الناس ، وأجراً الناس في حال الباس ، ولذلك قالوا: إن الشجاع منهم كان الذي يلوذ بجنابه إذا التحمت الحروب ،

وناهيك به ؛ فإنه ما ولى قطُ منهزماً ، ولا تحدث أحد عنه قط بفرار (المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم). وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إداراً ، قال: اللهم سبع كسبع يوسف. سبع كسبع يوسف: أي: اجعل سنيهم سبعاً ، أو ليكن سبعاً ، ويروى سبع بالرفع! وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: البلاء المطلوب عليهم سبع سنين ، كالسنين السبع التي كانت في زمن يوسف ، وهي السبع الشداد التي أصابهم فيها القحط ، أو يكون المعنى: المدعو عليهم قحط كقحط يوسف. (عمدة القاري) لبدر الدين العيني ، فأخذتهم سنة حصت. حصت: حصت بحاء وصاد مشددة مهملتين أي: استأصلته. (شرح النووي على صحيح مسلم). كل شيء ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف. الجيف: جيفة بالكسر الميت الذي أنتن وقوله: (الجيف) بالكسر وفتح الياء هو الجمع. (فتح الباري) لابن حجر ، وينظر أدهم إلى السماء ، فيرى الدخان من الجوع ، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد ، إنك تأمر بطاعة الله ، وبصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم». رواه البخاري ومسلم. واللفظ للبخاري. قال ابن حجر: قوله: فقيل: يا رسول الله استسقى الله لمضر ؛ فإنها قد هلكت. إنما قال لمضر ؛ لأن غالبهم كان بالقرب من مياه الحجاز ، وكان الدعاء بالقحط على قريش وهم سكان مكة فسرى القحط إلى من حولهم ، فحسن أن يطلب الدعاء لهم ، ولعل السائل عدل عن التعبير بقريش ؛ لئلا يذكرهم فيذكر بجرمهم ، فقال: لمضر ؛ ليندرجوا فيهم ، ويشير أيضاً إلى أن غير المدعو عليهم قد هلكوا بجريرتهم ، وقد وقع في الرواية الأخيرة: وإن قومك هلكوا. ولا منافاة بينهما ؛ لأن مضر أيضاً قومه وقد تقدم في المناقب أنه صلى الله عليه وسلم كان من مضر ، قوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمضر: إنك لجريء ، أي: أتأمرني أن أستسقي لمضر مع ما هم عليه من المعصية والإشراك به؟! (فتح الباري). فالنبي صلى الله عليه وسلم رغم عداوة قريش وإيذائها للمؤمنين ، لما جاءه أبو سفيان يطلب منه الاستسقاء لم يرفض لحسن خلقه وشهامته ورغبته في هدايتهم ، فإن الشهامة ومكارم الأخلاق مع الأعداء ، لها أثر كبير في ذهاب العداوة ، أو تخفيفها. فوائد الشهامة: الشهامة من مكارم الأخلاق الفاضلة. إنها من صفات الرجال العظام. إن خذلان المسلم لأخيه المسلم أمر تنكره الشريعة ، وإن من حق المسلم على المسلم أن لا يخذله ، وهو إن حدث ذريعة لخدلان المسلمين جميعاً حيث تنتشر عدوى الأنانية وحب الذات ، وإيثار الراحة والمصلحة الخاصة على مشاركة الغير الأهمهم وأمالهم ، فيكثر التئصل من المسؤولية بين المسلمين ، حتى يقضي عليهم أعداؤهم واحداً تلو الآخر ، فتموت فيهم خلال الآباء والشهامة ونجدة المهوف وإغاثة المنكوب ، وسوف يجنح المظلوم والضعيف إلى الأعداء طوعاً أو كرهاً ، لما يقع به من ضيم وما يصيبه من خذلان من إخوانه ثم ينزوي بعيداً عنهم ، وتنقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذله وأسلموه للأعداء. (الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية) لمحساس الجلود. الجبن والبخل: فالشهامة إنما تقوم على الشجاعة لنجدة المحتاج ، والكرم لإغاثة أصحاب الحاجات ، فمن فقدهما ضعفت شهامته ، وماتت مروءته. الدُّل والهوان وضعف النفس: فالإنسان الذليل والأمة الذليلة أبعد الناس عن النصر ، وتلبية نداء الإغاثة ؛ ففاقد الشيء لا يعطيه. الحقد والعداوة والبغضاء. تشبه الرجال بالنساء في اللباس ، كلبس الذهب والحريز: قال ابن القيم: حرم الذهب لما يورثه بملامسته للبدن من الأثوثة والتخنث ، و ضد الشهامة والرجولة. (زاد المعاد). الوسائل المعينة على اكتساب صفة الشهامة: الصبر: قال الراغب الأصفهاني: الصبر يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة بالرجولية. (الذريعة إلى مكارم الشريعة) للراغب الأصفهاني. الشجاعة. علو الهمة وشرف النفس العدل والإنصاف. مصاحبة ذوي الشهامة والنجدة. الإيمان بالقضاء والقدر: فمن ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر: أنه يدفع الإنسان إلى العمل والإنتاج والقوة والشهامة؛ فالمجاهد في سبيل

الله يمضي في جهاده ولا يهاب الموت؛ لأنه يعلم أن الموت لا بد منه ، وأنه إذا جاء لا يؤخر ؛ لا يمنع منه حصون ولا جنود ، {أَيُّمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ} ، {قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ}.)

تخبطوا ، وعلى التخرص انفتحوا
إن الشهامة - من تهريجكم - برئت
والأرض - من عمه الجهال - كم شقيت
والجاهلون لهم سمت - به - عرفوا
والهازلون وإن راجت بضاعتهم
وزيفوا الحق في سر وفي علن
واستعذبوا الهزل يسري في ضمائرهم
ثم استساغوا من البهتان أسوأه
فسوف يأتي الذي الأغرار ما احتسبوا
خلوا الشهامة يا حمقى لمن فقهاوا
للنبل قوم ، وللخذلان شرذمة
والمرء مادام مشهوراً بخسسته
وللشهادة معياراً تبين به

وشكوا ، وعلى المخارف انطرحوا
إذ الضلال - من التهريج - متضح
والجهل - رغم جمال اللفظ - مفتضح
وصدر كل - بداء الجهل - منشرح
وفي المجالس من أشباههم مدحوا
وزوروا ، وعلى الهواجس اصطلحوا
وبعد أمسوا على العزيف واصطحبوا
وضلوا ، وعلى الجهالة انفتحوا
ولن يطيب لهم عيش ، ولا مرح
فلن تفيءكم النكات والملح
وللمعاني - إذا قلبتها - وضح
فلن تراه - بظل الجود - يمتدح
إليه صيد - بما جادوا به - طمحووا

اختلاف

(فريقان راحا يُقيمان أحد المسلمين. كلُّ منهما يراه بتصوره. فأهل الدنيا يقولون: سفيه لم يُبق من ماله لولده شيئاً. وأهل الدين يقولون: حكيم زمانه ، وادخر لمن يعول طاعة ربه وتدينه وعمل الصالحات. فكان اختلافاً كبيراً بينهما. والحقيقة الناصعة التي ينبغي الإيمان بها أن أي جدال يجب أن ينطلق من منطلقات وأساسيات وقواعد وأسس ، أما أن يتهم كل إنسان الآخرين بدون دليل وبلا حجة وبلا برهان ، فإن هذه مزايمة ممقوتة مكشوفة ليس إلا. ثم إنني أسأل: لماذا لم ينشغل كل من الفريقين بعيوب أفرادهم وكم هي كثيرة؟! طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الآخرين. في محاضرة عنوانها: (أدب الاختلاف) يقول الشيخ /عبد الله بن بيه ما نصه: (قال عليه الصلاة والسلام: {وإنه من يعيش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً}. وهو اختلاف انتشر في الأمة أفقياً وعمودياً في كل الفئات وعلى مختلف المستويات. تعددت أسبابه وتنوعت ألوانه واستعلت فيه كل الوسائل من تكفير وتفسيق وتبديع وتشويه وتسفيه وما شئت من مصدر على وزن تفعيل. واستعمل فيه الخصوم كل أدوات الدفاع والهجوم وضائق بالحياض فيه الأرض بما رحبت فالكل متهم والكل براء وأعجز داء الأمة الدواء فحضر الشهود إلا شاهد العقل واستحضرت الحجج إلا حجة الإنصاف (وما أبرئ نفسي). يقول العلامة ابن القيم: (فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى الالتباس والتحري وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية لأنه إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريقة المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة) (الصواعق المرسلّة). كيف نجعل اختلافنا من هذا النوع الذي أشار إليه ابن القيم؟ الاختلاف هو التباين في الرأي والمغايرة في الطرح وقد ورد فعل الاختلاف كثيراً في القرآن الكريم قال تعالى: {فاختلف الأحزاب من بينهم} ، وقال تعالى: {يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} ، وقال تعالى: {وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات} وقال تعالى: {وما اختلفتم فيه من شيء...}. والاختلاف قد يوحي بشيء من التكامل والتناغم كما في قوله تعالى: {فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها}. وأما الخلاف فإنه لا يوحي بذلك ، وينصب الاختلاف غالباً على الرأي ، اختلف فلان مع فلان في كذا ، والخلاف ينصب على الشخص. ثم إن الاختلاف لا يدل على القطيعة بل قد يدل على بداية الحوار. فإن ابن مسعود اختلف مع أمير المؤمنين عثمان في مسألة إتمام الصلاة في سفر الحج ولكنه لم يخالف بل أتم معه وقال: الخلاف شر. قد يدل الخلاف على القطيعة. وهناك كلمات قوية في دلالتها على اشتداد الخلاف كالنزاع والشقاق وهو الوقوف في شق أي في جانب يقابل ويضاد الجانب الآخر. والاختلاف ظاهرة لا يمكن تحاشيها باعتبارها مظهراً من مظاهر الإرادة التي ركبت في الإنسان إذ الإرادة بالضرورة يؤديان إلى وقوع الاختلاف والتفاوت في الرأي. وقد انتبه لذلك العلامة ابن القيم عندما يقول: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم ولكن المذموم بغي بغضهم على بغض وعدوانه" (إعلام الموقعين). فإن الشقاق يمكن تفاديه بالحوار الذي من شأنه أن يقدم البدائل العديدة لتجنب مآزق الاصطدام (في زاوية الشقاق).هـ. وإذا كان بيت امرئ من زجاج ، فلماذا يتحرق ويتهور ويرجم بيوت الآخرين بالحجارة؟ إن كل إنسان لو تتبع عيوب نفسه التي هو بلا شك يعرف بعضها ، فحاول إصلاح ذاته بتقويم الاعوجاج المتمثل في تلك العيوب لكان خيراً له. وعموماً أهل الدنيا وعبيدها فريق سفيه ينظر أصحابه تحت أقدامهم: (يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون ، إنه لذو حظ عظيم). وأهل الآخرة حكماء أذكيا ينظرون في

المآلات والعواقب: (ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً). وينبغي تمحيص وتدقيق الأخبار قبل تصديقها وإشاعتها بين الناس! وذلك كي لا يسود الاختلاف بينهم ، وكي لا تدب روح الفرقة بينهم. إن مما أمرنا به رب البرية أن لا نتعجل في قبول كل خبر يُنقل! بل لا بد علينا أن نتبين و نتثبت ونتحلى بالروية! خاصة فيما ينقله من هو على غير استقامة! ولا طريقة مرضية! لما قد يترتب على قبول ونقل ما سمعناه منه! من مفسد عظيمة وأخطار جسيمة ، قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين). يقول الشيخ السعدي – رحمه الله -: "من الآداب التي على أولي الألباب ، التأدب بها واستعمالها ، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره ، ولا يأخذوه مجرداً ، فإن في ذلك خطراً كبيراً ، ووقوعاً في الإثم ، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل حكم بموجب ذلك ومقتضاه فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة". ولا يمكن للفريقين هذين أن يلتقيا! وتلك سنة الله في خلقه. كتبت في هذا التباين والاختلاف بينهما أقول:-)

فريقان: هـ	ذا يَكِيل الأذى	وهـ	ذا يُجَبِّد ذا الجهبـ
فقومٌ يلوكون	أهـ واءهم	ويلقون	أقـ والهم هـ
وقومٌ أهـ	أزيجهم اصـ	كمثل الـ	الورود تـ
وبينهم	الـ	الـ	الـ
تولى فريقٌ ،	فلم يمتثلن	نداء المعالي ،	لذا قد هذى
وأمسى يُقِيم مسـ	تهجناً	عطاء الكـ	ريم ، فكـ
وسعر نار التشفي	ضحى	ولمـ	أيا يدع للنجا منفـ
وساق المآخذ	يلغو بها	وعـ	ددها مأخذاً مأخذاً
وشاد فريـ	ق بأفكاره	فكان لعرض	الفتى منقـ
فأحسن ظناً ،	ولم يرتجلن	وأخرج من	مقلتيه القـ
وبـ	رأه من تجني الـ	ودافع عنـه ،	فيا حبـ
ولم يفتـ	رض مثلما صـ	فما قال: لو -	يا فتى - أو إذا
ولكن تسامى	بأخلاقه	فهذا -	بتقوى المليك - اغتدى
فكان اختلافاً	غريب الصـ	فلم يكـ	مثل كذا أو كذا

ازدواجية

(إن الكريم كريم مع كل ضيف آتاه ، بقطع النظر عن جنسيته أو عشيرته ، عن علوه أو دنوه. وأما إذا كان كرم الضيافة لزائر دون زائر أو لضيف دون ضيف ، فإنها فعلاً الازدواجية الممقوته والتكلف البغيض. والناس بتقواهم يتفاضلون: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم). فلا يتصدر أقوامٌ صدور المجالس وتكون لهم الصولة والجولة والسيادة والريادة لغناهم وقدرهم. ولا يحتقر آخرون ويستبعدون ويعاملون كطاعون دمشق لفقرهم وتواضعهم. والأصل أن المرء المسلم المؤمن القانت الموحد كلما ازداد من الله قرباً ، كلما ازداد لعباد الله تواضعاً واحتراماً وتقديراً. والازدواجية البغيضة في معاملة الناس حسب الفقر والغنى وعلو المقام ودنوه تنم عن همم حقيرة ووضاعة مذمومة مركوزة في نفوس أصحابها. في محاضرة عنوانها: (طريقنا للقلوب) يصل الشيخ إبراهيم الدويش إلى فقرة عنوانها: (الازدواجية في الأخلاق والمعاملات) يقول فيها ما نصه: (ومن الازدواجية في الأخلاق: ما نراه من بعض الناس من حسن الكلام ، وسعة الصدر والابتسام ، فإذا جاء البيع والشراء والتعامل بالدينار والدرهم تراه مماطلاً مماكساً ، يجادل ويخاصم ، وربما ضاعت وتلاشت معاني الأخوة وحقوقها. وقيل لمحمد بن الحسن ألا تصنف كتاباً في الزهد قال: صنفت كتاباً في البيوع. يعني رحمه الله: أن الزاهد هو من يتحرز عن الشبهات والمكروهات في التجارات وفي سائر المعاملات ، وهذا من فقهه وذكائه محمد رحمة الله تعالى عليه. ويروى أن مسروقاً كان عليه دينٌ ثقيل ، وكان على أخيه خيثمة دين ، فذهب مسروق ففضى دين خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة ففضى دين مسروق وهو لا يعلم. وقال مطرف بن عبد الله لبعض إخوانه: يا أبا فلان! إذا كانت لك حاجة فلا تكلمني ، واكتبها في رقعة ، فإني أكره أن أرى في وجهك ذل السؤال. عن رباح بن الجراح قال: جاء فتح الموصل إلى منزل صديق له يقال له: عيسى التمار ، فلم يجده في المنزل ، فقال للخادم: أخرج لي كيس أخي ، فأخرجته ، ففتحه فأخذ منه درهمين ، وجاء عيسى فأخبرته الخادمة ، فقال: إن كنت صادقة فأنت حرة ، فنظر فإذا هي صادقة فعتقت. وعن جميل بن مرة قال: مستنا حاجة شديدة ، فكان مورك العجلي يأتينا بالصرة فيقول: أمسكوا هذه لي عندكم ، ثم يمضي غير بعيد ، فيقول: إن اجتمعتم إليها فأنفقوها. وقال سفيان بن عيينة: [سمعت مساوراً الوراق يقول: ما كنت لأقول لرجل إني أحبك في الله فأمنعه شيئاً من الدنيا]. مواقف أعرب من الخيال ، لكنها مكارم الأخلاق عند سلفنا الصالح رضوان الله تعالى عليهم ، وصدق الأخوة والمحبة في الله ، نسأل الله الكريم من فضله ، ونسأل الله عز وجل حسن التأسي بهم رضوان الله عليهم. ومن مظاهر الازدواجية – أيضاً -: أن ترى بعض الشباب يعجبك حسن مظهره ، ويجذبك سحر عطره ، وتصفيف شعره ، ولولا الحياء لأطنبت في الوصف مما يرى ويشاهد على بعض شبابنا هذه الأيام من حرص على المظاهر والأشكال ، ومع ذلك انحراف في السلوك والأخلاق ، فلا مانع لديه أن يكذب ، وأن يلعن ويشتم ، وربما يزني ويسرق ، أو يغش ويخدع ، لا مانع لديه أن يتخلى عن دينه وأخلاقه من أجل شهوة فأفسد المسكين جمال الظاهر وجمال الباطن. أيها الشاب! ليس الإنسان إنساناً بجسمه وصورته ، لا والله! ولا بتيابه ومظهره! بل هو إنسان بروحه وعقله وخلقه. إن في قلبك فطرة الخير ففتش عنها وأشعل جذوة الخير فيها. أيها الشاب! إن من تمام سعادتنا أن نتمتع بمباهج الحياة وشهواتها ، لكن في حدود الشرع: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا). وتجمل بمكارم الأخلاق والآداب فإنها زينة الرجال). هـ. ولا يلام إنسان قط يرفع من قدر العلماء لعلمهم ، إذ الله – عز وجل – قد رفعهم وأعلى منزلتهم بين الناس: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). ولكنني أشدد النكير على

امريء يعمل العكس ، فيرفع غنياً لغناه ولو كان من أجهل الناس ، على حين أنه يضع عالماً مغواراً لفقره!
في تلك الازدواجية والكيل بمكيالين منتكسين أنشدت على البحر البسيط أقول:-)

هل الأتنام بإغلاء وإرخاص
إكرام ضيفك للإيمان ترجمه
ويستوي ساكن القصور يملكها
ويستوي صاحب الأموال يكثرها
ويستوي سيّد الأقسام أجمعهم
إن الضيوف سواءً في مراتبنا
وقد نبالغ في إكرام عالمنا
فما استوى عالم أضحى يعلمنا
وما استوى قارئ القرآن يقرأه
وكل ضيف له سمتٌ يميزه
وقد جُبنا على إكرام زائرنا
إن حل ضيفاً - على الديار - نحن له
لا فرق بين طبيب زار ضيعتنا
لا فرق بين وزير زار منزلنا

فالبعض صيّد ، وبعضٌ دون أعياص؟
ويستوي طائغ الضيفان والعاصي
ومن إقامته في جوف أخصاص
بمن من الفقر في ضيق وإمغاص
وسيدٌ عن صوى ساداتهم قاصي
ونحن نكرمهم بكل إخلاص
ولا نقابل أتقانا بإرخاص
دين المليك بكذاب وخراص
على الأتنام بقوَال وقصاص
وما استوت عندنا أقدارُ أشخاص
وإن يكن مُعدماً في ثوب غواص
خُدام سيدهم بدون إمغاص
يزهو بمهنته ، وبين جصاص
بموكب يستمي ، وبين خواص

عندما يصدق العشق

(ابتليت هذه الزوجة العاشقة لزوجها ، محتسبة عشقها له في سبيل الله تعالى ، ابتليت بحماة تضربها بالعصا ، ليس ذلك فقط! بل وتهينها وتهضم حقوقها ، ليس ذلك فقط! بل وتستفزها لتجرها إلى عالم الاندفاع والتهور! فكانت تلك الحماة بهذه الممارسات عوناً للشيطان زوجة ابنها عليها ، وسنتٌ بذلك سنة سيئة لكل من حولها من الحموات! وما اشتكت الزوجة الفاضلة يوماً لزوجها ، وذلك لنلا يلوم أمه أو يوبخها فيكون قد عفاها ، كما أنها لا تريد أبداً أن تقوّض أركان بيتها وتكدر صفو عيشتها. واستمرت على ذلك أياماً وليالي وشهوراً وسنوات. وهي بذلك الاستمرار تدرّب نفسها على الصبر والتحمل. وكانت تطيع حماتها في كل أمر إلا ما يخالف دين الله. والحمد لله لم تأمرها حماتها يوماً بما يخالف الشرع الحنيف ، بل كانت الأوامر في مجموعها دنيوية بحتة مما يوتى منها ويترك! واعتادت كلما سنلت من قرينات السوء: ما الذي يحمك على ذلك؟ فيكون جوابها: (إن عشقي لزوجي يجعلني أستعذب ذلك كله احتساباً للأجر عند الله). فكانت تلك الزوجة عاشقة صادقة مضحية تؤثر ما عند الله وترجو ثوابه وتخاف عقابه. واستمر الحال على ذلك إلى أن علمت تلك الحماة أنه لا سبيل إلى استفزاز تلك الزوجة أبداً ولا طريق إلى أسوار نفسها المنبوعة مطلقاً! فتابت عن كل الذي ارتكبه من حماقات فجّة وجهالات! وأحببتها وقررت أن تحسن إليها ، فلقد تبين لها بالدليل الواقعي الواضح والبرهان المنطقي الظاهر أنها لم تكن على صواب ، وحمدت الله أن الزمام لم يفلت يوماً ليخرب ذلك البيت وتنتهي هذه العلاقة الزوجية المتينة! وهداها الله تعالى ، وندمت على ما كان منها ، واستسمحت زوجة ولدها استسماحاً مشفوعاً بالدموع والتوبة إلى الله. ثم راحت تحسن إلى زوجة ولدها وتعذر بعد علمها بصدق العشق وصدق الاحتساب. وفي مقال عنوانه: (الحماة رحمة أم نعمة؟) ناقش الأستاذ علي رضوان الخطيب أبعاد الموضوع وانتهى إلى طرق العلاج للمشكلات الناشئة بين الزوجة وحماتها فقال ما نصه: (* إنه يجب أن تعلم الأم أن الزواج من سنن الكون الحياتية والفطرية ، وأن ارتباط الأب بزوجته وأبنائه أمر غريزي محض ، وذلك كي يتحقق السكن المنشود والمودة الموجودة: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً). فإذا علمت الأم ذلك استراحت وأراحت. * أن تعلم الأم أن سعادتها الحقيقية إنما تنبثق من سعادة الأبناء والأحفاد ؛ لأنها بمثابة الشجرة التي تلتف حولها جميع الأغصان فيفيء الناس في ظلها ويأمنون بنسيمها. * أن يقرأ الابن لأمه وزوجه - في جلسة عائلية كريمة - فصولاً من الترغيب والترهيب بشأن ما تمر به الحياة الزوجية من منعطفات ، فلعل دوام التذكير يحول القلوب القاسية إلى العطف واللين والشفقة ويهذب غبشها. * أن تصبر الزوجة صبر الرضا بالقضاء لا صبر القهر والاضطرار حتى تؤجر في كل ما تفعل وما تدع ، وأن تدعو لأم زوجها بظهر الغيب أن يشرح الله صدرها ، ويهذب طبعها ويلين قلبها نحوها ، فهي أم لزوجها وجدة لأبنائها ، ومرضاها جزء من الإيمان بالله ورسوله. * أن تبذل الزوجة جهدها قدر الطاقة في أن لا ترد على أم زوجها سبابها أو إهانتها حال الرضا أو الغضب راجية من الله وحده المثوبة ، تاركةً حظ نفسها، ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه. * على الزوج أن يناصح أمه بعيداً عن زوجته ، وأن يكلم زوجته في غيبة أمه ، وأن يمسح بقلبه الشفيق جراحات زوجته وأن يجبر كسرهما بين حين وآخر فيأخذ بيدها إلى طريق العفو والصفح ، ويخبرها أن الله قادر على تغيير الحياة النكدية والأيام الرتيبة إلى حياة سعيدة سهلة منظمة ممتعة في معناها ومبناها. وعندها تنتفض العاصفة ، ويندحر الشيطان ، وتسير القافلة في هدوء إلى مقصدها وغايتها.) هـ. وإن فالحل يتلخص في التزام مبدأ الحلم من الجانبين! ويقول أستاذنا محمد

الخضر حسين في محاضرة له بعنوان: (السمو الخلقي في الإسلام) ما نصه: (أما الحلم الذي هو ضبط النفس عن أن يهيجها الغضب بسهولة فقد قال تعالى: [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ] فإن عقب هذه الطمأنينة ترك المؤاخذة على الإساءة ، فذلك العفو: [وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ]. فطمأنينة النفس عند الإساءة بحيث لا يحركها الغضب بسهولة كمال فيها ، فإن انضم إليها ارتياح النفس لعدم المؤاخذة على الذنب كان الكمال مضاعفاً. ولا يمكن تحقيق هذا القصد إلا أن تنتفي أسباب التجافي والتقاطع).هـ. فإلى هذه الزوجة العبقريّة التي صبرت على أذى حماتها واحتسبته أقول:

تساميت يا زوجة حانية وكنيت - من الدون - في عافية
وفقت الحليات بين النساء فبوركت من فذة واعية!
تحملت ذل الحماسة التي علّثك بدرتها القاسية
صبرت عليها ، ولم تقنطي وما ضقت ذرعاً ، ولو ثانية
فطوراً تُذيقك مُر الأذى بألفاظها الفجّة الجافية
وطوراً تُهينك بين الورى بنيان لهجتها الحامية
وطوراً أوامرُها كاللظى كسيمة تأسر الجارية
وطوراً تُعانِد في غلظة وتُرسِلُ صيحتها العاوية
وأنت - مع الحلم - في عالم تحلّى بهمة العالمة
فعشقُ الحليل أبداً الجوى وأذهب - عنك - أذى الداهية
صدقت ، وكنيت مثقال التقى وأم الحليل غدت راضية
قد استسحتك ، فرقي لها وكوني - على ودها - باقية
وجودي عليها ، ولا تبخلي وكوني المودة يا غالية

المُطلقة الهوجاء

(رباب زوجة مستهترّة ، عاملت زوجها بقسوة ، وطفح الكيل فطلقها زوجها طلقها الأولى ثم راجعها بشروط وعهود وضوابط ومواثيق. فما وقت ولا التزمت. فطلقها الثانية وأصر على الخلاص منها هذه المرة. فتدخل أهل الخير من الأسرتين فراجعها بعد إلحاح شديد من الصالحين إذ له منها ولد. وكانت المراجعة الثانية هذه بشروط ومواثيق أشد من الأولى ، فأخلت بالشروط وخانت المواثيق كعادتها ، فطلقها الثالثة فبانت منه بينونتها الكبرى. فتزوجت غيره رجلاً أذاقها كل أنواع الويلات وألوان الإهانات المادية والمعنوية. وتجرعت على يديه كل الهناء والعز الذي لقيته من زوجها الأول. فلما أن طلقها الثاني ، بعد خلافات بينهما بلغت عنان السماء لم تتكلم فيها الألسنة بل الأيدي والأرجل مثل الحيوانات من كلا الطرفين. فإذا بها تتصل بزوجها الأول وتتوسل إليه في أن يتزوجها. فقال: لست كلباً لأعود في قيء تقيأته ، وإنّ مرة واحدة تكفي يا رباب ، ولقاني بك يوم الحساب. فرحّت أتخيل ذلك الزوج البانس المبتلى يسترجع الذكريات ويقرأ في ديوان حياته معها ، وأنشدت على لسانه هذه القصيدة وأجعل عنوانها (المُطلقة الهوجاء) لتكون نذيراً لكل هوجاء تتهور ولا تقوم بحقوق زوجها وتطلب الطلاق! وفي محاضرة عنوانها: (الطلاق: أسبابه - آثاره - سبل علاجه) تناول الدكتور إبراهيم بن هلال العنزي الموضوع برّمته ثم وضع بعض النصائح التي قد تخفف من ظاهرة الطلاق فقال ما نصه: (* دعا الشرع الإسلامي كلاً من الزوجين إلى استشعار المسؤولية نحو أولادهما فقال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته) إلى قوله صلوات الله وسلامه عليه: (والرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها..). * أن يصبر كل منهما على الآخر ، وأن يغض الطرف عما لا يرتضيه من الآخر ، فشريك الحياة ليس كله سيئاً ، فإذا كره منه خلقاً ، أحب منه خلقاً آخر ، ويحاول كل من الشريكين أن يطور الجوانب الحسنة في شريكه من خلال الثناء والمدح ، وذكر هذه الجوانب الحسنة ، والإيمان بأن النقص من صفات البشر ، وبدون تحمّل الأخطاء لا تدوم المودة. * تبصير الطرفين بالحقوق والواجبات المترتبة على الحياة الزوجية بينهما ، وتثقيفها بالثقافة الإسلامية التي تحث على تقدير الحياة الزوجية واستقرارها. * إذا كانت الزوجة صاحبة عمل أو لديها دخل مادي ، فلا بد من الاتفاق بين الطرفين ، وتحديد مسؤولية كل منهما ، من ناحية المساهمة في مصروفات الأسرة وتوزيع الدخل. * تعدد الزوجات مباح وليس لأحد القدرة على منع الرجل من التعدد ، ولكن كل رجل لديه عقل ومعرفة في أسرته ، فالعاقل لا يهدم أسرة ، ويبني أخرى ، فإن أدرك أن الزوجة الأولى لا تستطيع التعايش مع زوجة ثانية ، فالأفضل أن يتوقف عن هذا المشروع ، حرصاً على أسرته وأولاده. * لا ينبغي للزوجين أن يغلبا لغة العنف والقسوة بينهما ، والالتزام بالهدوء وضبط النفس ، فلا بد من حل المشكلات بالحوار ، والتنازل عن بعض الحقوق ، وتوظيف شعرة معاوية بينهما. * أن لا يسمح كل من الزوجين بتدخل أحد في حياتهما سواء من قبل الأهل ، أو الأصدقاء أو الأقرباء. * أن يتبادل كل منهما كلمات الحب والتودد والحنان ، وهذه العبارات قد تشبع الجانب العاطفي. * لا بد من التوافق الثقافي بين الزوجين (عادات - قيم - تقاليد - بيئة اجتماعية - بيئة طبيعية) وعدم الاستعجال والخوف من العنوسة. * الحذر من اختيار الخاطبة التي تسعى من أجل الطمع المادي ، ويتم ذلك بالضغط على الطرفين حتى توفق بينهما. * البعد عن الزيجات التي تهدف إلى الاستمتاع ، وتثبت فيها النية بعدم الاستمرار ، مثل: زواج المسيار ، والمصيف ، والوناسة. * إذا وصل الزوجان إلى طريق مسدود ، وجب أخذ حكم من أهله وحكم من أهلها لحل الوضع المتأزم بينهما ، لعل الله

يغيّر الحال ، وتبرز أفكار جديدة من الحكمين لحل الخلافات ، والتسلّح بالدعاء فهو دأب النبيين وعدة الصالحين ، قال تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا}. (هـ).

أنا كم نصحت ، فما عليّ ملام!
كم كنت أنشد - في زواجك - بهجة
كم كنت أرجو الحب يغمر عيشنا
كم كنت أصبو للوداعة ، والصفاء
كم كنت أعمل - للتقارب - بيننا
كم كنت أسعى كي أحقق ألفة
كم كنت - في التوفيق - أختصر المدى
كم كنت في التيسير أمعن راضياً
كم كنت أدب - في التجلد - للشفا
كم كنت أصبر في مواجهة العدا
كم كنت أعفو عن إساءتك التي
كم كنت أصفح راجياً - منك - الوفا
كم كنت ألتمس الحقوق تزلفاً
ولعبت بي دهرأ ، فقلت: ستستحي
ولربما قلبت أوراق الشفا
ولربما فكرت في أحوالنا
ولربما رجعت ماضيك الذي
ولربما قلت: الفداء أنا لمن

وغباء عقلك يا (رباب) عقام!
إذ كل قصدي - في الحياة - سلام!
ويظننا الإيمان ، والإسلام!
مهما جفا عشق ، وشط هيام!
وليشهد الأخوان والأعمام!
كـيلا تعكر صفونا الآلام!
وأصد من عابوا الفتى ، أو لاموا!
وأقول: إن عسرت ذاك حرام!
وشهودي الأحوال ، والأيام!
والشامتين ، وللقاء أوام!
عنها تناعى الظالمون ، وصاموا!
وأقول: قد زلت - بها - الأقدام!
من زوجة إحسانها الإجمام!
فلربما شفعت لي الأعوام
فرحمت شيباً - في يديه - حسام
فلواك - عن أهوائك - الإجمام
اليوم فيه - من التعت - عام
هو - في الحياة - الصاحب القوام

والأهل ، والخلان ، والأرحام
نفسى ، إذا هذا الحبيب يُضام
ولديك بعدُ جنادل ، ورجام
وكمما ترين الجرح لا يلتام
فى كفاً كل - فى الوعى - صمصام
ومحالم ، واستأسد الأقسام
لما يصدك موقف وزحام
وعلى السفينة ليس قط ملام
ما الناس إما زاغت الأحلام؟
والقلب فيه - من السقول - ركام!
جودي مضى ، والفضل والإنعام
وتسامروا بالأغنيات ، وهاموا
لما أتاهم عاشق مقدام
وتكسّر يسبى النهى ، وقوام
يبغى التقرب ، والمزار لمام
خاب الهوى ، والدس ، والإبرام!
بمايكية تحلو - لها - الأحلام
ويطيب عيش ناعم ، ومنام
ودهى حياتك يا (رباب) ظلام!
والزوج - فى ذا الانتقام - همام

ولربما قلت: الحابل قرابتي
ولربما قلت: الحياة تعافها
لكنما أشهت سيفاً كالردى
وطغنت زوجاً ، كم أعزك فى الدنا!
وجعلته هدفاً لأخبث معشر
وجعلت منه ضحية لسيوفهم
ووقفت - خلف صفوفهم - مزهوة
كم كنت سافلة نأى عنك الحيا!
كم كنت هائلة تملكها الغبا!
كم كنت فاقدة المروءة فظة
كم كنت جاحدة لكل تكرم!
حتى إذا طقت ، أهلك باركوا
وبدأت مرحلة يُغرد طيفها
أغراه فىك تبذل ، وتغنج
فأتى يقدم شوقه متمقاً
والأمر أبرم بعدما آذنتهم
وأقيمت الدار المنيفة تحتفى
تستروح الأنسام فى بحبوحة
وأذنته مُرراً ، فردّ بمثلته
هذا انتقام الله من مغرورة

والحق جاء ، وزالت الأوهام
وشوى افتراءك - في العذاب - ضرام
كلا ، ولا كل النساء يمام!
والزوج يبش عندما ينضام!
لك لان ، وهو السيد الضرغام
مارده دمع ، ولا استرحام!
من أجله ، ماردها استنمام!
وبنار كل يصطي الظلام
عن فظة - معها - الحياة سُخام
فلتعلمي أن الزمان عصام
واليوم لي بمبادني استعصام
مهما أتتني - من ذويك - سهام
كلا ، وهل قيء الكلاب طعام؟
وعليك - من أثر النشوز - قتام
فلربما سعدت بك الأنعام!
فلربما احتفلت بك الأغنام!
ولديك إن كثر الثغاء كلام
ولسوف يقضي الواحد العلام

وأراك من قدر المليك عسيره
حتى اصطلت بناره ، وسعيره
تا الله ما كل الرجال حمائم
شتان بين الزوج يعطف حانياً
والله ما استويا: حليل مخلص
وحليل اختاروه دون تريث
مارده هوجاء باعت زوجها!
لكنه كيد المليك ومكره
فرماك زوجك في العرا مترفعاً
أعتى مطلقه ، وأشرس حرمه
لك لن أعود ، ولو لقيت منيتي
لا تأملي يوماً لقاءً بيننا
أنا لست كلباً قيؤه مطعومه!
فأبقي بلا زوج يعفك كالنسا
وتخييري السكنى بجوف زريبة!
أو صاحبي الأغنام أصدق صحبة!
لا تحذري قرناً ، فعندك مثله
أنا قد بتتك بعدما عنفتني

ازدواجية صريحة

(في إحدى البلاد كنت أسير أستعرض المحلات بحثاً عن سلعة ما. فوقعت عيني على محلين أحدهما يبيع العبايات الساترة السابغة للنساء وعليه دعاياتها وصورها المحتشمة جداً. والثاني يبيع أزياء السهرات والشواطئ تلك الأزياء الفاضحة ، وعليه عُلقَت الإعلانات والدعايا والصور التي التقطت لنساء في أوضاع وخلفيات وأزياء تستحي منها الداعرات. وكان تناقضاً عجيباً يُذهل كل ذي لب ، ويحير كل ذي بصيرة ، ويربك كل ذي فكر! وكانت ازدواجية يندى لها الجبين خجلاً. محل يأمر بالستر والتشم ، ويحض عليه ، ويغري برسوماته الحشيمة السابغة الناشرات الهدى والعفة والطهر! ومحل آخر مجاور له يأمر بالتهتك والتكشف والإباحية ، ويحض عليها ، ويدعو إليها ، ويرغب فيها ، ويحمل النساء على التعري برسومات وتصاوير فاضحة بهيمية! والمحلان في بقعة واحدة وشارع واحد ، وكل له رخصته التجارية ، وفق قانون يجمع بين النقيضين (الحشمة والفضيحة). وكأنه لا قيم ولا مبادئ تحكم ذلك المجتمع! والإنسان بدون المبادئ والقيم لا يساوي شيئاً! وترجح كفة البهيم إذا قورن به إنسان بدون قيم! في مقالها: (أهمية القيم في حياة الإنسان) تقول الدكتورة إيمان محمد رضا التميمي - عضو رابطة علماء الأردن ما نصه: (تلعب القيم دوراً بارزاً في حياة الأفراد ، فهي تشكل الجانب المعنوي في السلوك الإنساني ، والعصب الرئيس للسلوك الوجداني ، والثقافي والاجتماعي عند الإنسان. ويمكن القول إن القيم تشكل مضمون الثقافة ومحتواها ، والثقافة هي التعبير الحي عن القيم ، كما أنها تلعب دوراً بارزاً في تحديد سلوك الفرد ، ويمكن تلخيص أهميتها في حياة الفرد في الأمور الآتية: تلعب القيم دوراً مهماً في تشكيل الشخصية الفردية وتحديد أهدافها في إطار معيار صحيح ، ولقد كانت شخصية النبي عليه السلام نموذجاً حياً لمنظومة القيم التي جاء بها الدين ، ولهذا فقد قالت السيدة عائشة عندما سُئلت عن أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم -: "كان خلقه القرآن". كما تعمل القيم على إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً ، وضبط دوافعه وشهوته ومطامعه كيلا تتغلب على عمله ، وتوجهه نحو الخير والإحسان والواجب. ولهذا تراجع أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن قراره قطع النفقة عن مسطح بعد أن خاض مسطح في حديث الإفك الذي مس عائشة رضي الله عنها وذلك بعد نزول قوله تعالى: "وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ". فقال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -: "والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا". وبمثل هذه المعايير تنتصر قيم الخير والفضيلة كقيمة الصفح والعفو على كل دوافع النفس الأمارة بالسوء كالغضب والتشفي وحب الانتقام ، وتحقق للفرد الإحساس بالأمان ، فهو يستعين بالقيم على مواجهة ضعف نفسه والتحديات والمحن التي تصادفه في حياته. كما أن القيم تدفع الفرد إلى العمل وتوجه نشاطه ، وتعمل على حفظ نشاطات الأفراد وبقائها موحدة ومتناسقة ، وصيانتها من التناقض والاضطراب ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إذا قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها". أما على المستوى الاجتماعي ، فالقيم تحفظ على المجتمع وتماسكه ؛ إذ تحدد له أهدافه ومثله العليا ومبادئه المستقرة ، وبالتالي يستقيم المجتمع في وحدة واحدة تحفظه من التشرذم والفرقة ، وتربط أجزاء ثقافة المجتمع بعضها بعضاً حتى تبدو متناسقة ، وتعطيها أساساً عملياً يستقر في أذهان أفراد المجتمع ، وذلك لكون الثقافة تحتم لمعايير موضوعية منضبطة تقبل المتسق مع قيم المجتمع وتنبذ ما ينافرها ، وتساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه ، وذلك بتحديد الاختيارات

الصحيحة التي تسهل على الناس حياتهم ، وتحفظ للمجتمع استقراره وكيانه في إطار موحد ، وذلك لكون القيم بمثابة الميزان الذي توزن به الأشياء ، وبالتالي تعد معياراً لما يقبل أو يرفض من الأفعال والسلوكيات).هـ. وكم في الديار من التناقضات كما في الأشخاص ، تماماً بتمام. فمكتب لمكافحة التدخين ومعالجة المدخنين والمدمنين ، ومحال تباع الدخان والسجائر والنارجيلة! وغير ذلك من التناقضات العجيبة والغريبة. وإن مجتمعاً يجمع بين النقيض بتلك الصور لا يمكن أن يعكس صورة مثالية لحياة كريمة أبداً! ولما تأملت في ذلك الواقع الآسن وأدركت من تلك التناقضات والازدواجيات الكثير ، وجدتني أشدو بهذه القصيدة على البحر البسيط وقافية الدال).

القلبُ أمسى يُعاني الضيقَ والكَمدا
والنفسُ يخنقها أنينُ حسرتها
وتسألُ اليومَ من غابوا ، ومن حضروا
لَمَ التناقضُ أمسى اليومَ ديدنكم؟
لَمَ التآرجحُ في سر وفي علن
والجمعُ - بين الهدى والسوء - مهزلة
والماءُ يصحبه من فوقه زبدٌ
والباطلُ اليومَ منقوشٌ ومنفقٌ
والازدواجُ علتُ - في الدار - رايتُه
أنى اتجهت ، فلفصام دولته
والمؤمنون - لأهل الشر - كم نصحوا!
يا قومنا انتبهوا لِمَا يُراد بكم
مُدوا أياديكم للشرع ، وانتصخوا

والدمعُ في العين من فرط الجوى جَمدا
تشكو الفصام طوى العباد ، واجتهدا
ومن تعبَدَ خلقَ الله ، واضطهدا
لَمَ التبجحُ جدَّ السير ، واحتشدا؟
كأنه لم يكن - في ذي الديار - هُدى؟
والفرقُ بينهما - رغم الأتوف - بدا
ويغلب الماء - في النهاية - الزبدا
لأنه وجد الظهير ، والسندا
ولم يفارق - بها - صُقعاً ، ولا بلدا
وجوقة لفظت - لحمقها - الرشدا
والنصحُ - بين الغثا - والله ضاع سُدى
إن الألي انحرفوا سيندمون غدا
ما خاب عبد - لهذا الدين - مديدا!

الطبيعة الحزينة

(أعنون لهذي القصيدة بذات العنوان الذي اختاره أحد أحبائي الذين زاروا الصين في أول رحلة عمل تجارية له هناك. وشاهد الخضرة والزهور والورود في كل مكان هناك تسبح الله تعالى وتوحده. لكنها طبيعة حزينة ، لأن أغلب من حولها ومن يعيش في ظلها ومن يتمتع بها يشركون بالله - تعالى - . ونقل لي صاحبي صورة حية لجاهلية القرن العشرين. فكتبت له وللإسلام هذه القصيدة عن الطبيعة الحزينة معزياً. يقول تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ، ويقول: (هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ، ويقول: (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ، ويقول: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). ومن هنا أكتب عن الطبيعة الحزينة!)

هيجت يا صاح ما في النفس من قهر	لمّا ذكرت الذي في (الصين) يستشري
واغرورقت - بالدموع - العين باكية	ودمغ قلبي - من فرط الأسى - يسري
وفي المشاعر - مما قلت - وخز جوى	وفي الأحاسيس بعض الضيق والعسر
وللعواطف أنباتت تُعدذني	وتستجيش سعير الوجد في صدري
وللضمير أنباتت لا يُجاوزه	حتى تذبذب بين الكر والفر
طبيعة أسلمت لله خالقها	تلك السماء ، وهذي الأرض بالجبر
والشمس تبعده طوعاً ، وتسبح - في	هذي السماء - تعم الناس بالخير
وفي السما القمر المنير يُعبده	وللنجوم تسابيح ، وللطير
وكل ما دب فوق الأرض يُعبده	والزرع والنبث والأسماك في النهر
وأغلب الناس - في الضلال - قد رتعوا	وبارزوا الله بالعصيان ، والفجر
وأوغلوا - في دروب الشرك - في عمه	وما أحسوا بما في الشرك من خسر
فبعضهم قال: للرحمن صاحبة	وابن ، وأبئس بها من فريّة تُزري!
وبعضهم قال: للمولى البنات ، وذا	من أعظم الزور والبهتان والكفر

له بذى الأرض من نهى ولا أمر!
للخير بعضهم ، والبعض للشر
سفاهة تلك في الأفهام ، والفكر
والأرض تبلى ما تلقاه في القبر
من بعد ما فسدت ركائز الذكر
تُدبر الأمور بالإرغام والقسر
في هذه ، ثم بعد البعث والحشر!
وبعضهم لاذ بالنيازك الزهر
لا يملكون من اليسرى ، أو الضر
عن المليك ، فما أصغى إلى النذر
بما ارتأوه كمثل الوعل والثور
على العبادة ، عن جهل وعن كِبَر
ولستُ آسى على المستهتر الغر
شب الضياع ، وسادت فتنة العُهر
تُمسي الأناسي كالأغنام والعيير
على القطيع الذي في وضعه المزري
وتستعيذ به منهم ، وتستتبري

وبعضهم قال: ربّ في السماء ، وما
وبعضهم قال: بل هناك آلهة
وبعضهم قال: ربّ المرء شهوته!
وبعضهم قال: أرحامّ بنا دفعت
وبعضهم عبد الأبقار في وضح
وبعضهم عبد النجوم يحسبها
وبعضهم عبد النيران تحرقه
وبعضهم عبد الكواكب ازدهرت
وبعضهم عبد الجن الذين هم
وبعضهم عبد الأهواء تصرفه
وبعضهم تبع الأخبار مكتفياً
وبعضهم لزم الرهبان يغبطهم
وبعضهم وافق الكهان دون هدى
حتى إذا فسدت - في الناس - فطرتهم
إن العقيدة إن تاهت معالمها
تبكي الطبيعة في (بيكين) أسفة
وتشتكي الخالق للديان خالقهم

(بكر أبو زيد) عالم عصره

(إنني إذ أمتدح عالماً من علمائنا ، فأراني أوفيه حقه علينا ، كما أنني أعرف به لمن يجهله! ولا أزكي على الله ربي أحداً. إن أستاذنا بكر أبو زيد هو عالم عصره. ومن يطالع (حراسة الفضيلة - تصنيف الناس بين الظن واليقين - حكم الانتماء - معجم المناهي اللفظية) وغيرها من الكتب التي خطها العلامة بكر أبو زيد بيمينه يدرك مدى ما أصف الرجل به. وصدق ابن قتيبة إذ يقول: (لا يزال المرء عالماً ما دام في طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد بدأ جهله). وصدق علي بن أبي طالب عندما قال: (كل إناء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع). ولعلي مقالة أخرى تبين أهلية العلماء لأن يتبعهم السلاطين وليس العكس: (إذا رأيت العلماء على أبواب السلاطين فقل: بنس السلاطين وبنس العلماء. وإذا رأيت السلاطين على أبواب العلماء فقل نعم السلاطين ونعم العلماء). وهكذا عُرف بكر أبو زيد بين علماء عصره ، لم يتزلف لأحد ولم يُرذ بعلمه الدنيا ، ولم يرتزق بالعلم. بل عُرف بجدته إذ الآخرون يهزلون ، وعُرف بصرامته إذ الآخرون يُمِيعون ، وعُرف باستغفائه إذ الآخرون يريدون بعلومهم عرض الحياة الدنيا. ويضاف إلى ذلك أنه مجدد في أسلوبيته وعروضه وتأليفه! فلم يكن يميل إلى التقليدية في الكتابة ، وله في كتاباته غيرة نادرة متفردة على الإسلام والمسلمين. فمن هو الأستاذ بكر عبد الله أبو زيد؟ وما رحلته العلمية؟ وما مؤلفاته؟ إنه العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى ، وهو زيد بن سويد بن زيد بن سويد بن زيد بن حرام بن سويد بن زيد القضاعي ، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم وعالية نجد ، وفيها ولد عام 1365 هـ. درس في الكتاب حتى السنة الثانية الابتدائي ، ثم انتقل إلى الرياض عام 1375 هـ ، وفيه واصل دراسته الابتدائية ، ثم المعهد العلمي ، ثم كلية الشريعة حتى تخرج عام 87 هـ / 88 هـ من كلية الشريعة بالرياض منتسباً وكان ترتيبه الأول. وفي عام 1384 هـ انتقل إلى المدينة المنورة فعمل أميناً للمكتبة العامة بالجامعة الإسلامية. وكان بجانب دراسته النظامية يلزم حلق عدد من المشايخ في الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة. ففي الرياض أخذ علم الميقات من الشيخ القاضي صالح بن مطلق ، وقرأ عليه خمساً وعشرين مقامة من مقامات الحريري وكان - رحمه الله - يحفظها ، وفي الفقه: زاد المستتقع للحجاوي كتاب البيوع فقط. وفي مكة قرأ على سماحة شيخه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز كتاب الحج من (المنتقى) للمجد ابن تيمية في حج عام 1385 هـ بالمسجد الحرام. واستجاز المدرس بالمسجد الحرام الشيخ: سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان فأجازه إجازة مكتوبة بخطه لجميع كتب السنة وإجازة في المد النبوي. في المدينة قرأ على سماحة شيخه الشيخ ابن باز في (فتح الباري) و(بلوغ المرام) وعدداً من الرسائل في الفقه والتوحيد والحديث في بيته إذ لازمه نحو سنتين وأجازه. ولازم سماحة شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نحو عشر سنين منذ انتقل إلى المدينة المنورة ، حتى توفي الشيخ في حج عام 1393 هـ - رحمه الله تعالى - فقرأ عليه في تفسيره (أضواء البيان) ، ورسالته (آداب البحث والمناظرة)! وانفرد بأخذ علم النسب عنه فقرأ عليه (القصود والأمم) لابن عبد البر وبعض (الإنباه) لابن عبد البر أيضاً وقرأ عليه بعض الرسائل وله معه مباحثات واستفادات ، ولديه نحو عشرين إجازة ، من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وإفريقيا وغيرها ، وقد جمعها في ثبوت مستقل. وفي عام 1399 هـ / 1400 هـ ، درس في المعهد العالي للقضاء منتسباً فنال شهادة العالمية (الماجستير) ، وفي عام 1403 هـ تحصل على شهادة العالمية العالية (الدكتوراه). وعلى هذا يكون الشيخ قد قضى حياته في العلم والتعليم! وقد أدركت ما لكتابات الرجل من أهمية قصوى. وكانت رسالته الجميلة: (تصنيف الناس بين الظن واليقين) أول شيء قرأته له! وتعلمت منها التثبت والتروي في الحكم على الأشياء والأشخاص! كما تعلمت التثبت والتحقق من الأخبار! كما تعلمت تخريج الآثار كلها من أحاديث أو أقوال ، وخاصة الأخبار التي يأتي بها الفساق أو تجري على ألسنتهم! إذ الواجب عند خبر الفاسق ، التثبت والتبين ، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه ، عمل به وصدق ، وإن دلت على كذبه ، كُذِب ولم يعمل به ، ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول ، وخبر الكاذب مردود ، وخبر الفاسق متوقف فيه كما تعلمنا

من الدكتور بكر. وهذه القواعد سبقه إليها العلامة الجهبذ وذو الكلام المحبذ وعبقري زمانه وعالم عصره وأوانه الشيخ محمد بن ناصر السعدي وأوردها في تفسيره عند تناوله لآية الحجرات: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين). فليراجع تفسير السعدي. وكذلك أيها الكرام ما أمرنا به خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام أن نحذر من نشر كل ما نسمعه! بين أهل الإسلام! حتى نتأكد من صحته حتى لا نقع في الآثام! فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كفى بالمرء كذباً أن يُحدّث بكل ما سمع". رواه مسلم. يقول الإمام ابن حبان - رحمه الله -: "في هذا الخبر زجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم على اليقين صحته". الضعفاء لابن حبان. ويقول الحافظ المنوي - رحمه الله -: "أي: إذا لم يتثبت لأنه يسمع عادة الصدق والكذب ، فإذا حدث بكل ما سمع لا محالة يكذب ، والكذب الإخبار عن الشيء على غير ما هو عليه ، وإن لم يتعمد. لكن التعمد شرط الإثم...". فيض القدير. ومن يطالع كتب الرجل بحيدة وموضوعية يدرك صدق الذي أقول. أنشدت هذه القصيدة من الوافر لأعير عن مدى حبي للرجل في الله وأثني على علمه. حفظ الله تعالى تاج رؤوسنا وحبیب قلوبنا ومعلمنا الخير من كتاب ربنا وسنة نبينا الدكتور بكر بو زيد!

طرقت - من الفقه - باباً جديداً	وَجُبَّتْ بِهِ السَّاحَ - صدقاً - وحيداً
وبعدُ تفردت في كل فصل	وضاعفت - يا عبقري - الجهوداً
وسُقت الأدلة في كل أمر	وفندت - بعد البيان - الردوداً
وذعت الشواهد دون ارتياب	وكان المليك عليك الشهداً
وحققت ما قلته من كلام	ونقحت زبدته والبنوداً
ورتبته في اتساق عجيب	فجاء الكلام صحيحاً نصيذاً
وناظرت خصمك ، لم تأل جهداً	وكان الجدال عتياً شديداً
فأدليت دلوك ، دون انفعال	وكم زدت ، إما أردت المزيديداً!
فواصل كفاحك يا (بكر) دوماً	ومثلك ليس يحسب القعوداً
وأشهر يراعك سيف انتصار	يؤدب بغياً عتياً عنيداً
وسدد وقارب ، وجادل وأحسن	لتلقى اجتهادك علماً سديداً
وجاهد بعلمك من سفهونا	وكيف يهين الرعاغ الأسوداً؟
علمتك أعطيت عهداً بهذا	ومثلك ليس يخون العهداً

عندما ينحرف المسار

(مجلة شرعية مشهورة كانت تتبنى القضايا الهامة في ديارنا والعالم. تلك القضايا المثارة على الساحة الإعلامية ، فتعني يقيناً بكل الشؤون الاجتماعية والأخلاقية والشرعية والأدبية والأسرية. وتحارب التطويح والارتزاق باسم الإسلام. وتحارب كل أنواع الصور لذوات الأرواح. فلم توجد فيها صورة واحدة لرجل فضلاً عن امرأة بكامل زينتها على مدى ثلاثة عقود. ولم تنشر فيها قصيدة ارتزاقية أو ضعيفة أو عامية. فإذا بها تخالف عن هذا كله وتزيد. وسألت: فقيل تغيرت الأسرة القائمة عليها. وقد تابعتها على مدى ربع قرن من سني حياتي ، وحرصتُ عليها مطلع كل شهر عربي ، وكنت أترقبها وأتلّف عليها وأطالعها في شغف. واعتدت أن أرى فيها كل جديد في عالم الاستطلاع والفتاوى والمقالات والشعر العربي الموزون المقفى والتحليل الإخباري الدقيقة وآخر المستجدات في التأليف المختلفة. فما هو إلا أن غزتها صور النساء بكامل زينتهن ، وأعجب من واعظة شرعية تقبل أن تنشر صورتها بكامل زينتها في مجلة ولو كانت شرعية! والشرع منها بريء. والمجلة قد غزتها المقالات الارتزاقية التي لا تشبع نهم طالب العلم! ناهيك عن خروجها عن كونها شرعية صرفة إلى كونها أصبحت نشرة إخبارية مصورة تحتوي على بعض المقالات الإسلامية ذراً للرماد في العيون! وحدثت ولا حرج عن القصائد التي صيغت على شعر التفعيلة الذي ليس بالشعر ، والفتاوى التطويحية الرخيصة! لقد كان الأحرى بالقائمين على هذه المجلة أن يرتقوا بها للأصلح والأكمل ، لا أن يهبطوا بها إلى حضيض الارتزاق ومهبط التطويح! وكان الأحرى أن يثبتوا على الحق المبين! في محاضراته: (أسباب الثبات على الدين) يقول الشيخ صالح آل الشيخ ما نصه: (أما الأول: فهو الاعتصام بالكتاب والسنة والحق القديم. وأما الثاني: فهو العناية بالعلم النافع من أهله الذين تحققوا بفهم طريقة الفرقة الناجية والطائفة المنصورة. أما الاعتصام بالكتاب والسنة فهو مطلب عظيم ، ولهذا بؤب البخاري ، أو كتب البخاري في صحيحه كتاباً سماه الاعتصام بالكتاب والسنة. وكثير من أهل العلم صنّفوا مصنفات خاصة في هذا المعنى ، أعني الاعتصام ، أو الاعتصام بالكتاب والسنة ، وذلك لأن الاعتصام بالكتب والسنة له أثران: * الأثر الأول: الثبات على الدين. * والأثر الثاني: رد الأهواء وأسباب الفتن التي ترد على القلب. والاعتصام بالكتاب والسنة هو الاعتصام بالله والاعتصام بشرعه الذي هو الكتاب والسنة ، لهذا قال تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا). اختلف أهل العلم بالتفسير في معنى حبل الله - هنا - على أقوال: منها أن حبل الله هو الإخلاص له جل وعلا ، ومنها أن حبل الله هو القرآن ، ومنها أن حبل الله هو السنة المبينة للقرآن ، ومنها أن حبل الله هو الجماعة وهذا هو المروي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - وذلك أنه جل وعلا جعل الحبل مقابل للفرقة ، قال: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا). والكتاب والسنة يدعوان إلى الاجتماع وينهيان عن الفرقة ، قال جل وعلا في سورة الشورى لما ذكر الرسل: (شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه). وقال هنا: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) ، وقال: (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم)! وجاء في الحديث الصحيح: (إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بالله جميعاً ولا تفرقوا وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويكره لكم ثلاثاً: قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال). فالاعتصام بالكتاب والسنة أعظم أسباب الثبات على الدين ، بل هو أسئها وركنها الوثيق! وإن لزوم الجماعة لزوم الدين الحق وعدم التفرق فيه وهناك ملازمة ظاهرة ما بين التفرق في الدين والتفرق بين الناس في

أبدانهم! وذلك أنهم إذا تفرقوا في الدين وكانوا شيعاً وأحزاباً فإن ذلك سيؤدي إلى التفرق الآخر ، وإذا تفرقوا في أمر الدين ولم يؤمنوا بالكتاب كله واتبعوا أهواءهم فإنهم سيتلاعنون ويتفرقون في أبدانهم كذلك. ولهذا نجد أن كل الفتن التي حدثت في تاريخ المسلمين إنما حصلت من جراء الأهواء وعدم لزوم الجماعة في الدين والجماعة لفظها يدل على التكثير وقد لا يكون الأخذ بها كثيراً ، قد يكون أكثر الناس على غير الجماعة ولهذا قال بعض السلف: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك ، فهذا إبراهيم الخليل – عليه السلام – كان أمةً ، لقوله تعالى: (إن إبراهيم كان أمة) ، والأمة: هي الجماعة العظيمة وهو مع كونه واحداً ، لكن الله جعله أمة لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين. فعند ظهور الفتن أو التقلبات يحصل اضطراب ، فالمخرج في الثبات على الدين والبعد عن أسباب الفرقة). هـ. حفظ الله تعالى الشيخ صالحاً ، وضاعف له الأجر على هذه الدرر الثمينة النفيسة! والمجال لا يزال مفتوحاً أمام المجلة وأسرة تحريرها والقائمين عليها! فتكف عن التطويح للنصوص ، والابتدال الرخيص الباهت المكشوف ، ونشر صور الواعظات الداعيات بكامل مكيجهن وزينتهن! ناهيك عن الفتاوى الارتزاقية ، التي لا توافق الكتاب ولا السنة! والله تعالى يقبل توبة التائبين! والانتهاه عن الباطل خير من التمادي فيه والتماهي مع أهله!)

تبنيت الضلالة ، والفسادا	وعاديت الفضيلة ، والرشادا
وتابعت الترهّل ، والتدني	وأدمنت التطاول ، والعنادا
وحاربت الهدى في كل ضقع	وجانبت المباديء ، والسدادا
ألا سقيا لماضي - عنك - ولي	بـه أعداؤك اعتدوا اعتدادا
نشرت الخير ، يزهر في قرانا	وعم الخير - يا فضلى - البلادا
وأرشدت الخلائق للمعالي	وعشت - لمبدأ التقوى - مهادا
وبينت الشجعان للبرايا	وفي الأفق أعلنت الجهادا
وأهديت الشرانع دون نقص	وإن العلم أفضل ما يهادي
وبالشعر الأصيل غمرت جيلاً	لك انقادت جفافاًه انقيادا
ولم تنزلني يوماً لباغ	عن الإسلام والإيمان حادا
لماذا اليوم تنحرفين عمداً	وترتدين - للسهو - ارتدادا
ألا توبي ، وغودي ، واستقيمي	وهي زايلى هذا الفسادا

القضية قضية عقيدة

(أحد لاعبي كرة القدم ، ذو قدرة خلاصة على إحراز أهداف لا يتوقعها أبداً لاعبو الخصم. وأحبه ناديه وجمهوره ، واعتادوا أن يلقوا عليه الزهور والورود في كل مكان يرونها فيه احتفاء به. إذ هو مثلهم نصراني كما أنهم نصارى. فلما منَّ الله عز وجل عليه بالإسلام ، وأعلن ذلك اللاعب إسلامه وإيمانه بالله رب العالمين احتقروه احتقاراً لا يوصف بالكلمات. رغم أنه قد ازداد نجومية وتألقاً في الكرة (هذا إن كان فيها نجومية!) ، وازداد عطاه. وأسأل: إن كانت قضية كرة القدم رياضة وفناً ، وأن اللعبة الحلوة لا دين لها كما يحلو لكثير من معلقي الرياضة أن يقولوها في الغرب والشرق ، إذا كان ذلك كذلك فلماذا احتقار الرجل وإلقاء علب الكولا وأوراق الجرائد الفذرة البالية وبعض الحصى والحرق عليه بعد إسلامه؟ إنها بكل صدق قضية عقيدة في مقامها الأول والأخير. ومن هذا المنطلق تخيلت ذلك اللاعب البرئ يخاطب تلك الجماهير الضالة المذمومة الأثمة ، ويتحدث إليها بكل صراحة ويبين موقفه في وضوح! واخترت البحر الوافر حيث تولد عندي ذلك المطلع على هذا البحر العروضي ، كما أنني اخترت القافية الرائية حيث نرى بأن كلمة (رياضة) تبدأ بذات الحرف. وذلك في محاولة مني لأثبت لعشاق الرياضة وعابديها على حد سواء أن القضية فعلاً ليست كما يتصورها البعض لعبة وفناً وتدوفاً وملء فراغ. لا بل هي في حقيقتها قضية عقيدة وتوحيد. وفي مقاله: (الرياضة رسالة أخلاقية إنسانية وثقافية وتواصل ومحبة بين الأمم) قال الأستاذ نعمان عبد الغني ما نصه: (الرياضة ترويض للنفس قبل أن تكون حصداً للألقاب والكؤوس وفرداً للعضلات. الروح الرياضية معني عميق وأصيل تعلمناه من الرياضة السامية والتي تترفع عن كل الصغائر التي تفسد معانيها وتخرج بها عن روح التنافس الشريف الروح الرياضية ما أحلى هذه الكلمة وما أجمل إيقاعها وروعة معناها ، فعندما تتضايق من أخ لك في الاسرة أو زميل في العمل تجد أقرب من حولكم يقول لك (اجعل روحك رياضية)! مما يدل علي عظمة هذه الكلمة وعظمة محتواها الذي نتجاوز معه كل الاختلافات والنقاش الحاد ، الذي قد يفقد بعضنا سيطرته علي نفسه ويتسبب في فقدانه لأخيه من أخلاقيات الرياضيين التحلي بالروح الرياضية الأخوية. وتعرف الروح الرياضية بأنها الطموح أو روح الجماعة حيث يمكن الاستمتاع بممارسة رياضة ما أو نشاط معين مع وضع الإنصاف والأخلاقيات والاحترام وإحساس الزمالة مع المنافسين في الاعتبار. وهي واحدة من عناصر الاخلاق الرياضية الثلاث وهي اللعب النظيف والروح الرياضية والشخصية. إن أهم ما يتعلمه الأبناء عند ممارسة الرياضة المنافسة الشريفة وتقبل الهزيمة بصدر رحب وأهم ما يتعلموه الأخلاق الراقية. وما يحدث الآن من بعض القانمين على الرياضة سيؤدي إلى ضياع أجيال تبحث عن مثل أعلى وقدوة ولا تجد غير من يهتم بالفوز والنصر).هـ. وإلا يكن ذلك كذلك فليفسروا لي موقف الجمهور والنادي من اللاعب هذا!)

بحبكم أنا - اليوم - الجديرُ
وبالإعجاب إنني - الآن - أولى
وبالتشجيع يلهب كل نادٍ
فقد زابلت ما يُخزي ويُؤذي
وبالتقدير يغمره السرورُ
وبالأزهار يسبقها العبيرُ
كأن صداه - في النادي - هدير
لأن نهاية الشرك الثبور

وصرتُ ممجداً ديناً ولعباً
وفاصلتُ الضلالَ يعيب عقلي
وأدعوكم إليه بلا ارتياب
ولا تسهتجونا نصحي ، وتوبوا
لماذا تسخرون اليوم مني؟
وأين زهوركم من كل صنفٍ؟
وأين هتافكم - بي - في البرايا
لماذا - بالقمامة - صرت أرمي
أتلقون الجرائد باليقاتِ
أقذف بالحصى من بعد وردٍ؟
أئن أسلمتُ ، هذا كل كل جرمي!
ألم تقم الرياضة منذ قامت
لماذا اليوم تنتهكون عرضي
أسائلكم ، ولا ألقى جواباً
عقيدة القضية دون شكٍ
وليس متلماً تبدو احترافاً
ولي ديني ، ولأقوام دين
ويحكم بيننا الجبار يوماً

وبت مبراً مما يضير
وبالإسلام ها أنذا فخور
فما أنتم عليه - اليوم - زور
فإني - يا غفاة - لكم نذير
لماذا اليوم تنقلبُ الأمور؟
وأين الوردُ مبتشراً يطير؟
يدوي ، ماله أبداً نظير؟
وخلت بعد وردكم الصخور؟
علي ، كأنني عبدٌ حقيـر؟
وبعد أسب ، أين مضى الصفير؟
ولي - وحدي - النتائج والمصير؟
على الأهداف ، يُحرزها الظهير؟
وإني - في الملاعب - للأمير؟
وإن تعجبي قـدرٌ يـفور!
وقد لا يُدرك الأمر الحمير
وقد أصـبحتُ منها أسـتجير
نُجى أهـواؤهم ، والسـلم نور
وإن الله - بالناس - الخبير

مهر المعالي

(إن القيم الأصيلة لها ناس قد أعدهم الله لها ، ومُحال أن يتنازلوا عنها أبداً. ولذا فمهرها قد يكون العمر! وتحت عنوان: (أصحاب المبادئ وباعثها في تاريخ الأمة وشرعتها) يقول الأستاذ عماد حسن أبو العينين ما نصه: (إن الناظر في تاريخ أمة الإسلام يراه لم يعدم القدوة التي تعد نموذجاً صالحاً لإقامة الأخلاق في أمة القرن الخامس عشر ، وقبل تاريخ الأمة سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي كان حريصاً على تعليم الصحابة الثبات على القيم والمبادئ التي من شأنها أن تصنع رجالاً قادرين على فتح الدنيا وقيادتها إلى بر الأمان ؛ فعن عائشة قال يحيى إن رجلاً من المشركين لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقاتل معه فقال: (ارجع إننا لا نستعين بمشرك). فالرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة - بدر - كان في أشد الحاجة إلى كل رجل يقف معه ، ولكنه لما كان رجل المبادئ التي لا تتزحزح ولا تحيد عن مسارها قال له: (ارجع إننا لا نستعين بمشرك) ؛ ليعلم الصحابة كيف تكون القيادة ، وكيف يكون رجل المبادئ في المواقف الصعبة! وعن حذيفة بن اليمان قال: ما منعتني أن أشهد بدرًا إلا أنني خرجت أنا وأبي حسين ، قال: فأخذنا كفار قريش قالوا: إنكم تريدون محمداً ، فقلنا: ما نريد ما نريد إلا المدينة ، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ؛ ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله فأخبرناه الخبر فقال: «انصرفا ؛ ففي لهم بعهدهم ، ونستعين الله عليهم» إنه الوقوف عند المبادئ والقيم حتى مع المخالفين والمنافقين أينما كانوا. وعن عراك بن مالك أن حكيم بن حزام قال: كان محمد صلى الله عليه وسلم أحب الناس إلي في الجاهلية فلما نبئ وهاجر شهد حكيم الموسم كافراً فوجد حلة لذي يزن ثباع فاشتراها بخمسين ديناراً ؛ ليهديها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقدم بها عليه المدينة فأراه على قبضها هدية فأبى وقال: «إننا لا نقبل شيئاً من المشركين ولكن إن شئت أخذناها بالثمن فأعطيته حين أبى علي الهدية» قال: فأعطيته حين أبى علي الهدية. فتربى الصحابة على مثل هذه القيم والمبادئ ؛ فكان من الصحابة أمثال بلال يأخذه كفار قريش إلى صحراء مكة ؛ ليعذبه أشد تعذيب وينكلوا به أشد تنكيل في شدة الحر وقد جردوه من ثيابه وطرحوه أرضاً ووضعوا على صدره صخرة كبيرة ؛ ليترك الإسلام ويعود إلى عبادة الأصنام فيأبى وهو ثابت على قوله: أحد أحد ؛ لا يتزحزح ولا يلين إنه رجل مبادئ ؛ إنه من صنع محمد صلى الله عليه وسلم. وهذا سعد بن أبي وقاص من أحسن الناس براً بأمه وقد نزلت فيه هذه الآية: { وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا } قال: كنت براً بأمي فلما أسلمت قالت: يا سعد! ما هذا الدين قد أحدثت؟! لتدعنيك هذا أو لا أكل ولا أشرب ؛ حتى أموت فتعير بي فيقال: يا قاتل أمه ، قلت: لا تفعلني يا أمه إنني لا أدع ديني هذا لشيء ، فمكثت يوماً لا تأكل ولا تشرب وليلة ، وأصبحت وقد جهدت فلما رأيت ذلك ، قلت: يا أمه! تعلمين والله لو كان لك مئة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني ، إن شئت فكلني أو لا تأكلي. فلما رأت ذلك أكلت. فلم يمنع بره بأمه أن يكون صاحب قيم ومبادئ راسخة في الحياة تمنعه من أن يقدم على ما يخالف تلك المبادئ. وقد تتزحزح القيم والمبادئ أمام المال وسطوته ولا يثبت لها إلا الرجال! فهذا «صهيب حين أراد الهجرة ، قال له أهل مكة: أتيتنا صلوكاً حقيقاً فتغير حالك! قال: أرايتم إن تركت مالي ، أمحلون أتم سبيلي! قالوا: نعم فخلع لهم ماله ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ربح صهيب ربح صهيب» إي والله ربح الدنيا والآخرة بثباته على قيمه ومبادئه التي تعالت وشمخت على الدنيا! وهذا أبو ذر لما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا رسول الله اعرض علي الإسلام ، فعرضه فأسلمت مكاني فقال لي: «يا أبا ذر أكرم هذا الأمر وارجع إلى بلدك فإذا بلغك ظهورنا فأقبل» فقلت: والذي بعثك بالحق لأصرخن بها

بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقَرِيشٌ فِيهِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيِّ فَقَامُوا فَضْرِبْتُ لَأُمُوتَ ؛ فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: وَيَلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ وَمَنْجَرِكُمْ وَمَمْرُكُمُ عَلَى غِفَارٍ ، فَأَقْلَعُوا عَلَيَّ فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْعَدَا رَجَعْتُ ، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ. فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِيِّ فَصُنْعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالْأَمْسِ. وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ وَقَالَ: مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ. فَضْرِبَ الدَّهْرَ مِنْ ضَرْبِهِ وَأَبُو ذَرٍّ كَمَا هُوَ ثَابِتٌ رَاسِخٌ عَلَى مِبَادِنِهِ سِوَا فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ أَمْ فِي آخِرِهِ ، فَهَا هُوَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَلْحَقُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ ؛ وَقَدْ تَلُومُ فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَخَرَجَ يَتَّبِعُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَظَرَ نَازِرًا فَقَالَ: إِنْ هَذَا لَرَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ! فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ» فَلَمَّا تَأَمَّلَ الْقَوْمُ قَالُوا: هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ. كَانَ أَبُو ذَرٍّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْكُثَ بِالْمَدِينَةِ مَعَ مَنْ تَخَلَّفَ بِهَا وَمَعَهُ عِذْرُهُ وَلَكِنَّهُ صَاحِبُ الْمِبَادِيِ الَّتِي لَا تَنْزَحِزُحُ وَصَاحِبُ الْقِيَمِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي لَا تَتَّغَيَّرُ بِتَغْيِيرِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. وَهَذَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَلِيلُ بَيْتِ النَّبِوةِ بَايَعَهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ وَتَجَهَّزُوا لِقِصْدِ الشَّامِ فِي كِتَابِ أَمْثَالِ الْجِبَالِ وَكَانَ الْحَسَنُ سَيِّدًا كَبِيرَ الْقَدْرِ يَرَى حَقْنَ الدَّمَاءِ وَيَكْرَهُ الْفِتْنَ. «قَالَ ابْنُ شَوذِبَ: فَسَارَ الْحَسَنُ يَطْلُبُ الشَّامَ ، وَأَقْبَلَ مَعَاوِيَةَ فِي أَهْلِ الشَّامِ ؛ فَالْتَقُوا ، فَكْرَهُ الْحَسَنُ الْقِتَالَ وَبَايَعَ عَلِيَّ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ الْعَهْدَ بِالْخِلاَفَةِ مِنْ بَعْدِهِ ، فَكَانَ أَصْحَابُ الْحَسَنِ يَقُولُونَ لَهُ: يَا عَارَ الْمُؤْمِنِينَ فِيَقُولُ: الْعَارُ خَيْرٌ مِنَ النَّارِ! "فَأَيُّ قِيَمٍ وَأَيُّ مِبَادِيِ هَذِهِ الَّتِي تَعْلَمُونَ عَلَى الْخِلاَفَةِ وَزَهْوِهَا وَتَشْمَخُ عَلَى الدُّنْيَا وَطَلَّابَهَا؟! هُوَ لَاءَ هُمُ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} ". هَذَا ؛ وَلَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْعِلْمِ التَّقَاتِ بِمَنَاءٍ عَنِ هَذَا الْخَلْقِ بَلْ هُمْ أَهْلُهُ ، فَهَذَا الْإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ النَّيْسَابُورِي صَاحِبُ الصَّحِيحِ يَقُولُ بِكَلَامٍ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ هُوَ الصَّوَابُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - وَيَأْبَىٰ مُخَالَفَةَ طَاعَةَ لِسُلْطَانِ الزَّمَانِ فَيُثَبِّتُ عَلَى قَوْلِهِ وَقِيَمِهِ وَمِبَادِنِهِ ؛ قَالَ أَبُو حَامِدِ بْنِ الشَّرْقِيِّ: "حَضَرْتُ مَجْلِسَ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذَّهْلِيِّ فَقَالَ: أَلَا مِنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَلَا يَحْضُرُ مَجْلِسَنَا فَقَامَ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ مِنَ الْمَجْلِسِ وَأَرْسَلَ مَا كَتَبَهُ عَنِ الذَّهْلِيِّ عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ " ؛ احْتِرَامًا لِشَيْخِهِ الْبَخَارِيِّ الَّذِي كَانَ يَقُولُ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ ، وَهِيَ الْقَضِيَّةُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي ثَارَتْ بَعْدَ فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ. بِهَذِهِ الْقِيَمِ وَالْمِبَادِيِ الثَّابِتَةِ الرَّاسِخَةِ فَتَحُوا الدُّنْيَا ، وَكَانُوا بِحَقِّ رِجَالِ الْكَلِمَةِ الصَّادِقَةِ وَالْمَوَاقِفِ الْمُؤَثِّرِ فِي جَبِينِ الزَّمَانِ. وَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ أَنْ تَرَى أَحْفَادَ هُوَلَاءِ بَاعَةَ الدِّينِ وَالْقِيَمِ وَالْمِبَادِيِ مِنْ أَجْلِ الْمَالِ وَالْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ ، بِغَدْرٍ وَخِسَّةٍ وَخِيَانَةٍ وَإِلَّا لَمَا ضَاعَتْ فِلَسْطِينُ وَبَغْدَادُ وَأَفْغَانِسْتَانُ ، وَمَا ظَهَرَتْ الْفِتَاوَى ذَاتِ الْبِلَاوِيِّ ، وَمَا بَاعَ النَّاسُ دِينَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ! مِنْ أَمْثَالِ عِتَابِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُحَدَّثِ الَّذِي اشْتَهَرَ عَنْهُ أَنَّهُ نَافِقُ الْخَلِيفَةِ الْمَهْدِيِّ ، وَكَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَدْ كَانَ الْمَهْدِيُّ يَحِبُّ اللَّعِبَ بِالْحَمَامِ وَالسَّبَاقَ بَيْنَهَا فَدَخَلَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُحَدَّثِينَ فِيهِمْ عِتَابُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ فَحَدَّثَهُ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَصْلِ أَوْ خُفِّ أَوْ حَافِرٍ» وَزَادَ الْحَدِيثُ أَوْ جَنَاحٍ. فَأَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِعَشْرَةِ آلَافٍ وَلَمَّا خَرَجَ قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ عِتَابًا كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْحَمَامِ فَذَبَحَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ عِتَابًا بَعْدَهَا. هُوَ لَاءَ هُمْ بَاعَةُ الدِّينِ وَالْخَلْقِ وَالْمِبَادِيِ. وَصَدَقَ اللَّهُ: {وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لِنِئَانِنَا مِنَ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}. وَقَدْ احْتَفَظَتْ حَضَارَتُنَا بِتَرَاثِ ضَخْمٍ مِنْهُ مَا أَوْغَلَ فِي النِّفَاقِ بِلِ الْكُفْرِ ، وَالْفِرْقِ بَيْنَ زَمَانِنَا وَزَمَانِهِمْ أَنْ الْمَجْرَى الرَّئِيسِي لِنَهْرِ الْإِسْلَامِ كَانَ يَوْمَهَا سَلِيمًا ، وَلَمْ يَكُنْ يَضْرَهُ أَنْ يَبُولَ كَلْبٌ أَوْ خَنْزِيرٌ فِيهِ ،

لكن عندما يكون الماء راكداً ، وليس لدينا سواه ، ونحن تائهون في البيداء فكيف نسمح للكلاب أن تبول في ماننا الأخير؟!).هـ. ومن هنا تعين على كل مسلم مؤمن موحد شهم أن ينبري للدفاع عن عقيدته!

أشهر سيفك ، واحم القيمما
وانهض ، فالأعداء اتحدوا
وغدونا للباطل كلاً
وظفتنا نلبس خيبتنا
ونلوك الأمجاد ، ونغفو
وتنكر ركل للثقةوى
والأخلاق لها ساداتها
والعلياء عروس حازت
وعلى الراغب قريباً بذل
هذالمه رضى نيل جداً
لايهوى العلياً مرتزق
وإذا قيل تقدم يحبو
وإذا قيل اصبر ، لا تجزع
إن القليم لها صفوتها
وتهون عليهم أنفسهم

وانصر دينك ، وارح الحرما
وتداعوا - يا غافل - أمما
ولله الدار غدت مغتتما
وعلى الماضي نبكي ندما
والأجيال تودس الشيمما
والأوغاد أبادوا الهيمما
من يسعون إليها قدما
حسناً - بين الغيد - سما
غال يرجح مالاً ودمما
إن كان الخطاب القمما
عند القول يجيد البكما
إذ يحيى نذلاً منهزما
بين الناس أجاد الصمما
من إن بذلوا كانوا كرمما
إن حمى الباطل ، واحتدما

أي وفاء بعد هذا؟

(مات أبوه مُخَلَّفًا حَفْنَةً من الأبناء والبنات هذا أكبرهم. وكان لزاماً عليه (إذ هو ذو مروعة) أن يضحى بنفسه من أجلهم. فجدّ واجتهد ، وكان لهم أباً بعد أبيهم ، فعلم ونشأ ، وربى وزوج وكفل وجاهد. وكان آخرهم زوجاً في سن الـ 40 ، مؤثراً إخوانه وأخواته على نفسه ، راضياً بأن يكون على هامش الحياة حيناً من الدهر! فكان وفاء يُعجز أهل الوفاء ، وكان إخلاصاً يُذهل أهل الإخلاص. فلم يقبل صاحبه يوماً أن يقولها صريحة: وما شأني بهم؟ حيث إن ذلك طبع الأتانيين الأوباش الأخرسة الوضعاء الحثالة ، وسمت من يعيشون لأنفسهم. إن الذين يعيشون لغيرهم يبقى صيتهم الجميل وذكرهم الحسن تاجاً على رأس الواحد منهم ، حتى بعد أن يفارق الحياة. بينما الذين يعيشون لأنفسهم لا يكاد يذكرهم أحد ولا يحتفل بهم أحد ولا يباليهم أحدٌ باله!)

بصرتُ بأخلاقِ التقيِّ المبجّلِ
وأدركتُ أن الجود يسمو بأهله
تفرستُ في أخلاقِ قومي جميعهم
فألفيتُ أهل الفضل أنقى سريرة
ولكنه طبعُ الكرام يزينهم
وماذا - على الأبناء - إن مات والدٌ
وحطتُ - على رأس الكبير - مصيبة
وجابه ما يلقي شجاعاً مجاهداً
وأنشب - في نحر المآسي - حُسامه
وكان - على الإخوان - يحنو ملبياً
تغمدهم - بالعطف والرفق - حسبة
وأعطى ووفى ، مستعيناً بربه
وأدى - بكل الصدق - أعتى أمانةٍ
فأي وفاءٍ بعد هذا ونجدة؟
وأعملتُ فكري فاحتواني تأملي
وأن الوفا ترنيمه المتفضل
فما عشت يوماً - عن دياري - بمعزل
وأطيب أخلاقاً بدون تجمل
فأنعم بصيد - في البليات - كمل!
وخآفهم في شر حال ومنزل؟
فلم يبتس يوماً ، ولم ينزلزل
ولم يشتك البلوى ، ولم يتململ
كأن لم يكن - بين البرايا - بمثكل
وصايا أب من دون أدنى تعلل
ولم يلتمس عوناً ، ولم يتنصل
وكان - له - القرآن أعذب منهل
ولمّا يكن - فيما يؤدي - بأرذل
وأي شقيق مثل هذا مبدل؟

بين الدماء والنيران

(في شريط (عائلة وحريق) أتت قصة امرأة أنقذت بفضل الله زوجها وأبنائها ، وكانت صادقة في عطائها! ذلك أنها لما استعرت النار دخلت في وسطها لتنتشل ما يعينها الله عليه من الضحايا! وغمرت بنفسها وجازفت وأعانها الله ونجّاه من المخاطر والمهالك! واستطاعت بفضل الله وحده أن تنقذ زوجها وأبنائها الذين خافوا الخروج من النار! وكانت إصاباتهم بعد الإنقاذ خفيفة إلى حد بعيد! فسبحان من إذا كتب نجاته عبد من مهلكة هيأ أسباب النجاة! وإذا أراد إهلاك عبد هيأ أسباب الهلاك! وكلّ لحكمة لا يعلمها إلا الذي كتبها وقدرها سبحانه وتعالى!)

بين الدماء سـعيتِ والنيران
لم تعبني بالنار تلفح ، واللظى
ثم انتشلت نبيك دون تخوفٍ
والتضحيات تكالفت بنجاحها
والأم في الإنقاذ فاقت أهلها
وتمثلت أراج الأمومة يانعاً
واستبسلت - في بذلها - بشجاعةٍ
وأعانتها الرب القدير ، فأخرجت
وتناقلت أخبارها صحف الدنيا
والكل قدرها ، وأكبّر سعيها
والبعض عنها خط أعذب قصةٍ
والبعض خصّ مضائها بقصيدةٍ
والبعض - بالأمجاد - صاغ جميلها
يارب فأجرها على معروفها
يارب واجعلها مثلاً يُحتذى

كي تنقذني من أحرقتوا بتفان
ولله أوامٍ يغتذي بدخان
وتوشح التحنُّان بالبرهان
والنار - ويح النار - كالبركان
وتسلحت بالصبر والإيمان
ثم اشترته بياهظ الأثمان
وكانها ليست من النسوان
أولادها من كبة النيران
في الهند ، في الأعراب ، في السودان
إذ تسحق مناقب العرفان
تسبي النهى وقرائح الأذهان
إيقاعها مستبشر الأوزان
دوراً من التبجيل والتبيان
واجعله - يوم العرض - في الميزان
بين الورى في عالم الإنسان

زنير العاصفة الهوجاء

(ما إن ضرب إحدي القرى ذلك الإعصارُ الخفيف ، حتى رأيتُ الناس يتخبطون ويقولون: عوامل طبيعية وليست عقوبة! والأصل أن الله يبتلي بهذه الكوارث أناساً إما أن يكونوا طانعين فيكون ذلك لرفع درجاتهم في الجنان. وإما أن يكونوا عاصين فرجاء أن يتوبوا إلى الله ويتركوا معاصيهم ويرجعوا إلى الله ويندموا على ما فرطوا في جنب الله. وقد أدركتُ أن الله ابتلى هؤلاء الأقسام فجعل لهم بالعقوبة في الدنيا ، حيث إنهم يعصون الله تعالى ، ليس ذلك فقط! بل يُجاهرونه - عز وجل - بالمعاصي والموبقات. ليس ذلك فقط! بل راحوا يُنكلون بالطانعين ويؤذونهم ويشهرون بهم! وإذن فقولهم بأن الإعصار الذي ابتلاههم الله به وإن هم قالوا توهيناً من شأنه أنه ظاهرة طبيعية ، لا يُغيّر من كونه عاجل عقوبة من الله تعالى: (كذلك بلوناهم بما كانوا يفسقون) ، (لعلهم يضرعون). والله في خلقه شؤون. وفي ملتقى علم الحديث كان هناك سؤال وجواب فلنطالعهما (ما الفرق بين السنة الكونية وهل تساوي السنة الإلهية؟ أم أن السنة الربانية تساوي السنة الإلهية؟ علمنا أن السنة الشرعية تفيد الأمر والنهي أي الامتثال والإعراض. ومثال ذلك قوله تعالى: ألا يذكر الله (سنة شرعية) تظمن القلوب (سنة كونية أو إلهية). وقوله تعالى: ومن أعرض عن ذكري (سنة شرعية) فإن له معيشة ضنكاً (سنة كونية أو إلهية). يبقى هل السنة الربانية قوله تعالى: الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ، (أي الخلق والكون والليل والنهار يدخل ضمن السنن الربانية). وأما السنن الربانية فهي القوانين أو القواعد الربانية في العباد. فله في الخلق سنن وفي الدولة سنن وفي المسلمين سنن وفي الكافرين سنن. والسنن تعمل مجتمعه. وإذا أردنا أن نفسر شي مما يحدث حولنا لا بد أن نقرأ الواقع كما هو لا كما نحب أن يكون ، ثم نتعرف على سنه (حكمة) الله في الأمر. فمن تلك السنن: الابتلاء ، وكون خذلان المرء من قبل ما تعلق به من دون الله وغيرها).هـ. وصدق من قال: (إن هذا المرض أصاب الأمة بالهزيمة في كل جوانب الحياة وقلّ من ينتبه عن معناه وحقيقته فضلاً عن ضرره وخطورته وربما يجهل الكثير هذا المرض ونستهل حديثنا بكلمات ربما توضح معنى هذا المرض: (إن الله عزوجل سنن ربانية في الكون لا تتبدل ولا تتغير ولا تُجمال ولا تُحابي تلك السنن أحداً من الخلق بحال مهما ادعى لنفسه من مقومات المجاملة أو المحاباة). وتلك رسالة لمن يقولون نحن أحباب النبي ودعها تسير بالبركة وكلمات من هذا القبيل والتي لا يصاحبها عمل. إن سنن الله في كونه ودنيا الناس لا تتبدل ولا تتغير! وسنن الله في معاملة الخلق لا تتبدل ولا تتغير ؛ وقد هُزم المسلمون في أخذ لَمَّا خالف بعض الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وحين اعترض البعض وقالوا: كيف نُهزم ونحن على التوحيد وأعدائنا هم المشركون وقائدنا رسول الله نزلت آيات الله لتؤكد أن سنن الله الربانية في الكون لا تُجمال أحداً (أولمَّا أصابكم مُصيبةٌ قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير). فالله يقول للمسلمين: أنتم السبب في الهزيمة لأنكم خالفتم أمر قائدكم ، وأنتم السبب في تحويل النصر إلى هزيمة ، وفي تحويل التمكين إلى ضعف ، وفي تحويل العزة والكرامة إلى ذل ومهانة! وفي تحويل العلم والعُلا إلى جهل وتخلف وتأخر وهوان ، يقول تعالى: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ويقول: (سنة الله في الذين خلوا) ويقول (فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً).هـ. يقول ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" يخبر - تعالى - عن تمام عدله وقسطه في حكمه لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه.هـ. ويقول ابن القيم عند هذه الآية: "فأخبر الله - تعالى - أنه لا يغير النعمة التي

أنعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه فيغير طاعة الله بمعصيته ، وشكره بكفره وأسباب رضاه بأسباب سخطه ، فإذا غيّر غير عليه جزاءً وفاقاً ، وما ربك بظلام للعبيد ، فإن غير المعصية بالطاعة غير الله العقوبة بالعافية ، والذل بالعز وقال - تعالى - : "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ" .هـ. أكتب في ذلك لهؤلاء فأقول:

لا يَجْرَمَنَّكُمُ الشَّنَانُ وَالنَّزْقُ	إن المصائب - من الأحوال - ينبثق
هذي الأعاصير آيات لمبصرها	ومن نتائجها التدمير والغرق
تجتأخ قوماً على العصيان قد عكفوا	وعن أوامر رب الناس قد فسقوا
واستعذبوا الرجس في سر وفي علن	وضاق ذرعاً بما يأتونه الأفق
وعربدوا - ويحهم - في كل ناحية	من أجل ذلك في هذي الحياة شقوا
حتى أتتهم - من الجبار - نقيمته	قالوا: الطبيعة ، ليت القوم ما نطقوا
قالوا بجهل - على القهار - دون حيا	وعن طوائف أهل الشرك ما افترقوا
لم يربطوا بين ما يأتون من ضلل	وبين ماء على العمران يندفق
يا قوم هذا - بما أيديكم - كسبت	وكم بما كسب الشقي يحترق!
لا تصرفوا الأمر عن فحوى حقيقته	فليس ذو رشد - في قولكم - يثق
إذ إنها سنن ، ربي مصرفها	فيم التطاول ، والتضليل ، والخرق؟
هذي الطبيعة رب الناس خالقها	ولا خروج لها عن أمره ، فثقوا
إن شاء أحرق - بالبركان - من كفروا	أو شاء أغرق - بالإعصار - من مرقوا
أو شاء دمر - بالزلازل - من ظلموا	ومن بدين الهدى بين الورى ارتزقوا
وبعض سننته زئير عاصفة	عقبى الذين - بشرع الله - قد شرقوا

تلك شريعة الغاب

(عندما يعيش المرء في مجتمع لا يستعفف أغنياؤه ، بل يأكلون حقوق الفقراء. فإنها إذن أخلاق الغابة! نعم أخلاق المبدأ القائل: (البقاء للأقوى!) والأصل أن يستعفف الأغنياء ، فلا يعرضون أنفسهم لسخط الله وغضبه بأكل حقوق الفقراء والمساكين والمحتاجين والمعوزين. وإن مجتمعاً يؤدي أغنياؤه زكوات أموالهم بتداولها بينهم لمجتمع بنيس رهين انتقام الله وأخذه! إذ الزكاة حق الفقراء والساكنين والمحرومين! (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) (إنما الصدقات للفقراء والمساكين..). فكيف بأغنياء يأكلون حقوق الفقراء بتداول الزكاة بينهم؟)

خففوا الظلم ، وارحموا الفقراء
كم أكلتم حقوقهم دون حق!
ما تورعتم عن شريعة غاب
أغنياء ، والبخل يُضفي عليهم
والقلوب - بالشح - أمسّت صخوراً
كيف يحيا الفقير بين الضواري؟
يخفضُ الرأس بين من قد تعاموا
فيواري هذا الفقيرُ أساه
يشتكى - للرحمن - مما يُعاني
يسأل المولى رحمة لا تُبارى
ويُسلي نفساً تُقاسي الرزايا
ويؤمنني قلباً تحرق وجداً
ويلاحي - عن حاله - في إباءٍ
ويُسري - عن روحه - مادهاها
هكذا الدنيا ، يا فقيرُ تفتن

خاب قومٌ لم يرحموا البؤساء!
ثم باتوا - من ظلمكم - أشقياء
القوي يسعدُ الضعفاء
كل شح يُزجي الأذى والعداء
تحقرُ الجود ، والوفاء ، والعطاء
يسأل القوت ، ويسعد السقاء
ثم جرّوا ثيابهم خيلاء
ثم يُغضي ممن قلوّه حياء
ثم يُزجي - عبر الدعاء - البكاء
تملأ العيش فرحة واهتداء
ثم تلقى - من الأنام - ازدياء
عندما عنه الثبات تناعى
ولهذا يسعدُ تقريء اساتقراء
ويسوق - في قوله - الأصداء
لا تعاتب - في شأنها - الأغنياء

لماذا لا يأكلون (بيتي فور)؟!

(لما كانت ثورة الفرنسيين ضد ملكهم. وكانوا يهتفون (نريد الخبز). فإذا بابنته المُدَللة تقول: لماذا لا يأكلون بيتي فور مثلما نأكله نحن؟ قالت ذلك تُخاطب أمها! وإذن فكانت هذه ثورة الجياع ، تلك التي لا تبقى ولا تذر. وأذكر أن سبعة آلاف امرأة فرنسية كن قد ذهبن إلى ملك فرنسا لويس السادس عشر في قصر فرساي الذي يبعد عن باريس بخمسة عشر كيلو متر حيث كان يقيم هناك مستريحاً من صخب العاصمة ومعزلاً لضجيج الدولة والشعب! وأرغمت النسوة الملك على المضي قدماً إلى باريس ، ونزل الملك على رغبتهن! ومن حينها لم تقم له قائمة!)

شعاراتٌ تُردِّدها ، ولا تدري
وأن الضنك قد أدمى معيشتهم
وأن الضيق قد أودى بمن حُكموا
وأن الكرب أعظم من حملهم
وأن الجوع قد جأى سرانهم
وبنتٌ مليكهم - في القصر - سيدة
مطاعها من (البتّي فور) والسلوى
وملبسها حريراً ، طاب ملمسُه
وقد سطعت أساورها وساعتها
ومنطقها - بلا خوفٍ - يهدِّدها
فكيف تُحسّ بالفقراء من قهروا
وكيف بها تعبّر عن مطالبهم
وكيف بها تقاوم بأس والدها
وكيف بها تغيّر من تسلطه
بنيّة إن ما تحيين من ترفٍ
بأن القوم في الأغلال ، والأسر
فبات العيش - في (باريس) - لا يغري
مدى الأيام بالأصفاد والجمر
لأن الظلم - في الأصقاع - يستشري
فباحث أسن الأقوم بالسر
وما أدراك ما تلقاه من خير
ومشربها من النهر الذي يجري
ومنه يفوح منتشراً شذي العطر
وما لبست من الزينات والدر
فتنطقُ - بالذي تهوى - بلا ذعر
وذاقوا لوعة الحرمان والفقر؟
من احتجبت عن الأنظار في القصر؟
وتقنعه - بما في الشعب - من ضر؟
فقد أمسى به - في شعبه - يُزري؟
دماء الشعب قد جيزت لمستمرى!

قلب يعذب في الجحيم

(إنه قلب المؤمن الذي يعاين حرمات الله تنتهك ، وهو عاجز عن التغيير ، فيظل يدعو ويبتهل ويعذب ويعاني ريثما يأتي الله بأمره ، وتتكشف الغمة ، ويزول الكرب. وما أظن قلب مؤمن هذا حاله في زمن مضى مثل هذا الزمن الذي نعيش. فالיום يكاد قلب المؤمن يذوب كما يذوب الملح في الماء. وما ذاك إلا لعظم ما يعاين من محن وإحن وطوام عظام ، ولا يستطيع أن يفعل سوى الدعاء المُلح لله تعالى! فهو إذن قلب يعذبه التوق إلى التغيير للأفضل وللأحسن!)

أيها الباكي ، تذرغ بالثباتِ
وتمسكك بالمعالي والسجايا
وادعهم ، إن أنت أنست أذكأراً
واصطبِرْ دوماً عليهم ، فالضحايا
والأعادي بالغوا في الكيد حتى
أفسدوهم ، فالخنا في كل صُقع
دمروا أخلاقهم ، حتى تردوا
واسـتجابوا - للأباطيل - اختياراً
ثم أنت اليوم تبكيهم ، وترثي
ارحم النفس ، وجاهلهم ، وهون
بين الحق ، وأعلمهم لتنجو
ولهذا الحق جبارٌ عزيزٌ
فإلى الله ابتهل في جوف ليل:
وامح ما شادوه من غل وحقدٍ
فإناك اللهم نشكو ما نعاني

وامنح القلب رطيب الأمنياتِ
وانتشل نفسك من بين الغفاة
ثم جاهدهم بترديد العظايات
قد يردون الذي عند الدعاة
أوغلوا بالناس في درب الغواية
في بيوت القوم ، حتى في الفلاة
واقعدوا في العيش - طوعاً - بالزناة
ثم ضاعوا في سراديب الطغاة
وجحيم الوجد يُودي بالحياة
وامتثل - يا صاحبي - نصح الهداة
فبيان الحق معراج النجاة
أخذ للظلم والظلام عات
رب أنج الناس من مكر العتاة
وانتصر للحق من كيد العداة
فامنح القلب شأبيب الثبات

لا عتاب يضيع معه الحق!

(إن العتاب الحقيقي هو الذي يُبنى على الصفاء والود والتصفية معاً. أما العتاب الذي يضيع معه الحق فليس عتاباً. وكل قوم عاتب بعضهم بعضاً بدون مناقشة الحثيات وما احتوته القلوب من الغل والكيد الذي لا يزال يعتل فيها ليفسد ذات البين بين المحبين ، إن عتاباً هذا وصفه لا يؤدي بأصحابه إلا إلى مزيد من الشقاق والجفاء. وأعلم جيداً ما يكلفه منهج التصفية وفتح صفحات الخلاف وتقليب محتوياتها وتفنيدها سطورها ، أعلم ما يكلفه ذلك كله من متاعب وإحزن ومصاعب وقلاقل. ولكنني أكاد أجزم بأن العتاب بذات الأسلوبية يُجدي! إن منهج: (من اليوم تعارفنا / وننسى ما جرى منا / ولا قلتم ولا قلنا / ولا كنتم ولا كنا) يمكن أن يثمر في حالة واحدة هي التي أعني من التصفية وإزالة الشبهات. ذلك أن الجراح الماهر الحاذق هو الذي يخمش الجرح ويكشط كل الصديد والقيح كشطاً يعقب دماً أحمر قانياً! ثم يعتمد بعد ذلك إلى تضميد الجرح وسرعان ما يشفى عاجلاً بإذن الله. أما الجراح العجول الذي ليس له من مهنة الطب والجراحة على وجه الخصوص إلا التسمي ، فإنه يضمن الجرح بصديده وقيحه زاعماً أنه إن فعل غير ذلك أدى مريضه وآلمه! وسرعان ما يذهب الجرح بالعضو الذي هو فيه إن كان يداً أو رجلاً أو ما شابه ذلك! وما عاتبت أحداً ولا عاتبني أحدٌ ولا دُعيتُ لفض مشكلة بين طرفين إلا عمدتُ لذات المنهج ، وعندها يثمر العتاب. وأكرر بأن كل عتاب يضيع معه منارُ الحق لا أسميه عتاباً بل هو ضرب من الهزل لا يزيد! في كتابه (العتاب بين الأصدقاء) يقول الكاتب علي محمد أبو نصية: (لطالما أحاطت الندامة بصديقين ، خاضاً غمار الحياة يُجذبان على قارب الحب بمجاديف الوفاء والإخاء ، وفي لحظة غضب تثور عاصفة المشاحنة ، وتهدر أمواج اللوم ، ويعظم الخطب بالقارب الجميل ؛ ليخرج عن المسار الصحيح ، ويرتطم بصخرة الخصومة غارقاً في ظلمات القطيعة والجفاء. إن المجازفة في الإنسان سمة فطرية ، والاحتراس والتأني عارضان ، والله تعالى يقول: { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}. ولا يخلو الرجل وهو معرض للغفلة والضرورة والخطأ في الرأي أن يخلّ بشيء من واجبات الصداقة ، فإن كنت على ثقة من صفاء مودة صديقك أقمت له من نفسك عذراً ، وسرت في معاملته على أحسن ما تقتضيه الصداقة. فإن حام في قلبك شبهة أن يكون هذا الإخلال ناشئاً عن التهاون بحق الصداقة فهذا موضع العتاب ، والعتاب يستدعي جواباً ، فإن اشتمل الجواب على عذر أو اعتراف بالتقصير فاقبل العذر وقابل التقصير بصفاء خاطر وسماحة نفس). هـ. في مقالته المطولة: (فنون المعاتبة ومعالجة الأخطاء يقول كاتبٌ رمز لاسمه بـ أبو أحمد (مهذب) ما نصه: (العتاب والمعاتبة ، من أكد ما يبقي المودة ويُشعر بالرحمة والقرب والألفة. ولذلك نجد في القرآن الكريم كيف أن الله جل وتعالى كان يعاتب أنبيائه ورسله وعباده الصالحين. (عفا الله عنك لم أذنت لهم). (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك..). (عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى..). وحين نتأمل نصوص السيرة النبوية نجد أيضاً كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحرص الأمة على الأمة ، فكان يعاتب ويعتب. اقرأ إن شئت قصة الثلاثة الذين خلفوا. وقرأ في قوله صلى الله عليه وسلم: (نعم العبد عبد الله لو كان يقوم من الليل..). وهكذا. والذي يشد الانتباه ويلفت النظر ، سمو الأدب في آيات المعاتبة والعتاب. وتقرأ في طيات نصوص السنة شدة الحرص والرحمة بالأمة من خلال همسات العتاب ومواقفه. وبمثل هذا يبقى العتاب أسمى ما يكون حين يؤلف القلوب ، ويرتق الفتق في رحمة وإشفاق. ومن هنا وجب على المتحابين في الله أن يرقوا بمعاتباتهم ، وأن تسمو بهم روح الإيمان فتتعانق الأرواح طهراً وحباً وهي

تبلسم بعضها بعضاً لتداوي جراحها بيد الإشفاق والعطف والرحمة. تلکم هي الروح السامية بسمو الإيمان. تلکم هي الروح التي تأسرك بشفافيتها. الروح الطاهرة طهر المزن في سماعها. الروح التي تجذبك إليها بلطف. وتدفع عنك الأذى بحرص).هـ.

رَأَيْتُ الْعَتَابَ يَزِيدُ الْهُوَى
يُوجِّجُ - فِي النَّفْسِ - أَحْقَادَهَا
وَتَمْسِي الْحَقَائِقَ فِي ظِلِّهِ
وَيُصْبِحُ ذُو الْحَقِّ مُسْتَحْسِراً
وَيُرْدِي الثَّوَابِتَ سَيْفُ الْأَذَى
لَأَنَّ الْعَتَابَ أَضْعَافُ الصَّفَا
فَبَاعَدَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالتِّي
وَفَرَّقَ بَيْنَ الْقُلُوبِ التِّي
وَأَزْرَى الْعَتَابُ بِمَنْ عَاتَبُوا
وَأَضْحَى الْبَرِيءُ نَدِيمَ الْبَلَا
عَتَابٌ كَمَثَلِ الْحَمِيمِ غَلَى
وَذَاقَ - مِنْ اللَّوْمِ - مَا صَدَّه
وَصَارَ وَحِيداً يَلُوكُ الْأَسَى
فَلَا مَرْحَباً بِالْعَتَابِ الَّذِي
وَمَرْحَى بِهِ فِي ظِلَالِ الْهُدَى
وَفِي الْقَلْبِ يُشْعَلُ نَارَ الْجَوَى
وَبَعْدُ يُزِيلُ جَمِيعَ الْقَوَى
مَخَارِفَ لَيْسَ لَهَا مِنْ صَوَى
كَمَثَلِ الْمَرِيضِ قَلَاهُ الدَّوَى
وَيُوغِلُ - فِي الْكَيْدِ - مَنْ قَدْ غَوَى
وَسَعَّرَ - فِي الْقَلْبِ - جَمْرَ الْهُوَى
رَأَتْ سَعْدَهَا فِي سَعِيرِ النَّوَى
رَأَتْ خَيْرَهَا فِي الشَّقَا وَالْخَوَا
وَأَزْرَى بِمَنْ - لِلتَّلَاحِي - أَوَى
وَمِنْ نَارِ مُرِّ الْعَتَابِ اكَتَوَى
وَمِنْهُ الْبَرِيءُ النَّقِي اِرْتَوَى
عَنْ الْعَيْشِ وَالنَّاسِ حَتَّى انزَوَى
وَجَافَى الْجَمِيعَ ، وَبَعْدُ انطَوَى
لَهُ الدَّسُّ وَالزَيْفُ - عَمْداً - لَوَا
وَإِنْ لَكُلِّ امْرِيءٍ مَانَوَى

الانهزام بداية الهزيمة

(أحياناً تجتمع على الشاعر عوامل ، يريد أصحابها أن يكسروا قلمه ، ولكنه لا ينهزم بل يُصر على الاستمرار. ذلك أن انهزامه هو هزيمته النفسية التي تقوده سريعاً نحو الاندثار والضياع. وكم من مواهب عظيمة سقطت وتلاشت أمام أول الصدمات ، وذلك من بعد أن تعثرت في أول الطريق! والمواجهة الإيجابية أولى من الانسحاب من المشهد. وكل من ألف ونظر فأراه قد وضع ما احتواه عقله وقلبه من أفكار أمام قرائه ، فليتحمل تبعات الجدل والمناقشة بكل حيده وموضوعية. فلربما استطاع أن يُقنع من جادله إلى مراده بكل احترام ، دون ترك الميدان!)

ألا إن انهزامك ليس يُجدي
وظني أن تُجاهد في ثباتٍ
وأوقن أن مثلك لا يُبالي
وكم قاسيت ، لم ترضخ لكيدي
وكم عانيت ، لم يصرفك جور
وكم أحسنت - بالأوغاد - ظناً
وكم أسديت - للصرعى - جميلاً
وكم ناصحت ، حباً واحتساباً
وعابوا ما تدون من قريض
وأثر فيك ما عابوا ، ودانوا
فلا تُبدِ انهزامك ، كن عزيزاً
وأنشد ما تعاني - اليوم - شعراً
وخض بحر التجارب ، واغتمها
ولا تنك للهزيمة مسكيناً
تجأد ، تلق ما يُضنيك سهلاً

فواجهة ما تلاقي بالتحدي
وإيمان وإخلاص ورشد
بقوم يشتهون - له - الترددي
ولم تخضع لعمرو ، أو لزيد!
لأن العيش جزر بعد مد!
وأعطيت الأمان بدون قصد!
فلاقوا ما بذلت بكل جحد!
فكان اللعن منهم خير رد!
ودانوا ما ذكرت بكل حقد
فكيف يُضير خيراً كيد عبد؟
وعش - ما عشت - تُحرز كل مجد
لكل مكارم الأخلاق يهدي
ومحص ما تراه بكل نقد
تسلم - للمكاند - دون صمد
وتكسر - بالتجأد - كل قيد

لم يبلغ شاعرُكم شأواً!

(أخذ بعض السفهاء يمتدحون شاعراً لهم يحبونه حباً جماً ، ويثنون عليه كأنه واحد من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم. والأصل أن لا يسرف الإنسان في المدح. فقلتُ لهم: أسمعوني من شعره. ذلك أن شعر الشاعر دليلٌ على تصويره وأخلاقه ودينه ومبادئه! وأذكر أنني ناشدتهم أن يستشهدوا بأجمل وأحلى ما أنشد ذلك الشاعر حتى يُمكن الحكم عليه! فأنشدوا منكراً من القول وزوراً. فقلتُ: ليس بشيء ، وصرحتُ بأنه لم يذهب ذلك المذهب الذي نعتوه به من القيم والمثل. وفوق ذلك هو مستشعر إباحي خليع. فلقد أوغل في الشعر الفاحش المنحل! ووجدتني أقول لهم منشداً على البحر المضارع أقول:-)

يـانـاسُ ، فـيـم التـلاحي	عـن السـفـهـاء فيه الإباحي؟
مـازال يهـذي ، ويـلغـو	مـعـرّضـاً بـالمـلاح
وواصـفاً كـل حـسـن	وداعـيـاً لـلـسـفـاح
ومـفـرطـاً فـي التـدنـي	بـالـمنطق الفـضـاح
أزال سـتر المعـالي	لـمـا رـمى بالوشـاح
ثـم ازدرى كـل حـق	مـثـل ازدراء (سـجـاح)
فـي جـرأة وانحطـاط	كـالغـادر السـفـاح
لـم يـبـلـغ النـذل شـأواً	يـغـري سـفـهـاء يـلاحـي
فـلا تـكـيـلوا التـحايـا	تـزـينـت بـامـتـداح
لـا يـسـتـحق ، فـرفـقـاً	ولـا تـزـيـدوا جـراحـي
والشـعـر مـنـه بـريء	يـا جـوقـة الأـمـداح
مـا الشـعـر إن لـم يـعـالج	عـوار نـا بـالكـفـاح؟
مـا الشـعـر إن لـم يـشـخـص	أـمـراضـنا بـانتـصـاح؟
مـا الشـعـر إن لـم يـطـبـب	داعـتـنا بـارتـيـاح؟
مـا الشـعـر إن لـم يـقـوم	بـالـمنهج الـوضـاح؟

أَيَّاسٌ بَعْدَ أَمَلٍ!؟

(أكتب عن داعيةٍ مخلص طموح. لكنه لما رأى تغلب الجاهلية ينس. فعتبت عليه وأخذت على يده أن يتفاعل ويستمر في المواجهة. وذكّرت ما عاناه أنبياء الله ورسله من قبل - عليهم جميعاً أركى صلوات الله وأكمل تسليماته -. وبينت له أن أصحاب الدعوة هم في الحقيقة أصحاب رسالة. وأصحاب الرسالة يبلغون عن الله ورسوله ، لا يتصور منهم أن يكلوا أو أن يملوا من الدعوة وبيان الحق! فلا يجب أن يتسلل اليأس إلى قلوبهم طرفة عين ولا أقل من ذلك. أكتب في هذا على البحر السريع!)

يا صاح ، لا تلعب بك الرّيبُ
فأفطن لما تنوي ، وما يجبُ
واعمل بما علمت محتسباً
ما خاب - عند الله - محتسب
وادعُ الـورى مستبصراً فهماً
واصبز إذا عابوك ، أو غضبوا
وادرس عن الأقوام تنصخهم
إذ ليس شيءٌ ماله سبب
أنت الذي اخترت الهدى ، فأدم
وامهد لآمال بك ابتشرت
نصح الألى - عن دينهم - رغبوا
واثبت ، فلا ألقاك تضطرب
لم تخش من الباطل اعتصموا!
ما فيه تثبيط ولا ريب
تسمو بها الأعمال والدأب
إن الطمـوخ الفـيـطـل
أجنادهم ، والكيـد ملتهـب
لما مضى الأفـذاذ ، وانسحبوا!
والموبقات الهـوـج تـرتـكـب
وهيبة الإسـلام تُغتـصـب
أهلوه - عمداً - بالأذى اختضبوا

وعدّ ووعد

(وعدها إن لم تستقم وتتقي الله فيه فإنه سيتزوج من زوجة غيرها. فتوعدته بأن تغري به الظالمين. فعجبت من زوجة هذا شأنها. وانطلق الموفق ولم يبال بما هددت وتوعدت! وكان وعده له قدسيته ونصر الله صاحبه! في حين كان وعيدها باطلاً له حقارته وخذل الله صاحبتة! وبرغم أنه واصل عتابه مذكراً إياها بالله تعالى ومعدداً للخيرات التي أصابتها وكان سبباً فيها! وبرغم ذلك كله استمرت في غوايتها ، فأصاب الرجل من الفتنة ما أصابه وخرج منها أقوى وأصلب مما كان عليه ، وسرعان ما ححصص الحق!)

وعدي حـق لا يتزلزل
ووعيدك تهديد مُبطل
أنت أحلت العيش جحيماً
ومرراً طعمته الحنظل
أنت أدقت القلب سعيراً
وغدا الليل بخذلك أيل
لم أظلمك ، وإنك أدري
بل كنت رضىياً أفضل
أبذل ما أملكه طوعاً
لتعيشي في أسعد منزل
وخصصتك بالخير وفيراً
ورأى الخير جميع العذل
فلم إذا ضحيت بقلبي
وطعنت الأسرّة في مقتل
ولم إذا قد خمل كلامي
ومقالاتي أسوأ محمل
ولم إذا أشمتت عدواً
وأطعنت الطغمة والهمل؟
أنا قلت ، وأقوالى فصل!
وأرى قولي الآن الفيصل
إن لم تُقلع عن نقتها
وعن الباطل لم تتحول
والله كما قال أبو نـا
(إبراهيم) بكل تعقل
تغيير العتبة منهجنا
لنعيش بسلم ، وتجمّل
لن أخلف وعدي يا (سلمي)
ففسى ربي أن يبـدلي
ففسى ربي أن يبـدلي

قد عرفت الطريق

(مجموعة أشقاء أخلدوا إلى الأرض ، واتبعوا أهواءهم إلا واحداً أثر طريق الحق ، فراح يُصرّح لهم أنه عرف الطريق. والأصل أن لا يكون الأشقاء كذلك في دارهم ، فما بالنا إن كانوا في دار غريبة ومذلة؟! فتخيلت ذلك الشقيق الذي أمسى يغزّد خارج السرب وبعيداً عن الدار ، وينادي أمواتاً غير أحياء هم أشقاء له ، ويعاتب دهرأ لا يلين لعاتب عندما يزعم أن واحداً منهم يُصغي لعتابه ، ويرثي لحاله ويبكي لبكائه. تخيلته يهتف قائلاً: لقد عرفت الطريق الذي يجب أن أسلكه في غربتي ، وهو أن أعيش وحدي متفياً ظلل التوكل على الله وحده في تلك الغربة القاسية! ذلك أن الوحدة في هذه الحال خير من عشرة قوم متخاذلين أشحة على الخير!)

ألا قد كفاكم ثرّهات وجعجعة
فلسئت أرى - فيما تقولون - منفعة
(أشقاء) هذي - في البطاقات - دُونت
ولكن مثلي ليس - في القوم - إمعة
أناصح لو تدرّون معنى نصيحتي
لعشنا جميعاً في رخاء ، وفي دعة
ولم أدخر نصحاً يُصفي نفوسنا
فقال فريق: يملأ الدار قعقعة
وقال فريق: درّبّه لا تروقتنا
وإن ساق أشقانا البراهين مقنعة
وقال فريق: يؤثر الحق منهجاً
وهذا الذي أغرى به ، ثم ضيّعه
وقال فريق: لو سمعنا كلامه
لضبعنا ، ومن يقوى على النذل والضعة؟
وقال فريق: ليس يرضى بحالنا
لنا أدورّ شيدت ، وللشهم صومعة
ولا ، والذي لم يخلق الخلق غيره
أراكم أصبتم كل زور وجعجعة
ألا إنني أبصرتُ دربي وغايتي
ونفسي لهذا الحق - والله - طيعة
فلا تحسبونني فاقد الحس مثلكم
ألوكّ خواري إن بليت بمعمة
وليس شجاع القوم مثل جبانهم!
كما أن ليث الغاب ليس كضفدعة!
فخلوا سبيلي ، إنني اليوم في سعة
وما أنا منكم ، فاعلموها صراحة
وقلبي قلام من أهانوه أربعة

بين اليقظان والنائم

(كان يتمنى أن يتزوجها يوماً ما ، ويحلم بهذا. بل ويدعو الله ويبتهل إليه بأن يزوجه منها. فلما كان له ذلك ذاق على يديها البلاء بأنواعه المعروفة وغير المعروفة. وتجرع العذاب بكل صورته ، وشرب المحن والإحن والبلايا كؤوساً مترعة! فكأنه حلم يقظة مرير. أو كابوس قد داهمه عبر سنّي العمر. وأخذ المسكين يلوم نفسه على سوء الاختيار تارة ، ويلوك توقعاته المستقبلية تارة أخرى ، وأنشأ يعاتب نفسه أنه أحسن الظن بمن لا تستحق. وتلك عاقبة من يُغلب هواه في أمر ما فلا يغلب حكمة ، ولا يستشير خبراء ولا يستخير الله تعالى ، ولا يدرس عواقب الأمور! ولا يفاضل بين السلبيات والإيجابيات! والله تعالى في خلقه شؤون ، والله غالب على أمره! وإن هو إلا القضاء والقدر والنصيب المحتوم! أنشدت على البحر الكامل.)

هذا الهمام مصابُه يجري دما
أتراه يوماً قد أساء ، وأجرما؟
أتراه أخطأ في اختيار حليّة؟
فاختار - من بين الزواحف - أرقما!
أتراه حقاً خانَه تقديره
فاختار من قد جرّعه العلقما؟
أتراه - غلب - عامداً أهواه
وعلى نظى ما كان غلبه ارتمى؟
أتراه كان أسير لحظ عيونها؟
والعين تأسر - باللاحظ - متيماً!
أتراه كان أسير قدّ مائس؟
والقدّ - ويح القدّ - يسبي المغرماً!
أتراه فعلاً قد تمأكه الهوى؟
أم عينه - قدراً - أصيبث بالعمى؟
كم كان ينشد - بالزواج - سعادة
تهدي الصراط المستبين القيماً!
فإذا به نازّ تسعر وهجها
وغدا مصيرُ الزوج جمرأ مضرما
وإذا البلاء يُصّب دون هواده
والبيت يوشك أن يُدكّ ، ويُهدما
هل كان حُلماً أوجدته مطامح؟
فغدا عليه مُحرمأ أن يحلمأ!
هل كان يقظاناً ، ونام لتوّه؟
والنوم أحياناً يؤز النؤماً
أم قد تناوم واعياً مستيقظاً؟
فغدا الشقا لمن استنام المغنماً!
هذي مفارقة تعاضم لغزها
والحل - ويح الحل - أصبح مُبهما

مسافرة إلى عالم الوهم

(ما زال بها أهلها حتى طلقوها من زوجها المحب. ثم زوجهها من آخر في دولة أخرى لماله. فعزيتها عزاءً مريراً ، وطفقت أتساءل عن كل الذي تخبئه الأيام من المفاجآت. ورحت أعرض بأهلها الذين لم يرقبوا في زوج ابنتهم إلا ولا ذمة ، ولم يحسنوا معاملته ولا معاملة ابنتهم. وأبين كيف هدموا بيتاً هنا ليقيموا بيتاً هناك! وكأني بهذي العروس المسكينة مسافرة إلى عالم الوهم الذي لا تُدرك من مستقبله ما الله به عليم! وطبعاً ندمت هذه الضحية على ما صنعت وأهلها بزوجه البانس المسكين! وأرادت الإصلاح ولكن للأسف فات الأوان ، ولات ساعة مندم!)

ماذا يُخبئ - للحلياة - القدر؟ وما جزاء الألى - من زوجها - ثأروا؟
من خببوها على من كان أكرمها ودمروها ، فبنس الأهل والبشر!
كم أفسدوا - بالتجني - ذات بينهما!
واستعبدوا الزوج في سر وفي علن
وشردوه لكي يرتاح أشيبيهم
فجد في وعظهم والنصح محتسباً
واستعظموا منه توبيخاً يُقرعهم
وزوجهها من الغني أنقلها
حتى اشترى سلعة في السوق قد عرضت
وسافرت - لسراب الوهم - تحسبه
فخاب ظن التي باعت تبعلها
وفي مهاجرها غصت بشقوقتها
إذ أصبح الوهم مأواها وموعدها
لو تصدق الناس قالت: كنت مخطئة
ظلمت زوجاً ألا ما كان أطيبه!

وما جزاء الألى - من زوجها - ثأروا؟
ودمروها ، فبنس الأهل والبشر!
وفي زوابع ما قد أحدثوا استتروا
وأهدروا حقه - عمداً - بما مكروا
وشوهوا صيته ، وقدره احتقروا
فلم يكن لهم - في الوعظ - مُزدجر
واستهجنوا قوله جهراً ، وما اعتبروا
بالمال ضاعفه الحثالة العجر
عرض الرقيق - به - النحاس يتجر
عيشاً يبش لها شوقاً ، ويبتشر
بخساً ، فتلك - إلى التقدير - تفتقر
وباء - بالخبيبة الذريعة - السفر
وكيف هذي - على الأوهام - تنتصر؟
وقد أزال هنائي الكبر والبطر
وحاسب الله من - به وبني - غدروا

بدوية تأبى السقوط

(توفي عنها زوجها وهي صبية. ولها منه أولاد وبنات فتأيمت من أجلهم. وراودها جاراها عن نفسها ذات يوم بصور شتى. فقالت: ما خنتُ زوجي وهو حي ، فهل أخونه في عرضه وهو ميت؟ إنها الأيومة حتى الموت. ولا لن أسقط ولو قتلت. وسوف أعز بديني وخوفي من الله حتى ألقاه. والأصل أن يحافظ الجار على جارته ، ويدخر لها ما يدخر لابنته. أما أن يراود الجار جارته مستغلاً حاجتها وموت زوجها ، فتلك نذالة وخسة ودناوة لا أجد من الكلمات والأساليب ما به أعتبر عن حاله وصفاته. فتخيلتها تصف هذا الموقف ، وتستعز بعفافها وشرفها وعفتها ، وتثبت لنفسها ولمن يراودها ، أنها الأقوى ، وأنها الأشرف ، وأنها الأجدر بالعزة والكرامة ، مهما كانت التكاليف والتحديات والتضحيات! ورحت أصوغ وصفها ذلك كله شعراً فقلت:-)

لن تمس يا ذا الجبان عفافي	مُسْتَغْلًا سُكْنَايَ بَيْنَ الْفِيَا فِي
لم أزل نكلى أكتوي بشـجوني	وبكثائي بالمدمع الـذراف
لم أزل تهمني ذكرياتي التياعاً	أذكر الميـت عاطر الألفاف
بين سـخري والنحر كان مسجئ	راحلاً ، كالزور والأضـياف
أخذاً قلبي والحشا والحنايا	عن تراض مني بلا إجحاف
كم تصدئ لمن رماني بحرف	من حروف التحقيق والإسفاف!
كم تحدى الأوباش من حاربوني	مُـسْكَاً بِالـدروع ، والأسـياف!
ثم ياتي الجار الرذيل يُداجي	بالسلوك المسـتهجن المتجـافي
أيها النذل ، إنني لست صـيداً	تجتنيه سهلاً بالاسـتظراف
لا تظن سـقوط مثلي يسـيراً	رغم قيد البلوى والاستضعاف
هل جرؤت يوماً على مثل هذا	في حياة من عاش يحمي عفافي؟
لم أخنه يوماً ، فكلي وفاءً	والوفاء يُرديه بعضُ انحراف
أيها الصل غد إلى الجحر ، واعلم	أن عرضي ذو سُـودِدٍ وطـراف
وازدرد ما قد سُـقته من فحيج	يا حقيـر الأفعال والأوصاف

شاعر ولكن إباحي مهتريء

(القدرة على كتابة الشعر شيء ، والأغراض والموضوعات التي يتناولها الشاعر في قصائده شيء آخر. فكم من إباحي ولكنه شاعر! وإذن فلا بد لكل شاعر من منظومة قيم وأخلاقيات ينطلق منها إلى عالم الشعر. وقليل من الشعراء من أفلح في هذه المسألة. وإذا لم يحمل الشعر موضوعاً ومبدأً وقيمة للقراء فهو مجرد تقطيع وأوزان فقط. وكم من دواوين جاوزت الآلاف من الصفحات وهي لا تحمل موضوعاً ولا تساوي الحبر كتبت به ، ولا الأوراق دونت عليها ، ولا الأوقات يبذلها الناس في مطالعة قصائدها!)

أهازيجٌ صدحتَ بها بلا معنى
وقدمتَ الخنا والفحشَ والطعنا
وشوهِتَ القريضَ العفّ دون حياء
فقد شغلتك يا قيسَ الهوى (لبنى)
شغفتَ بها ، وبالضحكات تطلقها
وبالكلمات في أجراسها معنى
فلا يعينك غير العُهر تكتبه
ألسنت ترى سوى السواى بها تُعنى؟
تقواطعُ وأوزانٌ قد اهتـرأتْ
يُغرُّ بها غبيُّ يُحسِن الظنا
نعم بلغت - من الإبداع - مرتبة
فلا يعينك غير العُهر تكتبه
نعم صـيغَتُ بألفاظٍ منمقةٍ
تقواطعُ وأوزانٌ قد اهتـرأتْ
نعم لانت لقاتلها ومنشدها
فأنشدها ، وما ألغى ولا استثنى!
نعم صبغتُ بألوان تجملها
فبات لها بذلك منظرٌ أسنى!
نعم حيزتُ لها طراً مباحجها
لتذهب عن دنا قرائها الحزنا!
ولكن أين ما في الشعر من قيم؟
وأين الخيرُ ، والأخلاقُ ، والحسنى؟
وأين الحق يُعطي الشعر رونقه
وأين الرشد يُعطيهِ مهابتَهُ
وأين البر يمنحهُ نزاهتَهُ؟
وأيمن النورُ في أبياتهِ الدكنا؟
وأيمن الرشد يُعطيهِ مهابتَهُ
وأيمن البر يمنحهُ نزاهتَهُ؟
إذا كان القريض سبيل مفسدةٍ
فلا معنى له أبداً ولا مبنى!

من أرشيف الغربة

(اغترب هذا البائس عن أهله لسنوات. فقام بعضُ أهل الأعراض من ذويه بالاستيلاء على كتبه وممتلكاته التي قد تركها عند أهل أشبه وأقرب ما تكون بالأمانة. فلما رجع رثى للحال وأخذ يقلب أوراق الغربة من أرشيفها. والأصل أن يحافظ الأهل على مقتنيات ابنهم إن كانوا أهلاً حقيقيين! أما أن تكون ممتلكات الغائب نهباً للسباع والضواري ، فهي إذن أعراف الغابة وتقاليد الأوابد والوحوش! تلك الأعراف والتقاليد التي لا تحترم ملكيات فردية ولا خصوصيات لآخرين! قول صلى الله عليه وسلم: {أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا أوتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر} رواه الشيخان. وأيضاً: {لا إيمان لمن لا أمانة له}.)

غربتي طالبتُ وأذاني الشقفا
هذه الغربة أمسّت شجباً
ولظاهها موقدٌ نارَ الجوى
بأغترابي نال كلَّ إربيه
عذبتني غربتي بين النورى
وحده يبكي بدمع حائر
يفتح الأرشيف لا يلقى سوى
أكلت عمري وبأسي عنوة
والكتابات ثوت ، تشكو النوى
إذ عليها قد سطا مستهزء
ثم إن عوتب أرغى مزبداً
حاز أسفاري ، بلا أدنى حيا
مستجلاً كل شي كان لي
وبهذا زاد ضنكا غربتي

فمتى - بالأقربين - الملتقى؟
يسرق العمر ، ويزجي العساقا
والغريب مال له - فيها - بقا
وأنا - وحدي - ألوك المأزقا
كيف يحيا المرء يجتر الشقا؟
بات - بالأغلال جبراً - موثقا
غربة تزجي أساها منطقا
وأعارتني - بكل - مزلقا
لم يجن - في خاطري - أن تسرقا
وعليها بيته قد أغلقا
والى الإنكار كان الأسبقا
إنني أمقت هذا الأخرقا
خانناً عهد الإخا ، والموثقا
حاملاً سكينه ، والبيرقا

شموخ شاعر

(عرض أحد المرتزقة الجاهلين على أحد الشعراء الغر الموحدين عرضاً سخيلاً: هو أن يكتب قصيدة يؤله فيها غير الله ليفوز بـ 1000 دينار ، فأعلن الشاعر رفضه ، وأبدى شموخه وأثبت للمرتزق الغر أنه لا ينشد من أجل عرض من الدنيا قليل. وليبرهن له أنه من الشعراء ذوي العملات الصعبة ، وليس من الشعراء المرتزقة الذين من أجل المال يستشعرون! إن كنوز الأرض لا تساوي عند هذا النوع من الشعراء مجرد كلمة يمدح فيها الطاغوت ، أو يدعو له بالرحمة إن كان ميتاً. إن الشعر شعورٌ صادقٌ نابغٌ من القلب ليصل إلى القلب ، وليس مجرد كلمات مقطعة وموزونة ، خطها قلم بيد مستشعر حقيق مرتزق رخيص! وماذا يكون الشعر؟ وماذا يكون الشاعر ، إن أنشد في تأليه غير الله وكال المدائح للمجرمين والظالمين؟)

أهكذا استعبد العير الأراجيزا
فجوزوا الهزل والتطويغ تجويزا؟
وطوعوا الدين - للأهواء - في زمن
وطرّزوا الإفك - للطاغوت - تطريزا؟
وجاهروا - بدجى البهتان - دون حيا
وحرزوا زمر الباغين تحريزا؟
وكيف تزهق روح الشعر هينة
حتى توله (هولاكو) ، و(جنكيزا)؟
إن التكسب - بالأشعار - مهزلة
أمسى الضلال - بها والله - مركوزا
وخاب مرتزق يبيع ما كتبت
يراعة ، حقها قد بات مهزوزا
ومن يبع شعره ، يخسر كرامته
ولا يميز - بين الصّيد - تميزا
يُمسي ويصبح في نل ، وفي حزن
وبين كل الورى يعيش مبزوزا
يُضحى يقسم بين القوم عزته
ويرتضي الفوز بالدينار تعريزا
ماذا يؤمل هذا من دجاجلة؟
وما المراد بهذي القسمة الضيزى؟
إن الشموخ له نفس تتيه به
ولا ترى بأسها المغوار مجوزا
لا لن أبيع قريضي رغم متربتي
ولن يعجزني الإملاق تعجيزا
لا لن أجهز - للطاغوت - مدحتة
وكيف مثلي يسوق الشعر تجهيزا؟
إن الشموخ - بهذا الشعر - يجعلني
أرى القصائد ياقوتاً وإبريزا

صدقته يا خالد

(إنه أحد أبناء الصعيد ، كان يعمل معنا في معهد علمي يُدعى (معهد عجمان الثقافي). بعجمان هنا في دار غربتي. وذات يوم قال خالد وأنا أسمع: كل شيء يهون على الإنسان إلا دينه. فأعجبتُ بهذه الكلمة الجميلة. وخاصة أنه تعرّض للعمل الذي يخالف كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، فاختار البعد عن أدنى شبهة لئلا يعصي ربه - عز وجل - وعسير على إنسان ما قد اغترب أن يفعل ما فعله خالد. وأراك يا خالد قد صدقت في كل ما قلت! لأن المرء بدينه وعقيدته ، وللدين والعقيدة تكاليف وتضحيات! ومن هنا رحلتُ أنشد في ذلك شعراً أقول فيه:-)

كلماتك صائبة المعنى	ولذا الشعرُ عليها أتتى
مازلت ترددها غرداً	رائعة اللفظة والمبنى
فالدين المسنتنى منة	وحياة المرء المسنتنى
والمال - برونقه - فان	وشريعة ربك لا تفنى
يا خالد أعليت التقوى	وجعلت العيش هو الأدنى
ورأيتك تنتصر لدين	ولهذا أحسنت الظننا
فطفقت أسطر أبياتي	وأشير إلى هذا المعنى
متخذاً - من قولك - درباً	يهدي الإنسان إلى الحسنى
وأراك صدقت ، وللى أملاً	أن تدع الحسرة ، والحزناً
وتجاهد نفسك محتسباً	كي تُدرك - في الدرب - الأمانا
وتحوز هداية خالقتنا	وتقاوم ضعفك ، والوهنا
حتى تنتصر على الدنيا	فالتقوى القبالة لا (لبنى)
أيديك الله بنصرته	ووقاك الشقوة والفئنا
وبلغت المنزللة الأسى	ووقيت الذللة ، والشحنا

الخاننة مجني عليها

(ظلت تلعب بالنار سنوات بين العشاق. فتوهم هذا ، وتلعب بهذا ، وتعثم ذاك ، وتُمني ذلك. إلى أن اكتشف العشاق الحقيقة. ودارت رحى الحرب بينهم. كل عاشق يريد أن تكون له وحده. فقتلت ثلاثة. ثم قتلها أحدهم انتقاماً. أما القتلى الثلاثة فكانوا على موعد مع الموت بسُمها بتدبير من الرابع الذي قرر رميها بالرصاص! وهذه نهاية منطقية لكل من تلعب بالنار ، فلا بد من أن تحرقها النار! والله لم يضيق على عباده المؤمنين ، فشرع الزواج لتحقيق المودة والرحمة ولإنجاب الأولاد والبنات ، ليحملوا جميعاً رسالة رب الأرض والسماء. ولعل ضحية قصيدتنا لم تسلك هذا المسلك ، ولم تتبع المنهج القويم. بل عمدت إلى الخيانة واتباع خطوات الشيطان ، حتى زين لها الشيطان سوء عملها ، فأرته حسناً فكان منها ما كان!)

عَبَثَتْ ، واسـ تهوَّثها الفـكرة
وانتهتِ اللـعبة بالثورة
واسـ تعذبتِ الهـزل طـويلاً
وغـدتْ - في الهـزل - لها خـبرة
واسـ تمرأتِ العـشق المـزري
فمِن العـشاق - لها - زمـرة
وعـشـيقٌ تُعطيهِ وُعداً
وعـشـيقٌ تُلهيهِ بنـظـرة
وعـشـيقٌ تُوهـمُهُ سـراً
كـيلا يعلـم بـأقـي الزمـرة
وعـشـيقٌ تُصـايهِ هـياماً
أو تُأسـرُهُ - السـدر - بنـبـرة
وعـشـيقٌ تُردِيهِ بسـهـرة
وتـصـب الحـب عـلى (زـيد)!
واكتـشـف العـشاق أخـيراً
وعـلى (عـمر) ترمي قـطـرة!
واكتـشـف العـشاق أخـيراً
لعبتْها ، فابتـدت الغـيرة
حتـى قـتـلوا إلا خـراً
فـرأى أن يـقتلها غـدراً
آثـر أن يظفـر بـالـخـرة!
وسـيُصـب أحـد زبائنها
إن قالـت: سـأعيد الكـرة
فـرأى أن يـدفنها جـبراً
إمـا اسـتـحلت تـلك الفـكرة
ورأى أن يـحرقها عـمداً
فـي حفـرتها ، بـنس الحـفرة!
حتـى لا تلعب بـالجمرة

على الله القبول

(سأل أحد السفهاء الجاهلين أحد الشعراء المؤمنين: إذا كنت لا تحقق المجد ولا المال ولا الشهرة بشعرك فما قيمته إذن؟ فأجاب: أنا أسجل شهادتي ، وأدعو إلى الله من خلال أشعاري ، وعلى الله تعالى قبولها مني ومكافأتي عليها. وهذا يكفيني وأنا قانع به. وإن عبداً يتعامل مع الله لا يمكن أن يتسرب الشك إلى قلبه أن الذي يختاره الله له خير من أن يختار هو لنفسه. فلقد يكون في الشهرة أو المال هلاك ذلك الشاعر! وإن معظم الشعر الذي يُحقق المال والشهرة معاً في هذا الزمان هو الشعر المتحرر من القيم والأخلاق والدين! فهل يحب شاعرٌ مسلمٌ أن يلقي ربه يوماً - وهو لا بد ملاقيه - بمثل هذا الشعر؟ وماذا يكسب الشاعر إن غضب الله عليه وخسر آخرته بأشعار تُحقق له المجد وتجلب له المال في الدنيا؟ وإن مما يُهون على مثل هذا النوع من الشعراء ويُخفف عنهم شعورهم بالإحباط واليأس أنهم يجدون الأكفاء من الشعراء المُجيدين النحارير العماليق العباقرة شعراء التوحيد والعقيدة ، يعانون من ذات القضية! فلا رابطة تجمعهم ، ولا دعم يتلقونه ، ولا مطابع تتبنى رصيد أشعارهم ولا دوريات أو مجلات أو صحف تتحمس لنشر ما يُخرجون للدنيا من الشعر ، ولا جمهور يتلقف ما يكتبون وينشدون. بل يتجشّم أحدهم ثمن الطباعة في الغالب الأعم على حسابه الشخصي. وحتى بعد الطباعة على الحساب الشخصي (من جيب الشاعر وقوت أولاده) ، وإهداء الشاعر ديوانه على سبيل الهدية لمن يعرفهم ويتوسم فيهم قراءة الديوان والوقوف على أخطاء فيه أو مزالق يمكن تلاشيها وتجنبها في طبعات أخرى قادمة ، لا يفعلون ذلك! بل غاية ما يفعلون أنهم يُزخرفون بيوتهم بالدواوين! وأخلص المخلصين منهم من يحدث الآخرين بأن له صديقاً شاعراً وهذا دواوينه تشهد له! ولذلك عمد بعض الشعراء إلى بيع أشعاره! لقد بدأت ظاهرة الإعلان عن بيع القصائد والتي انتهجها بعض الشعراء سواء معروفين أو مغمورين تغزو ساحة الشعر الشعبي مؤخراً ، مما أحدث ردة فعل عند الكثير ممن يحاولون القضاء على مثل هذه الظواهر السلبية عندما كانت تدار في السر ، فكيف بهم اليوم وهي تدار في العلن على مرأى ومسمع من الجميع. وجّه لهم سؤالان هما: هل تؤيد ما يقوم به بعض الشعراء من الإعلان عن استعدادهم لبيع قصائدهم؟ ولأي درجة من الممكن أن يؤثر مثل هذا الأمر على القيمة الأدبية للشعر والشعراء في نظر المتلقي؟ يقول الأستاذ حمد بن فطيس المري: (طالما أن هناك من يتفنن في حفظ وإلقاء قصائد ليست له وليست من لهجته ولا أسلوب بيئته وواضحة وضوح الذنب من الكلب ووضوح الخيط الأبيض من الأسود ولا يُمسك عن شراء الذمم من أصحاب النفوس الضعيفة وهو يعلم أن الناس تعلم ولا يخجل ، فأين القيمة الأدبية بالله عليك وخاصة أن البعض منهم من المفترض أن يكون هو من يرفض مثل هذه النزاعات وأن يكون الداعم الجاد للحماية الفكرية؟ ودعني استفد ممن سبقونا بمثلين اثنين حيث لم يتركوا لنا شيئاً وفوق هذا ننعتهم «بالتقليديين».

الأول: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. والثاني: إذا خاصمك القاضي من تقاضي). هـ. ويقول الأستاذ سالم صليم: (لا يؤيد بائعي القصائد إلا من كان على شاكلتهم وكل من يسهم في تكاثر الشعراء المزيفين يلحق الضرر بنفسه قبل أن يلحقه بالشعر ومن يدعي أن الشاعر حر في بيع قصائده ليكسب مادياً اعتبره يُعاني من الجهل المركب ومكاسبه حرام ، لأنه غاش ومحتال ولا نستبعد أن يكون هو نفسه البائع مزيفاً وقصائده مشتراً وليست له. ومن هذا المنبر فإني أدعو الأتقياء من الإعلاميين لفضح هذا النوع من الشعراء بائعين ومشتريين وكشفهم أمام الجميع). هـ. ويقول الأستاذ ضيدان المريخي: (التصريح في بيع الشعر نؤوله إلى أمرين إما أن الشعر يعطي الموافقة للمشتريين في دخول مشروع بيع وشراء لأكثر من مستشعر لهدف مادي بحت طبعاً أو خلق إثارة وإشارة يعني «قضاء حاجة».) كما تعلم وهج الإعلام الشعبي مُغر والمادة مغرية وهذا ما جعل تبادل المصالح يزدهر بين الطرفين ، فإما أن تستخدم آخر العلاج وهو الكي وتكشف هذه الأسماء وإلا فلتتركهم يستكملون

مشاريعهم والأيام كفيلة بناتج الربح والخسارة).هـ. ويقول الأستاذ حاكم المعلا: (أولاً أنا لا أعتقد أن هنالك شيئاً اسمه بيع قصائد حسب تجربتي في الساحة وقربي من الشعراء الذين هم معنيون بهذا الاتهام ، وأقصد أن هناك شعراء بحكم تقربهم من أناس مشكوك في شاعريتهم أو بالأصح ذوي مراكز مالية. فالشعراء المعروفون المقربون من هؤلاء هم المتهمون دائماً ، ولكن ليس هناك عملية بيع بمعناها الصريح ، بل يوجد ما يشبه المكافآت أو المساندة المالية تُمنح للشاعر في وقت مناسب أمام الجميع حتى يرى من يرى ويسمع من يسمع بأنها فزعة لهذا الشاعر بما أنه محتاج وطلب العون لكي تكون بعيدة جداً عن عملية تغيير نسب القصيدة المهداة من قبل. أما من يدعي بأنه يبيع قصائده ويتفاخر علناً فهذا كاذب ويروج لهذه الكذبة من أجل الدعاية بأنه شاعر فلتة وقصائده مطلوبة وقريحته فياضة و..و..و..).هـ. والشاعر الصادق مع الله يكتب لوجه الله!

لم أنشد الأشعار أرجو درهما
 إن لم أحقق - بالقصائد - شهرة
 وطرحت تجربتي لكل مكلفٍ
 وبذلت - في تحبير شعري - طاقتي
 وينال إعجاب الخُداة ، ومن شدا
 ويُعطر الدنيا بأزكى همةٍ
 ويُشرف الأفذاذ عذب أريجة
 إن لم أجمّع - بالقصائد - ثروة
 فلأن ذا قدر المهيم وحده
 أنا لم أزد مالاً - بذلٍ - لحظّة
 إنني - لربي - قد نقشت قصائدي
 وعلى المليك قبول ما كتبت يدي
 إنني نذرت يداً كتبت بها ، وما
 لله فاقبل يا إلهي ، واجزني

كلا ، فليس الشعر عندي مغنما
 فقد أبيت - بها - الهدى والمعلما
 حتى يُراجع ما حوت ، ويُترجما
 ليعيش بعدي - في الحياة - مُكرّما
 ويكون - للقيم الأصيلة - مُعجما
 ويُجرّع المسـتـهزئين العلقما
 ويبيت - في ليل الدغاول - أنجما
 بل عشت مُحتاجاً فقيراً مُعدما
 أنا لم أزد - بالشعر يوماً - درهما
 فالمال يُطمع - في العزيز - اللؤما
 ولذا قريضي العذب فاخر ، واستمي
 وصحيح ما هذا اللسانُ تكلمنا
 كتبت ، وأقوالي ، ونفسي ، والفما
 خيراً ، وجنبي السلفية المُجرما

عراقية

(أخذت تجادلني هذه الرافضية العراقية الخبيثة ، وتُهَوِّن من شأن الفوارق الجوهرية بين الرفض والحق. وتقول: ربنا واحد ، ونبينا واحد ، وقبيلتنا واحدة ، وكتابنا واحد. وتسأل مُعقبة: فلماذا الاختلاف والانقسام بيننا؟ فجادلتها ، ولما غلبت اختارت الحياد ، وقفلت النقاش. حيث إنها لم تجد ما ترد به الحق المبين ، وتدفع به الحجة الدامغة المفحمة! وإن دعاة التقريب – في ظني – قد باؤوا بخيبة عظيمة اليوم! حيث إنه ما من يوم يمر إلا ويُظهر الله فضيحة الروافض الخبيثاء ، ويبين للناس كل الناس في الأرض كل الأرض زيف معتقداتهم وضلال ملتهم! وإن أقل طالب علم اليوم يكاد يجزم ويقطع بأنه بعد الاطلاع على كُتُبهم وتصوراتهم ودراساتها دراسة واعية مستفيضة ، يقطع ويجزم أنه أمام دين آخر غير دين الإسلام يسمى دين الرفض! وأنه أمام قوم يُدعون الروافض يختلفون اختلافاً جذرياً وكلياً عن المسلمين المؤمنين الموحدين ، وإن التقى الكل في شعيرة أو فريضة! وأنا هنا أعرضُ بهذه العراقية المهزومة! تلك التي غرّها مني صمتي في بداية الحوار ، لكي أعطيتها الفرصة الكاملة في مستهل النقاش لتبين معتقدها كاملاً ، وتلك عادتي في أي حوار. أعطي للمحاور فرصته بدون مقاطعة. فزعمت الجاهلة أن دعوة مثلي للرفض سيرة هينة! وظنت أنني لا علم لي بالقوم ولا بمعتقداتهم! وعموماً لم أقصر في حقها ، حيث أهديتها بعض الكُتُيبات التي من بينها (التحفة) لمحِب الدين الخطيب ، وهذا وحده يكفي! في محاضرة له بعنوان: (حقيقة الروافض) يقول الأستاذ عبد الرحمن صالح المحمود ما نصه: (الاختلاف لا يكون مذموماً ، إلا إذا تحول إلى تعصب أعمى يؤدي إلى ترك ما مع الطرف الآخر من دليل ، أو إلى إنكار الحق الذي مع الآخرين أو الطعن فيهم بغير حق ، أو إلى الشحناء والتباغض والتدابير. ووحدة الأمة الإسلامية مطلب لكل مسلم ، والله تعالى أمر المسلمين بها ودعاهم إلى الاعتصام بحبل الله جميعاً ، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف ، ولقد وقع في هذه الأمة نوعان من الاختلاف: * أحدهما: اختلاف غير مذموم: ومبناه على الاجتهاد وطلب الدليل ، وذلك في مسائل الفقه والأحكام الشرعية ، وقد قع هذا في زمن الصحابة رضي الله عنهم جميعاً - ومن بعدهم ، وهذا الاختلاف بقي - والحمد لله - محموداً لا يؤدي إلى فرقة ولا إلى خصام ، وكم بين الأئمة الأربعة: (مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد) رحمهم الله من اختلاف عن اجتهاد في مسائل كثيرة ، ومع ذلك كانوا صفاً واحداً وأخوة متحابين تجمعهم عقيدة واحدة ومنهج واحد. * الثاني: اختلاف مذموم: وهو الاختلاف الذي حذر منه النبي - صلى الله عليه وسلم - في مثل قوله: "وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة". والمقصود به خلاف أهل البدع على مختلف أنواعها ودرجاتها ؛ لأن خلافهم يكون في أبواب العقائد وأصول الإسلام التي هي واحدة ولا يخالف فيها منهاج السلف الصالح إلا مبتدع منحرف. وبالنسبة للرافضة ، فإن كثيرين ظنوا أن الخلاف بيننا وبينهم يسير ، وأنه يمكن تداركه والقضاء عليه من خلال حوار أو مؤتمر يُعقد! وسأعرض لكم نماذج لعقائدهم ، لعلها توضح مدى مفارقتهم لنا - نحن أهل السنة - . أولاً: يقوم مذهب الرفض المتأخرين على أصول أربعة: 1- العدل: والمقصود به إنكار القدر على مذهب المعتزلة. 2- التوحيد: ويقصدون به نفي الصفات عن الله وإنكار رؤيته تعالى في الجنة ، والقول بخلق القرآن ، ونحو ذلك. فهم يوافقون المعتزلة في ذلك. 3- النبوة. 4- الإمامة: وهذا الأصل ميزهم عن أهل السنة وعن المعتزلة الذين وافقوهم في أصلي: العدل والتوحيد. ويقوم مذهبهم في الإمام على أصول خمسة هي: أ- أن الإمامة محصورة في اثني عشر من أئمتهم ، بدءاً بعلي رضي الله عنه وانتهاءً بالإمام الغائب محمد بن الحسن العسكري ، وهو الإمام الثاني عشر. ب- العصمة: ويقصدون

بها أن الأئمة معصومون من الصغائر والكبائر أشد من عصمة الأنبياء. ج- التقية: ويقصدون بها أن الإنسان تجب عليه التقية بأن يظهر موافقته لأهل السنة إذا خاف ، أو أراد أن يحقق مصلحة. د- المهديّة: والمقصود بها أن الإمام المهدي الذي سيخرج ، هو الإمام الثاني عشر وهم يرتقبون خروجه في كل عام. هـ- الرجعة: ويعتقدون فيها أنه لا تقوم الساعة حتى يحيي الله آل البيت وأعداءهم - من الصحابة وغيرهم - ثم يقتص بعضهم من بعض ثم يموتون جميعاً. ثانياً: شركهم في توحيد الربوبية: حيث يضيفون صفات الربوبية لأنتمهم. وهاكم نماذج من ذلك - منقولة من كتبهم الموثقة عندهم -: 1- زعموا أن أحد أنتمهم قال: "أنا رب الأرض - يعني إمام الأرض - وزعم أنه المقصود بقوله تعالى: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا}." 2- ورووا عن علي رضي الله عنه - كذباً وزوراً وبهتاناً - أنه قال: "أنا رب الأرض الذي تسكن الأرض به". 3- وفي قوله تعالى: {قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا}. قالوا: "يرد إلى أمير المؤمنين فيعذبه عذاباً نكراً". 4- وفي تفسير قوله تعالى: {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} قالوا: "يعني التسليم لعلي ولا يشرك معه في الخلافة". 5- وفي أصول الكافي: "عن أبي عبد الله قال: أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى ما يشاء جائز له ذلك من الله" ، ماذا بقي لله تعالى مع هذا؟! 6- بل يعتقدون أن الأئمة مدبرون لأحداث الكون من المطر والرعد وغيره. يقولون فيما يروون عن أبي عبد الله - وهم يكذبون عليه -: "ما كان من سحاب فيه رعد وبرق - ثم يقولون عن علي رضي الله عنه - ، أما إنه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب ، أسباب السموات والأرضين السبع خمس عوامر وثنتان خراب" ، والله تعالى وحده هو الذي يرسل السحاب ويسوقها إلى ما يشاء من بلاده. 7- ويروون أن علياً رضي الله عنه أوماً إلى سحابتين فأصبحت كل سحابة كأنها بساط ، فركب على سحابة بمفرده ، وركب بعض أصحاب علي رضي الله عنه كـ (سلمان والمقداد) على الأخرى ، وجرى في ذلك ما جرى من أمور عجيبة ، وفيها يرون أن علياً قال وهو على السحابة - وكذبوا عليه -: "أنا عين الله في أرضه ، أنا لسان الله الناطق في خلقه ، أنا نور الله الذي لا يطفأ ، أنا باب الله الذي يوتى منه وحجته على عباده". 8- بل صفات الربوبية في الأئمة! فيزعمون أن أبا عبد الله قال: "ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا" ، بل يحيون الموتى ، واسمعوا إلى هذه الرواية ، جاء في الكافي - أحد أصولهم - عن أبي عبد الله قال: "إن أمير المؤمنين علي ، له خولة في بني مخزوم وإن شاباً منهم أتاه فقال: يا خالي! إن أخي مات وقد حزنت عليه حزناً شديداً ، فقال له: تشتهي أن تراه؟ قال: بلى ، قال: فأرني قبره ، فخرج ومعه بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم منتزراً بها فلما انتهى إلى القبر ، تلممت شفتاه ، ثم ركضه برجله ، فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس ، فقال أمير المؤمنين: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال الميت: بلى ، ولكننا متنا على سنة فلان وفلان - أي أبو بكر وعمر - ، فانقلبت ألسنتنا". بل يزعمون أن علياً رضي الله عنه - افتراء عليه قبهم الله - أحيى موتى مقبرة الجنابة بأجمعهم. وأن سلمان قال: "لو أقسم أبو الحسن على الله أن يحيي الأولين والآخرين لأحياهم". 9- بل زعموا أن الأئمة الاثني عشر هم أسماء الله الحسنى ، ففي الكافي عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} ، قال: "نحن والله الأسماء الحسنى لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا". وفي (الكافي) - الذي هو عندهم كصحيح البخاري - يروون عن أبي عبد الله أنه قال: "إن الله خلقنا فأحسن صورنا ، وجعلنا عينه في عباده ، ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطة على عباده بالرفقة والرحمة ، ووجهه الذي يوتى منه ، وبابه الذي يدل عليه ، وخزانه في سمائه وأرضه. بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار ، وجرت الأنهار ، وبنا ينزل غيث السماء ، وينبت عشب الأرض ، وبعبادتنا عبد الله ، ولولانا ما عبد الله". وفي (بحار الأنوار) يروون أن علياً قال - وافتروا عليه

قبحهم الله :- "أنا وجه الله ، أنا جنب الله ، وأنا الأول! ، وأنا الآخر ، وأنا الظاهر ، وأنا الباطن". 10- بل وصفوا الأئمة بأنهم يعلمون الغيب ، وعقد لذلك صاحب الكافي باباً مستقلاً في أنّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون ، وما لو كان كيف سيكون! وأنه لا يخفى عليهم شيء ، وروي عن أبي عبد الله أنه قال - افتراءً عليه قبحهم الله :- "إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان ، وما يكون". ثالثاً: شركهم في توحيد الألوهية: وهذا باب ضلالة دخل فيه هؤلاء إلى الشرك الأكبر من أبواب مختلفة: 1- فهم حرّفوا نصوص القرآن في الأمر بتوحيد الله والنهي عن الشرك به ، وجعلوا لها معاني باطنية ربطوها بالأئمة ، فمثلاً: فسروا قوله تعالى - مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم :- {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} بأن المعنى: لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك" ، ومثلاً: في قوله تعالى: {ذَلِكُمْ بَأْنَهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ}. قالوا تحريفاً باطنياً لها ، المعنى: "ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده بأن لعلي ولاية كفرتم ، وإن يشرك به من ليس له ولاية تؤمنوا". وفي قوله تعالى: {إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ}. قالوا: معناه: "إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد" ، بل قال أحد علمائهم كل آية في الشرك والشفعاء والنهي عن اتخاذ الأوثان والأصنام. فهو وارد في الذين نصبوا أئمة غير أئمتهم وعظموهم وأحبوهم والتزموا طاعتهم وجعلوهم شركاء إمامهم الذي عينه الله لهم. إذا التوحيد في الألوهية ونصوص القرآن مليئة بتقرير هذا التوحيد عندهم: هو الإيمان بالأئمة الاثني عشر ، والشرك: هو الإقرار بإمامة أبي بكر وعمر وعثمان أو غيرهم من الأئمة والخلفاء. 2- وإذا كان مدار قبول الأعمال عندنا هو التوحيد ، فإن مدار قبول الأعمال عند الرافضة هو: الإقرار بولاية أهل البيت. قالوا - فيما روه عن أئمتهم :- "إن من أقر بولايتنا ثم مات عليها ، قبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجه ، وإن من لم يقر بولايتنا لم يقبل الله شيئاً من أعماله" ، وفي رواية عندهم: "لو أن عبداً جاء يوم القيامة يعمل بعمل سبعين نبياً ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه الله وولاية أهل بيتي". 3- جعلوا الأئمة هم الواسطة بين الله وخلقه في باب العبادات ، فرووا: "أن الأئمة الاثني عشر هم أبواب الله والسبل إليه ، وهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق" ، ويروون عن أبي جعفر - أحد أئمتهم - قال: "بنا عبد الله وبنا عرف الله وبنا وحد الله" ، بل الدعاء لا يقبل إلا بالدعاء بأسماء الأئمة فيروون: "من دعا الله بنا أفلح ، ومن دعا بغيرنا هلك!" ويروون: "إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم" - أي: بالأئمة -! ولهذا صار دعاء الأئمة ك (علي والحسن والحسين) وغيرهم - في حال الشدائد ، بل في حال طلاق المرأة وشدة الولادة ، الاستغاثة بهم من دون الله تعالى عادة عندهم يتربون عليها ، وهذا هو الشرك الأكبر! لأنه دعاء واستغاثة بأموات في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، ولهذا قرروا في كتبهم أن الأئمة هم: "الشفاء الأكبر ، والدواء الأعظم لمن استشفى بهم". والرافضة عند زيارتهم لأضرحة أئمتهم يدعونهم من دون الله ، بل ويكتبون رقاعاً توضع على أضرحة هؤلاء الأئمة ، ومما يكتبونه فيها: "كتبت إليك يا مولاي صلوات الله عليك مستغيثاً فأغثني عن اللهف ، وقدم المسألة لله عز وجل في أمري قبل حلول التلف وشماتة الأعداء". 4- قولهم: أن زيارة أضرحتهم والحج إليها أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام ، وهذا من الأمور البديهية في مذهبهم وعقيدتهم. 1- جاء في الكافي: "إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة ، وأفضل من عشرين عمرة وحجة" ، ولما جاء أحد الرافضة إلى إمامه وأخبره أنه حج تسع عشرة حجة وتسع عشرة عمرة إلى بيت الله الحرام ، قال له: "حج حجة أخرى واعتمر عمرة أخرى نكتب لك زيارة قبر الحسين" ، وهذه سخرية من الإمام كأنه يقول له: لم أتعبت نفسك لو أكملتها عشرين حجة وعمرة لعدلت زيارة واحدة لقبر الحسين! 2- بل بالغوا

في ذلك حتى رووا عن أئمتهم أنهم قالوا: "من زار قبر أبي عبد الله كتب الله له ثمانين حجة مبرورة" ، وفي رواية: "من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه ، كان كمن حج مائة حجة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم". 3- بل رووا: "من زار الحسين يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً ، لقي الله عز وجل يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة ، وألفي ألف عمرة ، وألفي ألف غزوة ، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله وآل بيته". 4- بل حددوا الأفضلية لتكون في يوم عرفة - يوم حج المسلمين - فرووا: "من أتى قبر الحسين يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات". 5- بل قالوا في عدد من روايتهم: "أن كربلاء أفضل من الكعبة ، وأن الله جعل لها حرماً آمناً كما جعل للكعبة حرماً آمناً". 6- ولهذا وضعوا مناسك للمشاهد كمناسك الحج ؛ لأن زيارة الأضرحة فرض من الفرائض عندهم ، وفي هذه المناسك للمشاهد والأضرحة شرح لكيفية الطواف ، والصلاة عندها ، والانتكباب على القبر ، وكيف يتخذ القبر قبلة كبيت الله. 7- تربة الحسين وفضلها وآدابها وأحكامها ، ذكروا روايات عجيبة في ذلك وذكروا أنها شفاء من كل داء ، فذكروا أنه إذا أتى تربة الحسين يدعو ويقول وهو يأخذ من هذه التربة: "يا مولاي يا ابن رسول الله إني آخذ من تربتك بإذنك اللهم فاجعلها شفاء من كل داء وعزاً من كل ذل ، وأمناً من كل خوف ، وغنى من كل فقر". 8- وعندهم: إن الرقاع يستجار ويستقسم بها كما كان يفعل أهل الجاهلية ، ولهم في ذلك من الشراكيات أمر عجيب ، هذا غيض من فيض في عقاندهم ، وبقي منها أقوالهم في الصحابة ، ومواقفهم من أهل السنة ، ومسائل أخرى كثيرة. فهل يمكن أن نلتقي معهم؟ إن هذا لا يتم إلا مع من أعلن التوبة الصادقة من هذا الشرك والكفر ، بشرط أن لا يكون فيها تقية). هـ. فعلى العلماء أن يبينوا خطر هؤلاء ويحذروا المسلمين شرهم وأن يكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن الإسلام والمسلمين وأن يساعدوا إخوانهم الذين بلوا بهم ، وقد روى الآجري في السنة من حديث معاذ قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إذا حدث في أمتي البدع وشتت أصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين". كما أنه يجب على المسلمين أن يكونوا على بينة من أعدائهم فلا يغتروا بأهل النفاق والإلحاد الذين يتحينون الفرص للانقضاض عليهم وهم دائماً على استعداد للتعاون مع الكفرة على المسلمين. إن إظهار الأعداء على حقيقتهم أمر واجب على العلماء حتى لا يغدر المسلمون من حيث لا يشعرون وكذلك نشر الكتب التي تفضحهم وتبين مخططاتهم مثل "وجاء دور المجوس" و"بروتوكولات آيات قم" و"الشيعة وتكفيرهم عموم المسلمين" و"الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الرافضة والشيعة والتشيع لكسروي" وكتابات إحسان إلهي ظهير عنهم وغيرها. كما أنه من واجب العلماء الاطلاع على ما في كتب هؤلاء مما يدينون به ويعمل به في المسلمين حتى تعرف حقيقتهم. وأعود إلى العراقية الرافضية الخبيثة لأقول بأنها افتقدت للاعتقاد الصحيح من جهة ، كما افتقدت لأدب الخلاف وحدود الاختلاف من جهة أخرى! حيث إنني من البداية قبلتُ مجادلتها بالتي هي أحسنت! فلما هزمت شر هزيمة ، وأفحمتُ شر إفحام ، وأقيمت عليها الحجة الرسالية بصدق وجلاء ووضوح ، فاتها أن تعترف بالحق وتعتذر عن الخطأ والتجاوز! وثقافة الاعتذار أصبحت غريبة ومستهجنة في زماننا للأسف الشديد! مع أن الاعتذار عن الزلل والغلط والخطأ يحل مشكلات كثيرة ومتشعبة! وعن أدب الاعتذار عن الخطأ يقول الأستاذ بدر بن جزاع بن نايف النماصي ما نصه بتصرف زهيد: (إن النبي - صلى الله عليه وسلم يبين في غير ما حديث شريف الطبيعة البشرية ؛ فهي تخفى وتصيب ، وليس أحد معصوماً إلا من ثبتت عصمته ؛ كنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فأبو بكر وعمر كانا على رأس الصحابة ، وهم الأفضل على الترتيب ، ومن أكثر الصحابة رضوان الله عليهم

قرباً من النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن خاصته ، ووزراءه وخلفاءه من بعده ، ومع ذلك حدث بينهم من سوء التفاهم ما أثار الغضب بينهم ، وهذا ليس قدحاً في هذين الصحابييين الجليلين ، وإنما هو بيان بأن الخطأ من طبيعة البشر ، وأنه ينبغي على المخطئ أن يعتذر عند حصول الخطأ. وقد أشار ابن مفلح المقدسي رحمه الله إلى أنه ينبغي على من أخطئ في حقه ، ثم اعتذر إليه المخطئ أن يقبل عذره ؛ قال ابن مفلح المقدسي رحمه الله: "قال الحسن بن علي: لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه ، واعتذر إلي في أذني الأخرى ، لقبِلت عذره". قال ابن مفلح المقدسي رحمه الله: "وكان يقال: من وُفق لحسن الاعتذار خرج من الذنب". ثم وجه ابن مفلح المقدسي رحمه الله إلى أنه ينبغي على المخطئ الاعتذار بلا اختلاق للأعذار؛ لأن الخطأ لا يسلم منه أحدٌ من الناس: "وقال الأحنف: إياك وما تعتذر منه؛ فإنه قلما اعتذر أحد فيسلم من الكذب". وأشار ابن مفلح المقدسي إلى أن من أخطئ عليه ثم اعتذر منه المخطئ ، فينبغي عليه أن يقبل معذرتة). هـ. ووالله لو اعتذرت لقبِلت معذرتها ، ولو بقيت على ما هي عليه من رفض وانحراف وضلال!

ولمَّا صدقتك طاب الهرب!

لقد يُوغر الصدر بعض الغضب

يعش عش فيه ظلام الريب؟

ووالله ما بيننا من نسب

أتابع ما قلتَه من كذب؟

جدالاً بكل السجيا ذهب

وكان عزيزاً عليك الغلب

وحايدت من دون أدنى سبب

لكيلا تقولي علي: انقلب

وما صدني - عن بياني - رهب

لهذا نحتك بعض الكتب

ولم يك ينقصها من لبب

يُجاوز - في القول - حدَّ الأدب

نقاشك جاوز حدَّ الأدب!

فقيم التطاول في حدة؟

أغرك هذا الهراء الذي

أغرك تقريب ما بيننا؟

أغرك صمتت تعدثه

فلما تكلمت جادلتي

فلما غلبت طواك الهوى

فهمشت أقوالنا في اللقا

فأبلغتُك الحق ، لم أكترت

وناصحت ، لم أدخر فكرة

وإن النصيحة من واجبي

لعلك تنتفعين بهما

ولمَّا أجرَّح ، فلست الذي

بناء البيوت وبناء النفوس!

(مساكين في عقولهم وقلوبهم هؤلاء الذين ينشغلون في هذه الحياة ببناء البيوت على حساب بناء النفوس. إن بناء النفوس والقلوب والأرواح والضمائر والمشاعر والأحاسيس يكلف الشيء الكثير ، ويبطيء بالبابي. بينما بناء البيوت أيسر بكثير من بناء النفوس. وإن النعل الذي يمتلئ بالماس لا تتغير قيمته ومسامه ، بل قيمته كما هي ، ومسامه كما هو: نعل! وليس تحفة أو نجفة أو أيقونة أثرية ثمينة. بل يظل نعلاً حقيراً! فكونه قد امتلأ بالماس لن يرفعه عن قيمته ، كما أنه لن يغير كنهه وحقيقته (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين). وإذن فالفرق بين بناء النفوس وبناء البيوت كالفرق بين السماء والأرض ، وإنّ هما التقيا في بعض المنعطفات ، إذ الاستخلاف في الأرض وإعمارها بمنهج الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - رسالة كل مسلم ، وعبر تلك الرسالة بهذا الوصف وتلك الكيفية تبنى النفوس والبيوت معاً ، ولا يحدث التعارض ولا التضاد أبداً. ومن هنا نشأ جيلٌ لا نغالي إن قلنا أنه تحول عن عبادة الله إلى عبادة الدنيا! أكتب في هذا على البحر الوافر أقول:-)

وقام بحقق خالقه قياماً	بناء النفس ديدن من تسامى
وإن جهل المغفل ، أو تعامى	وآثر أن يعيش له فخارٌ
وخط الدرب ، واجتاح الظلاما	وجاهد - في الحياة - بلامال
ولم يعبأ بتخذيّل الندامى	ونصب العيين قد رسم المعالي
وصاحب من تعفف ، واسـتقـامـا	وعلم نفسه التقوى لترقى
وفاصل - في مسيرته - الطغاما	وألزمها اتباع الحق نهجاً
وأدبها ، فلم تكسب حراما	وهذبها ، فلم تات الدنيا
ولو لم تمتلك إلى الخطاما	وروضها على ترك الخطايا
وإن ملكوا المـدائـن والزماما	وأصطحب البيوت لهم سُعارٌ
وإن وطئت بثروتها الغماما	ولو بالدُر قد ملئت نعالٌ
وتجتـرّ النجاسة والرغامـا	ستبقى رغام سطوتها نعالاً
وقد تُهدى تباعاً لليتامى	ويوماً في القمامة سوف تُرمي
ويحيا - من يجود بها - هماما	وإن الجُود - بالأموال - فضـلٌ

انحدار إلى عالم الدنس

(أنشدت هذه القصيدة عن داعية عاش في بلده مخلصاً لدينه ، وابتلى فصدق وصبر ، وأبلى أحسن البلاء. فلما سافر إلى بلد العيش فيها أيسر فتن وانحرف. واستدرج إلى أن أصبح جاهلياً محضاً ، يضرب في كل ضلال بسهم! وكم تحيرت وأنا أقرأ قول الله تعالى: (ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) وتساءلت: لماذا قدم الله الشر على الخير في الآية؟ واستيقنت أن الابتلاء بالشر حري أن يذكر الله معه ويلجأ إليه فيه ويستعان به وحده فيه. ولكن الابتلاء بالخير حري أن ينسى معه ذكر الله وشكره وحمده. وكثير من الناس اليوم لا صبر له على الابتلاء بالشر لا في قليل منه ولا في كثير. بينما الواحد منهم جهبذ مغوار في الابتلاء بالخير! (ومن الناس من يقول آما بالله ، فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولنن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ، أليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ، وليعلمن الله الذين آمنوا ، وليعلمن المنافقين). وإذن فالانحدار إلى عالم الدنس الذي هو الرضا بالدنيا والاطمئنان بها ليس سمت المؤمن القانت الموحد. بل هو ديدن من يعبد الله على حرف ويقيس العبادة بمردودها الذي يعود عليه: (ومن الناس من يعبد الله على حرف ، فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين). نعوذ بالله من الخسران وأهله. يقول الأستاذ محمد المنجد في محاضرة له عن البلاء ما نصه: (للمصائب والابتلاءات في الكتاب والسنة سببان اثنان مباشران – إلى جانب حكمة الله تعالى في قضائه وقدره -: * السبب الأول: الذنوب والمعاصي التي يرتكبها الإنسان سواء كانت كفراً أو معصية مجردة أو كبيرة من الكبائر ، فيبتلى الله عز وجل بسببها صاحبها بالمصيبة على وجه المجازاة والعقوبة العاجلة. يقول الله عز وجل: (وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) ، قال المفسرون: أي بذنبك. ويقول سبحانه: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ). "تفسير القرآن العظيم". وعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الألباني. * السبب الثاني: إرادة الله تعالى رفعة درجات المؤمن الصابر ، فيبتليه بالمصيبة ليرضى ويصبر فيؤفى أجر الصابرين في الآخرة ، ويكتب عند الله من الفائزين ، وقد رافق البلاء الأنبياء والصالحين فلم يغادرهم ، جعله الله تعالى مكرمة لهم ينالون به الدرجة العالية في الجنة ، ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا سَبَقَتْ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بِعَمَلِهِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ). رواه أبو داود ، وصححه الألباني. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه النبي صلى الله عليه وسلم قال: (قَالَ: إِنَّ عَظْمَ الْجَزَاءِ مَعَ عَظْمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ). رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الألباني. وقد جمع السببان في حديث عائشة رضي الله عنها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً ، أَوْ حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ). رواه البخاري (ومسلم). هـ. ثم إن التداخل والاشتراك بين هذين السببين أعظم من الصور التي ينفرد كل منهما به: ألا ترى أن من ابتلاه الله بمصيبة بسبب ذنبه فصبر وشكر غفر الله تعالى له ذنبه ، ورفع درجته في الجنة ، ووفاه أجر الصابرين المحتسبين. كما أن من ابتلاه الله بالمصيبة ليلبغ المنزلة الرفيعة التي كتبها له في الجنة ، تكفر عنه ذنوبه السالفة ، وتعتبر جزاء له عليها في الدنيا ، فلا تكرر عليه في الآخرة ، كما وقع لبعض الرسل والأنبياء: كآدم عليه السلام ، ويونس عليه السلام! حين ابتلى الله تعالى آدم بالإخراج من الجنة ،

وابتلى يونس بن متى بالغرق في بطن الحوت ، فرفعهما الله بهذا البلاء لصبرهما واحتسابهما الثواب عنده سبحانه ، وكانت كفارة للمخالفة التي وقعت من كل منهما عليهما الصلاة والسلام. ويدلك على ذلك أن الجزاء الدنيوي لا ينفصل عن الجزاء الأخروي ، وأن اقتران ذكر هذين السببين جاء في كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة ، منها ما رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الْأَمْتَلُ فَلِأَمْتَلٍ ، فَيَبْتَلِي الرَّجُلَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صَلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ! وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ). أنشدت في هذا الصدد من البحر المضارع أقول:

يا جـاهلاً بالمعـالي	يا غـافلاً لا يبـالي
أفسدت دينك عمداً	يا مُعجباً بالضلال
ماضيك أين تنـولي	يا غارقاً في الوبال؟
قد كنت أرجو خطيب	يا يدعو بكل اعتدال
يا أوي - إليك - البرايا	يا بهمة وامتنـال
وعشت فيهم صدوقاً	يا تسومون ابتنـال
وكم نصحت ، فلبوا	يا في الأمسيات الخوالي!
وكم طرقـت قضايا	يا أركـت لهيب الجـال!
وكم عفتـت ، فقـالوا	يا قد حاز أركـى الخـلال!
وكم بـذلت احتساباً!	يا وكم سـهرت اللـيال!
ثم انحدرت فكانت	يا بلوى كمثل الخيال
لمـسا ابتليت بشـر	يا صـبرت رغـم النـكال
واليوم تبلـى بخيـر	يا فتنـتني في ارتـجال
يا صاح أقصر ، وأحسن	يا وغـذ إلي ذـي الجـلال

التوبة التوبة يا أبتاه!

(إن للوالد على ولده حقوقاً. ومن أهمها على الإطلاق حق إسداء النصيحة ومحاولة وعظه ، رجاء أن يهتدي ويتوب إلى الله تعالى. لقد اعتاد ذلك الكاتب الدنيء على كتابة الروايات القبيحة الفجة الماجنة الساقطة. فكان رأساً من رؤوس العفن الفني. وكان من إرادة الله تعالى أن يخرج من صلبه كاتب إسلامي عبقرى فذ. فراح يناشد أباه التوبة قبل الندم. وأنشأ يلح على أبيه ، والأب سادراً في الغي منصرفاً عن الحق إلى اللهو والمجون والفجور. إن التوبة إلى الله عز وجل من الذنوب ليست نافذة بعد هي فريضة وواجب إذا كان هناك قلب سليم نقي تقي. تقول الأستاذة الفاضلة دعاء الدغيم عن شروط قبول التوبة ما نصه: (* أن يخلص العبد في توبته: فيكون الدافع لها أخروياً لا دنيوياً ، وبيتغي العبد بها رضا الله تعالى وثوابه ويخاف من عقابه ، لا أن يتوب من أجل شخص ما أو غرض دنيوي يبتغيه في نفسه. * أن يعترف بذنبه: لا يمكن أن تكون التوبة صحيحة من أمر لا يعده التائب ذنباً ، إنما على العبد أن يقر أنه أذنب. * أن يندم على ذنبه الذي اقترفه ويتمنى لو أنه لم يفعله: إذا لا يمكن أن تُقبل التوبة من شخص يتباهى بذنبه ويتحدث به للناس. * أن يقطع عن الذنب الذي تاب منه: فلا تصح التوبة مع الإقامة على المعصية وعدم تركها. أن يعزم على عدم العودة إلى ذنبه: هذه نقطة حساسة ويجب الحذر منها ، فإن ترك العبد ذنباً اليوم وينوي الرجوع إليه غداً أو في أي زمن كان ، فليعلم أن توبته غير مقبولة عند الله - عز وجل - ، لذا يجب أن تكون نيته في توبته ألا يرجع إليه أبداً ، فإن حدث يوماً وعاد إليه ولم يكن قد نوى ذلك قبل توبته ، فإن توبته صحيحة ، إلا أنه يجب أن يتوب منه توبة جديدة. * أن يرد الحقوق إلى أصحابها: إن كانت توبته من ذنب فعله مع عبدٍ مثله وكان لهذا العبد حقاً عليه ، فيجب أن يعيد له حقه ، إلا إن سامحه ذلك الشخص وتنازل عن حقه ، فإن لم يسامحه ولم يعد له حقه ، فإن توبته مرفوضة. * أن تكون توبته في الوقت المسموح بها فيه: فهي مقبول طالما هو على قيد الحياة ، إلا إذا غرغَرَ عند أجله فإن توبته غير صحيحة وغير مقبولة. كذلك إذا أشرقت الشمس من مغربها - وذلك عند نهاية العالم - ، فإن التوبة حينها تكون مرفوضة أيضاً). هـ. وكانت الأستاذة دعاء الدغيم قد بنت هذه الشروط على بدهيتين في صدر مقالتها يحسن بنا أن نورد ههما: (* الأولى أن ابن آدم خطاءً بطبعه ، وليس منا معصوم إلا الأنبياء ، ولولا سعة رحمة الله لامتلائت صحائفنا بالذنوب وكتبنا على وجوهنا في النار ، لكنه سبحانه أتاح لنا فرصة عظيمة لمحو الذنوب جميعها ، ألا وهي التوبة ، من خلالها يمكن الرجوع عن الذنب وغفرانه مهما كان عظيماً ، بل ويفرح المولى - عز وجل - بتوبة عبده. ولولا التوبة لَيَسَّ الإنسان من كثرة ذنوبه ، وربما وأكثر من المعاصي لأنه يعلم ألا فائدة من تركها. إلا أن التوبة لها شروط لا بد من توفرها لتكون مقبولة عند الله - عز وجل - . * الثانية أنه من الجدير بالذكر أن رحمة الله فينا وفتحه باب التوبة مهما أذنبنا من ذنوب ، لا يعني أن نُرخي زمام المعاصي لأنفسنا ، فالبعض يقول: أفعل المعصية ثم أتوب منها طالما أن الله يقبل التوبة ، حيث لا يضمن أحدنا البقاء على قيد الحياة بعد هذه المعصية ليتوب منها ، فلا بد من الحذر والحرص على إرضاء الله - عز وجل - والقرب منه! لا التماذي في ارتكاب الآثام التي تزيد البعد والضلال). هـ. قال ابن القيم: "النصح في التوبة يتضمن ثلاثة أشياء: (الأول) تعميم جميع الذنوب واستغراقها بها بحيث لا تدع ذنباً إلا تناولته. (الثاني) إجماع العزم والصدق بكليته عليها بحيث لا يبقى عنده تردد ولا تلوم ولا انتظار ، بل يجمع عليها كل إرادته وعزمته مبادراً بها. (الثالث) تخليصها من الشوائب والعُلل القادحة في إخلاصها ووقوعها لمحض الخوف من الله وخشيته والرغبة فيما لديه والرغبة مما عنده. لا كمن يتوب لحفظ جاهه

وحرمته ومنصبه ورياسته ولحفظ حاله أو لحفظ قوته وماله ، أو استدعاء حمد الناس أو الهرب من ذمهم أو لنلا يتسلط عليه السفهاء ، أو لقضاء نهمته من الدنيا ، أو لإفلاسه وعجزه ، ونحو ذلك من العلل التي تقدر في صحتها وخلوصها لله عز وجل. فالأول يتعلق بما يتوب منه ، والثالث يتعلق بمن يتوب إليه ، والأوسط يتعلق بذات التائب ونفسه! فنصح التوبة الصدق فيها والإخلاص وتعميم الذنوب بها ، ولا ريب أن هذه التوبة تستلزم الاستغفار وتتضمنه وتمحو جميع الذنوب ، وهي أكمل ما يكون من التوبة". هـ. فتخيلت أن ذلك الابن الطائع المحترم المبتلى بهذا الأب المجرم الفاشل المنحط السافل يخاطب أباه بقوله: التوبة (الياء)! ورجاء أن تكون توبة ذلك الأب سريعة سرعة البحر الذي كتبت عليه ، فإني أكتب هذه القصيدة على البحر السريع.)

واعذر إذا صارحت في عظمتي	اعزم على الإقلاع يا أبتى
أقصر ، ولا تعمدا إلى العنت	مازلت بالأعفان تفضحنا
أغرث بنا هتافة الشمت	هذي - وربى - فتنة عظمت
فانصحه ، لا تركن إلى الربيت	قالوا: أبوك اليوم في عمه
بالرفق والتقوى بلا عنت	واغضب لدين الله محتسباً
يا صاح إن ترشده ينتفت	واهدي الذي في غيئه أبداً
لن يذهب التضليل بالنكت	دع عنك لينا قد يضل الله
من كل وجه ، بل ومن جهة	وأقرأ روايات له سلفت
واذكر له النيران ينكبت	وازجره عن غيٍّ وعن سفه
وأجأر: هداك الله يا أبت	والزم دعاء الله في سحر

شاعرٌ ولكن رافضي خبيث

(بلغ في شعره الذؤابة في الإجادة ، ولكنه رافضي خبيث ، يطعن في القرآن والسنة ، ويسب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ويتوعد أهل الحق ويناوئهم. فما قيمة شعره إن احتوى على مثل هذا المعتقد الفاسد الكفري الضال؟ أيها الشعراء في كل أرض: إن الشعر الجيد لا بد وأن يضم إلى مبناه الجيد مغزىً ومعنىً جيدين بالضرورة. وإلا فما قيمة المبنى إن لم يحتو على معنىً جيداً؟ ومن هنا يُفتن بمثل هذا النوع من الشعراء اليوم خلقٌ كثيرون. يقول الأستاذ الشاعر صالح الشاعر في تعريفه للشعر الجاد ما نصه: (في مفهوم الشعر وكنهه يمكن القول: إن الشعر تعبير بالكلمة له موسيقى وإيحاء ، وهذا تعريف على حد الواقع الخارجي ، فالشعر تعبير ، شأنه شأن سائر الفنون ، وهو تعبير بالكلمة المسموعة أو المقروءة ، وله موسيقى إن خلا منها لم يسمَّ شعراً ، وله إيحاء إذا خلا منه أصبح منظومات علمية أو كلاماً كالكلام. والشعر في غاية الأمر صورة لأفكار الشاعر يعبر عنها برصيد من التجارب مضيئاً إليه رصيماً من القراءات في الشعر وغيره ، ولهذا فالشعر مُعَبِّرٌ قوي عن ثقافة العصر واللغة الأدبية لعصر ما ، ولهذا كان ديوان العرب ، حين لم يكن ازدواج أو هوةً متسعة بين لغة الكلام واللغة الأدبية ، كان شعبيّاً ، يفهمه كلُّ أحد ، حتى الأطفال ، أمّا في عصرنا ومع ضعف أنظمة التعليم وانهايار الثقافة فالشعر فن موجه إلى الصفاة! وغالبًا ما يكون موجهًا لمستوى القراء المثقفين. وإذا شئنا أن نكتب تعريفًا للشعر بطريقة أخرى أكثر شاعرية فلنقل مع من قال: "إن الشعر كهربية جميلة ، لا تعمر طويلاً ، تكون النفس خلالها - بجميع عناصرها: من عاطفة وخيال وذاكرة وغريزة - مسرّبة بالموسيقى". ويعرف ماثيو أرنولد الشعر بقوله: "إنه نقد للحياة" لأن النقد هو حكم يصدر على جانب معين من جوانب الحياة وتفسير له ، فالشعر هو تعليق روح عظيمة على العالم الذي تحيا فيه. أما ورنوث فيقول: "الشعر انفعال يستعيده الذهن في سكون" ، وهو تعريف من الجهة النفسية ، فالحالة الانفعالية قد لا تكون موطنًا مناسبًا لنظم الشعر ، لكن استعادة هذه الحالة في قناع من السكون قد يخرجها في صورة شعرية مميزة. والشعر هو أنسب قالب من قوالب الكلام للتعبير عن العاطفة ، وقصيدة لا عاطفة ولا موضوع فيها ليست بقصيدة ولو اتخذت شكل القصيدة. وهكذا سنل الشاعر الإنجليزي (أودن): ما هدف الشعر؟ فقال: أن يمكّن الناس من الاستمتاع بالحياة بطريقة أفضل بعض الشيء ، أو من تحملها بطريقة أفضل بعض الشيء. وجوهر الشعر المخالفة ، والمباشرة السطحية تتنافى مع الشاعرية ، فلشعر لغته الخاصة ، وهي لغة تخالف في بعض مظاهرها اللغة المعتادة ، والعلماء يسمون المخالفة ضرورة ، وفي هذه التسمية ضرب من التجوّز ؛ فمفهوم الضرورة والاضطرار لا يستقيم مع الإبداع الذي يدخل فيه اختيار الشاعر وتحكمه في أدواته وسيطرته عليها. ولأن المخالفة سمة الشعر فكل شاعر يريد أن يترك بصمة تميز شعره عن شعر غيره من الشعراء ، إضافة إلى تميز لغته عن اللغة المنثورة. وهذه الغاية تخلق للشاعر أسلوبًا يتعامل به مع اللغة وأنظمتها الحاكمة ، كما يقول أحمد زكي أبو شادي في مقدمة الألبان الضائعة: "الشعر مكتوب بلغة لها قوانينها التي تتكامل فيها البنية النحوية مع الدلالية والإيقاعية ، ولسنا نشك في أن كل شاعر مطبوع له مسلك مع هذه القوانين وإن لم يكن واعيًا بذلك". هـ. وتحدث الأستاذ الطيب النقر عن ذات القضية وأثبت أن الشعر المعاصر فقد في عموم قصائده الموضوعات الجادة والقضايا الملحة ، فكان يسيرا بعد ذلك أن يفقد ذاته وكنهه وماهيته ، فلم تعد الأوزان ولا القوافي العربية الأصيلة ولا الوحدة الموضوعية في القصيدة الواحدة! يقول وبالنص: (لعل من أهم المزايا والسمات التي تميز بين الشعر العربي والقديم هو تهافت

شعراء العصر الحديث على الوحدة العضوية ، تيمناً بالغرب الذي لا يكثرث للأشعار التي تضطرب صورها الشعرية وتشتت خواطرها الفنية ، وهو أمر لم يكن يحفل به فطاحلة الشعر قديماً فالجاهلي الذي يعاني من جفوة الطبيعة وخشونة العيش نكفه رهقاً إذا طلبنا منه أن تأتي جميع الصور والظلال التي تحفل بها قصيدته متآلفة ومتجانسة لأنه مزيج من دموع ودماء وخليط من أنقاض وأشلاء لأجل ذلك لم يلق البدوي قديماً بالألحان «إلى تضافر الصورة مع الفكرة العامة أو الشعور الذي يهدف إلى تصويره. وغالباً ما كانت الصورة الجزئية مهوَّشة غير متآلفة في إبراز الصورة الكلية حتى لو اتحد موضوعها في الشعر القديم». كما أننا نلاحظ أن النقد الحديث لم يقتصر على قضية اللفظ والمعنى التي اضطرت حولها الآراء وتعددت فيها الأهواء ، لارتباطها الوثيق بتقدير قيمة العمل الأدبي ، وبيان الأثر الذي تركه في النفوس ، وإنما تطرق للعديد من الحقائق التي تستجلي الشكل ، وتستنبط المضمون في العمل الفني ، فنجد أن النقد الحديث قد عرّف الشكل والمضمون أو الشكل والمحتوى تعريفاً اصطلاحياً ، «فالشكل هو الصورة الخارجية ، أو هو الفن الخالص المجرد عن المضمون ، والذي تتمثل فيه وتتحقق من خلاله شروط الفن الأدبي ، فإذا حكمنا على قصيدة غنائية من حيث الشكل مثلاً قصرنا أحكامنا على كل ما يتصل بتحقيق الصورة الخارجية لهذا الفن من وزن وموسيقى وصور شعرية وصياغة فنية ، وبما قد يتحقق من خلال ذلك من جمال أو انسجام في الوحدة أو تناظر في الأجزاء ، أما المضمون أو المحتوى فهو كل ما يشتمل عليه العمل الفني من فكر أو فلسفة أو أخلاق أو اجتماع أو سياسة أو دين ، أو غير ذلك من موضوعات ذات شأن تاريخي أو وطني ، ومن هنا يكون المضمون أو المحتوى هو في غالب الأمر المادة الخام التي يستخدمها الأديب أو الشاعر ، والذي يشكلها الفنان في الصورة التي يريدها ، فنحن إذا نظرنا إلى معاور الجبال ، وكهوف الأودية ، التي يسمونها زيفاً وبهتاناً دواوين في عصرنا الحديث ، لوجدنا محاولات عديدة ترمي لتفتيت الصورة الموسيقية التقليدية للقصيدة العربية ، بعد أن أحس الشعراء المحدثون بوطأة الموسيقى الشعرية على أنفسهم ، وأحسوا أن مشاعرهم ووجداناتهم لا يمكن حصرها في تلك البحور العروضية المرصودة وكل مشتقاتها ، وأنهم في حاجة إلى شيء من التخفف ، ولكن يجدر بي أن أنوه إلى أن الثورة على القديم والامتعاض على الصور النمطية في نظم الشعر على وتيرة واحدة في القصائد لم يكن وليد هذا القرن ، فالتحرر من نير القافية والوزن والدعوة إلى التنوع والتجديد شدا بها رجال يمتلكون أجنة الكلام ، ويتصرفون في حواشي القول أني شاءوا ، ولعل من أهم مظاهر ذلك التجديد ظهور فن الموشحات الذي راج وانتشر في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن الثامن ، رغم أن أطلت على الوجود لأول وهلة في القرن الثالث ويعزى تأخرها لكبار الشعراء الذين كانوا يمتقونها ، لأنها لا تعني بالوحدة ولا تحفل كثيراً بالتناسق ، ويرون فيها دعوة للانسلاخ من كينونة الشعر العربي القديم الخليق بالبقاء والبقاء الطويل ، كما أن الموشحات كانت مقصورة على الأدب الشعبي ولا تتعدى مجال اللهو والمجون. ولما راجت وكثرت أغراضها تكلف كثير من الشعراء في موسيقاها ونظمها فكسدت سوقها ، ولعل ما لا يند عن ذهن أو يلتوي عن خاطر أن الموشحات فن ابتدعه الأندلسيون واندرس الآن رسمه. ولكن الحقيقة التي يجب بسطها هنا أن شعراء الموشحات لم يهدفوا إلا سوى التحرر من نير القافية والوزن في القصيدة القديمة ، ولم يدر بخلدهم أن يثوروا على المعاني ، ونظام القصيدة ، ليوسعوا المجال للموسيقى الإيحائية ، ليصفوا عن طريق الإيحاء بالنغم ما لا يوصف من المشاعر ، وأحوال النفس ، مراعاة للناحية الشعورية واللاشعورية والفكرية ، وهذا ما دعا إليه المجددون في أوزان الشعر العربي الحديث ، كما ينبغي بسط حقيقة أخرى مفادها أن القصيدة العربية قد أضحت في عصرنا الحالي مسخاً مشوهاً لا يُمت إلى أدبنا الرفيع بصلة ، ولا

يمت لمجدنا المؤثّل بسبب ، و غدت دواوين الشعر التي تفوق الحصى والرمل مجموعة من الأخطاء التي لا يتألف منها صواب ، و غاب عن ديوان العرب الذي تاه في بيدااء الحشو والإسفاف ، القصائد المطهّمة الموشاة بالحسن والبريق والمعان والجزالة ، وانزوى جمال الروى الذي في وهجه نور ، وفي بعثه حياة! وتغيرت معالم الأدب ومضامينه بعد أن جهدت العقول وتراجعت القرائح ، التي تهرع إلى الشعر من غير غاية ، وتنظمه من غير طبع. أما الشعر المنثور أو الحر الذي ابتلينا به في هذه الحقبة التي شاعت فيها البلبلة والاضطراب ، فهو مسخ لا يحرك العقول ، ولا يحمل النفس على تقصي أطرافه ، ومعرفة معالمه ومراميه ، مسخ ريحه زفر ، وحرفه ضجر ، ولا يروق لقاطني مدر ولا وير ، إلا لفنة أعيائها الدر المرصوف ، واللؤلؤ المنضود ، والتبر المسبوك ، الشعر الموزون المقفى الذي يبهر المُهَج ، ويسخر الألباب ، الحرف الموشى الذي أفرغ في قالب الفصاحة ، وعُطِن في رونق الحسن ، ذلك الشعر الذي يُخفف وطأة الكرب ، ويونس وحشة الطريق ، قصائد جياذ لا ترى فيها عوجاً ولا أمّتا ، كما لا تبصر فيها فتور لخيال أو خمود لعاطفة ، ولكن مع كل هذا لا نستطيع أن نزعّم أن شجرة الحر كلها حصرماً وزقوماً ، فمن الجور والشطط أن نعمم رأينا على كل قصائد إن جازت التسمية - المنثور أو الحر ذلك الشعر الذي لا يلتزم بوزن ولا قافية فبعض أبياته رغم ضعف الأداة ، وسقم الملكة ، ذهل من متانتها الجمهور وصفق لروعتها التاريخ ، فالشعر المنثور أو الحر له مع ذلك نوع من إيقاع ووزن خاصين به ، لا يخلو منهما نثر أدبي رفيع ، وإن لم يدخل في معايير الشعر المصطلح عليه ، وليس لهذا النوع من الشعر في العربية قيمة كبيرة حتى الآن! وعلى شاكلته الشعر المطلق أو المرسل الذي تهمل فيه القافية ويصاب فيه الوزن في مقتل ويراعى زمام الإيقاع وحده).هـ. وكان من اليسير على الشعر العربي المعاصر أن يفقد الهوية العربية ، بعد أن فقد أعلى وأسمى متعلقاته من الوحدة العضوية والقضايا الآنية والوزن والقافية. ولقد صدر مؤخراً عن وزارة الثقافة الأردنية ضمن سلسلة كتب ثقافية كتاب "الهوية العربية في الشعر المعاصر: من وهم الحقيقة إلى حقيقة الوهم" ، للناقد الأردني الدكتور محمد حور. ذلك الكتاب الذي يقع في 588 صفحة ، والكتاب كما تصفه الأستاذة منى شكري بقولها: (يمثل دراسة نقدية بانورامية لهوية الشعر العربي المعاصر في نهايات القرن التاسع عشر والقرن العشرين التي تحمل بين طياتها - كما يقول المؤلف في المقدمة - "الضدية" بين الأمل والطموح اللذين يراودان الخيال في الحرية والحب والرخاء والرفاه والوحدة ، انطلاقاً من تراث غني ومعطيات تبدو منطقية بالأرض والتاريخ والعقيدة والتاريخ واللغة والوعي... وبين الواقع الذي يقف سداً منيعاً أمام هذه الآمال. وسار الدكتور حور في دراسته بضوء الحقائق التاريخية التي عصفت بالأمة العربية وانهيار الدولة العثمانية وظهور الدولة القطرية ، وذلك من خلال رصد تحليلي للمنات من النصوص الشعرية العربية في تلك الفترة. جاء الكتاب في تمهيد وبابين وخاتمة ؛ انصبّ التمهيد على "الجذور التاريخية للهوية العربية" منذ العصر الجاهلي إلى مطلع العصر العشرين. وعني فيها بتشخيص الهوية العربية عبر هذه المسيرة ، وخلص فيها إلى أن ما جرى بين العرب في ماضيهم هو ما يجري في أيامنا: دعاوى عريضة ، حروب ومناكفات وأحقاد. وناقش المؤلف تحت عنوان: "في وهم الهوية" ، ومردّ هذا الوهم ، كما يقول الدكتور حور ، أن العرب عاشوا في ظل الحكم العثماني قرناً طويلاً ، تحت غطاء الدولة الإسلامية. وما إن تخلصوا منه ، حتى وقعوا فريسة لاحتلال أجنبي لا تربطهم به صلة ، فضلاً عن تناقضهم معه في كل شيء. فقاوموه بما أوتوا من قوة! بشعارات عاطفية انفعالية ، تتحدث عن "الهوية العربية" ، وتصب جام غضبها على المستعمر الأجنبي الخارجي ، لكنها كانت تفتقر للرؤية التي تعي حقيقة هذه الهوية ، وسبل تجسيدها على أرض الواقع في نهاية

المطاف. فكانت "الهوية العربية" في الشعر تمثل الأمل والطموح ، الذي لم يتحقق بزوال المستعمر ، عدا عن الإحباط الذي ألمّ بالأمة العربية ، وخيبة الأمل في شعاراتها وتطلعاتها).هـ. وأسأل: هل هذا النيل من الصحابة هو المعروف الذي تقدمه لهم بعد 14 قرن؟! والأستاذ الفاضل منقذ بن محمود السقار يتحدث عن: (معنى المعروف وأهمية هذه العبادة) فيقول ما نصه: (الأنبياء هم أسرع الناس إلى طاعة الله ، فهم الذين قضوا حياتهم في دعوة الناس وهدايتهم إلى خيرهم ، إذ حياتهم كلها بذل وتضحية ومعروف. فهذا إبراهيم الخليل ، بلغ هذه المنزلة بصناعته للمعروف ، فقد روى البيهقي في الشعب بسنده إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (يا جبريل لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً؟ قال لإطعامه الطعام يا محمد). وهذا موسى عليه السلام: {ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير}. وقال الله على لسان عيسى: {وجعلني مباركاً أينما كنت}. روى أبو نعيم وغيره بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في تفسيره للآية: (جعلني نفاعاً للناس أينما اتجهت). وكذا كان نبينا صلى الله عليه وسلم ، قيل لعائشة هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وهو قاعد؟ قالت: (نعم بعد ما حطمه الناس) أي بكثرة حوائجهم).هـ. وهذه القصيدة من قصائدي ما هي إلا ترجمة حية نابضة على ما أذهب إليه من وجوب جودة المعنى إلى جوار جودة المبنى. وإن لا يكن ذلك فلا شعر هنالك ولا شعراء! أكتب أقول في هذا الشأن على البحر المجتث:-)

نَعْمٌ ، قَرِيضٌ كَجِيٍّ ذُ	وَأُنْتِ - فِي الشُّعْر - سَيِّدُ
وَلَكِنْ الشُّعْرُ أَسْمَى	مَنْ الْأَذَى وَالتَّوَعُّدُ
إِذْ الْقَرِيضُ شَعْرٌ	مَنْ الْفَوَادُ مُجْرِدُ
وَدَفْقَةٌ مِّنْ عَطَاءٍ	لَمْ نَهْجِ الْخِيَرِ تَرَشِيدُ
وَمَا الْقَرِيضُ سِبَاباً	وَلَعْنَةٌ لِّسِ تَحْمِيدُ
وَلَيْسَ مَحْضٌ طَعُونُ	يَكِيلُهُ أَسْبَعُ ضُحْسُ
وَلَيْسَ قِيًّا وَنِيلاً	مَنْ الرِّعِيْلُ الْمُجْدُ
وَلَيْسَ قِيًّا ابْتِذَالاً	يَعِيْبُ أَصْحَابُ (أَحْمَدُ)
وَمَنْ يَنْهَمُ بِسَوْءٍ	فَذَاكَ - وَاللَّهِ - مُفْسِدُ
فِي خَيْبَتِهِ تَأْدَبُ	وَحَوْلَ عَنَّا التَّزْيِيدُ
وَأَنْصَفِ الصَّحْبَ ، وَاعْقِلْ	وَبَعْدُ قَارِبُ ، وَسَدُّ

جارة لا تراعي حق الجوار

(أراد تربية أولاده على مقاطعة الإعلام الجاهلي ، فإذا بهذه الجارة تفسد على أولاد جارها دينهم. زاعمة أنها تُسدي الجميل والمعروف. والأصل تحريم أذى الجار. وكان ينبغي عليها إن كانت واعية أن تحجب أولادها عن مثل هذا الدنس ، وتحافظ لهم على فطرتهم التي فطرتهم الله - عز وجل - عليها. وكان يجب عليها أن لا تنزلق بأولادها وبناتها نحو الهاوية. أما وقد امتد الشر إلى أولاد الجار فقد باءت بوزر الكل: أولادها وأولاد جارها! إذ عندما يأتي أولادها إلى بيت ذلك الجار فإنهم يسمعون من آيات القرآن وأحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشيء الكثير. فهل يكون ردّ الجميل أن أولاده عندما يذهبون إلى بيت جارتهم ينزلقون نحو الجاهلية بمسلسلاتها وأفلامها ومسرحياتها؟ إن هذا لشيء عَجاب! فرحْتُ هنا أعظها على البحر المتدارك لتدرك أمرها وتحسن مرتين إلى نفسها وأولادها ، وإلى جارها وأولاده!)

جارتنا تلعب بالنجار	وتضّيع أبناء الجار
وتبذد ما قد رستخه	فيهم من سُنن المختار
وتتلف زهم كسي ينحرفوا	ويعيشوا مثل الأشرار
وتحطمهم بس ذاجتها	وتسربلهم بالأخطار
أين جوارك يا جارتنا؟	ولماذا سَممت الإصرار؟
أين حقوق الجيرة ذهبّت؟	إذ قُربت دارك من داري!
فالتزمي شِرة خالقتنا	وانتهجي نهج الأبّار
وارعي جيرتنا ، واحترمي	ما ناولتك من تذكّار
أولادك إن جاؤوا عندي	سمعوا الذكر بكل وقار
وبذلت لهم من تربيتي	ما يجعلهم خير صغار
وأمرت بمعروفٍ دوماً	وقرأت لهم من أشعار
ونصحت لهم ، كي يعتبروا	وحكى لهم من أفكار
وسألهم عما قد علموا	من أفعال ، أو آثار
يا جارة رُدّي معروفِي	دون تنوان ، أو أعمار

أسماء وألقاب

(ينفخ أهل الجاهلية في بعض الشخصيات التي تعصّد منهجهم. ولا تعدون كونها أسماء وألقاب لماعة فقط. فكم من مستشعر ساقط جعلت منه الجاهلية شاعر الجيل! وكم من مدع للكتابة وليس يدري عن الكتابة أي شيء ، صنعت منه الجاهلية كاتباً عملاقاً! وكم من عديم أخلاق وفكر ، صنعت منه الجاهلية مفكراً كبيراً! والله يشهد إنهم لكاذبون. بل كانت هذه أسماء وألقاب تتداول بين الناس ليس إلا. أكتب عن هذه الأسماء وتلك الألقاب على البحر الطويل!)

عجبت لأهل الجاهلية لمّعوا	مهازيل في الساحات ، والدار بلقغ
ثلّمع ألقاباً ، فتسمو بأهلها	كرقعة ثوب - بعد خرق - ثرقع
أساليب لا تخفى على ذي بصيرة	وهذا الذي ممن عموا يتوقع
وكم من جهول قدموه ، وعظموا	جهالاته ، ما ذاك إلا تصنع!
نفاق تمطى - في الديار - تشامخاً	وأربأبه - من كل صقع - تجمعوا
وضاعت كفاءات جليل عطانها	ولما يعد للصيد - في الدار - موقع
وسد أمر الناس للبابه والغشا	ولما يعد للشم - في العيش - مطمع
وبادت معايير الهدى بين قومنا	ولما يعد للحق - في الدار - موضع
فأغلبهم يحيون في تيهه بغيرهم	عن الحق ، هل تيه الضلالات ينفع؟
وأفذاهم تاهوا ، فقد غلب الهوى	فهل من حضيض ذلك الظلم يرفع؟
وكم زهدوا - في وحي ربي - جهالة!	وما من فتى إلا لذا الجهل يخضع
وتبقى بقايا من مغاوير قومنا	فهم سجد لله - دوماً - ورُكع
وإن يحرّموا الألقاب حيزت لمن غووا	فإن التقى زاد يعف ويشفع
فيا غصبة الأسماء بيضي وفرخي	سيظهر ربي من تفانوا ، وأبدعوا
وإن حل ليث الغاب يبيدي زيره	فهل - بالنقيق الغث - يختال ضفدع؟

لأنها من الصعيد

(انتقلت من القرية إلى المدينة في بيت أخيها الأكبر لأنها تدرس في الجامعة. واستطاعت بفضل الله ورحمته وعونه أن تحافظ على دينها وتقاليدها قومها الموافقة للشرع حتى انتهت من دراستها. وعادت وما للجاهلية عليها بصمة. وقليل من الأبناء والبنات من يفعل ذلك. إذ إنهم يتوهمون أنهم إن ذهبوا إلى المدينة بحجة الدراسة هناك ، فقد انفلتوا من رقابة الوالدين والأهل (وهذا صحيح) ، فهل انفلتوا كذلك من رقابة الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء؟ إن الذي يظن أنه يخدع الناس قد يتحقق له ذلك. والذي يظن أنه يخدع نفسه فليفعل ما بدا له. ولكن من كان يظن أنه يخدع الله رب الأرض والسماء فهيئات هيهات! ومن هنا فقد أعجبني سلوك هذه الفتاة الجامعية الصعيدية التي امتحنت هذا الامتحان الشاق العسير ، فاستعانت بالله وأعانها الله وحقق نجاتاً كبيراً في المحافظة على نفسها التي بين جنبيها من ركام الجاهلية وفتنتها الماحقة ، فحييتها بالشعر! في مقالة طويلة عنوانها: (الكرامة الإنسانية ومظاهرها في الإسلام) بقلم: آصف إقبال القاسمي الجهان آبادي ، باحث الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها ، جامعة دلهي ، يقول الباحث ما نصه: (خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم ، وصوره أجمل تصوير وكرمه أكمل تكريم ، فشرّفه بالعلم والعمل ولقبه بأشرف الخلائق في الأرض ، وأمر الملائكة بالسجود له عند خلقه من صلصال من حمأ مسنون ، وقد جعله الله تعالى خليفة له على الأرض ، ومنحه العديد من المواهب والمزايا التي تميزه عن سائر المخلوقات والمكونات، فوهبه العقل الذي يميز به الصحيح والخطأ والمفيد والضار، والخير والشر ، ووهبه القدرة على التفكير والشعور حتى يخوض فيما يحيط به هذا الكون من الأفلاك والسيارات والفضاء والبحار والمعادن. وسخر له هذا الكون وجعل كل ما فيه وحتى الملائكة لخدمتهم ، واختار من هذه البرية المكرمة صفوة من الأنبياء والمرسلين واجتباهم لهداية العلمين ، وقد أعطى الإنسان حرية الاختيار في الكثير من الأشياء ، فالإنسان قادر على اختيار ما يريد اتباعه أو ما يريد القيام به ، ولهذا صار مسؤولاً ومحاسباً وبه أصبح مكرماً ومحترماً ، وكل ذلك هو من مظاهر تكريم الله للإنسان ، واحترامه له وتفضيله على كل المخلوقات التي تشاركه العيش على سطح هذه الأرض. وإنما الكرامة الإنسانية كما ينص عليه الإسلام هي حقٌّ مشاعٌ ، يتمتع به الجميع من دون استثناء وتقييد ، فلا يجوز لأحد أن ينتهك كرامته ويخرق شرفه ومكانته المرموقة ، ولا يمتلك أحدٌ أن يجرده من كرامته التي أودعها إياه وجعلها من فطرته وصلبه ، ويستوي في ذلك المسلم الذي يؤمن بالقرآن وبالسنة وغير المسلم من أهل الأديان الأخرى ، أو من لا دين له ، ولكي تصان هذه الكرامة وتحفظ هذه المنزلة ، فقد شرع الله سبحانه للإنسان العديد من التشريعات والتوجيهات. وتعتبر «الكرامة الإنسانية» من أهم القضايا الإنسانية الحديثة لدى المنتديات الإنمائية والمنظمات الإنسانية الدولية ، وتنال اهتماماً واسعاً من قبل مؤسسات وهيئات المجتمع المدني والسياسي ، وتتصور هذا المصطلح أساساً للقوانين العالمية العادلة لحقوق الإنسان وقضاياها ، وتستند إليه الدساتير والتشريعات الحكومية الدولية في أيامنا هذا، وعياً بأن الكرامة الإنسانية لا بد من تفعيلها في المجتمع الإنساني النامي. فأول من أدخل مفهوم الكرامة الإنسانية في دستوره كما أفادت الموسوعة الحرة «ويكيبيديا» ، هم الإيرلنديون سنة 1937م ، وبالتالي جرت البلاد الأوربية الأخرى وما سواها من الدول العالمية مجراها ، وأثبتت قانون الكرامة الإنسانية في دستورها ، لتتم القوانين من تحت سقفها ، فتبقى أسمى من أن يعلو عليها قانون أو حكم ، فهي منبع القوانين والدساتير للدول والمؤسسات

في العصر الراهن أي عصر «الأيدولوجية» هـ. وأفخر وحُق لي أن أفخر بفضليات بنات الصعيد من المسلمات المؤمنات الموحدات اللاني آثرن الآخرة على الدنيا! وإن كنت أنسى بنات (الكولة) ونساءها هناك في أخميم - سوهاج في صباحهن الباكر ، وهن يستيقظن مبكراتٍ نشيطاتٍ هذه إلى مزرعتها حاملة حشائش الحيوانات فوق رأسها ، وتلك إلى حقلها حاملة المسحاة والمقاطف وغيرهما من الأدوات ، وهاتيك إلى مدرستها حاملة حقيبة الكتب والدفاتر والكراسات والأقلام! في دأب ونشاط وحيوية ، متفاعلات مع الحياة ، يبتسمن للحياة ، وتبتسم لهن الحياة! وما (سُمية) بطلة قصيدتنا إلا واحدة من هؤلاء وإن اختلف المكان والزمان والحال! ومن هنا رحّت أفخر بسُمية ابنة الصعيد المثالية التي استطاعت بفضل الله تعالى أن تدخل المدينة للدراسة ، وتخرج وقد أحرزت الهدف ، ولم تكن - للمدنية الزائفة ولا للجاهلية الضاربة الأطناب في الأرض اليوم - عليها بصمة من بصماتها النكدة العفنة! فجزاها الله خيراً ، وأتم عليها فضله العظيم! وإذا لم أفخر بسُمية وأمثالها فبمن أفخر؟!)

قَدْتُكَ الميمون من أمداحي	يا بنت خير قبيلةٍ وبطاح
ما عشتُ أكبرُ عادة ، أخلاقها	تهفو لكل فضيلةٍ وصلاح
والدينُ جمَّالها ، وصان عفافها	فالدينُ خيرٌ وسيلةٍ وسلاح
والشرغُ أفضلُ ما يصون صبية	في حانة الأوتار والأقداح
وبداوة درجتُ على نفحاتها	في (النجع) بين مناكب الأدواح
حتى إذا شئتُ تقلدتُ الهُدى	وتفخرتُ بعباءة ووشاح
وتلتُ من الآيات ، تُفحم خصمها	لا شيء يُزري بالهُدى المنصاح
وتمسكتُ بالحق دون ترهل	فاستبشرتُ بالخير والأفراح
والمغريات على الدروب كثيرة	لا شيء بين الناس غيرُ مباح
وصويحاتُ بعن كل فضيلةٍ	بدرهم الغادين والرواح
ومناهجُ تدعو لكل رذيلةٍ	كزنا الدواعر واشتباك الراح
لكنَّ غادتنا تسامتُ وارتقتُ	واستعصمتُ بشريعة الفتاح
تا الله ما ضد الأمور كضدها	شتان بين (سُمية) و(سجاح)!
هذي (السُمية) من صعيد بلادنا!	و(سجاح) عرضٌ بيعَ ببيع سَماح!

رسالة إلى رافضي خبيث

(أخذ يسب صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - في قناة تليفزيونية رافضية. وهالتي جراته اللامحدودة في كيل السباب والشتم غير عابيء بمن يستمعون إليه! ولا أزال أتساءل: لماذا أطلت هذه النعرة الرافضية اليوم بكل صفاقةٍ ووقاحةٍ ، للمناسبة ولغير المناسبة ، للسبب ولغير السبب؟ وأراهم يريدون بذلك أن يطفئوا ضوء الشمس بأفواههم العفنة الدنسة. وما هم على ذلك - مهما أجهدوا أنفسهم وتكلفوا المشاق - بقادرين. سيظل الإسلام كما هو وكذلك أتباعه! ويكاد يصدق فيهم قول الشاعر:

(كناطح صخرةً يوماً ليوهنها فلم يضرها ، وأوهى قرنه الوعل!) وما هم أولاء يشتمون ويسبون ويلعنون وينتقصون صحابة النبي - صلى الله عليه وسلم - ورضي الله عن صحابته أجمعين ، فهل أثر - في الأجيال المتعاقبة عبر التاريخ - شيء من ذلك؟ حتى سمعت ذلك الرعيد القدر يتناول عليهم ، والمذبة (مادلين) التي أظنها تدين بدينه وإن لم تكن رافضية صريحة فهي رافضية بالإقرار والرضا ، لأن الرضا بالكفر دون إكراه - والإكراه السيف - كفرٌ كما قرر أئمتنا. عمدت هذه المذبة إلى مجاراته وكأنه يقول الحق! ولم يتمر وجهها غيرة على الصحابة ولا سخطة لدينها إن كانت تزعم أنها مسلمة! بل أقول: إن الوجه الذي زخرفته المساحيق وكريمات التجميل - شأن عواهر السينما والتلفزيون - لا يتمر غيرة على الصحابة ولا سخطة لدين لأن صاحبته ابتداء غير ذات دين. فنظمت فيه وفيها هذه القصيدة التي صببت فيها جام غضبي عليهما! وفي مقال عنوانه: (حكم سب الصحابة) يقول الأستاذ علوي عبد القادر السقاف ما نصه: (ليس سب الصحابة على مرتبة واحدة ، بل له مراتب متفاوتة ، فمنها سب يطعن في عدالتهم ، ومنها سب لا يوجب الطعن في عدالتهم ، وقد يكون السب لجميعهم ، وأكثرهم وقد يكون لبعضهم ، وهناك سب لمن تواترت النصوص بفضلها ، ومنهم دون ذلك. وسنورد جملة من أنواع سب الصحابة رضي الله عنهم مما يعد ناقضاً من نواقض الإيمان على النحو التالي:- أ - إن كان مستحلاً لسب الصحابة رضي الله عنهم فهو كافر فمن المعلوم أن جميع الصحابة رضي الله عنهم عدول ، وقد أجمع العلماء على عدالتهم ، لما جاء في الكتاب والسنة من الثناء الحسن عليهم ، المدح لهم ونقل هذا الإجماع جمع كثير من العلماء ، منهم النووي حيث يقول:- (وكلهم عدول رضي الله عنهم ، ومتأولون في حروبهم وغيرها ، ولم يخرج شيء من ذلك أحداً منهم عن العدالة. - إلى أن قال - ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم ، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين). ويقول ابن الصلاح في مقدمته: (للصحابه بأسرهم خصيصة ، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه ، لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة. - إلى أن قال - ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة ، ومن لابس الفتن منهم فذلك ، بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع ، إحساناً للظن بهم ، نظراً إلى ما تمهد لهم من المآثر وكان الله سبحانه أتاح الإجماع على ذلك ، لكونهم نقلة الشريعة والله أعلم).هـ. ويقول ابن كثير: (والصحابه كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز ، وبما نظقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم ، وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل ، والجزاء الجميل). وقد تقرر أن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حرام بالكتاب والسنة ، قال تعالى:- (وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا). قال ابن تيمية: (وأدنى أحوال الساب لهم أن يكون مغتاباً). وقال عز وجل: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ). قال ابن تيمية: (ومحبة

الشيء كراهته لظده ، فيكون الله يكره السب لهم الذي هو ضد الاستغفار ، والبغض لهم الذي هو ضد الطهارة).هـ. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين). فسب الصحابة كبيرة من كبائر الذنوب ، لما ترتب عليه من الوعيد باللعة ، واستحلال سبهم إنكار لما علم تحريمه من الدين بالضرورة ، ومن ثم فهو خروج عن الملة).هـ. أعاذنا الله من الوقوع في أعراض عوام المسلمين فضلاً عن خواصهم وخواص خواصهم!)

مازلت تلعن ، حتى قيل مجنون
والحقْدُ - في قلبك المريض - مكنون
رصدت ما تشتهي من كل سخرية
لتغمز الصحب ، واستهوتك (مادلين)!
وقلت زوراً من الكلام ، تقدفه
وكيف تغني - عن الحق - الأظانين؟
تسب قوماً بحب المصطفى شرفوا
وإن سؤددهم بالخير مقرون
تعال منهم ، ولم تبلغ مكانتهم
لا يستوي الماس في التقييم والطين
اليوم تلعن في سر وفي علن
وللروافض - في السواى - أفانين
وبعضهم يسنظر الأسفار مرتجلاً
وللسباب أساطين تُنقحه
لن تمكروا - في الورى - إلا بأنفسكم
ففي القلوب - لهم - حب يسامرنا
مباركون ، ورب الناس جنودهم
ففي القلوب - لهم - حب يسامرنا
ومن تنقصهم ، فالنار موعده
هم أفضل الناس ، مهما كال شانهم
هم أنبل الناس ، مهما قيل من سفه
يارب فارض عن الأصحاب قاطبة

شرفت بالإسلام يا أبتاه

(كان ذلك الفتى هندوسياً ، ثم منّ الله عليه بالإسلام ، فأخذ يدعو قومه الذين تألبوا عليه جميعاً. وفي النهاية هدى الله - سبحانه - أباه للحق ، واتبع الدين الحق. وبقي الأهل جميعاً على هندوسيتهم! فلغنة الله على الكافرين. وإنه لشعور طيب أن يجتهد ابن ليهدي الله أباه على يديه. ويوماً قيل للإمام أحمد: (لقد شرف الإسلام بك يا أحمد!) فصّح أحمد العبارة لقائلها وأمره أن يقول: (لقد شرفت بالإسلام يا أحمد!) إننا حين نسلم لله رب العالمين ، لا نضيف للإسلام شرافة ولا صيتاً حسناً ولا مجداً تليداً! بل نحقق ذلك كله لأنفسنا! ومن هنا اخترت ذلك العنوان بعد أن تخيلت هذا الفتى ينشد شعراً لأبيه مفتخراً به وبدينه الجديد. فأنشدتُ أقول وعلى البحر العروضي الخفيف:-)

والدي اليوم حاز كل المعالي
ليس شيءٌ مثل الهدى والتسامي
واجبي كان النصح كي يستجيبوا
فاصطبرتُ في دعوتي دون يأس
وسألتُ الرحمن عوناً وتقوى
وبذلتُ الجهد الجهد احتساباً
فإذا بي ألقى الصدودَ جزاءً
جَلَّ مَنْ يهدي لللقى بعض قوم
قد هدى لللقى أباً ، لم يُعانِدْ
يا أباي قد شرفتُ بالسلم ديناً
تعس الشرك! كم له من ضحايا!
يا أباي جازاك المهيمُ خيراً
أن هداك المولى لدين قويم
يا أباي فادعُ الآخرين ، وأحسنُ
إذ هداه رب السورى ذو الجلالِ
والتقى يسمو - دائماً - بالفعال
والنقاش من دون أدنى انفعال
وتجنبْتُ صرعتي وارتجالي
وابتهلتُ حتى أجاب ابتهالي
وانطلقتُ - في دعوتي - لا أبالي
كيف يرضى ذو حكمةٍ بالضلال؟
ويُضل أهل الهوى والخبال
تركه للكفر من قبيل المُحال
ثم أصبحتُ من خيار الرجال
ثم عُقبى السواى أليم الوبال
إن هذا عندي ليوم احتفال
إن دين الإسلام دين المعالي
ربما قد أنست بعض امتثال

شاعر مفترى عليه

(فتح الله عليه في الشعر فتحاً مبيناً. فأجاد الكتابة والإنشاد على كل بحور الشعر العربية. وصقل الموهبة بالدراسة فأبدع ، فإذا بالمحيطين به يدفعهم حقدهم عليه وحسدهم إلى النيل منه والتخرص عليه والتشفي فيه. وكان الأحرى بهم أن يفاخروا ويفتخروا به ، أو حتى يعضوا الطرف عنه ، فلا يمتدحونه ولا يذمونه. أما أن يستطيلوا في عرضه ، ويلوكون سمعته تشفياً وحقداً ، فهذا أمر لا تقبله النفس ، ولا يُقره الضمير. وتعظم البلوى عندما يهب لمواساة ذلك الشاعر رجلاً من غير أهل ملته ، وليس له علم بالعربية نثراً ولا شعراً! فإذا بالشاعر يُسر بهذا العامي الذي جلى حقد وحسد المثقفين هؤلاء! فكتب منشداً أقول:-)

أرْح - مَن لومِك - الناسا	ويكفيك السذي واسي
ودع إفكاً رموك به	فليس الإفك مقياسا
فقد علمت ما جهلوا	ألا فلتعذر الناسا
وهم كالوا الأسى حسداً	وجروا الويل والباسا
وأشواقهم من استعلى	بباطله ، وما آسى
وأشعل فتنة طالعت	فواداً عاش حساسا
وشج بسيف صولته	فتى - في القوم - نبراسا
وعباب الشعر دون حيا	وما قاسى السذي قاسى
ونال بجهله رجلاً	عزيز النفس مناسا
وشن الحرب مزرعة	بأجناد ، وذاساسا
وساق الشعر في قيد	أبسات الغر نخاسا؟
تذم الشعر يعال كعاً؟	فهل أوتيت قسطاسا؟
شعوري صغته شِعراً	يذرّ الفل والآسا
فكيف تقول: رُفعت	يراهنا الناس أكياسا؟

أرشيف الانهزام

(لا يزال المؤمن في بلاء. فمن محنة إلى محنة. ومن كربة إلى كربة. وهكذا يُبتلى المرء على قدر إيمانه. ولكن عندما قلب ذلك المؤمن أوراق الانهزام شعر باليأس ، وكان نبينا - صلى الله عليه وسلم - يُحب الغال ويكره التشاؤم. ومن هنا وجب اتباعه في كل أمور الحياة (وإن تطيعوه تهتدوا) ، (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) ، (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا). وإذا كان ذلك كذلك فإنه يجب على كل مؤمن موحد قانت أن يتفاعل ويُحسن الظن بالله. كما يجب عليه أن يعلم أن الأمور تجري بمقادير ، وأن الله غالب على أمره ، وأن ما أصابه لم يكن ليخطأه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. أما أن يكون مثل مؤمن قصيدتنا هذي فلا! ولذا أنشدته على الرمل هذه القصيدة حتى يتفاعل.)

بُشريات الخير نوراً تشرق
ونسيم النصر - في الجو - سرى
وأريج الفوز وافى بالمنى
وانتصر للحق لا تركز إلى
وتفعلن ، أنت أهمل للمضا
لا تطالع ما احتوى سفر الأسي
إن في (أرشيف) ما تخفي جوى
وبلاء الله حتم لازم
سنة في الناس ، ليست تنتهي
يبتلى الناس ، فشمهم ثابت
فاصطبز إن حل بأس ، أو بلا
واقرا القرآن ، وادرس آية
وادرس السنة تمنحك الرجاء
ولتفق - يا صاحبي - من صدمة
والتبـاريخ عبيراً تعبر
وانجلى - عنك - القنوط المحدق
فاسم للعلياء ، أنت الأسبق
من إذا أحزرت نصراً يحرق
إن تفاعلت فمنع المنطق!
إن تقلب البلبابا يوبق
يفجع القلب بما يستغرق
ليرى الكذاب ممن يصدق
وبها النص الذي لا يخرق
ومراء ينزوي ، أو يمزق
إن تضق ذرعاً ، فبئس المزلق!
تُرزق التصبير فيما تُرزق
فالرجاء - في الله - خير مطلق
في مهاويها - وحيداً - تغرق

أشواك على الطريق

(مخطيء من وضع في حساباته أن طريق الدعوة إلى الله مفروش بالورود والرياحين. بل هو مفروش بالأشواك بكل نوع من أنواعها ، ومُحاط بالعقابيل والعراقيل. وعلى الداعي أن يتجاوز هذا كله بحكمةٍ وروية. والنصرُ حليفُ الحق. ولكل مجتهدٍ نصيب. ويهب الله العصمة على قدر البلاغ: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين). وقد ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الجنة حفت بالمكاره وأن النار حفت بالشهوات. وطبيعي جداً أن تكون الشهوات محببة إلى نفوس الكثيرين من الناس ، حيث إن الله زينها لهم ابتلاء واختباراً: (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب). وطريق الدعوة هو السبيل الموصلة إلى الجنة فكان ولا بد من أن تكون محفوفة بالمكاره والمخاطر. والذي لا يجد في نفسه القدرة على تحمل الجد والمشاق والمتاعب والمكاره فليحاول أن يوطن نفسه عليها ، فإذا وجد من نفسه جزءاً أو هلعاً أو خوراً فليزِم نفسه بطاعة ربه وليترك مضمار الدعوة لغيره من القادرين على تكليفه الشاقة! في محاضراته الطويلة التي عنوانها: (عقبات في طريق المسلم) يقول الشيخ: (عبد الله الجلاي) ما نصه: (في طريق الجنة زلزلة وبأساء وضراء وأمور مخيفة وإزعاج وأذى للمؤمنين وتقبيد لحرية الدعاة وغير ذلك ، إلى أن يصل الأمر إلى شيء من اليأس في نفوس بعض المؤمنين ، وشيء من الاستبطاء في نفوس الصادقين من المؤمنين والأنبياء فيقولوا: (متى نصر الله)؟ وفي مثل هذه اللحظات يأتي نصر الله ، ولكن بشرط أن لا يرجع المسلمون من منتصف الطريق ، وهذا هو أخوف ما نخاف على المسلمين ، لا سيما الذين ولدوا في حياة أمنة مطمئنة ، ولا يعرفون في طريق الجنة هذه العقبات ، ثم يفاجئون بهذه العقبات ، ثم يصابون بشيء من الفتن ، ثم يرجع بعضهم من منتصف الطريق ، ويقول: أنا هربت من العذاب ، فكيف أقع في العذاب؟ وهذه فكرة ناس من ضعاف الإيمان ، ولذلك يقولون هذا. ولذلك الله تعالى ذكر عن هؤلاء القوم أن منهم من يقول: (أما بالله) بلسانه ، ثم يبتليه الله عز وجل بشيء من هذه العقبات التي تعترض سبيل المؤمن في طريقه إلى الله عز وجل والجنة والدار الآخرة ، ثم لا يتحمل ؛ لأن إيمانه ضعيف ، ثم بعد ذلك يرجع من منتصف الطريق ، وهؤلاء هم الذين يقول الله تعالى عنهم: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ فَاذًا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ، يعني: أصابته فتنة من فتن الحياة الدنيا جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ ، أي: أذى الناس (كعذاب الله) أي: كأن يقول: أنا هربت من عذاب ووقعت في عذاب محقق أمامي أراه بعيني وأعيشه ويؤذيني ، فهل أتحملة من أجل خوف وهروب من عذاب منتظر ما رأيته حتى الآن؟ يقول بنفسه كذا ؛ لأن إيمانه ضعيف ، فيرجع وينكص على عقبيه. لكن إذا جاء النصر وجاء المال وجاءت النعمة والخيرات مع هذا الدين يأخذ هذا الدين ؛ لأنه ليس فيه مشقة ، فإذا ما أصابه الفضل من الله عز وجل أخذ بهذا الدين ، ولذا قال: وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ ، يعني: أصبح المسلمون في عزة لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ، أي: في هذه الغنيمة أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين؟ فالذي يكابد هذه الشدائد والذي يريد أن يأخذ من هذا الإسلام ما لان عليه أن يعلم أن الله تعالى أعلم بما في صدور العالمين. هذه هي الفتنة التي نسمع أخبارها في القرآن ، وهذا هو الابتلاء الذي يقص الله تعالى علينا أخباره ، وأن هناك من الناس من لا يتحمل هذه الشدائد لأنه يعبد الله على حرف ، أي: على طرف بين الإيمان والكفر ، بمعنى أنه لم يتمكن الإيمان من قلبه! ولذلك لا تعجب في أيام الفتن من أن ترى من الناس من يضطرب إيمانه ، ومن يهتز يقينه بالله عز

وجل وخشيته من الله عز وجل ، فيرجع دون أن يكمل المشوار إلى الله عز وجل وإلى الدار الآخرة ؛ لأنه كان يعبد الله على حرف ، وعلى طرف بين الجاهلية والإسلام ، فهذا لا يمكن أن يثبت على دينه إلا حينما يكون هناك خير وتكون سعادة ويكون رخاء وتكون غنائم ويكون المسلمون في راحة ، وهذا هو الذي يحتاجه كثير من المسلمين في أيامنا الحاضرة! يريدون إسلاماً ليست فيه فتنة ، وليس فيه ابتلاء ، فالجهاد ثقيل على النفوس ، سواء أكان جهاداً بالحجّة التي ربما تضع بعض العراقييل في طريق المسلم في سيره إلى الله تعالى ، أم بالمال الذي هو غالٍ عليه ونفيس ، أم بالنفس التي يراق فيه الدم وتسلب فيه الروح). هـ. والله تعالى يهب العصمة للداعية على قدر بلاغه! وصدق الله: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)! والداعي فليستعد!

تأمل ما يعجّ به الطريقُ فففيه - من البلا - ما لا تطيقُ
وراجع سيرة الأبطال ، وانظرُ لتأتي - يا لبيب - بما يليق
فدربُ الحق فيه من البليبا ومن ألم الفواجع ما يُفريق
وكيف يعود حقّ دون بذل؟ وهل - بالنوم - تُرتجّع الحقوق؟
سبيلُ الله طابعُها ابتلاءً وسالكها - ببلاها - حقيق
فممتحنٌ بأموال وأهل إليهم - رغم شدّته - يتوق
وممتحنٌ بأولادٍ وزوج وشوقُ فؤاده لهم عميق
وممتحنٌ بأوطان ، ودار لها - في قلب صاحبها - بريق
وممتحنٌ بنفس ، أو بروح لأجلهما انزوى عنه الطريق
وممتحنٌ بأصحاب ، وربيع ويهزم إن نأى عنه الصديق
وليس الدرب مفروشاً بوردٍ يُداعبه الغروب ، أو الشروق
وليس الدرب يرضى بالكسالى ومن قلبي بهم - ذرعاً - يضيق
ففي الدرب الدغاول ، والدواهي وفيه السيف ، بل والمنجنيق
وفيه جماجمُ الشهداء كلمى وبالدم - فيه - زغردت الغروق

عندما يعف الواعظ

(إن الوعاظ نوعان: النوع الأول صاحب وظيفة ارتزاقية. والثاني صاحب رسالة ربانية. ولكل منهما أوصافه وصفاته وخصائصه المستقلة التي بها يُعرف ويُميز بين الناس. فإن صاحب الوظيفة الارتزاقية التكسبية لا قرار له ولا إرادة ، بل القرار والإرادة للقابعين فوق مسرح العرائس ليسحبوا الخيوط حسبما يريدون فقط. وليس له أن يعترض بل يقول ما يريد هؤلاء ويسكت عندما يريدونه أن يسكت ، ويسخر عندما يريدون منه أن يسخر. لا علم عنده ولا خشية لله في قلبه ولا رسالة يحملها للناس من ربهم بين جوانحه. لا تأثير له في الناس إلا فيمن هم على شاكلته ممن يكرهون الدين ولا يرفعون به رأساً. يسهل على الناس كل عسير ولا يكاد يغضبهم في شيء ، فهو يقرهم على بدعهم ومخالفاتهم. أسدّ على أهل الحق ونعامة على أهل الباطل! وأما صاحب الرسالة الربانية فهو عبدٌ لله تعالى ، يعرض دعوة الله بدون تحريف ولا تعديل وإن غضب زيد أو عمرو. لا ينزل للناس على ما يريدون ولا يتحكم فيه أحد ولا يطوع الدعوة لهوى أهل الجاهلية. أسد على أهل البدعة والضلال وحملاً وديعاً على أهل الحق والعدل والاعتدال. ولا يلتقيان أبداً مهما غلط الكثيرون في القياس والموازنة. ذلك أن صاحب الرسالة والمنهج عفيف بطبعه ، وليس سهلاً أن يشتري ولا بكنوز الأرض! في خطبته التي عنوانه: (أخلاق المسلم في القرآن والسنة - خلق العفة) ، يقول الشيخ (أسامة سليمان) ما نصه: (تنقسم العفة عند العلماء إلى قسمين: * العفة عن المحارم وتعني: الكف عن محارم المسلمين من الدم والمال والعرض ، إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم في أكبر تجمع إسلامي في خطبة الوداع في يوم النحر - والحديث صحيح في البخاري وغيره - قال لأصحابه: (أتدرون في أي بلد أنتم؟) وهل الصحابة لا يدرون في أي بلد هم؟ لا ، لكن الصحابة تعلموا الأدب ، والأدب مقدم على العلم ؛ ولذلك كان الصحابة يتعلمون سبعين باباً من الأدب ، ويتعلمون باباً واحداً من العلم ، وكما قيل: علم بلا أدب كالنار بغير حطب ، فليكن علمك ملحاً وأدبك دقيقاً كما قالوا ، وهذا معناه: أن الأدب يقدم على العلم ، ومعناه: أنك تطلب العلم بأدب ، وقد جاء ذكر الأدب في طلب العلم في القرآن في أكثر من سورة وليس هذا هو مقامه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: (أتدرون في أي بلد أنتم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم) ، وهذا تسليم مطلق ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى ظن الصحابة أنه سيسمي البلد بغير اسمه ، ثم سألهم: (أتدرون في أي يوم أنتم؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم) ، لا يسأل هذا السؤال إلا لأمر مهم. (أتدرون في أي شهر أنتم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم) ، فسكت حتى ظننا أنه سيسمي بغير اسمه ، فقال: ألستم في بلد حرام ، وفي يوم حرام ، وفي شهر حرام؟! قالوا: بلى! قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا). وإذن: فالنبي عليه الصلاة والسلام يحدد الحرمات ، فأول أنواع العفة: العفة عن المحارم كلها: عفة اللسان عن الغيبة ، وعفة العين عن النظر وعفة الفرج عن الحرام. عفة المحارم قال عنها العلماء: ضبط الفرج عن الحرام ، وكف اللسان عن الأعراس. و لذلك لما قال معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (أو إنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله؟! قال: ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟) ، وقال الحسن البصري يخاطب اللسان: يا لسان! قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلّم من قبل أن تندم. فلسان المؤمن مقامه ومكانه خلف قلبه ، ولسان المنافق أمام قلبه ، والمعنى: أن المؤمن لا يتكلم الكلمة إلا إذا مرت على قلبه ووعاها ، وعرف معناها وقصدها ؛ لأنه يعرف تمام المعرفة أنه: ما يلفظ من قول إلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ). * العفة عن المآثم والمعاصي وهي نوعان: * الكف عن المجاهرة بالظلم ، * وكف النفس

عن الإصرار على الخيانة. فالمجاهرة بالظلم أن تظلم جهاراً ، أو أن تخون سراً ، تعصي ربك عز وجل ، فإذا كان العبد بين الناس كان تقياً محافظاً على الحرمات ، وإذا خلا بنفسه انتهك المحارم ؛ فهذا إنسان لا يوصف بالعفة). هـ. وإذن فكل داعية يعظ الناس ويدعوهم إلى الله ويهديهم صراطه المستقيم لا بد وأن يعف عن المحارم وأعظم هذه المحارم تطويع الدين كتاباً وسنة للطواغيت والظالمين! وهذا واعظ شريف صاحب رسالة وصاحب دعوة إلى القيم ، ليس صاحب وظيفة ، وأنا أعجبتُ به فأشددتُ فيه على البحر السريع.)

يَرجو رضا الرحمن محتسباً	نعم العفيف الحرّ من خطباً
مستعذباً - من سعيه - النصيبا	يدعو بلا يأس ولا ملل
دين الهدى ، والعلم والأدباً	وتراه - بين الناس - ملتزماً
ويُجابُه الأخطار والنوباً	ويريد وجهه الله مصطبراً
وجهاده لا يعرف اللعباً	والوعظ والإرشادُ ديدنُه
يُزجي الهدى والنور والأرباباً	ومعينه صافٍ ومؤتلقٌ
إن التقى يراجع الكتباً	ومصادر المقدم مُشترقة
يرجو - به - الألقاب والرتباً	هو ليس - بالإسلام - مرتزقاً
هو لا يحب الزور والكذباً	هو لا يُداجي من يُبغهم
واسـتثقلوا التبيين والخطباً	هو لا يلاحى عمّن ابتدعوا
كلا ، وعنهم يدفع الرّيباً	هو لا يُعدّدي أهل ملتته
وعدو من - بالباطل - اعتصباً	هو سلّم من - بالحق - قد جهروا
بين الورى التـدليس والكرباً	وعفافه حصنٌ يجنبه
إذ إن - في تفكيره - لبباً	قد عفا في دنيا ، ستوبقه

النفق المظلم

(إن كل زوجة حكيمة تعلم تهوّر أهلها وعدم حكمتهم لا تؤدي بحياتها وبيبتها وبزوجها عندما تلجأ إليهم عند حدوث مشكلات بينها وبين زوجها. وذلك لأنها أعلم الناس بقومها فهي ابنتهم. وإذا كان ذلك كذلك فلماذا الزجّ بالبيت والزوج والأولاد في مهبّ الرياح وخضمّ الجدل الذي لن يوتي ثماره اليوم ولا غداً؟! حيث إن الخلاف سنة الله في الخلق ، وسوف تذهب المشاكل ويبقى النفق المظلم الذي أدخلت بيتها وزوجها فيه! وفي هذي القصيدة ألومّ زوجة أخطأت يوم احتكمت لأهلها في حل مشكلة بينها وبين زوجها قد تفاقمت واحتاجت إلى حكماء يُدلون بدلانهم لإيجاد حلول عاجلة نزيهة ترضي الطرفين ، وتحافظ على البيت والزوج والزوجة والأولاد. ومع علم هذه الزوجة بما عليه أهلها من تهوّر وحمق وجهالة ونزق في معالجة الأمور إلا أنها احتكمت إليهم ، فإذا بالمشاكل تتفاقم أكثر مما كانت عليه. وبعد أن كانت تواجه مشكلة واحدة بعينها إذا بها أمام حفنة من المشاكل والفتن قد أطلت برؤوسها من حيث لم تحتسب! فبدل أن يعمد القوم إلى مناقشة المشكلة لإيجاد حل لها أضافوا عليها مشكلاتٍ أحر ، وزادت هوة الخلاف واندلع الشقاق المرعد ، وكاد الكل يجمعون أنه لا حل إلا بالطلاق. ومن هنا رحلت ألوم تلك الزوجة ، وأعرض بكل زوجة تفعل مثل هذا حتى لا تؤدي بزوجها وأولادها وبيبتها ، وتخرج وحيدة شريفة خاسرة قد فقدت كل شيء! يقول المنجد في محاضراته الطويلة التي عنوانها: (جهود السلف في حل المشكلات الزوجية) ما نصه: (لما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء ، وكان قبل نزول آية الحجاب يدخل الصحابة بيوت بعضهم البعض ، فدخل سلمان فرأى أم الدرداء متبذلة ليس عندها شيء من الدنيا في الاهتمام ، فقال: “ما شأنك؟” قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا!” غير مهتم أصلاً ، فهو رجل مُقبل على العبادة! ليس له شأن في النساء ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً ، فقال كل ، قال: فإني صائم! قال: ما أنا بأكل حتى تأكل ، فأكل ، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، قال سلمان: نم فنام. ثم ذهب يقوم ، قال: نم ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن ، فصليا ، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقاً ، فأعط كل ذي حق حقه ، فأثنى النبي عليه الصلاة والسلام فذكر ذلك له فقال: (صدق سلمان)! فالتدخل الحكيم عندما يرى الأخ أن في حياة أخيه المسلم خلاً ، وأن هنالك مشكلة فيسعى لإصلاحها عملياً ، ويبيّن الحكم الشرعي ، ويأمره وينهاه. - ومن ذلك موقف عمر رضي الله عنه عندما سمع أن ابنته حفصة ممن يراجعن النبي عليه الصلاة والسلام ، أي: في أخذ ورد ، وكلام مع زوجاته ، فذهب زيارة خاصة ، وقال: “أي حفصة ، أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم إلى الليل” أي: إذا طالبتة بنفقة وما عنده ، فربما تغضب وما تكلمه إلى الليل ، قالت: نعم ، يحدث هذا ، قلت: “خابت وخسرت أفئتمن أن يغضب الله لغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتهلكين”. من ذا الذي ترضى سجايه كلها ، (لا يفرك مؤمن مؤمنة) أي: لا يبغضها بالكلية ، (إن كره منها خلقاً رضي منها آخر). والله يعوض على الصبر. دخل طالب على شيخه فوجد عنده ولدأ يخدمه خدمة عظيمة وأنس وبراً وإحساناً فعجب من ذلك ، فلما خرج الابن قال العالم للتلميذ: أتعجب من بر هذا بي؟ قال: نعم ، فقال له: لقد عاشرت أمه أكثر من عشرين سنة ، والله ما تبسّمت في وجهي يوماً قط ، فصبرت ففوضني الله منها بما ترى ، عوضني الله منها بابن بار. - إدراك الحقائق الخلقية مهم جداً في هذا الموضوع ، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: “شكى إبراهيم عليه السلام - يعني: حدة في خلق سارة - فأوحى الله إليه إنما هي من ضلع ، أرأيت ضلع الشاة ، وضلع الخروف ، لا بد أن يكون في أعلاها أعوجاج ، هكذا خلق

أصلاً ، فالضلع ليس مستقيماً ، قال: “إنما هي من ضلع فخذ الضلع فأقمه ، فإن استقام ، وإلا فالبسها على ما فيها” ، ولذلك نقول لبعض الأزواج الذين يُكثرون الشكاية ، خذ ضلع الذبيحة ، وحاول أن تجعله مستقيماً ، فإن لم يحصل ، فاعلم أن القضية خلقة ، وهذا جزء من التحمل ، فلا بد أن يدرك الرجل السر في القضية وأن المرأة أحياناً تقول كلاماً ، وتتصرف تصرفات هو لا يراها منطقية ، ولا عقلانية ، ولا سليمة! ولكن هذا جزء منه يعود إلى الطبع والخلقة). هـ. وإن فالزوجة الحكيمة تنأى بخلافاتها عن السفهاء!

وضعتِ زوجك في أتون ضَحْضاح	لَمَّا اسْتَمَعْتَ إِلَى الْمُخْبِبِ اللَّاحِي
وبالسِّهَامِ رَمَيْتِ الزَّوْجَ دُونَ حَيَا	وَمَا اسْتَجَبْتَ لَوْعَاطِظِ وَأَنْصَاحِ
فَأَيْنَ مَا كَانَ مِنْ حُبٍّ وَمِنْ سَمَرٍ؟	وَأَيْنَ مَا كَانَ مِنْ ضَحْكٍَ وَأَفْرَاحِ؟
وَأَيْنَ مَا كَانَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ خَلْقِ؟	وَأَيْنَ مَا كَانَ مِنْ بَذْلِ وَإِصْلَاحِ؟
وَأَيْنَ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ تَدِينُ بِهِ	تَقِيَّةَ ذَاتِ أَخْلَاقٍ وَأَمْدَاحِ؟
وَأَيْنَ ذَكَرٌ وَتَذَكِيرٌ وَمَرْحَمَةٌ؟	وَأَيْنَ وَعِظٌ بِأَمْسَاءٍ وَإِصْبَاحِ؟
مَازَالَ زَوْجُكَ - بِالْإِیْضَاحِ - مُشْتَغَلًا	وَمَنْ يَحْنُ لَتَبِييْنِ وَإِیْضَاحِ؟
فَقِهِ الْخِلَافَ لَهُ مَعْرَى وَفَلْسَفَةَ	وَلَحْنُ قَوْلٍ - مِنَ الْبَيَانِ - مَفْصَاحِ
وَأَيَّ بَيْتٍ نَأَتْ عَنْهُ مَشَاكِلُهُ؟	مُنِّي عَلَيْنَا بِأَمْثَالِ وَأَوْضَاحِ
أَدْخَلْتِ زَوْجَكَ فِي فَوْضَى دَجَى نَفَقِ	وَكَمْ أَعَاذِكِ - مِنْ هَذَا - بِالْحَاحِ!
وَالْأَهْلُ صِنْفَانِ: صِنْفٌ مُصْلِحٌ أَبَدًا	أَنْعَمُ بِجَمْعٍ - إِلَى التَّوْفِيقِ - طَمَاحِ!
وَيَبْذُلُ الْخَيْرَ وَالْمَعْرُوفَ مُحْتَسِبًا	وَقَدْ يَبْـُوءُ بِالْأَلَامِ وَأَتْرَاحِ
وَآخِرٌ هَمَّهُ إِيقَادُ فَتْنَتِهِ	وَقَدْ يَكُونُ الضَّحَايَا بَعْضَ أَرْوَاحِ
شَتَانٍ بَيْنَ الْكِرَامِ الصَّيْدِ فِي مَلَأِ	وَبَيْنَ بُلْهِ - مِنَ الْأَوْغَادِ - أَشْبَاحِ!

وما أدراك ما هدى!

(كان من قدر هذي الزوجة الرحيل مع زوجها للدراسة في بلاد الغرب. فكانت ناصحة أمينة وفيّة. إذ صانت عرضها هناك ، وعادت أفضل مما كانت. وقليل ما نجد الذين يغتربون رجالاً أو نساء يعودون بما كانوا عليه من قيم وأخلاق ودين. إن أصحاب القيم مهما تعرضوا لتنازلات عن هذه القيم ، فإنهم لا يتنازلون عن شيء منها بسهولة ويسر. قد يفترّون! (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ، وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون). وإذن فمستحيل أن ينحرف أهل القيم عن قيمهم بالكلية ما لم يُحملون على ذلك بالإكراه (والإكراه السيف) وساعتئذ يكونون معذورين. لكن لا يفتنون قط عن قيمهم مختارين قانعين. والزوجة (هدى) من هذا الطراز ، وقد سبت عقلي سيرتها العطرة وما حكي لي عنها ، فكانت قصيدتي هذي ترجمة لشعوري هذا! ولذلك كتبت لها مادحاً أقول على البحر المجتث).

إليكِ سُـقْتُ المـديـحـا	صـدئ رخيماً مـليحاً
وأنتِ أهـلّ لـمـدحـي	أقولها مسـتـتريـحـا
(هُـدى) بـلـغـتِ المـعـالي	لَمَّا صـلـتِ الطـمـوحـا
فقلـتِ: هـذـي رزائـن	نهيّ ، وقلـبـاً ، وروحـا
بشـائـر الخيـر فيـهـا	تُطـبِّبـب المـجـروحـا
وعقلـهـا مسـتـتريـن	أراه - فـعـلاً - رَجـيحـا
أصـبـلـة لا تُبـتـاري	تُغـلـبـب التـرجـيحـا
ولا تُغـنـف زوـجـاً	كـيـلـا يـعـيش قـريـحـا
ولا تُنـكـد عيـشـاً	تزيـده تجـريـحـا
ولا تـمـنـن بـبـذل	تـرجـو وعلـيـه المـديـحـا
والعـرض صـانـت ، ووفـت!	والأجـرُ أمـسـى ربيـحـا
(هُـدى) مـدحـتـكِ شـعـراً	مُحَبِّبـاً رَأـاً و صـحـيحـا
أنشـدتُ فيـكِ احتـسـاباً	شـعـراً عـفـيفاً صـريـحـا
حيـاكِ ربُّ البـرايـحـا	فانتـكـتـري التـسـبيـحـا

السفينة السائرة

(إن طلاب العلم الذين هم في أول الطريق ، ولا هم لهم إلا تصيّد أخطاء العلماء ومزالقهم ، لا يضرّون إلا أنفسهم ، بل ويتخلفون - عمدًا - عن ركوب سفينة الدعوة إلى الله تعالى. وهي تسيّر بدونهم ، وتعرف دربها. وعندما يبتعد هؤلاء المتخلفون عن سفينة الدعوة السائرة في خضم الإيمان وصولاً إلى جودي العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص ، يقول لسان حالها وحال أصحابها: (بُعداً للقوم الظالمين) فما عساهم يقولون وقد خالفوا؟ إن دور العالم أن يُبين الحق لطلابه ، لا أن يستعبد لهم لأفكاره. ويجب أن يسأله عن دليل كل مسألة من كتاب الله وسنة رسوله. وعلى كثرة من أخذت عنهم العلم أحياء وميتين لم أكن يوماً ولا ساعة من نهار كذلك. بل اعتدت أن أحترم العلماء وأخذ عنهم العلم الذي الموصل لعبادة ربي لا لعبادتهم من دونه. وإن دعوة تقوم على نقد الآخرين وتعقبهم وتصيد عثراتهم ومزالقهم والتشهير بهم لدعوة فاشلة!)

حنانيك يا قائد المعركة	ويا رائد الفرقة الطيبة
لماذا تعيبون أسياكم	من الصفوة الفذة المبدعة؟
مأتمم مراتبنا بالهرا	وبالتزهرات ، وبالجعجعة
ألم تشبعوا من سفاهاتكم	ومن هذه اللهجة البليغة؟
ألم تأخذوا الدرس مما مضى؟	فوالله فيه لكم منفعة
بضاعتكم كسدت سوقها	لماذا الركون لفرط الدعوة؟
لماذا التذبذب بين السورى	ألا إن هذا سبيل الضيعة!
سفينة دعوتنا يا غثا	تسير لغايتها ما مشرعة
وتمخر كل العباب الذي	يشوه سُمعتها الموعظة
ألا إنها في طريق الهدى	تسير بهذا الهدى مسرعة
وسوف تُحقق أهدافها	بـرغم المخذل والإمعة
لماذا تصيّد أخطائنا	وحبّك التخـرّص والزوبعة؟
لماذا تعقّب ركابنا	والقائـم في نظـى المعـعة؟
أراكم حباكم تكم أكاذيبكم	وليست - ورب السما - مُقنعة

آفات وخرونات

(المشاكل الزوجية لا بد من علاجها بحكمة ورشد وروية. وليس العلاج أبداً بالتسلط على الزوج من قبل أهل زوجته. كما أنه لا يكون أبداً بالتسلط على الزوجة من قبل أهل زوجها. فإذا حدث شيء من هذا كانت الآفات والخرونات المستعصية! إن أهل كل زوج يجب أن يحترموا زوجته وأهلها ، وإن هم أخطأوا في حقهم وقصروا فيجب أن يحاول الجميع عدم إحراج الزوج والزوجة في خلافات ليسا طرفاً فيها ، على حين يجنون ثمارها العظيمة! وأيضا يجب على كل أهل زوجة أن يحترموا زوج ابنتهم وأهله. وأن يجنبوهما مشاكل تنشأ بين الأحماء والأصهار ليس أحد من الزوجين طرفاً فيها! وما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نزع الرفق من شيء إلا شانه. كما أخبر رسول الصدق ونبي الحق – صلى الله عليه وسلم –. وإذن فيجب على كل فريق أن يبيت حُسن النية ويتنازل من طرفه عن بعض حقه لتسير سفينة الحياة في خضم المعيشة وصولاً إلى بر الأمان ونهاية العمر بسلام! وأنا هنا أعتب على زوجة فتحت على زوجها وأولادها وبيتها بوابة الجحيم يوم جعلت حُكماً بينها وبين زوجها من ليسوا أهلاً للتحكيم ولا للفصل في القضايا بمقتضى الحكمة المنبثقة من كتاب الله وسنة رسوله – عليه الصلاة والسلام –. وفي محاضرة عنوانها: (الخلافات الزوجية وطرق حلها الخلافات الزوجية وطرق حلها) يقول الأستاذ إبراهيم العبيدي ما نصه: (سبل حل الخلاف في الحياة الزوجية الحوار ؛ وذلك بأن يحاور كل من الزوجين الآخر ، وأن يكون هذا الحوار في أجواء ودية بعيدة عن الأبناء في المنزل. الصراحة والوضوح فلا شيء يغور الصدر في الخلافات الزوجية كالغموض ، فهو يضعف الثقة بينهما ، فلا بدّ من الوضوح التام والصراحة ؛ لأنّ عدم الوضوح والضبابية والغموض تعني أنّ هناك تعظيماً للخطأ وإصراراً عليه. ويساعد على الحل حسن التوصيف للأمر بأن يحدد كل منهما الموضوع المسبب للتأزم ونظرتهم إليه وتحديد ما إذا كان خلافاً أم مجرد سوء فهم ؛ لأنّ هناك تبعات تترتب على هذا الفهم ، فإن كان خلافاً فلا بدّ من خطوات للحل ، وإن كان سوء فهم فلا بدّ من تصحيحه ، وفي كلتا الحالتين لا بدّ من الصراحة والجديّة. ومحاسبة كل منهما لنفسه في علاقته بالله سبحانه ؛ فهي الأساس ، وما دون ذلك يصغر ويمكن حله ، فأساس كل سعادة هو حسن العلاقة بالله سبحانه ، وسبب كل تأزم وشقاء سوء العلاقة معه سبحانه. وحصر الخلاف بين الزوجين ، وعدم نقله للخارج ؛ كأقاربهما مثلاً فما يحصل بينهما من سوء علاقات ، أو خلاف يجب أن يعالج بينهما فقط ، إلّا في حال تأزم الوضع ، واقترابه من الخروج عن السيطرة ، فهنا لا بدّ من طرف رشيد من أحدهما أو كليهما لحل الخلاف وإصلاح العلاقة. والحكمة في التعامل مع الغضب متى وقع ، ويكون ذلك بشكل متدرّج ، وذلك بالاستعاذة من الشيطان أولاً ، ثمّ الوضوء ، فإن استمرّ فالجلوس ، وإن استمرّ فالنوم أو الاستلقاء ، ليبقى الإنسان بعيداً كلّ البعد عن ردات الفعل غير المحسوبة ، وفي ذلك نوع من تفرغ الشحنات السلبية ، وما يتبعها من طاقة سلبية مدمرة. التعالي على الأخطاء البسيطة ، و عفو كل منهما عن الآخر ، وتعظيم رابط العلاقة الزوجية واعتباره أسمى وأقدس من كل هذه الخلافات. اعتراف كل منهما بإيجابيات الآخر يقرب القلوب من بعضها ، أما نكران العشير أو الكفر به فهو يؤرّم الأمور ، ويبعد القلوب عن بعضها. إقرار كل من الزوجين أنّ عليه واجبات عليه التزامها قبل حديثه عن حقوقه عند الطرف الآخر؛ لأنّ الحديث عن الحقوق دون الواجبات يعكّر أجواء الحل ، بل إنه من أسباب تعكّر الحياة الزوجية دوماً. صبر كل منهما على الطباع المتأصلة عند الطرف الآخر ؛ كالغيرة بالنسبة للمرأة ، والفضولية بالنسبة للزوج ، وقد يشتركان في الكثير من الطباع ، فلا بدّ إذاً من الصبر. تعظيم كل منهما لاهتمامات

الطرف الآخر ، فهذا من أهم ما يقوي العلاقات بينهما. ومن مسببات الخلاف في العلاقات الزوجية كاختلاف المستوى الثقافي والتعليمي بين الزوجين. كثرة المعاصي فالمعصية سبب في كل شر. واتّباع الهوى. والجهل: كأن تجهل الزوجة بحقوق زوجها ، أو العكس. انعدام الثقة بين الزوجين وتشكيك كل منهما في الآخر ، وإساءة الظنّ به. والاستماع للمغرضين من أقارب كلا الطرفين. والكبر والغرور ، والتعالي على الإقرار بالذنب. ونقل خلافات البيت إلى الخارج ، كأن تنقل الزوجة ذلك إلى صديقاتها ، أو إلى أمها أو أختها ، أو أن ينقل ذلك الزوج إلى أصدقائه أو أهله فإنّ الأطراف الخارجيّة قد تزيد رقعة الخلاف).هـ. أكتب للزوجة هذه القصيدة العصماء وإن تكن قاسية عليها موصياً وناصحاً ومستفتحاً عليها بما فيه صلاحها!)

وربما الطـلاق	تحملني العذاب والشقاق
وما سـعيت - قط - للوفـاق	فأنت من سعى إلى الشقا
على الأذى ، وضـيقوا الخـناق	وأهلك الكرام راهنوا
لأجلهم تجرّع الشقاق	ودمروا - بحمقهم - فتى
لتحقتي - به - الدم المراق؟	ألسنت ذكرين ما مضى
ألم يصل مؤخر الصداق؟	أراك تُنكرين فضله
وتُبـرمين عقـد الاتفـاق	أراك تحطمين جوده
سوى الخلاص منه ، والفراق	مع الذين لم يبيتوا
كأنه - إلى الغـلا - سـباق	وجمعهم يسئل سيفه
دواؤه الفنا بالاحتراق؟	فهل غدا كمثل آفة
بخيبةٍ تُعـوق الانطـلاق؟	وهل غدا حزنونة تشي
وزايلي الرياء والنفاق	تكلمني ، وأعلمني السورى
إذا أردت - بالفتى - اللحاق!	عساك تلحقين بالفتى
فقد جنى عليك الاخـتلاق!	كفى تخرصاً وذليّة

لعبت بالنار مرة واحدة

(عَلِمَ زَوْجُهَا أَنَّهَا تَحَادَثَ هَاتِفِيًّا أَحَدَ الرَّجَالِ. فَأَتَكَرَّ كُلَّ مَا سَمِعَ. ثُمَّ رَاقِبَ وَسَجَّلَ مَكَالِمَاتِهَا فَعَرَفَ الْحَقِيقَةَ ، فَطَلَقَهَا فَوْرًا! وَتَخِيلَتْهُ يَلُومُهَا وَيُوبِخُهَا وَيُوجِّهُ لَهَا الرِّسَالَةَ الْعِتَابِيَّةَ الَّتِي مَلَخَصَهَا كَيْفَ تَعَشِّقِينَ عَلَى زَوْجِكَ؟ وَكَيْفَ يَصِلُ بِكَ الْحَدَّ إِلَى دَرَجَةِ الْمَهَاتِفَةِ وَالْمُوَاعِدَةِ سِرًّا مَعَ أَجْنَبِي وَأَنْتِ فِي عَصْمَةِ رَجُلٍ تَزُوجُكَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ أَمَا كَانَ الْأُخْرَى أَنْ تَسْتَقِيمِي عَلَى مَنْهَجِ اللَّهِ وَأَنْ لَا تَتَّخِذِي الْأَخْدَانَ؟ أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَرَنَ اتِّخَاذَ الْأَخْدَانَ بِالسَّافِحَةِ! (غَيْرِ مَسَافِحَاتٍ وَلَا مَتَّخِذَاتٍ أَخْدَانَ) وَصَدَقَ أَحْمَدُ شَوْقِي: (نَظْرَةٌ فَايْتِسَامَةٌ فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ فَمُوْعَدٌ فَلِقَاءٌ!)

لماذا طرقتِ الدروبَ الرديئة؟	أغراكِ ما تصنعُ الجاهليَّة؟
لماذا لعبتِ بنارِ الشقا	فأحرقتِ النارُ أشقى ضحية؟
وبعدُ تُلظيبتِ في وَهْجِها	بلا نخوةٍ ، بل ولا أريحية
وأرهفتِ سمعكِ للمشتهي	ومن جرَّ رِجْلَكَ نحو الخبيثة
ومن - في الظلام - رمى طعمه	وصادكِ مِن كُوءِ المَشْرِيبَةِ
وسعّر - بالحب - نار الجوى	وجرَّعَكَ الوغْدُ كأسَ المنية
فهل كان (قيساً) صريع الهوى	وكنيت - لأهوائه - (العامريَّة؟)
وأشهرَ سيفَ الغرامِ الذي	غدوتِ له - في البرايا - سَبيَّة
وأهداكِ أفاظه غضة	وحيثُ أحرَّقَ مثل الشظية
وساق - لك - العشقَ مستعظراً	بأنغامه الغضة اللؤلؤية
وذرَ المواعيدَ في هاتِفِ	وكلَّ له - في التلاقي - هدية
ولمَّا يشخَّ على غادةٍ	تُجيبُ النداءَ ، وتردُّ التحية
وغامرَ حتى تكوّنِي له	بمنظومةٍ فجوةٍ بربرية
فهل ياترى إن تكوّنِي له	فهل تهجرين الدروبَ الرديئة؟

تكفي دمعة

(سأل قائلًا: كيف أتوب؟ فأجيب: بابُ الله تعالى مفتوحٌ ، ويذهُ سبحانه مبسوطةً بالليل لتقبل مسئَّ النهار ، وهي مبسوطةٌ بالنهار لتقبل مسئَّ الليل. فاندُم واعزمُ والزمُ وتب! وتكفي دمعةً بين يدي الله صادقةً في جوف الليل البهيم! وكم سَطَرَتْ قصائدٌ عن التوبةِ وفضلها والحض عليها ومُشيداً بالتائبين. لكنْ لهذي القصيدة من الوافر مذاقٌ خاص! قال ابن باز: (قد بينَ اللهُ في كتابه أنه سبحانه يقبلُ التوبةَ من عباده مهما تنوعتْ ذنوبُهُم وكثرت ، كما قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ). أجمع العلماءُ أن هذه الآية في التائبين ، وقد أخبر فيها سبحانه أنه يغفر الذنوبَ جميعاً لهم ، إذا صدقوا في التوبةِ إليه بالندم ، والإقلاع عن الذنوب ، والعزم على أن لا يعودوا فيها ، فهذه هي التوبة. ونهاهم سبحانه عن القنوط من رحمته وهو اليأس مهما عظم الذنب! فرحمة الله أوسعُ وعفوه أعظم! قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ).هـ.)

ألا ليس الجدالُ بمستساغ	إذا ما أینعتُ حُججَ البلاغ
وبابُ التوب مفتوحٌ ، فأقبلن	ودعك من التبرم والرواغ
ولا تسـتكثر الأوزارَ يوماً	دُفعت لها بإغراء الطواغي
فكم من فتنةٍ بلغت مداها	بليت بها بداعية الفراغ!
وكم من مزلق بلواه عمّت!	وكنت تظنه عفت المساغ
وكم من زلةٍ سحرتك حتى	سببت عقلاً توطن في الدماغ!
وراهنك الصِحابُ على المعاصي	وعشتم عيشة الإبل الرواغي
وبعضُ الصحب للتعوى دليلٌ	وبعضُ الصحب يلدغ كالوزاع
وبعضُ الصحب ينهش كالأفاعي	وما هذا الفریقُ بمستساغ
وبعضُ الصحب كالأسد الضواري	وفي الفكين أسنانٌ شواغي!
لتلتهم الضحية بأفتراس	وقانا الله هجمة كل طاغ
وجنبنا المهيمن من تردي	وبصّرنا بنبيّة كل باغ
فُتّب يا صاح ، واغتنم الوصايا	وأصغ إلى الهدى يا خير صاغ!

اختلاف

(شقيقان الأول شهم لم يبخل على شقيقه قط. بل أقال عثرته ، منفقاً من وقته وجهده وماله الكثير. والثاني نذلٌ جبّ خسيئٌ جبان. دينارُه أحب إليه من روحه فضلاً عن شقيقه. وفي الحديث: "تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميصة ، إن أعطيَ رضي وإن منع غضب ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش". قال الشيخ الحسن الددو: (وهذا تحذير من الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته من الإيغال في هذه الدنيا وأن تكون أكبر همهم ، فبيّن أن العبد الذي يجمع الدنانير والدرهم ويرضى بذلك وهو أكبر همه ويصرف وقته وطاقته وجهده وشبابه في جمع الدراهم والدنانير أو جمع الخمائل والخمائنص - وهي أنواع الملابس- أو ما يشبه ذلك من ضروب هذه الدنيا ومما فيها ، فإنه قد تعس). هـ. فالدنيا في حقيقتها عرض زائل ، والآخرة هي دار الحق! أنشدتُ في هذا قصيدتي من السريع!)

يا فاقِدَ الإحساس والشيم	يا ظلمة في عالم القيم
يا صخرة - في الدرب - جائمة	يا موغلاً في أخبث التهم
يا عابِدَ الدينار يجمعُه	في مرتع مستقذر وخم
يختال - بالأموال - مزدهياً	ويصوّل بالأرزاق والقسم
هل تذكرُ الإنفاق أعضلني	وسعتُ في الأخطار والقحم؟
والبيت قد قسمته طمعاً	في أن ترى يا مغرضاً كرمي
قد كنتُ أرجو أن تشاركني	عِبءَ الهدى في عالم الظلم
لله أخلصتُ العطا ، فأننا	ما كنتُ - في بذلي - بمهتم
إن اختلافاً بيننا سطعتُ	أنواره في كل مُصطدم
نذلاً تعيش العمرَ محتقراً	وأراك فينا غيرَ ذي شيم
وإذا لقيت الله دون هُدى	تلقاه حقاً غيرَ محترم
أقصر ، وخذ درساً ومزدجراً	هَذَا أوانُ الوعظ والندم
حقي مهيضٌ بين أظهركم	يا من سحقتم رونقَ الرحم
أشهرتم سيفاُجندلني	ما جُنحتي؟ يا قوم ما جُرُمي؟

الخاتمة

الحمد لله سبحانه وتعالى وعز وجل ، الذي لم يزل قديماً دائماً وخبيراً بالأسرار عالماً ، قَرَبَ من شاء فجعله صائماً قائماً ، وطرده من شاء فصار في بيداء الضلال هائماً ، يفعل ما يريد وإن يأبى العبد راغماً ، ويقبل توبة التائب إذا أمسى نادماً ، أحمده حمداً من التقصير سالماً ، وأصلي على رسوله محمد الذي سافر إلى قاب قوسين ثم عاد غانماً ، وعلى صاحبه أبي بكر الذي لم يزل رفيقاً ملائماً ، وعلى عمر الذي يعبد ربه مسراً كاتماً ، وعلى عثمان الذي قتل مظلوماً ولم يكن ظالماً ، وفيه أنزل (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً) ، وعلى علي الذي كان في العلوم بحراً وفي الحروب صارماً ، وعلى عمه العباس بن عبد المطلب الذي لم يزل حول نصرته حائماً ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وأصحاب محمد والتابعين لمحمد ، واجعل ذكر الآخرة لقلوبنا ملازماً ، ووقفنا للتوبة توفيقاً جازماً ، وذكرنا رحيلنا قبل أن نرى الموت هاجماً ، واقبل صالحنا واغفر لمن كان آثماً! يا قليل النظر في أمره يا غافلاً عن ذكر قبره أما نقل الموت واحداً واحداً ، وها هو قد أضحى نحوك قاصداً ، كم سلب ولداً وأخذ والداً ، إلى متى تصبح جاهلاً وتمسي مارداً ، وتحث على النهوض وما تبرح قاعداً ، متى يذوب دمع ما يزال جامداً؟ متى ينقص جهل ما يفتأ زانداً؟ يا من إذا قاربه النصح أضحى متباعداً ، لقد نظرت لنفسك نظراً فاسداً ، كم أشمت بك عدواً وأفرحت حاسداً ، يا نائماً عن خلاصه راقداً ، يا مريضاً ما نرى له عائداً ، كم نوضح الأمثال ونضرب حديثاً بارداً ، أترضى لنفسك أيها الإنسان هذا الحال ، أن يكون زاداً لارتحال ، تذكر عبث اليمين والشمال ، إذا خابت جميع الآمال ، ورأيت حسرة ما جمعت من مال ، وتيفقت فراق الأيتام والأطفال ، وحملت همّاً خفت عنده الجبال ، وبان لك أن حديث المنى محال ، يا مؤثر الغي تأمل رشذك ، يا راحلاً عن قليل تعرف قصدك ، أصلح بالتقى يومك ، قبل أن تلقى غدك إياك والهوى ودع متعودك. كان الحسن يقول: حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور ، وافرعوها هذه الأنفس فإنها طلعة ، وإنها تنازع إلى شر غاية ، فتبصروا وتشددوا ، فإنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم فيجيب ولا يلتفت ، فانتقلوا بصالح ما بحضرتكم ، يا هذا زاحم باجتهادك المتقين ، وسرف في سرب أهل اليقين ، هل القوم إلا رجال طرقت باب التوفيق ، ففتح لهم وما نياس لك من ذلك! يا مقيمين سترحلون ، يا مستقرين ما تتركون يا غافلين عن الرحيل ستظعنون ، أراكم متوطنين تأمنون المنون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، طول نهاركم تلعبون ، وطول ليلكم ترقدون ، والفرانض ما تؤدون ، وقد رضيتم عن الغالي بالدون ، لا تفعلوا ما تفعلون (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، أما الأموال فتجمعون ، والحق فيها ما تخرجون ، وأما الصلاة فتضيعون ، وإذا صليتم تنقرون ، أترى هذا إلى كم يكون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، أين الغناة المتجبرون؟ أين الفراعة المتسلطون؟ أين أهل الخيلاء المتكبرون؟ قدروا أنكم صرتم مثلهم أما تسمعون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ما نفعتهم الحصون ، ولا رد المال المصون ، هبت زعازع الموت فكسرت الغصون ، قدروا أنكم تزيدون عليهم ولا تنقصون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، تقلبوا من اللذات في فنون ، وأخرجهم البطر إلى الجنون فأتاهم ما هم عنه غافلون ، (كم تركوا من جنات وعيون ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، لو حصل لكم كل ما تحبون ، ونما جميع ما تؤتون ، ونلت من الأماني ما تشتهون ، أينفعكم حين ترحلون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) ، إلى متى؟ وحتى متى تنصحون وأنتم تكسبون الخطايا وتجترحون؟ أأنتم وأنتم تسرحون ذنب هلاك فلا تبرحون ، (ثم إنكم بعد ذلك لميتون)! الموت مسرع مجد غير لا يث ، والأموال عن قليل تمضي للوارث ، وكأنك بوقوع الحادثات وحصاد الحارث ، يا طويل الأمل هل قلبك لا يث ، لا تسمع المحال فلست

بماكث ، يا مطالباً بالجد وهو لاعب عابث ، يا معاهداً باللسان والعزم ناكث ، يا من أعماله إذا فتشت خبائث صرح الشيب وطل ما مجمع ، ووضح فجره وما كان قد تبلج ، أوضح طريق الحذر وبين المنهج ، أين الشباب رحل مسرعاً وهملج؟ إن نار الفراق في القلب تتأجج ، إن فواد المتفكر يكاد أن ينضج ، هذه خيول الرحيل قد أقيمت تسرج ، والشكوك قد أزيلت والحق أبلج ، هذا وأنت بالمعاصي مغرى وتلهج ، لك كأس من المنون صرف لا يمزج ، يا من هو في الكفن عن قليل مدرج ، يا لابساً حلة من البلاء لم تنسج ، يا من بضاعته إذا نقتدت كلها بهرج ، يا سالكاً طريق الهوى عوسج ، كيف الطمع في المرتجى والباب مرتج؟ يا من ضيقت الذنوب خناقه أين المخرج؟ يا عظيم فقرك في القبر من منك أحوج! اغتم القوم الأيام ، واجتنبوا الخطايا والآثام ، وصمتوا عن رديء الكلام ، وصموا عن استماع الحرام فكأنهم ما يسمعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، كفوا الأكف عن الفساد ، وهجرت الرعوس الوساد ، وحضر القلب للمناجاة وانقاد ، وأنتم في سكر الرقاد ، وهم يركعون ويسجدون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، ما أوفى تلك الأحوال ، ما أصفى تلك الخصال ، ما أزكى تلك الأعمال ، جمعوا الهموم فأما الأموال فلا يجمعون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، نقوا بالرياضة وهذبوا ، وابتلوا بفراق المحبوب وجربوا ، وأديروا في فنون التكليف وقلبوا ، فإذا بعدتم يوم الحضور وقربوا ، فماذا تصنعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ما ضر النفوس ما نكا فيها ، حين نكافئها ، نغفو عنها يوم اللقاء ونعافئها ، وندخلها جنة يروق فيها صافئها ، ولهم فيها ما يدعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، نزلوا والله المقام الأمين ، وكتبوا في أصحاب اليمين ، ونالوا كل مثنى ثمين ، وأسكنوا القصور وأعطوا الحور العين ، كلها أكار ليس فيها عون ، قد عوضوا عن حريق القلق الرحيق ، وأبدلوا عن بريق السيوف الأباريق ، وقوبلت رياضتهم بالروض الأنيق ، فهم يرتعون فيما يربعون ، (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، إخواني توانيتم وسير القوم حثيث ، وصفت أعمالهم ، وفعلكم كدر خبيث ، ونصحناكم ولكن قد ضاع الحديث ، وما أراكم تسمعون (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ، يا ربنا وفقتنا لما وفقت القوم وأيقظنا ، يا مولانا من سنة الغفلة والنوم ، وارزقنا الاستعداد لذلك اليوم الذي يربح فيه العاملون (الذين هم في صلاتهم خاشعون)! أهدي ديوان: (السليمانيات) الذي هو الأعمال الكاملة لأسرتي فرداً فرداً ، كما أهديه لأمتي المسلمة ، وأخيراً أهديه لكل متذوق وهاو ودارس ومحب للشعر العربي الأصيل! وأنوّه إلى أن ديوان: (السليمانيات) على طوله وامتداده ، ليس يحوي من أشعار المجون والسخف والنزق شيئاً. ووالله لو أجاز الله مثل هذه الأشعار وحاشا وكلا ، لما أحببت أن أكتب منها كلمة ولو بكنوز الأرض. ذلك أن شعر المجون والسخف لا تعجب به إلا النفوس المريضة والقلوب السقيمة! وأعتقد أن الأرض حمت من مثل هذا العفن! وإنما لنبصر بمآت الشعراء وهذا سمتهم! يُنعم الله عليهم بنعمة الشعر ويُلين لهم فنونه وعويصاته ، فإذا بهم يجعلون شكر الله الإفساد والإغواء لعباده! بل الأمر في ديوان: (الطبيبتان) على عكس هذا الانحراف ، فهو يُعنى بالقيم والأخلاق والمثل والفضائل فينميها ويدعو إليها ، كما ينفر من السقوط والرذائل! وقد حرصت الحرص كله على أن أصوغ ديوان: (السليمانيات) على كل بحور الشعر العربي الخليلية الاكتشاف! ولما كان ديوان: (الطبيبتان) يمثل الجزء التاسع عشر من ديوان: (السليمانيات) التزمت فيه بذات المنهج ، واتبع نفس الأسلوب! والذي هو صياغة الديوان على كل بحور الشعر العربي الخمسة عشر الخليلية مضيئاً إليها البحر الذي تدارك به الأخفش على معلمه الخليل بن أحمد الفراهيدي ، لتصبح بحور الشعر العربي ستة عشر بحراً ، بدلاً من خمسة عشر تم اكتشافها واستنباطها على يد الخليل! والله يقول الحق وهو يهدي السبيل!

فهرس المحتويات – ديوان: (الطبيبتان)

الصفحة	البحر	القافية	الأبيات	اسم القصيدة	مسلسل
7	داء				الإهـ
9	ة		دم	ة	المـ
13	ة	يـ	حـ	تـ	الافـ
19	المتقارب	الشيّم	17	شهادة هذه أم فضيحة؟!	1
20	المتقارب	المهزلة	16	بعد اليوم	2
21	الخفيف	الأحياء	300	مصابيح الدجى	3
58	البسيط	يحتفل	70	مستعفف ومستبصر	4
63	المتقارب	بمستعذب	35	ليس من الموت مفر	5
65	الخفيف	العلياء	60	شهر جهاد ، لا شهر خمول	6
68	الوافر	الطغاة	106	الإمعة	7
75	البسيط	يبتذل	50	نعمة الأب	8
80	البسيط	تستعز	60	لبنانية	9
84	الطويل	أجابا	22	الثعبان حارساً	10
86	الكامل	البلدان	60	ارجعن فلقد آديتن	11
90	الكامل	بديلا	45	كلبها كل شيء في حياتها	12
93	المتقارب	والموهبة	17	جوزيت خيراً يا جميلة	13
94	الوافر	للجدال	16	ماذا دهاك يا ابن منصور؟!	14
96	المضارع	فخرا	15	بناء النفوس يرجح كنوز الأرض	15
97	السريع	شجني	16	شعري أقرب للثقوى	16
98	المجتث	الكلاما	14	رفقاً بنفسك يا ابنة العم!	17
99	المتدارك	مأرب	15	دموع بلا رصيد	18
100	الطويل	الدّما	15	فأين المعايير؟	19
101	الكامل	يُمْتَحَن	17	تكاليف المعالي!	20
102	البسيط	وإيضاحا	16	التكلف يضيع معه الحق!	21

103	الوافر	أَمَّا	17	أي وفاء هذا يا منار؟	22
104	المنسرح	مستقيم	14	بُهلول	23
105	الكامل	ومَنون	16	حقل الدعوة	24
106	الكامل	مستيقنة	14	على اختلاف	25
107	المتقارب	الدامية	15	هذه تكفي	26
108	الرمل	نصيب	17	مَن منا الغريب؟	27
109	المتقارب	السمة	15	العاشقة القتيلة	28
110	الوافر	النصابا	13	كرم لا يُبارى	29
112	السريع	والفرخ	17	عرفت الطريق إلى عالم الوهم	30
113	المجتث	وامتنانا	14	ما عهدناك هكذا يا وليم	31
114	المتدارك	وعدا	15	واجبنا نحو المسلمة الإنجليزية	32
115	الطويل	أفترى	14	احترموا اللغة العربية	33
117	الكامل	بالخرم	13	يا أسفى على الحياء	34
119	البسيط	تأملين	15	نعمتِ التوبة	35
120	الخفيف	والتسامي	16	الشاعر عندما يعف	36
121	الوافر	تعتبر	16	عندما يصدق العشق	37
122	الرمل	تتحدى	17	ارجعي إلى حقل الدعوة	38
123	المتقارب	الواقعة	18	دمعة على الأطفال (مرثية على لسان عراقية)	39
124	الوافر	بالخداع	14	المروعة مني ، وأنا منها	40
125	المضارع	وثروى	15	ألسنتكم لا تراعي حق الجوار	41
126	السريع	يستعز	18	باكية إلى الأبد	42
127	البسيط	ينتحب	17	السقوط في الجحيم	43
128	المجتث	ساعة	18	القلم النزيه كالسيف	44
129	المتدارك	الغفوة	19	الجماليات والحرام	45
130	الكامل	بدعاء	16	دموع ووعيد	46
131	المتقارب	عصيت	13	بداية الهزيمة التكلف	47

133	الوافر	والنجاد	40	امراتان من صعيد مصر!	48
144	الخفيف	مستساغا	23	القاتل البطيء (أرجوزة)	49
152	الخفيف	يا أغبياء	22	طفّ الصاع	50
154	الوافر	الجراحا	30	إلى كل مدير متعنت!	51
157	الكامل	ونفوسا	18	أنت قد علمتنا يا عروة	52
159	الرمل	مدا	37	سبقوا ، وأنا بهم لاحقة	53
162	الطويل	التضحيات	140	(الطبيبتان)	54
171	البسيط	وحُسّادا	38	سبحان مقلب القلوب	55
175	الوافر	الصدور	33	سبق تقوى النفس الفجور	56
177	الوافر	التداجي	35	جاسيكا ، وازدواجية المعايير!	57
182	الكامل	أن تُشكرا	34	رقية المحارب	58
186	الطويل	سِعْر	32	إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض	59
189	الكامل	الإيمان	46	لك الله يا أم شريك	60
192	الخفيف	أي نجاح	21	ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض	61
195	الوافر	الامتداح	40	السمهري اليماني في نحر الأغاني (بالصفهاتي)	62
201	المتدارك	الأغرار	32	الروبيضة	63
204	البسيط	انطرحوا	11	وللشهامة معايير	64
207	المتقارب	الجهبذا	14	اختلاف	65
209	البسيط	أعياص	16	ازدواجية	66
211	المتقارب	عافية	13	عندما يصدق العشق	67
213	الكامل	عُقَام	57	المُطلقة الهوجاء	68
217	البسيط	جمدا	14	ازدواجية صريحة	69
219	البسيط	يستشري	31	الطبيعة الحزينة	70
221	الوافر	وحيدا	15	(بكر أبو زيد) عالم عصره	71
223	الوافر	والرشادا	11	عندما ينحرف المسار	72
225	الوافر	السرور	20	القضية قضية عقيدة	73

227	المتدارك	الحرما	18	مهر المعالي	74
230	الطويل	تأملني	13	أي وفاء بعد هذا؟	75
231	الكامل	بتفانٍ	15	بين الدماء والنيران	76
232	البسيط	ينبتقُ	16	زئير العاصفة الهوجاء	77
234	الخفيف	البؤساء	17	تلك شريعة الغاب	78
235	الوافر	والأسر	14	لماذا لا يأكلون (بيتي فور)؟!	79
236	الوافر	الأمنيات	14	قلب يعذب في الجحيم	80
237	المتقارب	الجوى	13	لا عتاب يضيع معه الحق!	81
239	الوافر	بالتحدي	17	الانهزام بداية الهزيمة	82
240	المضارع	الإباحي	16	لم يبلغ شاعرُكم شأواً!	83
241	السريع	وما يجبُ	15	أياسٌ بعد أمل؟!	84
242	المتدارك	مبطن	18	وعدّ ووعد	85
243	الطويل	منفعة	17	قد عرفتُ الطريق	86
244	الكامل	وأجرما	13	بين اليقظان والنائم	87
245	البسيط	ثاروا	18	مسافرة إلى عالم الوهم	88
246	الخفيف	الفيافي	17	بدوية تأبى السقوط	89
247	الوافر	والطعنا	16	شاعر ، ولكن إباحي مهتريء	90
248	الرمل	الملتقى	17	من أرشيف الغربية	91
249	البسيط	تجويزا	16	شموخ شاعر	92
250	المتدارك	أنتى	15	صدقت يا خالد	93
251	المتدارك	بالثورة	16	الخاننة مجني عليها	94
252	الكامل	مغنا	15	على الله القبول	95
254	المتقارب	الهرب	16	عراقية	96
259	الوافر	قياما	13	بناء البيوت ، وبناء النفوس!	97
260	المضارع	لا يُبالي	15	انحدارٌ إلى عالم الدنس	98
262	السريع	في عِظتي	12	التوبة التوبة يا أبتاه!	99

264	المجتث	يكفي	13	لا عزاء للشاتمين	100
265	المجتث	سيد	11	شاعرٌ ، ولكن رافضي خبيث	101
269	المتدارك	الجار	18	جارة لا تراعي حق الجوار	102
270	الطويل	بلقع	17	أسماء وألقاب	103
271	الكامل	وبطاح	13	لأنها من الصعيد	104
273	البسيط	مكنون	16	رسالة إلى رافضي خبيث	105
275	الخفيف	ذو الجلال	17	شرفت بالإسلام يا أبتاه	106
276	الوافر	واسى	14	شاعر مفترى عليه	107
277	الكامل	تعقب	15	أرشيف الانهزام	108
278	الوافر	ما لا تُطبق	16	أشواك على الطريق	109
280	السريع	محتسبا	17	عندما يعف الواعظ	110
282	البسيط	اللاحي	16	النفق المظلم	111
284	المجتث	مليحا	17	وما أدراك ما هدى!	112
285	المتقارب	الطبعة	16	السفينة السانرة	113
286	الرجز	والطلاق	17	آفات وحزونات	114
288	المتقارب	الجاهلية	18	لعبت بالنار مرة واحدة	115
289	الوافر	البلاغ	16	تكفي دمة	116
290	السريع	القيم	17	اختلاف	117
291	ة			خاتمة	ال
293	ات		وي	رست المحنة	فه

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه ، الانتهاء من ديوان: (الطبيبتان)!

تنوية هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر

باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية

(إدارة الإيداع القانوني)

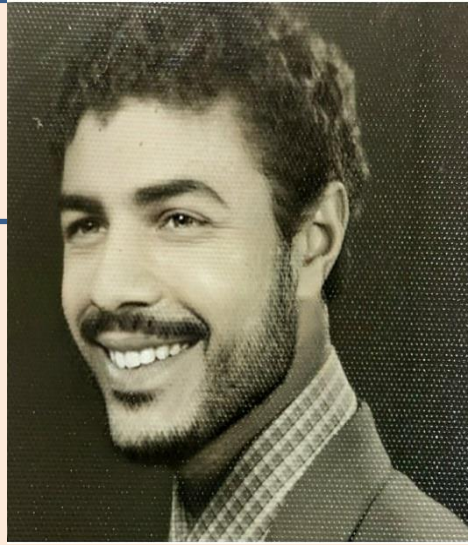
16004 / 2006 في يوم 6 - 8 - 2006م

بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

800 ، 811

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم



(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارع روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب - قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صعيديّ فح أباً وجداً وأعاماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله - سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

- 1 - نهاية الطريق: (ديوان شعر).
- 2 - عزيز النفس: (ديوان شعر).
- 3 - سويغات الغروب: (ديوان شعر).
- 4 - القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
- 5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
- 6 - الأمل الفواح: (ديوان شعر).
- 7 - من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
- 8 - الصاعدة وصلوا: (ديوان شعر).
- 9 - ذلّ الجمال: (ديوان شعر).
- 10 - ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
- 11 - دموع التصير: (ديوان شعر).
- 12 - عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
- 13 - فأعْضوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
- 14 - الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
- 15 - غادة اليمن: (ديوان شعر).
- 16 - عزة الخير: (ديوان شعر).
- 17 - منار الخير: (ديوان شعر).
- 18 - غربة وحرّبة وكربة: (ديوان شعر).
- 19 - الطبيبتان: (ديوان شعر).
- 20 - عجبْتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
- 21 - أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
- 22 - كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
- 23 - من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
- 24 - خالك الغيث: (ديوان شعر).
- 25 - الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
- 26 - وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

- 1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
- 2 - قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنتره بن شداد العبسي.
- 3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
- 4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
- 5 - ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم -!
- 6 - إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرت بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

- 1 - الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحيأ!
- 2 - القاتل البطيء (التدخين)
- 3 - بين شوقي وحافظ!
- 4 - ثاني اثنين إذ هما في الغار
- 5 - عمير بن وهب الجمحي - رضي الله عنه -.
- 6 - لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
- 7 - من أجل زوجي!
- 8 - هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
- 9 - فرانك كاريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
- 10 - يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
- 11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
- 12 - رباعيات الخيام اليمينية (معارضة لعمر الخيام)
- 13 - ابتسم! (معارضة لإلياء أبو ماضي)
- 14 - إبراهيم مصطفى صديقاً وصهرأ
- 15 - أبو غياث المكي - رحمه الله -
- 16 - أتيناكم! أتيناكم!
- 17 - أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحويأ وناقداً
- 18 - أستاذي قال لي! (عريف الكتاب - رحمه الله -)
- 19 - قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
- 20 - أسماء الله الحسنى
- 21 - الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
- 22 - التلون أخو النفاق من الرضاعة
- 23 - موقع (الديوان) منتج الشعراء
- 24 - (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
- 25 - أبجديات شعرية
- 26 - الشعر رحم بين أهله
- 27 - الله يرحم مزنه
- 28 - رسالة شعرية إلى أم يوسف
- 29 - امتهنوا فما امتهنوا! (علماء السلف رحمهم الله)
- 30 - تراني عندما أرى لحيتك!
- 31 - لا فضن فوك يا دكتور بدر العتيبي!
- 32 - بردة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -
- 33 - بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق - رضي الله عنهما -
- 34 - بردة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -
- 35 - بردة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -
- 36 - بردة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -
- 37 - بردة فاطمة بنت محمد - رضي الله عنها -
- 38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيه التربية والتعليم)
- 39 - نعم الميت ، ونعمت الميتة! (رثاء فقيه الأزهر الشريف)

- 40 - تحية رقيقة إليك يا غدير!
- 41 - تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
- 42 - تغير الحال أم الخال!؟
- 43 - تلميذي البار شكراً!
- 44 - تيس يرث نعجة! (جيء به محلاً فورثها)
- 45 - ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
- 46 - جاز المعلم وفه التبجيلاً! (معارضة لشوقي)
- 47 - حادي القلوب (ظفر النتيفات)
- 48 - حبيبي أقيلت! (معارضة لجاءت معدبتي لابن الخطيب)
- 49 - حرامية الشعر!
- 50 - حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
- 51 - حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
- 52 - خاتك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
- 53 - رثاء الدكتور الشرييني أبو طالب (معارضة لشوقي)
- 54 - رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
- 55 - رسالة إلى داننة!
- 56 - رضية الحاوية (رماها أبوها رضية فنفته في كبره)
- 57 - رفقاً بنفسك يا صاحبة الدموع (عائشة - رضي الله عنها -)
- 58 - رفيده بنت سعد الأسلمية - رضي الله عنها -
- 59 - سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
- 60 - سمية بنت خياط - رضي الله عنها -
- 61 - سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
- 62 - ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
- 63 - طببت حياً وميتاً يا أبتاه!
- 64 - طببت حياً وميتاً يا رسول الله!
- 65 - طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي - رحمه الله -)
- 66 - ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
- 67 - عاشق عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
- 68 - موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
- 69 - عجبث للنذل
- 70 - عجبث من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبث لا تنتهي)
- 71 - غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
- 72 - وربما حار الدليل!
- 73 - يا جارة الوادي اليمينية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
- 74 - لصوص القريض
- 75 - لقاؤنا في المحكمة
- 76 - لوعة الرحيل
- 77 - مسألة كرامة (تحويل) (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى
- 78 - كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
- 79 - مصابيح الدجى (علماء السلف - رحمهم الله -)

- 80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
 81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
 82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
 83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
 84 – الأطلال اليمينية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
 85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

- 1 – الغربية سلبيات وإيجابيات
 2 – إلى هؤلاء أتكلم!
 3 – آمال وأحوال
 4 – أمتي الغائبة الحاضرة
 5 – أنات محموم وآهات مكلوم
 6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
 7 – تحية شعرية والرد عليها
 8 – رمضان شهر الخير والبركة
 9 – عندما لا نجد إلا الصمت
 10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
 11 – بيني وبينك!
 12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
 13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
 14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
 15 – رسائل سليمانية شعرية
 16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
 17 – شرخ في جدار الحضارة
 18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
 19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2 & 3)
 20 – عندما يُثمر العتاب
 21 – فمثله كمثل الكلب!
 22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
 23 – كل شعر صديق شاعره
 24 – مساجلات سليمانية عشمأوية
 25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
 26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
 27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
 28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
 29 – الصبر ترياق العلل والداءات
 30 – الصعيد مهد المجد والسعد
 31 – الضاد بين عدو وصديق
 32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
 33 – الغربية دُرْبَة على الطريق

- 34 - الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 - اللغة العربية وصراع اللغات
37 - اللقيط برئ لا ذنب له!
38 - المال والجمال والمآل
39 - المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 - المعلم صانع الأجيال
41 - الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 - اليثم غنم لا غرم
43 - أمومة وأمومة
44 - أهازيج بين الشعر والشاعر
45 - أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 - أهكذا يُعامل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 - بين الفتنة والفتنة!
48 - بين هندٍ وزيد!
49 - جيران وجيران!
50 - رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 - عزة الخير (أم عبد الله)
52 - فذاك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 - مدائح إلهية شعرية
55 - اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 - البردات الشعرية السليمانية
57 - عيون الدواوين السليمانية
58 - معارضات سليمان شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 - المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 - من أزاهير الكتب
62 - من الأجوبة المُسكّنة المُفحمة
63 - من أناشيد الأفراح
64 - نحويات شعرية
65 - نساء صقلتهن العقيدة
66 - نساء لعب بهن الشيطان
67 - وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 - أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 - النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 - الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 - الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 - الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 - العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

- 76 - المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 - علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 - رسائل شعرية لمن يهمله الأمر
80 - ماذا قال لي شعري؟ وبم أحبته؟
81 - مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 - المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 - التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 - الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 - أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 - نصيب طلابي من شعري
87 - حضارة البطنة لا الفطنة
88 - إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 - لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 - الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 - دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 - المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 - القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 - وترجون من الله ما لا يرجون
95 - قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 - الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 - الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 - صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 - الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 - لماذا؟
101 - (لا) كلمة لها وقتها!
102 - هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أحرث عمّن هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 - أين؟!
107 - الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 - القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 - أيومة إلى الأبد!
112 - شتان بين البر والعقوق
113 - الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 - الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!

119 – عندما!

120 - تحايا شعريّة سليمانيّة (3&2&1)

121 – القصيدة الزينية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانيّة في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)
2. Reading Drills (1-50)
3. Reading Quizzes (1-111)
- 4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 6 - Conversation Skills
- 7 - Correction Exercise (1-100)
- 8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
- 9 - Grammar Tasks (1-77)
- 10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
12. Punctuation Tasks (1-56)
13. Reorder Quizzes (1-34)
14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
15. Writing Practices (1-76)
16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
18. Raymond's Run – Toni Bambara
19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)
22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!